موسوعة
الكلمة وأخواتها
في القرآن الكريم

ب - ت - ث - ج
بن - حبيب

الشيخ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

المجلد الثاني

2

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

ISBN : 9953-85-369-X

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: 834301 - 834332
فاكس: 835614 * ص.ب: 7876 ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

موسوعة

الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم

2

تابع
حرف الباء

بنّ
(بنّ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والنون في المضاعف أصلٌ واحد، هو اللزوم والإقامة.

قال الخليل(2): الإِبْنَانُ اللُّزوم، يقال: أَبَنَّتِ السّحابةُ: إذا لزِمَتْ، وأَبَنَّ القومُ بمحلَّةٍ: أقاموا. قال: ومن هذا الباب قولهُم: بَنَّنَ الرّجلُ فهو مُبَنِّنٌ، وذلك أن يرتبط الشّاة ليسمِّنها.

قال الجوهري(3): أَبَنّ بالمكان: أقام به. والبَنَّةُ: رائحةٌ، طيّبة كانت أو منتنةً. والجمع بِنانٌ. وكِناسٌ مُبِنٌّ، أي ذو بَنَّةٍ، وهي رائحة بعر الظباء إذا رعت الزهَر. والبَنانَةُ: واحدة البَنانِ، وهي أطراف الأصابع. وجمع القلة بَناناتٌ. بني بَنى فلان بيتاً من البُنيان. وبَنى على أهله بِناءً فيهما، أي زَفَّها. وبَنَّى قُصوراً، شُدِّدَ للكثرة. وابْتَنى داراً وبَنى بمعنىً. والبنيانُ: الحائطُ.

البنان: الأصابع، قيل: سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

للإنسان أن يبن بها، يريد: أن يقيم بها، ويقال: أبن بالمكان يبن خص في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 4][1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 4].

قال الفخر الرازي[2]: وفيها وجوه:

أحدها: أنه نبه بالبنان على بقية الأعضاء، أي نقدر على أن نسوي بنانه بعد صيرورته تراباً كما كان، وتحقيقه أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر أيضاً عليه في الإعادة وإنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم خلقه، فكأنه قيل: نقدر على ضم سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف القول في كبار العظام.

وثانيها: بلى قادرين على أن نسوي بنانه أي نجعلها مع كفه صفيحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وسائر الأعمال اللطيفة التي يستعان عليها بالأصابع، والقول الأول أقرب إلى الصواب.

وقال الزمخشري[3]: بنانه أي: أصابعه التي هي أطرافه، وآخر ما يتم به خلقه. أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف بكبار العظام. وقيل: معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه، أي نجعلها

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

مستوية شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال، والبسط والقبض، والتأتي لما يريد من الحوائج.

وذكر القرطبي في تفسيره(1): البنان عند العرب: الأصابع، واحدها بنانة؛ فنبّه بالبنان على بقية الأعضاء. وأيضاً فإنها أصغر العظام، فخصّها بالذكر لذلك. قال القتبيّ والزجاج: وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام؛ فقال الله تعالى: بلى قادرين على أن نعيد السُّلاَميّات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر. وقال ابن عباس وعامة المفسرين: المعنى: «عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ» أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخفّ البعير، أو كحافر الحمار، أو كظلف الخنزير، ولا يمكنه أن يعمل به شيئاً، ولكنا فرّقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء. وكان الحسن يقول: جعل لك أصابع فأنت تبسطهنّ، وتقبضهن بهنّ، ولو شاء الله لجمعهنّ فلم تتق الأرض إلا بكفيك. وقيل: أي نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم، فكيف في صورته التي كان عليها؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [الواقعة: 60-61].

- **قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: 12].

يعني الشّوَى، وهي الأيدي والأرْجُل. قال: وقد يجيء في الشّعر البَنانَة بالهاء للإصبع الواحدة.

وقال:

لا هـمّ كَـرَّمْـتَ بَـنِـي كِـنـانَـهْ ... لـيـس لِـحَـيٍّ فـوقَـهُـمْ بَـنَـانَـهْ

أي: لأحدٍ [عليهم] فضلٌ قِيسَ إصبع.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

وقال في البَنَان: لمَّا رأتْ صَدَأ الحديدِ بِجِلْدِهِ فاللّونُ أَوْرَقُ والبَنانُ قِصارُ.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ الزجاج: واحد البَنانِ بَنَانةٌ.

ومعناه في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12]، الأصابعُ وغيرها من جميع الأعضاء.

وإنما اشتقاق البَنَان من قولهم أَبَنَّ بالمكان إذا قام؛ فالبنان به يُعْتَمَدُ كلُّ ما يكون للإقامة والحياة. قال الخليل: والبَنَّة الرِّيح من أَرْبَاضِ البقَر والغَنم والظِّباء، وقد يُستعمل في الطِّيب، فيقال: أجِدُ في هذا الثوب بَنَّة طيِّبةً من عرْف تُفّاح أو سفَرجَل.

وذكر أبو السعود في تفسيره[1]: ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

قيل: البنانُ أطرافُ الأصابع من اليدين والرجلين، وقيل: هي الأصابعُ من اليدين والرجلين وقال أبو الهيثم البنان: المفاصلُ، وكلُّ مَفصِلٍ بنانه وقال ابن جريج والضحاك: يعني الأطرافَ أي اضرِبوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها. وقيل: المرادُ بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي والمعنى فاضرِبوا الصناديدَ والسَّفَلَةَ وتكريرُ الأمر بالضرب لمزيد الاعتناءِ بأمره و(منهم) متعلقٌ به أو بمحذوف وقع حالاً مما بعده.

(1) إرشاد العقل السليم.

بنى

(بنى - شَيَّد - عمر - نحت - صرح)

■ **البِنَاء:** ضم الشيء بعضه إلى بعض ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزُّمَر: 20].

■ **التَّشْييدُ:** البناء بالشيد وهو أقوى أنواع الصخر المحكم ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **العَمارة:** إدامة البناء الذي يقوم على خراب ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 19].

■ **النَّحتُ:** تعديل الأجسام الصلبة لتكون على صورة معينة ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 149].

■ **صَرْحُ:** بناء عال مزوق ليس فيه شوائب ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النَّمل: 44].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو بناءُ الشيء بِضَمِّ بعضِه إلى بعضٍ. تقول بَنَيْتُ البناءَ أبنيه. وتسمَّى مكةُ: البَنِيّة.

قال الخليل(2): بنى البَنَّاءُ البِنَاءُ يَبْنِي بِنياً وبُنْياناً وبنىً، مقصور.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والبَنِيَّة: الكعبة، يقال، لا ورب هذه البنيّة، والبِناءُ: يكون من الخِباء، والجمع أَبْنِيةٌ.

والبِناءُ: لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة لا لشيء أَحدث ذلك من العوامل، وكأَنهم إنما سموه بناء لأَنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغير تغير الإعراب، سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخَيْمة والمِظَلَّة والفُسْطاطِ والسُّرادِقِ ونحو ذلك، وعلى أَنه مذ أَوقِع على هذا الضرب من المستعملات المُزالة من مكان إلى مكان لفظُ البناء تشبيهاً بذلك من حيث كان مسكوناً وحاجزاً ومظلاً بالبناء من الآجر والطين والجص[1].

ويقال: ألقى فلان أرواقه وألقى بوانيه وألقى عصاه إذا قام بالمكان واطمأن.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النَّبإ: 12].

قال الفخر الرازي[2]: أي: سبع سماوات شداداً جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان، لا فطور فيها ولا فروج، ونظيره ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: 32]. فإن قيل لفظ البناء يستعمل في أسافل البيت والسقف في أعلاه فكيف قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾؟ قلنا البناء يكون أبعد من الآفة والانحلال من السقف، فذكر قوله: ﴿وَبَنَيْنَا﴾ إشارة إلى أنه وإن كان سقفاً لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء، فالغرض من اختيار هذا اللفظ هذه الدقيقة.

وقال ابن عاشور[3]: والبناء: جعل الجاعل أو صُنع الصانع بيتاً أو قصراً من

(1) اللسان – ابن منظور.
(2) التفسير الكبير.
(3) التحرير والتنوير.

حجارة وطين أو من أثواب، أو من أدَم على وجه الأرض، وهو مصدر بنى، فبيت المدَر مبني، والخيمة مبنيّة، والطِراف والقبة من الأدم مبنيان. والبناء يستلزم الإعلاء على الأرض فليس الحفر بناء ولا نقر الصخور في الجبال بناء.

فذكر الدعائم وهي من أجزاء الخيمة. واستعير فعل (بنيْنا) في هذه الآية لمعنى: خلقنا ما هو عَالٍ فوق الناس، لأن تكوينه عالياً يشبه البناء.

ولذلك كان قوله: ﴿فَوْقَكُمْ﴾ إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل (بنينا) وليس ذلك تجريداً للاستعارة لأن الفوقية لا تختص بالمبنيّات، مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار والنظر في تلك السَبع الشداد.

● **قال تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾** [التوبَة: 110].

قال الطبري[1]: لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ﴿رِيبَةً﴾ يقول: لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم، يعني شكًّا ونفاقاً في قلوبهم، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين. ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبَة: 110] يعني إلا أن تتصدّع قلوبهم فيموتوا، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم في دينهم وما قصدوا في بنائهموه وأرادوه وما إليه صائر أمرهم في الآخرة وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم، حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه.

● **وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾** [الصَّف: 4].

قال الفخر الرازي[2]: يقال: رصصت البناء إذا لايمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، وقال الليث: يقال: رصصت البناء إذا ضممته، والرص انضمام الأشياء بعضها إلى بعض، وقال ابن عباس: يوضع الحجر على الحجر ثم

---

(1) جامع البيان. (2) التفسير الكبير.

يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فتسميه أهل مكة المرصوص، وقال أبو إسحق: أعلم الله تعالى أنه يحب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص، وقال: ويجوز أن يكون على أن يستوي شأنهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة، وموالاة بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص، وقيل: ضرب هذا المثل للثبات: يعني إذا اصطفوا ثبتوا كالبنيان المرصوص الثابت المستقر.

ابن:

والاسم البُنُوَّةُ. قال الليث: البُنُوَّةُ مصدر الابن. يقال: ابنٌ بَيِّنُ البُنُوَّة.

ويقال: تَبَنَّيْتُه أَي: ادَّعيت بُنُوَّتَه.

وتَبَنَّاه: اتخذه ابناً[1].

وقال الزجاج: تَبَنَّى به: يريد تَبَنَّاه[2].

و(ابن) أصله: بنو، لقولهم في الجمع: أبناء، وفي التصغير: بني، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ﴾ [يوسف: 5]. وقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصَّافات: 102]، وقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [لقمان: 13].

يا بني لا تعبد الشيطان، وسماه بذلك لكونه بناء للأب، فإن الأب هو الذي بناه وجعله لله بناء في إيجاده، ويقال لكل ما يحصل من جهة شيء أو من تربيته، أو بتفقده أو كثرة خدمته له أو قيامه بأمره: هو ابنه، نحو: فلان ابن الحرب، وابن السبيل للمسافر، وابن الليل، وابن العلم[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: 45] ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: 81]، وجمع ابن: أبناء وبنون قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ [النّحل: 72].

---

(1) اللسان - ابن منظور.

(2) معاني القرآن.

(3) مفردات الراغب.

ويقال في مؤنث ابن: ابنة وبنت، وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هُود: 78] ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ [هُود: 79] فقد قيل: خاطب بذلك أكابر القوم وعرض عليهم بناته[1].

وقيل: بل أشار بالبنات إلى نساء أمته، وسماهن بنات له لكون كل نبي بمنزلة الأب لأمته، بل لكونه أكبر وأجل الأبوين لهم كما تقدم في ذكر الأب، وقوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ [النّحل: 57]، هو قولهم عن الله: إن الملائكة بنات الله[2].

(1) الدر المنثور.

(2) مفردات الراغب.

بهت

(بُهْت - إفك - خرص - زور - افتراء - كذب)

■ **البُهْتُ:** كذب يدهش الآخرين لغرابته ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 16].

■ **الإِفْكُ:** العدل عن الحق إلى الباطل عناداً. ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصَّافات: 86].

■ **الخِرْصُ:** كذب يقوم على الظن والتخمين ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذّاريَات: 10].

■ **الزُّورُ:** تزييف الحقيقة بصيغة مزورة ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4].

■ **الافْتِراءُ:** الكذب المنسوج بعناية واحتراف ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 48].

■ **الكَذِبُ:** التعمد في تخبيث الصدق لمصلحة غير مشروعة ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنَافِقون: 1].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والهاء والتاء أصلٌ واحدٌ، وهو كالدَّهَش والحَيْرة. يقال: بُهِتَ الرجل يُبْهَتُ بَهْتاً. والبَهْتَةُ الحيرة. فأمّا البُهْتان فالكذب. يقول العرب: يا لَلبَهيتة، أي: يا لَلكذِب.

قال الخليل(2): بَهَتَهُ فلان، أي: استقبله بأمر قذفه به وهو بريء.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

وذكر ابن دُريد[1]: بُهِتَ الرجل أَبْهَتَهُ بَهْتاً: إذا واجهته بما لايقل.

قال الجوهري[2]: بَهَتَهُ بَهْتاً: أخذه بَغْتة. قال الله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الأنبياء: 40]. أيضاً: بَهَتَهُ بَهْتاً وبَهَتاً وبُهْتاناً، فهو بَهَّاتٌ، أي: قال عليه ما لم يفعله، فهو مَبْهوتٌ. والبَهيتةُ: البُهْتانُ. يقال: يا لِلْبَهيْتَةِ، بكسر اللام، وهو استغاثة.

وبَهِتَ الرجل، بالكسر، إذا دَهِشَ وتَحيَّرَ. وبَهُتَ بالضم مثله، وأفصَحُ منهما بُهِتَ، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البَقَرَة: 258] لأنه يقال رجل مَبْهوتٌ ولا يقال باهِتٌ ولا بَهيتٌ.

المعنى المشترك لكلمة (ب هـ ت)

وقد وردت كلمة (بهت) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: البهتان: يعني الزنا ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [المُمتَحنَة: 12].

الوجه الثاني: البهتان: يعني الكذب ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 16].

الوجه الثالث: البهتان: يعني الحرام من المال ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 20].

الوجه الرابع: البهتان: يعني الدهشة والخسران ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البَقَرَة: 258].

(1) الجمهرة.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البَقَرَة: 258].

قال الفخر الرازي[1]: فالمعنى: فبقي مغلوباً لا يجد مقالاً، ولا للمسألة جوابه، وهو كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: 40].

وقال أبو السعود[2]: أي صار مبهوتاً وقرىء على بناء الفاعل على أن الموصول مفعوله: أي فغلب إبراهيمُ الكافر وأسكته، وإيراد الكفر في حيز الصلة للإشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفراً.

● **وقال تعالى:** ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 16].

قال الألوسي[3]: أي كذب يبهت ويحير سامعه لفظاعته ﴿عَظِيمٌ﴾ لا يقدر قدره لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمها كثيراً ما يكونان باعتبار متعلقاتها، والظاهر أن التوبيخ للسامعين الخائضين لا للسامعين مطلقاً، فقد روي عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة رضي الله تعالى عنها قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وذكر القشيري في تفسيره للآية[4]: استماعُ الغيبةِ نوعٌ من الغيبة، بل مستمِعُ الغيبة شَرُّ المغتابين؛ إذ بسماعه يَتِمُّ قَصْدُ صاحِبه. وإذا سمِع المؤمنُ ما هو سوءُ قالةٍ في المسلمين - مما لا صِحَّةَ له في التحقيق - فالواجبُ الردُّ على قائله، ولا يكفي في ذلك السكوتُ دون النكير، ويجب ردُّ قائله بأحسنِ نصيحةٍ، وأدقِّ موعظةٍ، ونوع تَشَاغُلٍ عن إظهار المشاركة له فيما يستطيب من نَشْرِهِ من إخجالٍ

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) لطائف الإشارات.

لقائله موحشٍ، فإن أبى إلا انهماكاً فيما يقول فيرد عليه بما أمكن؛ لأنه إن لم يسْتَحِ قائلهُ من قوله فلا ينبغي أن يستحيَ المستمعُ من الرَّدِّ عليه.

● **وقال تعالى:** ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ [المُمتَحنَة: 12].

قال الفراء[1]: كانت المرأة في الجاهلية تلتقط المولود فتقول: هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن، وذلك أن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها.

قال الزمخشري[2]: (كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين)، وقيل: كنى بذلك عن الولد الدعي لأن اللواتي كن يظهرن البطون لأزواجهن في بدء الحال إنما فعلن ذلك امتناناً عليهم، وكن يبدين في ثاني الحال عند الطلق حين يضعن الحمل بين أرجلهن أنهن ولدن لهم فنهين عن ذلك الذي هو من شعار الجاهلية المنافي لشعار المسلمات تصويراً لتينك الحالتين وتهجيناً لما كن يفعلنه، وأياً مّا كان فحمل الآية على ما ذكر هو الذي ذهب إليه الأكثرون، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقال بعض الأجلة: معناه لا يأتين ببهتان من قبل أنفسهن، واليد والرجل كناية عن الذات لأن معظم الأفعال بهما، ولذا قيل للمعاقب بجناية قولية: هذا ما كسبت يداك، أو معناه لا يأتين ببهتان ينشئنه في ضمائرهن وقلوبهن، والقلب مقره بين الأيدي والأرجل، والكلام على الأول: كناية عن إلقاء البهتان من تلقاء أنفسهن، وعلى الثاني: كناية عن كون البهتان من دخيلة قلوبهن المبنية على الخبث الباطني.

وقال الألوسي[3]: معناه لا يبهتن الناس كفاحاً ومواجهة كما يقال للأمر بحضرتك: إنه بين يديك، ورد بأنهم وإن كنوا عن الحاضر بما ذكر لكن لا يقال

(1) معاني القرآن
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.

فيه: هو بين رجليك، وهو وارد لو ذكرت الأرجل وحدها أما إذا ذكرت مع الأيدي تبعاً فلا، والكلام قيل: كناية عن خرق جلباب الحياء، والمراد النهي عن القذف، ويدخل فيه الكذب والغيبة، وروي عن الضحاك حمل ذلك على القذف، وقيل: بين أيديهن قبلة أو جسة وأرجلهن الجماع، وقيل: بين أيديهن ألسنتهن بالنميمة، وأرجلهن فروجهن بالجماع، وهو وكذا ما قبله كما ترى.

بهجة

(بهجة - بشر - فرح - حبور - سرور)

■ **البَهْجَةُ:** الفرح بما تقع عليه العين ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النَّمل: 60].

■ **الاسْتِبْشَارُ:** الفرح بالخير ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزُّمَر: 17].

■ **الفَرَحُ:** خفقة في القلب من ارتياح شديد لتحقق أمنية ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم: 4].

■ **الحَبُور:** الفرح بالنعمة ورغد العيش ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15].

■ **السُّرُور:** الفرح الخفي بالقلب ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 9].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والهاء والجيم أصلٌ واحد، وهو السرور والنَّضْرة، يقال نباتٌ بهيجٌ، أي: ناضِرٌ حَسَن.

قال الخليل[2]: البهجة: حُسن لون الشيء ونضارته.

وذكر ابن دُريد[3]: للبهجة موضعان: فمنهما أن تقول: هذا شيء ليس عليه بهجة، أي: ليس عليه طلاوة، ومنهما أبهجني هذا الأمر وبهجني: إذا سرّك، وأبهجني أكثر وأعلى.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.

قال الأصمعي[1]: باهجت الرّجل وباهيتُه وبازجتُه بمعنى واحد.

البَهْجَةُ: الحُسْنُ؛ يقال: رجل ذو بَهْجَةٍ، البَهْجَةُ: حُسْنُ لون الشيء ونَضَارَتُه؛ وقيل: هو في النبات النَّضارَةُ، وفي الإِنسان ضَحِكُ أَسارير الوجه، أَو ظهورُ الفَرَحِ البتة.

بَهِجَ بَهَجاً، فهو بَهِجٌ، وبَهُجَ، بالضم، بَهْجَةً وبَهاجَةً وبَهَجاناً، فهو بَهِيجٌ؛ قال أَبو ذؤَيب:

فذَلك سُقْيا أُمِّ عَمْرٍو، وإِنَّني، بما بَذَلَتْ من سَيْبِها، لبَهِيجُ

أَشار بقوله ذلك إِلى السحاب الذي استسقى لأُم عمرو، وكانت صاحبته التي يشبب بها في غالب الأَمر. ورجلٌ بَهِجٌ أَي: مُسْتَبْهِجٌ بأَمرٍ يَسُرُّه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النَّمل: 60].

أي: ذاتَ حُسنٍ ورَوْنقٍ يبتهجُ به النُّظَّارُ.

قال الألوسي[2]: ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي ذات حسن ورونق يبتهج به الناظر ويسر.

قال ابن عاشور[3]: والبهجة: حسن المنظر لأن الناظر يبتهج به.

● **وقوله تعالى**: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ﴾ [قٓ: 7].

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قلت لابن زيد، البهيج: هو الحسن المنظر[4].

(1) الأضداد.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.
(4) جامع البيان الطبري.

﴿بَهِيجٍ﴾: من كل صنف حسن كريم يبتهج به أي: يسر به.

وتباهَجَ النُّوَّارُ: تضاحك: وبهِج بالشيء وله، بالكسر، بَهاجةً، وابتَهَج: سُرَّ به وفَرح؛ قال الشاعر: كانَ الشبابُ رِداءً قد بَهِجْتُ به، فقد تطايَرَ، منه لِلبِلَى، خِرَقُ والابتهاجُ: السُّرور.

وبَهَجَني الشيءُ وأَبْهَجَني، وهي بالأَلف أَعلى: سَرَّني.

وأَبْهَجَت الأَرضُ: بَهُجَ نباتُها[1].

ولا يجيء منه بهوج، وقد ابتهج بكذا، أي: سر به سروراً بان أثره على وجهه، وأبهجه كذا[2].

قال ابن عاشور[3]: والبهيج يجوز أن يكون صفة مشبّهة، يقال: بَهُج بضم الهاء، إذا حَسُن في أعين الناظرين، فالبهيج بمعنى الفاعل كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ [النَّمل: 60]. ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، أي منبهَج به على الحذف والإيصال، أي يُسرّ به الناظر، يقال: بهَجَه من باب منَع، إذا سرّه، ومنه الابتهاج المسرة. وهذا الوصف يفيد ذكره تقوية الاستدلال على دقة صنع الله تعالى. وإدماج الامتنان عليهم بذلك ليشكروا النعمة ولا يكفروها بعبادة غيره كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل: 5-6].

وقال الطنطاوي[4]: ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ أي: وأنبتنا فيها من كل صنف حسن يبهج ويسر الناظرين إليه، مأخوذ من البهجة بمعنى الحسن يقال: بَهُج الشيء - كظرف - فهو بهيج أي: حسن جميل.

(1) اللسان.
(2) مفردات الراغب.
(3) التحرير والتنوير.
(4) الوسيط في تفسير القرآن.

بهل

(بَهل - دعا - ضرع - غوث)

- **الابْتِهَالُ:** الاجتهاد والمبالغة في الدعاء من ظلم ظالم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمران: 61].
- **الدُّعَاءُ:** طلب الحوائج من الله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: 60].
- **التَّضَرُّعُ:** عندما تطلب العفو عن إساءة بالغة ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: 43].
- **الاسْتِغَاثَةُ:** عندما تكون في خطر محدق ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ [الأحقاف: 17].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[(1)]: الباء والهاء واللام. أصول ثلاثة: أحدها التّخلية، والثاني جِنْسٌ من الدُّعَاء، والثالث قِلَّةٌ في الماء. فأمّا الأوّل فيقولون: بَهَلْتُه: إذا خَلَّيْتَه وإرادَتَه. ومن ذلك النّاقة الباهِلُ، وهي التي لا سِمَة عليها. ويقال [التي] لاصِرَارَ عليها. ومنه حديث المرأة لِبعلها: «أبْثَثْتُكَ مكتومي، وأطعمتُك مأْدومي، وأَتَيْتُك باهلاً غَيْرَ ذاتِ صِرَارٍ»، وقد أراد تطليقها. وأمّا الآخَر فالابتهال والتضرُّع في الدُّعاء. والمباهلةُ يرجع إلى هذا، فإنَّ المُتَبَاهِلَين يدعُو كلُّ واحدٍ منهما على

(1) معجم مقاييس اللغة.

صاحِبِه. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمرَان: 61]. والثالث البَهْل: وهو الماء القَلِيل.

والبَهْل: اللَّعْن.

وفي حديث ابن الصَّبْغاء قال: الذي بَهَله بُرَيْقٌ أي: الذي لَعَنه ودعا عليه رجل اسمه بُرَيْقٌ. وبَهَله اللهُ بَهْلاً: لَعَنه.

وعليه بَهْلة الله وبُهْلته أي: لعْنَتُه.

وفي حديث أَبي بكر: من وَلِيَ من أُمور الناس شيئاً فلم يُعْطِهم كتاب الله فعليه بَهْلة الله أَي: لَعْنة الله، وتضم باؤها وتفتح.

وباهَلَ القومُ بعضُهم بعضاً وتَباهلوا وابتهلوا: تَلاعنوا. والمُباهلة: المُلاعَنة. يقال: باهَلْت فلاناً أَي: لاعنته، ومعنى المباهلة أَن يجتمع القوم إِذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لَعْنَةُ الله على الظالم منا[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمرَان: 61].

قال القرطبي[2]: وهو معنى قوله ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتضرع في الدعاء؛ عن ابن عباس. أبو عبيدة والكسائي: نلتعِن. وأصل الابتهال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره.

أي اجتهد في إهلاكهم. يقال: بَهَلَهُ الله أي: لَعَنَهُ. والبَهْل: اللعن. والبَهْلُ: الماء القليل. وأَبْهَلَتهُ: إذا خليته وإرادته. وَبَهَّلْتُهُ أيضاً. وحكى أبو عبيدة: بَهَلَهُ الله

(1) اللسان - ابن منظور. (2) الجامع لأحكام القرآن.

يَبْهُلُهُ بَهْلَة أي: لعنه. قال ابن عباس: هم أهل نجران: السيد والعاقب وابن الحارث رؤساؤهم. ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

قال أبو السعود[1]: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتباهلْ بأن نلعنَ الكاذبَ منا، والبُهلةُ - بالضم والفتح - اللعنةُ وأصلُها التركُ من قولهم: بَهَلْتُ الناقةَ أي: تركتُها بلا صِرار.

وذكر الألوسي في تفسيره[2]: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي نتباهل، فالافتعال هنا بمعنى المفاعلة، وافتعل وتفاعل أخوان في كثير من المواضع كاشتور وتشاور، واجتور وتجاور، والأصل في البُهْلَة بالضم، والفتح فيه كما قيل اللعنة، والدعاء بها، ثم شاعت في مطلق الدعاء كما يقال: فلان يَبْتَهِلُ إلى الله تعالى في حاجته، وقال الراغب: بَهَلَ الشيء والبعير إهماله وتخليته ثم استعمل في الاسترسال في الدعاء سواء كان لعناً أو لا، إلا أنه هنا يفسر باللعن لأنه المراد الواقع كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي في أمر عيسى عليه السلام فإنه معطوف على (نبتهل) مفسر للمراد منه أي نقول لعنة الله على الكاذبين، أو اللهم العن الكاذبين.

وفي حديث الدعاء: «**والابتهالُ أن تَمُدَّ يديك جميعاً**، وأَصله التَضَرُّع والمبالغة في السؤال.

والبَهْل: المال القليل، وفي المُحْكَم: والبَهْل من الماء القليل؛ قال:
وأَعْطاكَ بَهْلاً مِنْهُما فَرَضِيته، وذو اللُّبِّ للبَهْلِ الحَقِيرِ عَيُوفُ.

والبَهْل: الشيء اليسير الحقير[3].

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) اللسان - ابن منظور.

بهمة

(بهمة - كلب - سبع - ذئب - طير - قسورة)

■ **البُهْمة:** كل حيوان يؤكل ما عدا السباع والطيور. ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المَائدة: 1].

■ **الكَلْبُ:** حيوان يعضّ ويألف. ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: 18].

■ **الذِّئْبُ:** كلب مفترس ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: 13].

■ **السَّبُعُ:** حيوان مفترس البشر والحيوان ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الطَّيْرُ:** كل حيوان بجناح ﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ﴾ [يُوسُف: 36].

■ **القَسْوَرَةُ:** الأسد ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ [المدَّثّر: 51].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والهاء والميم: أن يبقى الشّيءُ لا يُعْرَفُ المأْتَى إليه. يقال هذا أمرٌ مُبْهَم. ومنه البُهْمةُ: الصخرة التي لا خَرْق فيها، وبها شُبِّه الرّجُل الشُّجَاعُ الذي لا يُقدَرُ عليه من أيِّ ناحيةٍ طُلِب.

قال الجوهري(2): البِهامُ: جمع بَهْمٍ. والبَهْمُ جمع بَهْمَةٍ، وهي أولاد الضأن. والبَهْمَةُ اسمٌ للمذكّر والمؤنّث. وقد جعل لبيد أولاد البقر بِهَاماً بقوله:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

عوذاً تأَجَّلَ بالفضاء بِهامُها والعينُ ساكنةٌ على أَطْلائِها

ويقال: هم يُبَهِّمُونَ البَهْمَ تَبْهيماً: إذا أفردوه عن أمّهاته فَرعَوْهُ وحده. أبو عبدية: البُهْمَةُ بالضم: الفارس الذي لا يَدْري مِنْ أين يُؤْتى، من شدّة بأسه، والجمع بُهَمٌ.

ويقال أيضاً للجيش بُهْمَةٌ، ومنه قولهم: فلان فارسُ بُهْمَةٍ وليثُ غابةٍ.

وأمرٌ مُبْهَمٌ، أي: لا مَأْتى له. وأَبْهَمْتُ البابَ: أغلقتُه. والأسماء المُبْهَمَةُ عند النحويِّين هي أسماء الإشارات، نحو قولك: هذا، وهؤلاء، وذاك وأولئك. واسْتَبْهَمَ عليه الكلام، أي: استغلَقَ. وتَبَهَّمَ أيضاً: إذا أُرْتِجَ عليه. والإبهامُ: الإصبع العَظمى، وهي مؤنَّثة، والجمع الأباهيمُ. والبَهيمَةُ: واحدة البَهائِمِ.

وقال الراغب[1]: أبهمت كذا فاستبهم، وأبهمت الباب: أغلقته إغلاقاً لا يهتدى لفتحه، والبهيمة: ما لا نطق له، وذلك لما في صوته من الإبهام، لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المَائدة: 1].

قال الفخر الرازي[2]: وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قالوا: كل حي لا عقل له فهو بهيمة، من قولهم: استبهم الأمر على فلان إذا أشكل، وهذا باب مبهم أي: مسدود الطريق، ثم اختص هذا الاسم بكل ذات أربع في البر والبحر، والأنعام هي الإبل والبقر والغنم، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: 5] إلى قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ

(1) مفردات الراغب. (2) التفسير الكبير.

وَٱلْحَمِيرَ﴾ [النّحل: 8]. ففرق تعالى بين الأنعام وبين الخيل والبغال والحمير. وقال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يـس: 71-72] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 142] إلى قوله: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾ [الأنعام: 143] وإلى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾ [الأنعام: 144] قال الواحدي رحمه الله: ولا يدخل في اسم الأنعام الحافر لأنه مأخوذ من نعومة الوطء. إذا عرفت هذا فنقول: في لفظ الآية سؤالات: الأول: أن البهيمة اسم الجنس، والأنعام اسم النوع فقوله: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ يجري مجرى قول القائل: حيوان الإنسان وهو مستدرك. الثاني: أنه تعالى لو قال: أحلت لكم الأنعام، لكان الكلام تاماً بدليل أنه تعالى قال في آية أخرى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الحجّ: 30] فأي فائدة في زيادة لفظ البهيمة في هذه الآية. الثالث: أنه ذكر لفظ البهيمة بلفظ الوحدان، ولفظ الأنعام بلفظ الجمع، فما الفائدة فيه؟ والجواب عن السؤال الأول من وجهين:

الأول: أن المراد بالبهيمة وبالأنعام شيء واحد، وإضافة البهيمة إلى الأنعام للبيان، وهذه الإضافة بمعنى (مِنْ) كخاتم فضة، ومعناه البهيمة من الأنعام أو للتأكد كقولنا: نفس الشيء وذاته وعينه.

الثاني: أن المراد بالبهيمة شيء، وبالأنعام شيء آخر وعلى هذا التقدير ففيه وجهان: الأول: أن المراد من بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها، كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لحصول المشابهة.

وقال أبو السعود(1): البهيمةُ كلُّ ذات أربع، وإضافتُها إلى الأنعام للبيان كثوب الخزّ، وإفرادُها لإرادة الجنس، أي أحِلّ لكم أكلُ البهيمة من الأنعام،

(1) إرشاد العقل السليم.

وهي الأزواجُ الثمانية المعدودة في سورة الأنعام، وأُلحِق بها الظباءُ وبقَرُ الوَحْش ونحوُهما، وقيل: هي المرادة بالبهيمة هاهنا لتقدّم بيان حِلِّ الأنعام، والإضافةُ لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأنياب، وفائدتُها الإشعارُ بعِلة الحكم المشتركة بين المضافَيْن، كأنه قيل: أُحلت لكم البهيمةُ الشبيهة بالأنعام التي بَيَّن إحلالَها فيما سبق، المماثِلةُ لها في مَناطِ الحُكم. وتقديم الجارّ والمجرور على القائم مَقام الفاعل لما مر مراراً من إظهار العناية بالمقدَّم، لما فيه من تعجيل المسرَّة والتشويق إلى المؤخَّر، فإن ما حقُّه التقديمُ إذا أُخِّر تبقى النفسُ مترقِّبةً إلى وروده، فيتمكّن عندها فضلُ تمكّن.

وقوله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة عُراةً حفاةً بُهماً**»، قال: قلنا: وما بُهماً؟ قال: (**ليس معهم شيء...**)[1].

(1) أخرجه أحمد بإسناد صحيح.

بَوَبَ

(باب - مدخل)

■ **البَابُ:** مدخل المكان يغلق ويفتح ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 71].

■ **المَدْخَلُ:** مبتدأ الدخول من بناءٍ ونحوه مما لا يغلق ما بعد الباب مباشرة باتجاه المكان ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والواو والباء أصلٌ واحد، وهو قولك: تَبَوَّبْتُ بَوَّاباً، أي: اتَّخَذْتَ بَوَّاباً والباب أصلُ ألفهِ واوٌ، فانقلبت ألفاً.

- الباب يقال لمدخل الشيء، وأصل ذلك: مداخل الأمكنة، كباب المدينة والدار والبيت، وجمعه: أبواب.

البَوْباةُ: الفَلاةُ، عن ابن جني، وهي المَوْماةُ.

وقال أَبو حنيفة: البَوْباةُ عَقَبةٌ كَؤُودٌ على طريقِ مَنْ أَنْجَدَ من حاجِّ اليَمَن، والبابُ معروف، والفِعْلُ منه التَّبْوِيبُ، والجمعُ أَبْوابٌ وبِيبانٌ.

والبابُ والبابةُ، في الحُدودِ والحِساب ونحوه: الغايةُ، وحكى سيبويه: بيَّنْتُ له حِسابَه باباً باباً.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وباباتُ الكِتابِ: سطورهُ، ولم يُسمع ما بواحدٍ، وقيل: هي وجوهُه وطُرُقُه. قال تَمِيم بن مُقْبِلٍ: بَنِي عامرٍ! ما تأْمُرون بشاعِرٍ، تَخَيَّرَ باباتِ الكتابِ جِائيا. وأَبوابٌ مُبَوَّبةٌ: كما يقال أَصْنافٌ مُصَنَّفَةٌ.

ويقال هذا شيءٌ منْ بابَتِك أَي: يَصْلُحُ لك.

ابن الأَنباري في قولهم هذا مِن بابَتي. قال ابن السكيت وغيره: البابةُ عند العَرَب الوجْهُ، والباباتُ الوُجوه[1].

المعنى المشترك لكلمة (ب وب)

وقد وردت كلمة (بوب) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الباب: بمعنى المنزل ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحِجر: 44].

الوجه الثاني: الباب: بمعنى السكة ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ﴾ [يُوسُف: 67].

الوجه الثالث: الباب: بعينه ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: 50].

الوجه الرابع: الباب: بمعنى الدرب ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ [المَائدة: 23].

الوجه الخامس: الباب: بمعنى المدخل والمخرج ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ [البَقَرَة: 189].

الوجه السادس: الباب: بمعنى مستفتح الأمر ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: 44].

الوجه السابع: الباب: يعني الطريق ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحِجر: 14].

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾

(1) غريب اللغة.

[يُوسُف: 25]، وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يُوسُف: 67].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ [المَائدة: 23].

قال ابن عاشور[1]: (الباب) يجوز أن يراد به مدخل الأرض المقدّسة، أي: المسالك الّتي يسلك منها إلى أرض كنعان، وهو الثغر والمضيق الذي يسلك منه إلى منزل القبيلة يكون بين جبلين وغْرَيْن، إذ ليس في الأرض المأمورين بدخولها مدينة بل أرض لقوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المَائدة: 21]، فأرادَا: فإذا اجتزتم الثغر ووطئتم أرض الأعداء غلبتموهم في قتالهم في ديارهم. وقد يسمّى الثغر البحري باباً أيضاً، مثل باب المندب، وسمّوا موضعاً بجهة بخاري الباب. وحمل المفسّرون الباب على المشهور المتعارف، وهو باب البلد الذي في سوره، فقالوا: أرادا باب قريتهم، أي لأنّ فتح مدينة الأرض يعدّ ملكاً لجميع تلك الأرض. والظاهر أن هذه القرية هي (أريحا) أو (قادش) حاضرة العمالقة يومئذٍ، وهي المذكورة في سورة البقرة. والباب بهذا المعنى هو دفّة عظيمة متّخذة من ألواح تُوصل بجزأيّ جدار أو سور بكيفية تسمح لأن يكون ذلك اللوح سادًّا لتلك الفرجة متى أريد سدّها وبأن تفتح عند إرادة فتحها؛ فيسمّى السَّد به غلقاً وإزالة السدّ فتحاً.

ومنه يقال في العلم: باب كذا، وهذا العلم باب إلى علم كذا، أي: به يتوصل إليه وقال ﷺ: **(أنا مدينة العلم وعلي بابها)** رواه الطبراني والحاكم[2].

(1) التحرير والتنوير.
(2) مفردات الراغب.

● **وقال تعالى:** ﴿بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الحديد: 13].

قال الألوسي[1]: أي الباب كما روي عن مقاتل أو السور وهو الجانب الذي يلي مكان المؤمنين أعني الجنة.

قال ابن كثير: وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد[2].

● **وقال تعالى:** ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [النّحل: 29].

قال الفخر الرازي[3]: أي: يقال لهم ذلك عند الموت. وقيل: هو بشارة لهم بعذاب القبر؛ إذ هو باب من أبواب جهنم للكافرين. وقيل: لا تصل أهل الدركة الثانية إليها مثلاً إلا بدخول الدركة الأولى ثم الثانية والثالثة هكذا. وقيل: لكل دركة باب مفرد، فالبعض يدخلون من باب والبعض يدخلون من باب آخر.

● **وقوله:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 73].

قال الزمخشري[4]: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلاّ أنّ جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدلّ بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه ما بعد خالدين. وقيل: حتى إذا جاؤوها، جاؤوها وفتحت أبوابها، أي: مع فتح أبوابها. وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلاّ عند دخول أهلها فيها. وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها، بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [صٓ: 50] فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها. فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.

إلى حبس أو قتل. والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين ﴿طِبْتُمْ﴾ [الزُّمَر: 73] من دنس المعاصي. وطهرتم من خبث الخطايا ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾ جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة، فما هي إلاّ دار الطيبين ومثوى الطاهرين؛ لأنها دار طهرها الله من كل دنس، وطيبها من كل قذر، فلا يدخلها إلاّ مناسب لها موصوف بصفتها، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة، وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة، إلاّ أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحاً، تنقّي أنفسنا من درن الذنوب.

بيت

(بيت - برج - قصر - دار - حصن - صرح)

■ **بَيْتٌ:** مأوى الإنسان، البيت في الليل فيقال: بات. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ۚ﴾ [النّمل: 52].

■ **البُرْجُ:** البناء الصخري العالي لحراسته بيوت الملوك ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ﴾ [النِّساء: 78].

■ **القَصْرُ:** المسكن المشيد بأسباب البقاء للأولاد، وهو بيت الملك للبقاء. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **دَارٌ:** البيت الذي تطول فيه مدة سكن صاحبه به أجيالاً فيعرف بأهله ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

■ **الحِصْنُ:** غرف على امتداد السور للمراقبة ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحَشر: 2].

■ **الصَّرْحُ:** البيت العالي القصر ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ [النَّمل: 44].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والياء والتاء أصلٌ واحد، وهو المأْوَى والمآب

(1) معجم مقاييس اللغة.

ومَجْمَع الشّمْل. يقال: بيتٌ وبُيوتٌ وأبياتٌ. ومنه يقال لبيت الشِّعر بيتٌ على التشبيه لأنه مَجْمَع الألفاظِ والحروفِ والمعاني، على شرطٍ مخصوصٍ وهو الوَزْن.

قال الخليل[1]: البيت: من بيوت الناس ومن أبيات الشعر، وبيوتات العرب. أحياؤها. وذكر الزجاج: كل من أدركه الليلُ فقد باتَ، نام أو لم يَنَم.

قال ابن دريد[2]: البيت معروف، وبَيَتَ الأمر تَبْيّتاً: إذا عملته بالليل. وكل كلام لخصته أو رأي أجلته بالليل فهو مبيت.

قال ابن سيده[3]: باتَ يفعل كذا وكذا يَبِيتُ ويَباتُ بَيتاً وبَياتاً ومَبيتاً وبَيْتُوتة: أَي ظَلَّ يفعله لَيْلاً، وليس من النَّوم، كما يقال: ظَلَّ يفعل كذا إِذا فعله بالنهار.

والبَيْتُ من بُيُوتات العرب: الذي يَضُمُّ شَرَفَ القبيلة.

المعنى المشترك لكلمة (ب ي ت)

وقد وردت كلمة (بيت) في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً:

الوجه الأول: البيوت: بمعنى المنازل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النُّور: 27].

الوجه الثاني: البيوت: يعني المساجد ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: 87].

الوجه الثالث: البيت: بمعنى السفينة في قصة نوح عليه السلام: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نُوح: 28].. أي سفينتي.

الوجه الرابع: البيت: يعني الكعبة ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ [الحجّ: 26].

---

(1) العين.

(2) الجمهرة.

(3) المحكم.

الوجه الخامس: البيت: يعني المنزل في الجنة ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11].

الوجه السادس: البيوت: بمعنى الحُجر ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34].

الوجه السابع: البيوت: بمعنى السجن ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: 15].

الوجه الثامن: البيت: يعني العُش ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النّحل: 68].

الوجه التاسع: البيوت: بمعنى الخيام والفساطيط ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النّحل: 80].

الوجه العاشر: البيوت: بمعنى الكهوف والغيران ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحِجر: 82].

الوجه الحادي عشر: البيت بعينه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 100].

الوجه الثاني عشر: البيت: يعني الملك ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يُوسُف: 23].

الوجه الثالث عشر: البيوت: بمعنى الخانات ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النُّور: 29].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: 52]، ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: 27].

ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر وصوف ووبر، وبه شبه بيت الشعر، وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته، وصار أهل البيت متعارفاً في آل النبي عليه الصلاة والسلام، ونبه النبي ﷺ بقوله: **(سلمان منا أهل البيت)**[1].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33]؛ إنما يريد أَهلَ بيت النبي ﷺ، أَزواجَه وبِنْتَه وعَلِيًّا رضي الله عنهم.

قال سيبويه: أَكثر الأَسماء دخولاً في الاختصاص بَنُو فلانٍ، ومَعْشَرٌ مضافةً، وأَهلُ البيتِ، وآل فلانٍ؛ يعني أَنك تقول: نحنُ أَهْلَ البيتِ نَفْعَلُ كذا، فتنصبه على الاختصاص، كما تنصب المنادى المضاف، وكذلك سائر هذه الأَربعة[2].

● **قال تعالى:** ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحجّ: 29].

قال الفخر الرازي[3]: وسمي البيت العتيق لوجوه: أحدها: العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن، ولأنه أعتق من الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وهو قول ابن عباس وقول ابن الزبير، ورووه عن رسول الله ﷺ ولما قصد أبرهة فعل به ما فعل، فإن قيل فقد تسلط الحجاج عليه فالجواب: قلنا ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به عبدالله بن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه وثالثها: لم يملك قط عن ابن عيينة ورابعها: أعتق من الغرق عن مجاهد وخامسها: بيت كريم من قولهم عتاق الطير والخيل، واعلم أن

(1) الحديث أخرجه الحاكم وإسناده ضعيف.
(2) اللسان ابن منظور.
(3) التفسير الكبير.

اللام في ليقضوا وليوفوا وليطوفوا لام الأمر، وفي قراءة ابن كثير ونافع والأكثرين تخفيف هذه اللامات وفي قراءة أبي عمرو تحريكها بالكسر.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عِمرَان: 96] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البَقَرَة: 127].

يعني: بيت الله عَزَّوَجَلَّ.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البَقَرَة: 189].

قال القرطبي(1): هذا نصٌّ في البيوت حقيقة. خرّجه البخاريّ ومسلم. وأما تلك الأقوال فتؤخذ من موضع آخر لا من الآية، فتأمّله. وقد قيل: إن الآية خرجت مخرج التنبيه من الله تعالى على أن يأتوا البِرّ من وجهه، وهو الوجه الذي أمر الله تعالى به؛ فذكر إتيان البيوت من أبوابها مثلاً ليشير به إلى أن تأتي الأمور من مأتاها الذي ندبنا الله تعالى إليه.

قلت: فعلى هذا يصح ما ذُكر من الأقوال. والبيوت جمع بيت، وقرىء بضم الباء وكسرها. وتقدّم معنى التقوى والفلاح ولعل، فلا معنى للإعادة.

● **قال تعالى**: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: 53].

قال القشيري(2): المساجدُ بيوتَه - سبحانه - وإنَّ الله أَذِنَ أَنْ تُرْفَعُ الحوائجُ فيها إليه فيقضيها، ورَفَعَ أقدارَ تلك البيوتِ على غيرها من الأبنية والآثار. المساجدُ بيوتُ العبادة والقلوبُ بيوتُ الإرادة؛ فالعابِدُ يَصِلُ بعبادته إلى ثوابِ الله، والقاصدُ يصل بإرادته إلى الله.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحَجّ: 26]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) لطائف الإشارات.

يعني: مكة

● **قال تعالى:** ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التّحريم: 11]

أي: سهل لي فيها مقراً.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يُونس: 87]. أي: المسجد الأقصى.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذّاريَات: 36]، فقد قيل: إشارة إلى جماعة البيت فسماهم بيتاً كتسمية نازل القرية قرية. والبيات والتبيت: قصد العدو ليلاً[1].

وقوله: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [النِّساء: 81].

قال العزّ بن عبد السلام[2]: ﴿بَيَّتَ﴾ التبييت: كل عمل دبر بليل لأن الليل وقت المبيت، أو وقت البيوت وتبييتهم إضمارهم مخالفة الرسول ﷺ في أمره ونهيه، أو تقديرهم غير ما قال على جهة التكذيب.

بيد - باد

(باد - هلك - بطش)

■ **البَيَادُ:** التفرق والفناء في البيداء ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35].

■ **أَهْلَكَ:** فعل به ما يزيل روحه حيث لا عقب له ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم: 50-51].

■ **البَطْشُ:** قهر العدو بصولة تذهب القدرة على الحركة ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والياء والدال أصلٌ [واحدٌ]، وهو أن يُودِيَ الشيءُ. يقال: بادَ الشيءُ بَيْداً وبُيُوداً: إذا أَوْدَى. والبَيْداءُ: المفازة من هذا أيضاً.

قال الجوهري(2): البَيداءُ: المفازة، والجمع بِيْدٌ. وبادَ الشيءَ يَبيدُ بَيْداً وبُيوداً: هلك. وأبادَهُم اللهُ، أي: أهلكهم. والبَيْدانةُ: الأَتانُ اسم لها.

وبَيْدَ بمعنى غير. يقال: إنّه كثير المال، بَيْدَ أنّه بخيل.

بادَ يبيدُ بواداً وبَيْداً وبياداً وبُيوداً وبَيْدُودَةً: ذَهَبَ، وانْقَطَعَ.

والشمسُ بُيوداً: غَرَبَتْ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

والبَيْداءُ: المفازة، وأتان بيدانة: تسكن البادية البيداء[1].

قال أبو بكر السجستاني: تبيد: أي تهلك[2].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35].

قال الألوسي[3]: أي تهلك وتفنى يقال: بَادَ يَبِيدُ بَيْداً وبُيُوداً وبَيْدُودُة: إذا هلك؛ (هَاذِهِ) أي: الجنة ﴿أَبَدًا﴾ أي: طول الحياة. فالمراد بالتأبيد طول المكث لا معناه المتبادر، وقيل يجوز أن يكون أراد ذلك لأنه لجهله وإنكاره قيام الساعة ظن عدم فناء نوعها وإن فني كل شخص من أشجارها نحو ما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم في الحركات الفكلية وليس بشيء، وقيل ما قصد إلا أن هذه الجنة المشاهدة بشخصها لا تفنى على ما يقوله الفلاسفة على المشهور في الأفلاك أنفسها، وكأن حب الدنيا والعجب بها غشي على عقله فقال ذلك وإلا فهو مما لا يقوله عاقل وهو مما لا يرتضيه فاضل. وقيل (هَاذِهِ) إشارة إلى الأجرام العلوية والأجسام السفلية من السماوات والأرض وأنواع المخلوقات أو إشارة إلى الدنيا والمآل واحد والظاهر ما تقدم، وأيًّا ما كان فلعل هذا القول كان منه بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وأمره بتحصيل الصالحات الباقيات، ولعله خوفه أيضاً بالساعة فقال له: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: 36].

وقال الشعراوي[4]: معنى هذا أنه ظالم لنفسه بالدخول؟ لا، لأنها جنتُه يدخلها كما يشاء، إنما المراد بالظلم هنا ما دار في خاطره، وما حَدَّث نفسه به

---

(1) القاموس المحيط.
(2) نزهة القلوب.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

حالَ دخوله، فقد ظلم نفسه عندما خطر بباله الاستعلاء بالغِنَى، والغرور بالنعمة، فقال: ما أظنُّ أنْ تبيدَ هذه النعمة، أو تزول هذه الجنة الوارفة أو تهلك، لقد غَرَّهُ واقع ملموس أمام عينيه استبعد معه أن يزول عنه كل هذا النعيم، ليس هذا وفقط، بل دعاه غروره إلى أكثر من هذا.

وذكر ابن عاشور(1): وتَبِيدُ: تهلك وتفنى. والإشارة بهذا إلى الجنة التي هما فيها، أي لا أعتقد أنها تنتقض وتضمحل.

والأبَد: مراد منه طول المدة، أي هي باقية بقاء أمثالها لا يعتريها ما يبيدها. وهذا اغترار منه بغناه واغترار بما لتلك الجنة من وثوق الشجر وقوته وثبوته واجتماع أسباب نمائه ودوامه حولَه، من مياه وظلال.

وانتقل من الإخبار عن اعتقاده دوامَ تلك الجنة إلى الإخبار عن اعتقاده بنفي قيام الساعة.

(1) التحرير والتنوير.

بور

(بور - زبد - نخر -

جفو - سراب - غثاء - هباء)

■ **البَوَارُ:** عدم النفع لكساد شديد يسمى بواراً ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فَاطِر: 10].

■ **الزَّبَدُ:** بانعدام القيمة ما يطفو فوق الماء ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17].

■ **النَّخِرُ:** عدم النفع بالتآكل ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النَّازعَات: 11].

■ **الجُفَاءُ:** عدم النفع بما يرميه القدر بالغليان ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17].

■ **السَّرَابُ:** عدم النفع بوهم الماء في المفازة ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39]

■ **الغُثَاءُ:** عدم النفع بما يطفو فوق الصحراء ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: 41].

■ **الهَبَاءُ:** عدم النفع بذرات الغبار التي لا ترى إلا في الشمس ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: 23].

***

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والواو والراء أصلان: أحدهما هَلاك الشّيء وما يشبِهُه من تعطُّلِهِ وخُلُوِّه. والآخَر ابتلاءُ الشّيء وامتحانُه.

الْبَوارُ: الهلاك، بارَ بَوْراً وبَواراً وأَبارهم الله، ورجل بُورٌ.

قال الخليل[2]: البَوَار: الهلاك، تقول: بارُوا، وهم بُورٌ، أي: ضالُّونَ هَلْكَى.

وأبارَهُم فُلان، وقد يقال للواحد والجميع والنِّساء والذّكور: بُورٌ. قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفَتْح: 12].

قال الكسائيّ: ومنه الحديث: «**أنّهُ كان يتعوَّذُ من بَوَار الأَيِّم**»، وذلك أن تَكْسُدَ فلا تجِدَ زَوْجاً.

قال يعقوب: **البُورُ**: الرّجُل الفاسد الذي لا خَيْرَ فيه.

وقال الفرّاء[3] **في قوله**: وكنتم قوماً بُوراً، قال: البُورُ مصدَرٌ يكون واحداً وجمعاً. يقال: أَصبحت منازلهم بُوراً أَي لا شيء فيها، وكذلك أَعمال الكفار تبطُلُ.

قال أبو عبيدة[4]: رجل بُورٌ ورجلان بُورٌ وقوم بُورٌ، وكذلك الأُنثى، ومعناه هالك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) معاني القرآن.
(4) مجاز القرآن.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29].

قال الفخر الرازي[1]: إشارة إلى الإخلاص، أي ينفقون لا ليقال إنه كريم ولا لشيء من الأشياء غير وجه الله، فإن غير الله بائر والتاجر فيه تجارته بائرة.

وقال أبو السعود[2]: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسدَ ولن تهلكَ بالخسرانِ أصلاً صفةٌ لتجارةَ جيء بها للدِّلالةِ على أنَّها ليستْ كسائرِ التِّجاراتِ الدَّائرةِ بين الرِّبحِ والخُسرانِ لأنَّه اشتراءُ باقٍ بفانٍ. والإخبارُ برجائِهم من أكرمِ الأكرمينَ عِدَةٌ قطعيةٌ بحصولِ مرجوِّهم.

قال ابن عاشور[3]: والبوار: الهلاك. وهلاك التجارة: خسارة التاجر. فمعنى (لن تبور) أنها رابحة. و(لن تبور) صفة (تجارة). والمعنى: أنهم يرجون عدم بوار التجارة. فالصفة مناط التبشير والرجاء لا أصل التجارة لأن مشابهة العمل الفظيع لعمل التاجر شيء معلوم.

● قال تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فَاطِر: 10].

قال القرطبي[4]: قال: هم أصحاب الرياء؛ وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقال أبو العالية: هم الذين مكروا بالنبيّ ﷺ لما اجتمعوا في دار الندوة. وقال الكلبي: يعني الذين يعملون السيئات في الدنيا. مقاتل: يعني الشرك، فتكون «السّيئات» مفعولة. ويقال: بَارَ يَبُورُ: إذا هلك وبطل. وبَارَتِ السوق أي: كسدت، ومنه: «نعوذ بالله من بَوَارِ الأيّم» وقوله: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفَتْح: 12] أي: هلكى. والمكر: ما عمل على سبيل احتيال وخديعة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

وقال ابن عاشور[1]: والبَوَارُ حقيقته: كساد التجارة وعدم نَفاق السلعة، واستعير هنا لخيبة العمل بوجه الشبه بين ما دبروه من المكر مع حرصهم على إصابة النبي ﷺ، بضرّ وبين ما ينمِّقه التاجر وما يخرجه من عيابه ويرصفه على مِبْنَاتِه وسط اللَّطِيمة مع السلع لاجتلاب شَرَه المشترين. ثم لا يُقبِل عليه أحد من أهل السوق فيرجع من لطيمته لطيمَ كف الخيبة، فارغ الكف والعيبة.

وروي عن النبي ﷺ: «**نعوذ بالله من بوارِ الأيم**» أي: كسادها، الحديث أخرجه الطبراني.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28].

قال الفخر الرازي[2]: وهو الهلاك، يقال رجل بَائِرٌ وقوم بُورٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: 12] وأراد بدار البوار جهنم بدليل أنه فسرها بجهنم فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: 29] أي المقر وهو مصدر سمي به.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفُرقان: 18].

قال الزمخشري[3]: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي هالكين، على أنَّ بُوراً مصدرٌ وُصف به الفاعلُ مبالغةً ولذلك يستوى فيه الواحدُ والجمعُ أو جمعُ بائرٍ كعُوذٍ في جمعِ عائذٍ. والجملةُ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لمضمونِ ما قبله.

قال العزّ بن عبد السلام[4]: هلكى، البوار: الهلاك، أو لا خير فيهم، بَارَتِ الأرض: تعطلت من الزرع فلم يكن فيها خير، أو البوار: الفساد، بارت السلعة: كسدت كساداً فاسداً.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) التفسير العظيم.

بئر

(بئر - جب - رس - عين - ينبوع)

■ **البِئْرُ:** الحفرة المطوية في الأرض المأهولة، بَأَرْتُ بُؤْرَةً أي: حفرة ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **الجُبُّ:** الحفرة غير المطوية في جبوب أي أرض صلبة خالية ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يُوسُف: 10].

■ **الرَّسُّ:** البئر المتروكة التي صارت أثراً صغيراً بعد عين ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [ق: 12].

■ **العَيْنُ:** المنخفض المملوء بالماء لينتفع به الكل من بشر وحيوانات وزرع ويتسع للسباحة ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسَان: 6].

■ **اليُنْبُوعُ:** العين الغزيرة الفياضة. يقال: فلان صارت عينه ينبوعاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: 21].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الجوهري(1): البِئْرُ جمعُها في القِلّة: أَبْؤُرٌ وأَبْآرٌ بهمزة بعد الباء، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: آبارٌ. فإذا كثُرتْ فهي البِئارُ. وقد بَأَرْتُ بِئْراً.

(1) الصحاح في اللغة.

والبُؤْرَةُ: الحفرةُ. أبو زيد: بَأَرْتُ أَبْأَرُ بَأْراً: حفرْت بُؤْرَةً يُطبَخ فيها؛ وهي الإِرَةُ. والبَئِيرَةُ: الذخيرةُ. وقد بَأَرْتُ الشيءَ وابْتَأَرْتُهُ: إذا ادَّخَرْتُهُ.

قال العكبري[1]: والبِئْرُ - مهموز والجمع القليل أَبَارٌ، ومن العرب من يقدم الهمزة على البار ويمدّ فيقول (آبار) وفي الكثرة (بئار) ويقال: بَأَرْتُ بِئْراً وابْتَأَرَ فلان عند الله خيراً: ادَّخَرَهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

(بئر معطلة) ليس لها من يستعملها لأن أهلها هجروها كما هجروا القصر المشيد لسبب من الأسباب، إما بهلاك في وباء أو باجتياح في حرب أو ما شاكل ذلك. والمقصود بهذه البئر المعطلة التي تركت، بئر كانت لأهل عدن من اليمن، وهي (الرس) الذي قال فيه تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [قٓ: 12]. هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها (حاضوراء) نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح ومعهم صالح، فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضر موت، ثم أنهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نبياً يقال له (حنظلة) فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله، فماتوا عن آخرهم، وعطلت بئرهم، وخرب قصر ملكهم، وكان القصر على ناصية جبل حضر موت والبئر بسطحه.

وقال قتاده: عطلها أهلها وتركوها.

وقال الطبري[2]: (بئر معطلة) يقول تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾

(1) المشوف المعلم.

(2) جامع البيان.

ومن بئر عطلناها بإفناء أهلها، وهلاك واديها فاندفنت وتعطلت فلا واردة لها ولا شاربة منها إلى أن قال: «والبئر المعطلة والقصر محفوظان» بالعطف على (قرية).

وقال بعض المفسرين: إن هذه الصورة عامة في كل زمان ومكان، وتحدث في كل قرن من القرون لكثير من الملوك والحكام الذين سادوا ثم بادوا.

لذا قال بعدها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحَجّ: 48].

والقرية في القرآن الكريم تعني دولة أو مدينة.

ومثل هذا الذي جرى في العصور القديمة يجري اليوم في تونس وليبيا وفي مصر وسوريا والعراق وغير ذلك.

قال الزمخشري[1]: (كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا وكم قصر مشيد أخلينا).

وقال الطبري[2]: وإن يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية، ومنهاج من قبلهم فلا يصدنك ذلك.

قال الألوسي[3]: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطف على ﴿قَرْيَةٍ﴾ والبئر من بَأَرْتَ أي: حفرت وهي مؤنثة على وزن فعل بمعنى مفعول وقد تذكر على معنى القليب وتجمع على (أَبْآرٍ وآبَارٍ وأَبْؤُرٍ وآبُرٍ وبِئَارٍ)، وتعطيل الشيء إبطال منافعه أي: وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتهم وأخرت عذابهم وهم بالله مشركون أو محاربون للمؤمنين، ثم أخذتها بالعذاب فعذبتها في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم.

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.

بأس

(بأس - حرب - قتال)

■ **البَأْسُ:** مطلق الشجاعة والقوة في الحرب ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: 16].

■ **الحَرْبُ:** استعمال السلاح في النزاع بين جيشين ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: 64].

■ **قِتَالٌ:** تحري إزهاق روح العدو الظالم في الحرب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التّوبَة: 123].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والهمزة والسين أصل واحد: الشدة وما ضارعها، فالبَأسُ الشدة في الحرب، ورجل ذو بَأْسٍ، وبَئِيسٌ، أي: شجاع.

البَأْسُ: شدة الحرب. والشدة في الحرب والتنكيل ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النِّساء: 84].

والبَأْسُ: شدة القوة والفتك في السلاح ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحَديد: 25].

والبَأْسُ: شدة الخوف تقول: لا بأس عليك أي لا خوف.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الهروي: (بِئْسَ) حرف مستوف لجميع الذم، كما أن نِعم مستوف لجميع المدح.

والبأس: شدة الشجاعة وقوة الصمود(1).

والبائس: الرجل النازل في بلية، ومنه اشتقاق (بئس) وهي تجري مجرى (نعم) في المصادر، فإذا صرّفوه قالوا: بئسوا ونعموا، وإذا جعلوه نعتاً قالوا: نعيم وبئيس، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعرَاف: 165].

أي: عذاب شديد وزناً ومعنى من بَؤُسَ بَأْساً: إذا اشتد، وتنكير (عذاب) للتفخيم والتهويل.

المعنى المشترك لكلمة (ب أ س)

وقد وردت كلمة (بأس) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: البأس: يعني العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غَافر: 84].

الوجه الثاني: البأس: يعني الفقر ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعَام: 42].

الوجه الثالث: البأس: يعني القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النِّساء: 84].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هُود: 36].

لا تحزن ولا تشتك.

(1) أساس البلاغة.

● **قال تعالى** ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحَجّ: 28].

والفرق بينهما أن البائس الذي يسأل الناس بيده. . قال أبو هلال العسكري وقال ابن عباس: الزمن الفقير الذي لا يجد شيئاً من شدة الحال، وإنما سمي من هذا حاله بائساً لظهور البؤس عليه بمد يده للمسألة، بخلاف الفقير الذي قد يحسبه الجاهل غنياً من التعفف.

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البَقَرَة: 214] أن البأساء ضراء معها خوف، وأصلها: البأس وهو الخوف.

وقيل: أجناس الشجاعة ثلاثة، البسالة، والنجدة، والبأس.

● **قال تعالى:** ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النِّساء: 84]، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ [غافر: 29].

والبَأْسُ في هذه المواضع ونحوها: شدة القوة وقوة الشدة، وقيل: السيف.

● **قال تعالى:** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾ [الأنعام: 65].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ سأل الله ثلاثاً، فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة، سأله أن لا يسلط على أمته من سوى أنفسها يظهر عليهم فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يجعل بأس بعضهم على بعض فمنعه ذلك.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ﴾ [الإسراء: 5].

أولي نجدة وشدة في القتال وبطش في الحرب شديد. وكثرة عدد وعدة وسلطنة شديدة.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [البَقَرَة: 177]. .

وقال الألوسي(1): ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ أي وقت القتال وجهاد العدو وهذا من باب الترقي في الصبر من الشديد إلى الأشد لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر والصبر على القتال فوق الصبر على المرض، وعدى الصبر على الأولين بفي لأنه لا يعد الإنسان من الممدوحين إذا صبر على شيء من ذلك إلا إذا صار الفقر والمرض كالظرف له وأما إذا أصاباه وقتاً مّا وصبر فليس فيه مدح كثير إذ أكثر الناس كذلك، وأتى بحين في الأخير لأن القتال حالة لا تكاد تدوم في أغلب الأوقات.

● **قال تعالى**: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنۡهُ﴾ [الكهف: 2]. .

عاجل عقوبة في الدنيا وعذاباً في الآخرة.

● **قال تعالى**: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147].

لا يمكن لأحد أن يرده عنهم، وهذا أبلغ من قوله: بأسه نازل بالمجرمين. لأنه دل على هذا المعنى وعلى أن أحد لا يدفع عذابه إذا جاء وقته.

● **قال تعالى**: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ [الحَشر: 14]

قال ابن عباس: بعضهم لبعض عدو.

دأب اليهود أن يهددوا من وراء الحيطان والحصون ثم يحترزون عن الخروج للقتال وجهاً لوجه.

وقال الزمخشري(2): إن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا

(1) روح المعاني.

(2) الكشاف.

اقتتلوا (أو قاتلوا أهل الباطل من المسلمين) ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة. لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربته الله ورسوله ومن اتبعه من المسلمين.

وقال ابن عباس: بعضهم عدو لبعض، والدليل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: 14]. . لأن كل واحد على مذهب آخر وبينهم عداوة شديدة.

● **قال تعالى**: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80].

وهي صنعة السلاح لتقيكم من حربكم مع عدوكم إذا لاقيتموه ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80] أي فهل أنتم شاكرون الله على نعمة العلم بصنعة السلاح، وفيه حض على الثناء على المنعم بهذه النعمة وسائر النعم - تبارك وتقدس.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: 4].

قال أبو حيان(1): خص مجيء البأس بهذين الوقتين لأنهما وقتان للسكون والدعة والاستراحة، فمجيء العذاب فيهما أقطع وأشق، ولأنه يكون المجيء فيه على غفلة من المهلكين فهو كالمجيء بغتة. . ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110]. . قال أبو حيان: البأس هنا الهلاك. وقال المراغي: لا يمنع عقابنا وبطشنا عن الذين كذبوا بالله ورسوله.

وقال ابن عبد السلام(2): ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا، أو أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا بوقوع العذاب بهم، أو

---

(1) البحر المحيط.
(2) التفسير العظيم.

أهلكناها بالخذلان عن الطاعة فجاءتهم العقوبة، أو وقوع الهلاك والبأس معاً فتكون الفاء بمعنى «الواو» كقوله: «أعطيت فأحسنت» وكان الإحسان مع العطاء لا بعده. البَأس: شدة العذاب، والبُؤس: شدة الفقر.

خلاصة القول، قال مقاتل: تفسير البأس على ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: (البأس) يعني العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: 84]. . عذابنا في الدنيا عموماً. ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: 84].

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ [الأنبيَاء: 12]، قد أوشك أن يقع عليهم، ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبيَاء: 12].

الوجه الثاني: (البأس): يعني الفقر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البَقَرَة: 177]. . أي الفقر والشدة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42] يعني الفقر والشدة.

الوجه الثالث: (البأس) يعني القتال. . ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ [النِّساء: 84]، ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ﴾ [الحَشر: 14]. . يعني القتال بين المنافقين واليهود يكون شديداً[1].

(1) التفسير الكبير.

بيض

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والياء والضاد أصلٌ، ومشتقٌّ منه، ومشبَّه بالمشتقّ. فالأصل البَيَاض من الألوان.

البَيَاضُ: ضد السواد، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله غيره. البَيَاضُ: لون الأَبْيَض، وقد قالوا بياض وبَياضة كما قالوا مَنْزِل ومَنْزِلة، وحكاه ابن الأَعرابي في الماء أَيضاً، وجمع الأَبْيَضِ بِيضٌ، وأَصله بُيْضٌ، بضم الباء، وإِنما أَبدلوا من الضمة كَسْرَةً لتصحَّ الياء، وقد أَباضَ وابْيَضَّ[2].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: 106-107].

قال الفخر الرازي[3]: إن هذا البياض والسواد يحصلان في وجوه المؤمنين والكافرين، وذلك لأن اللفظ حقيقة فيهما، ولا دليل يوجب ترك الحقيقة، فوجب

(1) معجم مقاييس اللغة، اللسان.
(2) اللسان - ابن منظور.
(3) التفسير الكبير.

المصير إليه، قلت: ولأبي مسلم أن يقول: الدليل دل على ما قلناه، وذلك لأنه تعالى قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: 38-41] فجعل الغبرة والقترة في مقابلة الضحك والاستبشار، فلو لم يكن المراد بالغبرة والقترة ما ذكرنا من المجاز لما صح جعله مقابلاً، فعلمنا أن المراد من هذه الغبرة والقترة الغم والحزن حتى يصح هذا التقابل، ثم قال القائلون بهذا القول: الحكمة في ذلك أن أهل الموقف إذا رأوا البياض في وجه إنسان عرفوا أنه من أهل الثواب فزادوا في تعظيمه فيحصل له الفرح بذلك من وجهين أحدهما: أن السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة، قال تعالى مخبراً عنهم ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: 26-27].

الثاني: أنهم إذا عرفوا ذلك خصوه بمزيد التعظيم فثبت أن ظهور البياض في وجه المكلف سبب لمزيد سروره في الآخرة وبهذا الطريق يكون ظهور السواد في وجه الكفار سبباً لمزيد غمهم في الآخرة، فهذا وجه الحكمة في الآخرة، وأما في الدنيا فالمكلف حين يكون في الدنيا إذا عرف حصول هذه الحالة في الآخرة صار ذلك مرغباً له في الطاعات وترك المحرمات لكي يكون في الآخرة من قبيل من يبيض وجهه لا من قبيل من يسود وجهه، فهذا تقرير هذين القولين.

قال القرطبي[1]: فيه مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوهُ المؤمنين مبيضّة ووجُوه الكافرين مسْوَدّة. ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه فرأى في كتابه حسناته استبشر وابيَضّ وجهُه، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه فرأى فيه سيئاته اسودّ وجهه. ويقال: إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته ابيضّ وجهه، وإذا رجحت سيئاته

(1) الجامع لأحكام القرآن.

اسودّ وجهه. ويقال: ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَٱمۡتَـٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس: 59].

ويقال: إذا كان يوم القيامة يُؤْمر كل فريق بأن يجتمع إلى معبوده، فإذا انتهوا إليه حزِنوا واسودّت وجوههم، فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون؛ فيقول الله تعالى للمؤمنين: «من ربكم»؟ فيقولون: ربنا الله عَزَّوَجَلَّ . فيقول لهم: «أتعرفونه إذا رأيتموه». فيقولون: سبحانها إذا اعترف عرفناه. فيرونه كما شاء الله. فيخِرّ المؤمنون سُجَّدا لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، ويبقى المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرون على السجود فيحزنوا وتسودّ وجوههم؛ وذلك قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عِمرَان: 106]. ويجوز «تِبْيَضّ وتِسْوَدّ» بكسر التائين؛ لأنك تقول: ابيضت، فتكسر التاء كما تكسر الألف، وهي لغة تميم وبها قرأ يحيى بن وثاب. وقرأ الزهريّ «يوم تبياض وتسوادّ» ويجوز كسر التاء أيضاً، ويجوز «يوم يبيض وجوه» بالياء على تذكير الجمع، ويجوز «أجوه» مثل «أقتت». وابيِضَاض الوجوه إشراقها بالنّعيم. واسْوِدادها هو ما يرهقها من العذاب الأليم.

الثانية: واختلفوا في التعيين؛ فقال ابن عباس: تبيضّ وجُوه أهلِ السنّة وتسودّ وجوه أهل البِدعة. قلت: وقول ابن عباس هذا رواه مالك بن سليمان الهرويّ أخو غسّان عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عِمرَان: 106] قال: «**يعني تبيض وجوه أهل السنة وتسودّ وجوه أهل البدعة**» ذكره أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. وقال فيه: منكر من حديث مالك. قال عطاء: تبيض وجوه المهاجرين والأنصار، وتسودّ وجوه بني قريظة والنضِير. وقال أُبيّ بن كعب: الذين اسودّت وجوههم هم الكفار، وقيل لهم: أكفرتم بعد إيمانكم لإقراركم حين أخْرِجتم من ظهر آدم كالذّرّ. هذا اختيار الطبري. الحسن: في

المنافقين. قتادة هي في المرتدِّين. عِكرمة: هم قوم من أهل الكتاب كانوا مصدِّقين بأنبيائهم مصدقين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث فلما بُعث عليه السلام كفروا به.

● **وقوله** عز وجل : ﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصَّافات: 46].

قال ابن عاشور(1): ﴿بَيۡضَآءَ﴾ صفة لـ«كأس». وإذ قد أريد بالكأس الخمر الذي فيها كان وصف ﴿بَيۡضَآءَ﴾ للخمر.

وإنما جرى تأنيث الوصف تبعاً للتعبير عن الخمر بكلمة كأس، على أن اسم الخمر يذكر ويؤنث وتأنيثها أكثر. روى مالك عن زيد بن أسلم: لونها مشرق حسن فهي لا كخمر الدنيا في منظرها الرديء من حُمرة أو سواد.

وقال البغوي(2): ﴿بَيۡضَآءَ﴾، قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن.

وذكر الشعراوي(3): (بيضاء) والبيضاء هي أصْفى أنواع الخمر عند العرب.

● **وقوله تعالى**: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الصَّافات: 49].

قال ابن عاشور(4): والبَيْض المكنون: هو بيض النعام، والنعام يُكنّ بيضَه في حُفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، وتسمى تلك الحُفر: الأَداحِيَّ، واحدتها أُدّحية بوزن أُثفية. فيكون البَيض شديد لمعان اللون وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديماً شبهوا الحسان بِبيض النعام.

وقال القرطبي(5): قال الحسن وابن زيد: شُبِّهن ببيض النعام، تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء. وقال ابن عباس وابن جبير والسدي: شبهن ببطن البيض قبل أن يقشر وتمسه الأيدي. وقال عطاء: شبهن بالسِّحاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض. وسَحَاةُ كل شيء: قشره والجمع سَحاً؛ قاله الجوهري.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) معالم التنزيل.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) التحرير والتنوير.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

ونحوه قول الطبري، قال: هو القشر الرقيق، الذي على البيضة بين ذلك. وروي نحوه عن النبيّ ﷺ. والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها.

وتقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة: كأنه بيض النعام المغطّى بالريش. وقيل: المكنون المصون عن الكسر؛ أي إنهن عذارى. وقيل: المراد بالبيض اللؤلؤ؛ كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ **[الواقعة: 22-23]** أي في أصدافه؛ قاله ابن عباس أيضاً.

بيع

(بيع - شراء - إجارة - تجر)

- **البَيْعُ:** إعطاء المثمن وأخذ الثمن ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجُمُعَة: 9].
- **الشِّرَاءُ:** إعطاء الثمن وأخذ المثمن ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: 20].
- **الأَجَارَةُ:** إعطاء الشيء بأجرة ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القَصَص: 27].
- **التَّاجِرُ:** الحاذق بوجه المكتسب في البيع والشراء ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ﴾ [النِّساء: 29].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والياء والعين أصل واحد، وهو بيع الشيء، وربما سمي الشرى بيعاً، والمعنى واحد.

قال الخليل[2]: العرب تقول: بِعْتُ الشيء، بمعنى اشتريته، ولا تَبِعْ بمعنى: لا تشتر، وبِعْتُه فابْتَاعَ، أي: اشترى.

والبَيْعَةُ الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على كذا.

والبَيْعُ: اسم يقع على المبيع، والجمع: البُيُوع.

والبَيْعَانُ: البائع والمشتري[3].

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) اللسان – ابن منظور.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، ولا يبيع على بيعه**» أحسب قال: إلا بإذنه. كان أبو عبيدة وأبو زيد وغيرهما من أهل العلم يقولون: إنما النهي في قوله «**لا يبيع الرجل على بيع أخيه**».

إنما هو لا يشتري على شراء أخيه، فإنما وقع النهي على المشتري لا على البائع، لأن العرب تقول: بعت الشيء، بمعنى اشتريته.

وفي الحديث: «إن النبي ﷺ، باع قدح رجل وحلسه فيمن يزيد».

فإنما المعنى ها هنا أيضاً المشترين.

ومثله «أنه نهى عن الخطبة كما نهى عن (البيع)» فقد علمنا أن الخاطب إنما هو بمنزلة المشتري، فإنما وقع النهي على الطالبين دون المطلوب إليهم.

وعن مالك بن أنس أنه قال: «أنه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه إذا كان كل واحد من الفريقين قد رضي من صاحبه وركن إليه».

المعنى المشترك لكلمة (ب ي ع)

وقد وردت كلمة (بيع) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: البيع: بمعنى الفداء ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [**إبراهيم: 31**].

الوجه الثاني: البيعة: أخذ المواثيق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

الوجه الثالث: البيع بعينه ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [**البَقَرَة: 275**].

الوجه الرابع: البيعة: بيعة النصارى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [**الحَجّ: 40**].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المُمتَحنَة: 12].

قال الطبري(1): عن عائشة: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها.

قالت أميمة بنت رقيقة التميمية: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة من المسلمين، فقلنا له: جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله ﷺ: «**فيما استطعتن وأطعتن**» فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا: بايعنا يا رسول الله.

فقال «**اذهبن فقد بايعتكم، إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة**»، وما صافح رسول الله ﷺ منا واحدة.

وقيل أنه بايعهن بنفسه وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه.

قال الماوردي(2): فإن قيل: فما معنى بيعتهن ولسن من أهل الجهاد فتؤخذ عليهن البيعة كالرجال!

قيل: كانت بيعته لهن تعريفاً بما عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق

(1) جامع البيان. (2) النكت والعيون.

أزواجهن، لأنهن دخلن في الشرع ولم يعرفن حكمه فبينه لهن، فكان ما أخذه عليهن أن لا يشركن بالله شيئاً، توحيداً له ومنعاً لعبادة غيره.

وقيل: إن النبي ﷺ مد يده من خارج بيت ومد النساء من الأنصار أيديهن من داخله فبايعهن.

ووجه بيعة النساء مع أنهن لسن من أهل النصرة في المحاربة هو أخذ العهد عليهن. بما يصلح شأنهن في الدين للأنفس والأزواج، فكان ذلك في صدر الإسلام، لئلا ينفتق لما صيغ من الأحكام، فبايعهن النبي ﷺ لذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ والمعنى: فبايعهن على تلك الشروط.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: 254].

قال **ابن عباس:** لا فداء فيه.

قال الطبري(1): لا تقدرون فيه على بيع ما كنتم تقدرون على ابتياعه بالنفقة في أموالكم التي امرتكم به، أو ندبتكم إليه.

قال البغوي(2): أي لا فداء فيه، سمي بيعاً لأن الفداء شراء نفسه.

قال الزمخشري(3): ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق، لأنه (لا بيع فيه) حتى تبتاعوا ما تنفقونه.

● **قال تعالى:** ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: 37].

قال البيضاوي(4): مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعارضة، أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة، فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) أنوار التنزيل.

قال أبو حيان[1]: احتمل قوله تعالى: ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ﴾ [النُّور: 37] وجهين:

أحدهما: أنهم لا تجارة لهم ولا بيع، فيلهيهم عن ذكر الله، كقوله: «**على لا حب لا يهتدي بمنارة**» أي لا منار له فيهتدي به.

والثاني: أنهم ذوو تجارة وبيع، ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله، وعما فرض عليهم.

والظاهر مغايرة التجارة والبيع، ولذلك عطف. فاحتمل أن تكون (تجارة) من إطلاق العام ويراد به الخاص. فأرادوا بالتجارة: الشراء، ولذلك قابله بالبيع، أو يراد تجارة الجلب، ويقال تجر فلان كذا، إذا جلبه، والبيع بالأسواق.

ويحتمل أن يكون (البيع) من ذكر خاص بعد العام، لأن التجارة هي البيع والشرء طلباً للربح. ونبه على هذا الخاص، لأنه في الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجعت له بيعة رابحة - وهي طلبته الكلية من صناعته - ألهته ما لا يلهيه شيء يتوقع فيه الربح، لأن هذا يقين، وذلك مظنون.

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البَقَرَة: 275].

قال ابن عباس: كان الرجل منهم اذا حل دينه على غريمه فطالبه به، قال المطلوب منه له: زدني في الأجل وأزيدك في المال، فيتراضيان عليه ويعملان به.

وهذا يعني أن الله جل ثناؤه أحل الأرباح في التجارة والشراء والبيع، وحرم الربا، يعني الزيادة التي يزداد بها رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل، وتأخيره دينه عليه.

---

(1) البحر المحيط.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت هلا قيل: إنما الربا مثل البيع؟ لأن الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال أنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهماً بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين.

قلت: جرء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل، حتى شبهوا به البيع، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ إنكار لتسويتهم بينهما، ودلالة على القياس في النص، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال وتحريمه.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: 10].

قال الطبري[2]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يولوهم الأدبار ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يقول: «إنما يبايعون بيعتهم إياك يبايعون الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك».

قال الزمخشري[3]: أكده تأكيداً على طريق التخيل، فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله، والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام. وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده من الله من غير تفاوت بينهما. كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: 80] والمراد بيعة الرضوان.

وبذلك يكون المراد (بيعة الرضوان) هي بيعة الشجرة حين أخذ رسول الله ﷺ الأهبة لقتال قريش، لما بلغه قتل عثمان بن عفان رسوله إليهم، وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية، وكان في ألف وأربعمائة رجل. قال النقاش: وقيل: كان الف وثمانمائة، وقيل: وسبعمائة وقيل: وستمائة، وقيل: ومئتين.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ [الحجّ: 40].

قال ابن عباس: أنها كنائس اليهود.

قال البغوي[1] **(البيع)**: بيع النصارى.

قال الفخر الرازي[2]: أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع، وأما البيع فأطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه، وأما الصلوات فالمعنى أنه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات ولخربت المساجد.

---

(1) معالم التنزيل.

(2) التفسير الكبير.

بال

(بال - شأن - أمر)

■ **البَالُ:** الاكتراث بأشياء كثيرة في آن واحد ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [محمّد: 2].

■ **الشَّأْنُ:** الاكتراث بأمر عظيم وجليل ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمٰن: 29].

■ **الأَمْرُ:** الاكتراث بإيجاد ما لم يوجد ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

البَالُ: الحال العام التي يكترث بها، ولذلك يقال: ما بَالَيْتُ بكذا بَالَةَ، أي: ما اكترثت به[1].

والبالُ بَالُ النفس وهو الاكتراث، ومنه اشتق باليَتْ، ولم يَخْطُر ببالي ذلك الأمر أي: لم يَكْرِثْني.

ويقال: ما يَخْطِرُ فلان ببالي. وقولهم: ليس هذا من بالي أَي: مما أُباليه، والمصدر البالَةُ. ومن كلام الحسن: لم يُبالِهم اللهُ بالَةً[2].

قال الجوهري[3]: والبالُ: رخاءُ النفس. يقال: فلانٌ رخيُّ البَالِ. والبالُ: الحالُ، يقال: ما بالُكَ. وقولهم: ليس هذا من بالي، أي مما أُباليهِ. والبالَةُ: وعاءُ الطِيبِ، فارسيّ معرّب، وأصله بالفارسية بيلَهْ.

---

(1) مفردات الراغب.

(2) اللسان.

(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 2].

قال الألوسي[1]: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد، وتفسير البال بالحال مروي عن قتادة وعنه تفسيره بالشأن وهو الحال أيضاً أو ماله خطر، وعليه قول الراغب: «البَالُ الحال التي يكترث بها، ولذلك يقال: ما بَالَيْتُ بكذا بَالَةَ أي ما اكترثت به»، ومنه قوله ﷺ: «**كل أمر ذي بال**» الحديث، ويكون بمعنى الخاطر القلبي ويتجوز به عن القلب كما قال الشهاب. وفي «البحر» «حقيقة البال الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب ومن صلح قلبه صلحت حاله، فكأن اللفظ مشير إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع له»، وحكي عن السفاقسي تفسيره هنا بالفكر وكأنه لنحو ما أشير إليه، وهو كما في «البحر» أيضاً مما «لا يثنى ولا يجمع وشذ قولهم في جمعه بالات».

قال القرطبي[2]: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي شأنهم؛ عن مجاهد وغيره. وقال قتادة: حالهم. ابن عباس: أمورهم. والثلاثة متقاربة وهي متأوّلة على إصلاح ما تعلق بدنياهم. وحكى النقاش أن المعنى أصلح نياتهم.

وهو على هذا التأويل محمول على صلاح دينهم. «والبَالُ» كالمصدر، ولا يعرف منه فعل، ولا تجمعه العرب إلا في ضرورة الشعر فيقولون فيه: بالات. المبرد: قد يكون البال في موضع آخر بمعنى القلب؛ يقال: ما يخطر فلان على بالي؛ أي على قلبي. الجوهري: والبَالُ رخاء النفس؛ يقال فلان رَخِيُّ البَالِ. والبَالُ: الحال؛ يقال: ما بالك. وقولهم: ليس هذا من بالي؛ أي مما أُبَالِيهُ. والبَالُ: الحوت العظيم من حيتان البحر؛ وليس بعربي. والبَالَةُ: وعاء الطِّيب؛ فارسي معرّب؛ وأصله بالفارسية بيلة.

(1) روح المعاني. (2) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي.

وقال ابن عاشور[1]: والبَالُ: يطلق على القلب، أي العقل وما يخطر للمرء من التفكير وهو أكثر إطلاقه ولعله حقيقة فيه.

● **وقوله تعالى**: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: 51].

قال الشعراوي[2]: أي: ما شأن الأمم السابقة؟ لكن ما دَخْل القرون الأولى بما نتكلّم فيه؟ كلمة البال: هو الفكر، نقول: خطر ببالي. أي: بفكري، ولا يأتي في الفكر وبُؤْرة الشعور إلا الأمر المهم. لكن، سرعان ما أحسَّ موسى بمراوغة فرعون، ومحاولة الهرب من الموضوع الأساسي فسَدَّ عليه الباب.

وقال الألوسي[3]: وأصل البال الفكر يقال: خطر ببالي كذا ثم أطلق على الحال التي يعتنى بها وهو المراد، ولا يثنى ولا يجمع إلا شذوذاً في قولهم بالات. وكأن الفاء لتفريع ما بعدها على دعوى الرسالة أي إذا كنت رسولاً فأخبرني ما حال القرون الماضية والأمم الخالية، وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة؟.

قال الطبري[4]: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ البَالُ الحال؛ أي: ما حالها وما شأنها، فأعلمه أن علمها عند الله تعالى، أي إن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه، وهو مما استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك؛ لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ. وقيل: المعنى فما بال القرون الأولى لم يقروا بذلك. أي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك. وقيل: إنما سأله عن أعمال القرون الأولى، فأعلمه أنها محصاة عند الله تعالى، ومحفوظة عنده في كتاب. أي هي مكتوبة فسيجازيهم غداً بها وعليها. وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ. وقيل: هو كتاب مع بعض الملائكة.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمَّد: 5]، أي: حالهم في الدنيا.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.

بيّنة

(بيّنة - آية - آلاء - برهان - حجّة - بصائر)

1 - **البَيِّنَةُ**: هي إقامة دليل على المدعي، فهناك آية، حجة، برهان،آلاء، بصائر، كل كلمة هي أسلوب من أساليب التبيان.

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة: 1].

فالبينة إذاً أسلوب لإثبات ما تدعي، وهذه الأساليب تبدأ بالآية وثانياً بالحجة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة: 248].

الحجة: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: 83].

البرهان: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174].

بصائر: قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: 20].

آلاء: قال تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 13].

البينة: هي شيء مطلوب من كل صاحب دعوة فكل صاحب دعوة ليس معه بينة لا قيمة لدعواه. «البينة على المدعي واليمين على من أنكر».

2 - **الآية**: أسلوب من أساليب البينة ثابت باهر محسوب بالحواس وهكذا الحجة إلا أن الفرق بينهما أن الآية تساق ابتداءً لكي يعلمك الحق قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190].

وذلك بخلاف الحجة التي لا تكون إلا بين خصمين، أما الآية فهي تساق لكل من يتعلم فالآية للتعليم والحجة لإسقاط مدعي الخصم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: 83].

أما الخلاف الثاني: لا يشترط في الآية أن تعرفها بحذافيرها وأما الحجة لا تكون حجة إلا إذا كانت واضحة لك تماماً بحيث تسكت اقتناعاً، والحجة إذا كانت من ملك إلى أتباعه تسمى آلاء.

3 - **آلاء**: هي الأدلة التي يصدرها الملك إلى عبيده وأتباعه.

البرهان: هو حسن عرض الحجة، فالبرهان هو أعلى درجات الإثبات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النِّساء: 174].

البصائر: هي كل هذه البراهين والحجج والآيات إذا كانت محسوسة بالحواس.

والآيات: تطلق على البناء العالي قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 128] كما تطلق على كل جملة قرآنية تنتهي بفاصلة.

الفرق بين آية محمد ﷺ وآية موسى وعيسى والأنبياء من قبلهم أن آية موسى وعيسى كانت في زمان واحد آمن بها من عاصروها ورأوها، بينما آية محمد كلامية في المستقبل سوف تأول إلى معجزات محسوسة قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النَّمل: 93].

4 - **الحجة**: هي محاولة إثبات أحد النقيضين وتكون بين خصمين وتكون بين حق وباطل ولا يمكن أن تكون بين حقين.

5 - **الدليل**: والدلالة هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء سواء كان بقصد ممن يجعله دلالة أو بغير قصد ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: 14] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: 45].

بين

(بين - خلال - وسط - آناء)

■ **البَيْنُ:** ما يكون بين شيئين منفصلين ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32].

■ **الخِلَالُ:** ما يكون بين شيئين متلاصقين ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النور: 43].

■ **الوَسَطُ:** ما يكون بين شيئين متساويين ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238].

■ **الآناءُ:** ما يكون خلال الأوقات ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا﴾ [الزمر: 9].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والياء والنون أصلٌ واحد، وهو بُعْدُ الشّيء وانكشافُه. فالبَيْن الفِراق؛ يقال: بَان يَبِينُ بَيْناً وبَيْنُونة. والبَيُون: البئر البعيدة القَعْر.

والبينونة: مصدر بَانَ يَبِينُ بَيْناً وبَيْنُونَة، أي: قطع.

والبَيْن: الفرقة، والاسم: البين أيضاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والبَيْنُ: الوصل، قال عز من قائل: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعَام: 94]، أي: وصلكم.

والبيان: معروف - وبَانَ الشيء، وأَبان وتَبَيَّنَ وبَيَّن واستبان.

قال **أبو عبيد**[1]: أما البيان فإنه من الفهم وذكاء القلب مع اللسان.

ومنه الحديث المرفوع: «إن من البيان سحراً».. (إلى أن قال) فكان المعنى - والله أعلم - أنه يبلغ في بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه، حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه قد سحر السامعين بذلك، فهذا وجه قوله ﷺ: «**إن من البيان سحراً**»..

قال الأزهري[2]: يقال: بأن الحق يَبِينُ بَيَانَاً، فهو بَائِنٌ.

وأَبَانَ يَبِينُ إِبَانةً فهو مُبِينٌ، بمعناه، ومنه قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: 1-2]، يقال: بَانَ الشيء ويَبِينُ، وأَبَانَ، واسْتَبانَ، بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [النُّور: 34] بكسر الياء وتشديدها، بمعنى متباينات.

ومن أمثال العرب: «قد بين الصبح لذي عينين» أي: تبين.

فأما المصدر فإنه يجيء على (تفعال) بفتح التاء، مثل: التكذاب، والتصداق، وما أشبهه.

وجاء في المصادر حرفان نادران، وهما تلقاء الشيء، والتبيان ولا يقاس عليهما.

وغراب البَيْن: يقال هو: الأبقع.

وقال أبو الغوث: غراب البَيْنِ، هو الأحمر المنقار والرجلين، فأما الأسود فهو الحاتم، لأنه عندهم يحتم بالفراق.

(1) غريب الحديث.

(2) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: 138].

قال القشيري(1): بيان لقوم من حيث أدلة العقول، ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب، ولآخرين من حيث تجلي الحق في الأسرار.

قال الزمخشري(2): إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب، يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم، والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم.

قال ابن عطية(3): كونه بياناً للناس ظاهر، وهو في ذاته أيضاً هدى منصوب وموعظة، لكن من عمي بالكفر وضل وقسا قلبه، لا يحسن أن يضاف إليه القرآن، وتحسن إضافته إلى «المتقين» الذين فيهم نفع وإياهم هدى.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: 1-4].

قال البغوي(4): (خلق الإنسان) يعني آدم، (علمه البيان) أسماء كل شيء وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية.

قال الزمخشري(5): (البيان): وهو المنطق الفصيح، المعرب عما في الضمير. .

قال الشربيني(6): أي القوة الناطقة، وهي الإدراك للأمور الكلية والجزئية،

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) معالم التنزيل.
(5) الكشاف.
(6) السراج المنير.

والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر، وغير ذلك مما أودعه له سبحانه وتعالى مع تعبيره عما أدركه، مما هو غائب في ضميره، وإفهامه لغيره تارة بالقول وتارة بالفعل، نطقاً وكتابة وإشارة وغيرها، فصار بذلك ذا قدرة في نفسه والتكميل لغيره، فهذا. أبو السعود: هو التعبير عما في الضمير، وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه، بل منه وفي منهم بيان غيره أيضاً، إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث أخبار مترادفة لـ (الرحمن)، وإخلاء الأخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج القدير.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 19].

قال الطبري[1]: حلاله وحرامه، فذلك بيانه.

قال الماوردي[2]: علينا بيانه بلسانك، إذا نزل به جبريل، حتى تقرأه كما أقرأك.

قال الحسن: علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد.

قال قتادة: بيان حلاله، واجتناب حرامه، ومعصيته وطاعته.

قال القرطبي[3]: أي: تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام..

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: 57].

قال الزجاج[4]: أي على أمر بَيّن، لا متبع هوى.

قال الماوردي[5]: في البينة هنا قولان:

أحدهما: الحق الذي بان له.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) معاني القرآن.
(5) النكت والعيون.

والثاني: المعجز في القرآن.

قال القرطبي[1]: أي دلالة ويقين وحجة وبرهان، لا على هوىً، ومنه (البينة) لأنها تبين الحق وتظهره.

قال الألوسي[2]: وعن الحسن أن المراد بها النبوة، وهو غير ظاهر كتفسيرها بالحجج العقلية، أو ما يعمها، والتنوين للتفخيم (أي بينة): جدلية الشأن.

● **قال تعالى**: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ **[الأعراف: 73]**.

قال الزمخشري[3]: آية ظاهرة، وشاهد على صحة نبوتي، وكأنه قيل: ما هذه البينة؟ فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ **[الأعراف: 73]**.

قال الطبري[4]: قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول، وصدق ما أدعوكم إليه..

● **قال تعالى**: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **[الأنفال: 42]**.

قال الطبري[5]: ليموت من مات من خلقه، عن حجة لله قد أثبتت له، وقطعت عذره، وعبرة قد عاينها ورآها. ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾، ويعيش من عاش منهم، عن حجة لله قد أثبت له، وظهرت لعينه فعلمها..

قال الماوردي[6]: فيه وجهان:

أحدهما: ليقتل ببدر من مشركي قريش عن حجة، وليبقى من بقي عن قدرة.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) روح المعاني.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.
(5) المصدر نفسه.
(6) النكت والعيون.

والثاني: ليكفر من قريش من كفر، بعد الحجة بيان ما وعدوا، ويؤمن من آمن، بعد العلم بصحة إيمانهم.

قال الزمخشري[1]: أي ليصدر كفر من كفر وضوح بينة، لا عن مخالجة شبهة، حتى لا تبقى له عن الله حجة، ولا يصدر إسلام من أسلم أيضاً عن يقين وعلم، بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه، والتمسك به، وذلك أن ما كان من وقعة بدر في الآيات الغر المحجلة، التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه، مغالطاً لها.

(1) الكشاف.

باء

(باء - رجع - نكس)

■ **البَوَاءُ:** باء: عاد خاسراً ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا﴾ [يونس: 87].

■ **الرُّجُوعُ:** عاد إلى حيث كان قبل الآن ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: 8].

■ **النَّكْسُ:** عاد نادماً ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ [الأنبياء: 65].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

أصل البواء: مساواة الأجزاء في المكان، خلاف النبو الذي هو منافاة الأجزاء. يقال: مكان بَوَاءٌ: إذا لم يكن نابياً بنازله، وبوأت له مكاناً: سويته فتبَوَّأ، وبَاءَ فلان بدم فلان يَبُوءُ به أي: ساواه(1)، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾ [يونس: 87].

قال الألوسي(2): والتَبُّوؤ: اتخاذ المباءة أي: المنزل، كالتوطن اتخاذ الوطن، والجمهور على تحقيق الهمزة ومنهم من قرأ (تبويًّا).

وذكر ابن عاشور(3): والتبَوُّؤ: اتخاذ مكان يسكنه، وهو تفعل من البَوْء، أي: الرجوع، كأنّ صاحب المسكن يُكلف نفسه الرجوع إلى محل سَكنه ولو كان

(1) مفردات الراغب.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

تباعد عنه في شؤون اكتسابه بالسير إلى السوق أو الصيد أو الاحتطاب أو قطف الثمار أو نحو ذلك، وتقدم عند قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: 121]. فمعنى تَبَوّءا لقومكما: اجعلا قومكما متبوئينَ بيوتاً. وفاعل هذا الفعل في الأصل هو الساكن بالمباءة، وإنما أسند هنا إلى ضمير موسى وهارون عليهما السلام على طريقة المجاز العقلي، إذ كانا سبب تَبَوّؤ قومهما للبيوت. والقرينة قوله: ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ [يونس: 87] إذ جعل التبوؤ لأجل القوم. ومعنى تبوؤ البيوت لقومهما: أن يأمرا قومهما باتخاذ البيوت على الوصف الذي يأمرانهم به.

وإذ قد كان لبني إسرائيل ديار في مصر من قبل، إذ لا يكونون قاطنين مصر بدون مساكن، وقد كانوا ساكنين أرض (جَاسان) قرب مدينة (منفيس) قاعدة المملكة يومئذٍ في جنوب البلاد المصرية، كما بيناه في سورة البقرة، لا جرم أن تكون البيوت المأمور بتبوئها غير البيوت التي كانوا ساكنيها.

في القرآن الكريم:

- **وقوله** عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم﴾ [يونس: 93].

قال أبو السعود[1]: كلامٌ مستأنَفٌ سيق لبيان النعم الفائضةِ عليهم إثرَ نعمةِ الإنجاء على الإجمال وإخلالهم بشكرها وأداءِ حقوقها أي: أسكناهم وأنزلناهم بعدما أنجيناهم وأهلكنا أعداءَهم ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: 93] أي: منزِلاً صالحاً مرْضياً وهو الشامُ ومصرُ ملكوهما بعد الفراعنةِ والعمالقةِ وتمكنوا في نواحيهما.

- **وقوله تعالى**: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: 121].

(1) إرشاد العقل السليم.

وقال أبو حيان[1]: ومعنى تبوىّء: تنزل، من المَبَاءَة وهي المرجع.

في الحديث: قيل له: ما بالُ العَقْرَبِ مُغْتاظةً على بني آدمَ؟ فقال: تُريدُ البَواءَ، أَي: تُؤْذِي كما تُؤْذَى. وفي حديث علي رضِي الله عنه: فيكون الثّوابُ جزاءً والعِقابُ بَواءً (كان رسول الله ﷺ يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله)[2].

● **وقال الله تعالى**: ﴿بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفَال: 16].

قال الشعراوي[3]: و«بَاءَ» تعني رجع، والتعبير الأدائي في القرآن الكريم مناسب لما فعلوه؛ لأن من يعطي الأعداء دبره فهو الراجع عن الزحف والقتال. لكن من يرجع بهدف الكيد للأعداء والمناورة في القتال أو لتقوية جماعة أخرى من المؤمنين، فهذا له وضع مختلف تماماً، إنه ناصر لدين الله، عكس المنسحب الفار الذي يصحبه في انسحابه غضب من الله، والغضب من الله.

واستعمال (باء) تنبيهاً على أن مكانه الموافق يلزمه فيه غضب لله، فكيف غيره من الأمكنة؟ وذلك على حد ما ذكر في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: 21] وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المَائدة: 29] أي: تقيم بهذه الحالة[4].

(1) البحر المحيط.
(2) الحديث أخرجه الطبراني.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) مفردات الراغب.

حرف التاء

تبّ

(تبّ - بخس - نقص - غبن - التطفيف - خسر)

■ **تَبَّ:** الاستمرار في الخسران ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: 1].

■ **البَخْسُ:** نقص قيمة الشيء على سبيل الظلم المتعمد. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعرَاف: 85].

■ **الغُبْنُ:** أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه مستغلاً عدم خبرته. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التّغَابُن: 9].

■ **النَّقْصُ:** الخسران في الحظ قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هُود: 109].

■ **التَّطْفِيفُ:** تقليل وزن المكيل له في إيفائه واستيفائه. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفّفِين: 1].

■ **الخَسْرُ:** انتقاص رأس المال ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النَّازعَات: 12].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: التَّبُّ: الخَسارُ. والتَّبابُ: الخُسْرانُ والهَلاكُ. وتَبًّا له، على الدُّعاءِ، نُصِبَ لأَنه مصدر محمول على فِعْلِه، كما تقول سَقْياً لفلان، معناه سُقِيَ فلان سَقْياً، ولم يجعل اسماً مُسْنَداً إِلى ما قبله. وتَبًّا تَبيباً، على المُبالَغَةِ.

وتَبَّ تَباباً وتَبَّبَه: قال له تَبًّا، كما يقال: جَدَّعَه وعَقَّره. تقول تَبًّا لفلان، ونصبه على المصدر بإضمار فعل، أَي: أَلْزَمه اللهُ خُسْراناً وهَلاكاً. وتَبَّتْ يَداهُ تَبًّا وتَباباً: خَسِرتَا.

قال ابن دريد[2]: وكأَنَّ التَّبَّ المَصْدرُ، والتَّباب الاسْمُ. وتَبَّتْ يَداهُ: خَسِرتا.

وقال الصاحب[3]: التَّبُّ: الخسارة، تبًّا له وتَبَّبته: قلت له ذلك.

وقال الراغب[4]: التَّبُّ والتَّبَابُ: الاستمرار في الخسران، يقال: تَبًّا له وتَبَّ له، وتَبَّبْتُه: إذا قلت له ذلك، ولتضمن الاستمرار قيل: استَتَبَّ لفلان كذا، أي: استمر.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: 1].

قال الطبري[5]: يقول تعالى: خَسِرت يدا أبي لهب، وخَسِر هو. وإنما عُنِي

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) المحيط في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) جامع البيان.

بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ تبّ عمله. وكان بعض أهل العربية يقول: قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾: دعاء عليه من الله.

وأما قوله: ﴿وَتَبَّ﴾ فإنه خبر. ويُذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ». وفي دخول «قد» فيه دلالة على أنه خبر، ويمثِّل ذلك بقول القائل لآخر: أهلَكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحاً وقد جعلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

عن قتادة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾: أي خسرت وتب.

قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال: التَّبُّ: الخسران، قال: قال أبو لهب للنبيّ ﷺ: ماذا أُعطَى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: «**كما يُعْطَى المُسْلِمُونَ**»، فقال: ما لي عليهم فضل؟ قال: «**وأيَّ شَيْءٍ تَبْتَغِي**» قال: تبّاً لهذا من دين تباً، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ يقول: بما عملت أيديهم.

وقال أبو السعود[1]: ﴿تَبَّتْ﴾ أيْ: هلكَتْ ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ هُو عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المطلبِ وإيثارُ التبابِ على الهلاكِ وإسنادُهُ إلى يديهِ لما رُويَ أنَّهُ لما نزلَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 214]. رَقَى رسولُ الله ﷺ الصَّفَا وجمعَ أقاربَهُ فأنذرهُم فقالَ أبُو لهبٍ: تباً لكَ ألِهذَا دعوتَنَا؟ وأخذَ حجراً ليرميهِ عليهِ السلامُ بهِ ﴿وَتَبَّ﴾ أيْ: وهلكَ كُلُّه وقيلَ: المرادُ بالأولِ هلاكُ جملتِه كقولِه تعالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: 195].

ويؤيدُه قراءةُ من قَرأ (وقَدْ تَبَّ) وقيلَ: الأولُ إخبارٌ عن هلاكِ عملِه لأنَّ الأعمالَ تزاولُ غالباً بالأيدِي، والثانِي: إخبارٌ عن الهلاك نفسه. وقيل: كلاهما دعاء عليه بالهلاك، وقيل: الأول دعاء والثاني إخبار وذِكرُ كنيتِه للتعريضِ بكونِه جُهنمياً ولاشتهارِه بهَا ولكراهةِ ذكرِ اسمِه القبيحِ. وقُرِىءَ أَبُو لهبٍ كما قيلَ: عليُّ بنُ أبُو طالبٍ وقرىءَ أبي لَهْبٍ بسكون الهاء.

(1) إرشاد العقل السليم.

قال ابن عاشور[1]: افتتاح السورة بالتَّبَاتِ مشعر بأنها نزلت لتوبيخ ووعيد، فذلك براعة استهلال مثل ما تفتتح أشعار الهجاء بما يؤذن بالذم والشتم.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: 37].

قال أبو السعود[2]: أي: في خسار لأنه يشعر بتقدم ذكر للكيد وهو في هذه القراءة أظهر..

وقال البغوي[3]: يعني: وما كيده في إبطال آيات موسى إلا في خسار وهلاك.

والقرطبي[4]: أي في خسران وضلال.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هُود: 101].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: غير تخسير. يقال: تَبَّ: إذا خسر، وتَبَّبهَ غيره: إذا أوقعه في الخسران، والمعنى أن الكفار كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع المضار، ثم إنه تعالى أخبر أنهم عند مساس الحاجة إلى المعين ما وجدوا منها شيئاً لا جلب نفع ولا دفع ضر، ثم كما لم يجدوا ذلك فقد وجدوا ضده، وهو أن ذلك الاعتقاد زال عنهم به منافع الدنيا والآخرة وجلب إليهم مضار الدنيا والآخرة، فكان ذلك من أعظم موجبات الخسران[5].

وقال ابن عاشور[6]: وجملة (وما زادوهم غير تَتْبِيبٍ) عِلاوة وارتقاء على عدم نفعهم عند الحاجة بأنّهم لم يكن شأنهم عدم الإغناء عنهم فحسبُ ولكنهم زادتهم تتبيباً وخسراناً، أي: زادتهم أسبابَ الخسران.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) معالم التنزيل.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) التفسير الكبير.
(6) التحرير والتنوير.

والتَّتْبِيبُ: مصدر تَبَّبه: إذا أوقعه في التَّبَاب وهو الخسارة. وظاهر هذا أن أصنامهم زادتهم تَتْبِيباً لمّا جاء أمر الله، لأنّه عطف على الفعل المقيّد بـ (لمّا) التوقيتية المفيدة أنّ ذلك كان في وقت مجيء أمر الله وهو حلول العذاب بهم. ووجه زيادتهم إياهم تَتْبِيباً حينئذٍ أنّ تصميمهم على الطمع في إنقاذهم إيّاهم من المصائب حالت دونهم ودون التوبة عند سماع الوعيد بالعذاب.

ويجوز أن يكون العطف لمجرّد المشاركة في الصفة دون قيدها، أي: زادوهم تتبيباً قبل مجيء أمر الله بأنْ زادهم اعتقادهم فيها انصرافاً عن النظر في آيات الرّسل وزادهم تأميلهم الأصنام، وقد كانت خرافات الأصنام ومناقبها الباطلة مغرية لهم بارتكاب الفواحش والضلال وانحطاط الأخلاق وفساد التّفكير جرأة على رسل الله حتى حقّ عليهم غضب الله المستوجب حلول عذابه بهم.

تابوت

النصوص اللغوية:

قال الصاحب[1]: التابوت: ما انطوت عليه الأضلاع كالصدر والقلب، وهو التبوت أيضاً.

وذكر الجوهريّ[2]: في هذه الترجمة التابوت: أَصله تابُوَةٌ مثل تَرْقُوَةٍ، وهو فَعْلُوَةٌ، فلما سكنت الواو انْقلبت هاءُ التأْنيث تاءً.

وقال القاسم بن معن: لم تَختلف لغةُ قُريشٍ والأَنصارِ في شيءٍ من القرآن إلاَّ في التَّابُوتِ، فلغةُ قريش بالتاءِ، ولغةُ الأَنصار بالهاءِ.

قال عبدالله ابن بري: التصريفُ الذي ذكره الجوهري في هذه اللفظة حتى ردّها إِلى تابوت تَصْرِيفٌ فاسِدٌ؛ قال: والصواب أَن يُذكر في فصل تبت لأَنَّ تاءَه أَصلية، ووزنه فاعُولٌ مثل عاقُولٍ وحاطُومٍ، والوقْفُ عليها بالتاءِ في أَكثر اللغات، ومن وقف عليها بالهاءِ فإِنه أَبدلها من التاءِ، كما أَبدلها في الفُرات حين وقف عليها بالهاءِ، وليست تاءُ الفرات بتاءِ تأْنيث، وإِنما هي أَصلية من نفس الكلمة.

قال أَبو بكر بن مجاهد: التَّابُوتُ بالتاءِ قِراءة الناس جميعاً، ولغة الأَنصار التابُوةُ بالهاءِ.

والأصل في (التابوت) إن كان عرب، أي: الرجوع فإنه لا يزال يرجع إليه ما

---

(1) المحيط في اللغة. (2) الصحاح.

يخرج منه، كما قال أبو علي الفارسي وجمعه: توابيت، تشبيهاً بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع، وكذا جاء في العبرية والقبطية والحبشية[1].

والتابوت: قيل: كان شيئاً منحوتاً من الخشب فيه حكمة. وقيل: عبارة عن القلب، والسكينة عما فيه من العلم، وسمي القلب سفط العلم، وبيت الحكمة، وتابوته، ووعاءه، وصندوقه[2]. وعلى هذا قيل: (اجعل سرك في وعاء غير سرب) وعلى تسميته بالتابوت قال عمر لابن مسعود رضي الله عنهما: (كُنيف مُلىء علماً)[3].

المعنى المشترك لكلمة (ت ب ت)

وقد وردت كلمة (تبت) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: التابوت: بمعنى الصندوق الذي وضع فيه موسى وهو رضيع ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: 38-39].

الوجه الثاني: التابوت: الذي فيه السكينة ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: 248].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه: 39].

قال الزمخشري[4]: أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه، والضمائر كلها راجعة إلى موسى. ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت: فيه هجنة، لما يؤدي إليه

(1) اللسان.
(2) مفردات الراغب.
(3) سير أعلام النبلاء.
(4) الكشاف.

من تنافر النظم. فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل. قلت: ما ضرّك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؟ حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدّي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر. لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته أن لا تخطىء جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وإلقاه إليه، سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليم كأنه ذو تمييز، أمر بذلك ليطيع الأمر ويمتثل رسمه، فقيل: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ روي أنها جعلت في التابوت قطناً محلوجاً، فوضعته فيه وجصصته وقيرته، ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير، فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت، فأمر به فأخرج ففتح، فإذا صبيّ أصبح الناس وجهاً، فأحبه عدوّ الله حباً شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه. وظاهر اللفظ [على] أنّ البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه: لأنّ الماء يسحله أي: يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل، إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوّهة نهر فرعون، ثم أدّاه النهر إلى حيث البركة [وألقيت عليك محبة مني] (مِّنِّي) لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت، فيكون المعنى على: أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب. وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة، أي: محبة حاصلة أو واقعة مني، قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها، فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك. روي: أنه كانت على وجهه مسحة جمال، وفي عينيه ملاحة، لا يكاد يصبر عنه من رآه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39] لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع هذا على عينيَ أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي.

● **وقال تعالى:** ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 248].

وقال الطبري(1): وهو التابوت الذي كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوًّا لهم

(1) جامع البيان.

قدموه أمامهم وزحفوا معه، فلا يقوم لهم معه عدوّ ولا يظهر عليهم أحد ناوأهم، حتى منعوا أمر الله وكثر اختلافهم على أنبيائهم، فسلبهم الله إياه مرّة بعد مرّة يرده إليهم في كل ذلك، حتى سلبهم آخر مرة فلم يردّه عليهم ولن يردّ إليهم آخر الأبد.

وذكر البغوي(1): وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثها أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت إشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 248].

وقال الشعراوي(2): إن التابوت قد ورد في القرآن في موضعين: أحدهما في الآية التي نحن بصددها الآن، والموضوع الآخر في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: 38-39]. إذن فالتابوت نعرفه من أيام قصة موسى وهو رضيع، عندما خافت عليه أمه؛ فأوحى لها الله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ فهل هو التابوت نفسه الذي تتحدث عنه الآيات التي نحن بصددها؟ غالب الظن أنه هو؛ لأنه ما دام جاء به على إطلاقه فهو التابوت المعروف، وكأن المسألة التي نجا بها موسى لها تاريخ مع موسى وفرعون ومع نبيهم ومع طالوت وهذه عملية نأخذ منها أن الآثار التي ترتبط بالأحداث الجسيمة في تاريخ العقيدة يجب أن نعنى بها، ولا نقول إنها كفريات ووثنيات؛ لأن لها ارتباطاً بأمر عقدي، وبمسائل تاريخية، وارتباطاً بالمقدسات. انظر إلى التابوت

(1) معالم التنزيل. (2) تفسير الشعراوي.

الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وتحمله الملائكة. إن هذا دليل على أنه شيء كبير ومهم.

إذن، فالآثار التي لها مساس وارتباط بأحداث العقيدة وأحداث النبوة، هذه الآثار مهمة للإيمان، وكأنّ القرآن يقول: اتركوها كما هي، وخذوا منها عظة وعبرة؛ لأنها تذكركم بأشياء مقدسة. لقد كان التابوت مفقوداً، وذلك دليل على أن عدواً غلب على البلاد التي سكنوها، والعدو عندما يغير على بلاد يحاول أولاً طمس المقدسات التي تربط البلاد بالعقيدة. فإذا كان التابوت مقدساً عندهم بهذا الشكل، كان لا بد أن يأخذه الأعداء. هؤلاء الأعداء هم الذين أخرجوهم من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وإذا كانوا قد أخرجوهم من ديارهم فمن باب أولى أنهم أجبروهم على ترك التابوت.

والله سبحانه وتعالى يطمئنهم بأن آية الملك لطالوت هي مجيء التابوت الذي تتلهفون عليه، وترتبط به مقدساتكم. ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 248] فكأن الاستقرار النفسي سيأتيكم مع هذا التابوت؛ لأن الإنسان حين يجد التابوت الذي نجا به نبي، وفي الأشياء التي سنعرفها فيما بعد، إن الإنسان يستروح صلته بالسماء، وهي صلة مادية تجعل النفس تستريح.

تبر

(تبر - محق - هشم)

■ **التَّبر:** الهلاك بالتفتيت[1]. ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفُرقان: 39].

■ **المَحقُ:** الهلاك بانعدام البركة وعدم النموّ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ [البَقَرَة: 276].

■ **الهَشْمُ:** الهلاك بطحن الشيء الليّن اليابس كالنبات ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾ [الكهف: 45].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[2]: التاء والباء والراء أصلان متباعدٌ ما بينهما: أحدهما الهلاك، والآخر [جوهر] من جواهر الأرض.

فالأوّل قولهم: تَبَّرَ اللهُ عَمَلَ الكافرِ، أي: أهلكَه وأبطلَهَ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعرَاف: 139]. والأصل الآخر التِّبْر، وهو ما كان من الذَّهب والفِضَّة غيرَ مَصُوغٍ.

قال ابن الأعرابي: التِّبْرُ: الفُتاتُ من الذهب والفضة قبل أن يصاغا فإذا صيغا فهما ذهب وفضة.

(1) الزجاج: كل شيء صلب كسرته وفتته فقد تبرته، ومن هنا قيل: كسّر الزجاج والذهب (التبر).
(2) مقاييس اللغة.

قال الجوهري: التِّبْرُ: ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عين، قال: ولا يقال تِبْرٌ إلا للذهب وبعضهم يقوله للفضة أَيضاً.

قال الزجاج: ومنه قيل لمكسر الزجاج تبر. والتَّبَارُ: الهلاك.

وتَبَّرَه تَتْبِيراً أَي: كَسَّرَه وأَهلكه.

وقال ابن دريد[(1)]: التبر: الذهب، وقال قوم: هو الذهب المستخرج من المعادن قبل أن يصاغ، وقال قوم: بل الذهب كله بتر.

وقال الراغب[(2)]: التبر: الكسر والإهلاك، يقال: تَبَرَهُ وتَبَّرَهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: 139].

قال الطبري[(3)]: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني إسرائيل، يقول تعالى ذكره قال لهم موسى: إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام، الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده، ومخسرهم فيه بإثابته إياهم عليه العذاب المهين، وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم إياها فمضمحلّ لأنه غير نافع عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم، ولا مدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم، ولا منقذهم من عذابه إذا عذّبهم في القيامة، فهو في معنى ما لم يكن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

حدثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يقول: مهلك ما هم فيه.

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) جامع البيان.

عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يقول: خسران.

قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 139] قال: هذا كله واحد، كهيئة «غفور رحيم»، «عفوّ غفور». قال: والعرب تقول: إنه البائس المُتبَّر، وإنه البائس المخسر.

قال الزمخشري[1]: ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: 139] مدمّر مكسر ما هم فيه، من قولهم إناء مُتَبَّرُ، إذا كان فضاضاً. ويقال لكسار الذهب: التِّبْرُ، أي: يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يديّ، ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: 39].

قال الزمخشري[2]: والتَّتْبِيرُ: التفتيت والتكسير. ومنه: التبر، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج..

قال أبو السعود[3]: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ عجيباً هائلاً لما أنَّهم لم يتأثَّروا بذلك ولم يرفعُوا له رأساً وتمادَوا على ما هُم عليه من الكُفرِ والعُدوانِ. وأصلُ التَّتبيرُ التَّفتيتُ.

● **وقال تعالى**: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28].

قال الخازن[4]: أي: هلاكاً ودماراً، فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعاً.

وقال الألوسي[5]: أي: هلاكاً وقال مجاهد: خساراً، والأول أظهر. وقد دعا عليه السلام دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين وحيث استجيبت له الأولى فلا يبعد أن تستجاب له الثانية والله تعالى أكرم الأكرمين.

---

(1) الكشاف.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) لباب التأويل.
(5) روح المعاني.

● **قال تعالى:** ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7].

قال الزمخشري[1]: ﴿مَا عَلَوْاْ﴾ مفعول ليتبروا، أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه. أو بمعنى: مدة علوّهم.

وقال الرازي[2]: يقال: تَبَرَ الشيء تَبْراً: إذا هلك، وتَبَرَهُ: أهلكه. قال الزجاج: كل شيء جعلته مكسراً ومفتتاً فقد تَبَرْتَه، ومنه قيل: تِبْر الزجاج وتِبْر الذهب لمكسره، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 139].

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نُوح: 28]. وقوله: ﴿مَا عَلَوْاْ﴾ يحتمل ما غلبوا عليه وظفروا به، ويحتمل ويتبروا ما داموا غالبين، أي ما دام سلطانهم جارياً على بني إسرائيل، وقوله: ﴿تَتْبِيرًا﴾ ذكر للمصدر على معنى تحقيق الخبر وإزالة الشك في صدقه كقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّساء: 164] أي حقاً، والمعنى: وليدمروا ويخربوا ما غلبوا عليه.

وقال الطبري[3]: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ قال: يدمِّروا ما علوا تدميراً، قال: هو بختنصر، بعثه الله عليهم في المرّة الآخرة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرّة الآخرة بختنصر، فخرّب المساجد وتبَّر ما علوا تتبيراً.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

تبع

(تبع - ردف - ردء - اقتدى - تلو)

- **التَّبَعُ:** السير على الأثر من بعيد ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: 21].
- **الرَّدَفُ:** السير على الأثر من قريب جداً ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].
- **الرِّدْءُ:** السير ملازماً لقدم صاحبه كأنه هو ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34].
- **المُقْتَدي:** السير على فعل الآخر وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].
- **التلاوة:** قراءة القرآن بالترتيب المنظم، لأنه يُتْبَعُ آية بعد آية: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: 45].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيءٌ، وهو التُّلُوُّ والقَفْو. يقال: تبِعْتُ فلاناً: إذا تَلَوْتَه [و] اتّبعْته. وأَتْبَعْتُهُ: إذا لحِقْته. والأصل واحد، غير أنّهم فَرَقوا بين القَفْو واللُّحُوق فغيَّرُوا البناءَ أدنى تغييرٍ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وقال الخليل[1]: التّابع التّالي، ومنه التَّتَبُّع والمُتَابعة والاتِّبَاع، يَتْبَعَه: يتلوه. تَبِعَه يَتْبَعَه تَبْعاً.

والتَّبِيعُ: العجل المدرك من ولد البقر الذكر لأنه يتبع أمه بعدوٍ.

والتَّتَابع: ما بين الأشياء إذا فعل هذا على إثر هذا لا مهملة بينهما، كتتابع الأمطار.

وقال الأصمعي[2]: يقال: اتبعت القوم بقطع الألف، أي: لحقتهم. واتبعتهم بوصل الألف: إذا مررت في آثارهم وإن لم تلحقهم.

قال الراغب[3]: تَبِعَه واتَّبَعَه: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار.

المعنى المشترك لكلمة (ت ب ع)

وقد وردت كلمة (تبع) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: الاتباع: يعني الصحبة ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66].

الوجه الثاني: الاتباع: يعني الاستقامة ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النّحل: 123].

الوجه الثالث: الاتباع: يعني الاختيار ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّساء: 115].

الوجه الرابع: اتبعوا أي: اعملوا ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾ [البَقَرَة: 102].

(1) العين.
(2) اللسان، معجم فقه اللغة.
(3) مفردات الراغب.

الوجه الخامس: الاتباع: يعني الصلاة إلى القبلة ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البَقَرَة: 145].

الوجه السادس: الاتباع: يعني الطاعة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: 83].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: 38].

قال الفخر الرازي[1]: أنه تعالى بين أن من اتبع هداه بحقه علماً وعملاً بالإقدام على ما يلزم والإحجام عما يحرم فإنه يصير إلى حال لا خوف فيها ولا حزن، وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئاً كثيراً من المعاني لأن قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [طه: 123] دخل فيه الإنعام بجميع الأدلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك إلا به من العقل ووجوه التمكن، وجميع قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾. تأمل الأدلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها ويجمع ذلك كل التكاليف.

قال القاضي: قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يدل على أمور. أحدها: أن الهدى قد يثبت ولا اهتداء فلذلك قال: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾. وثانيها: بطلان القول بأن المعارف ضرورية، وثالثها: أن باتباع الهدى تستحق الجنة، ورابعها: إبطال التقليد لأن المقلد لا يكون متبعاً للهدى.

(1) التفسير الكبير.

● وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18].

قال أبو السعود[1]: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، اللامُ موطئةٌ للقسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو سادٌّ مسدَّ جوابِ الشرط، وقرىء لِمَنْ تبعك بكسر اللام على أنه خبرُ (لأملأن) على معنى لِمَنْ تبعك هذا الوعيدُ، أو علةٌ لاخرُجْ و(لأملأن) جوابٌ محذوفٌ ومعنى (منكم) منك ومنهم على تغليب المخاطب (وَيَا ءادَمَ).

أي وقلنا كما وقع في سورة البقرة، وتصديرُ الكلامِ بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقّي المأمورِ به، وتخصيصُ الخطابِ به عليه السلام للإيذان بأصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به.

● قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36].

قال الطبري[2]: فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستنّ بسنَّتي، وعامل بمثل عملي.

وقال **الزمخشري**[3]: ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على ملتي وكان حنيفاً مسلماً مثلي ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ أي: هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي، وكذلك قوله: «**من غشنا فليس منا**» أي: ليس بعض المؤمنين، على أنّ الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم.

وقال **الألوسي**[4]: ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ منهم فيما أدعو إليه من التوحيد وملة الإسلام ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ يحتمل أن تكون (مِنْ) تبعيضية على التشبيه أي فإنه كبعضي في عدم

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) روح المعاني.

الانفكاك، يحتمل ويحتمل أن تكون اتصالية كما في قوله ﷺ لعليّ كرم الله تعالى وجهه: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**» أي: فإنه متصل بي لا ينفك عني في أمر الدين، وتسميتها اتصالية لأنه يفهم منها اتصال شيء بمجرورها وهي ابتدائية إلا أن ابتدائيته باعتبار الاتصال كذا في «حواشي شرح المفتاح الشريفي»، يعني أن مجرورها ليس مبدأ أو منشأ لنفس ما قبلها بل لاتصاله، فإما أن يقدر متعلقها فعلاً خاصاً، كما قاله الجلال السيوطي في بيان الخبر من أن (مِنّي) فيه خبر المبتدأ (وَمِنْ) اتصالية ومتعلق الخبر خاص والباء زائدة بمعنى أنت متصل بي ونازل مني بمنزلة هارون من موسى، وإما أن يقدر فعل عام كما ذهب إليه الشريف هناك أي منزلته بمنزلة كائنة وناشئة مني كمنزلة هارون من موسى عليه السلام، وتقديره خاصاً هنا كما فعلنا على تقدير جعلها اتصالية مما يستطيبه الذوق السليم دون تقديره عاماً.

● **وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 145].

قال الفخر الرازي(1): وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اختلفوا في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: 145] فقال الأصم: المراد علماؤهم الذين أخبر الله تعالى عنهم في الآية المتقدمة بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: 144]. واحتج عليه بوجوه. أحدها: قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [البَقَرَة: 120] فوصفهم بأنهم يتبعون الهوى، ومن اعتقد في الباطل أنه حق فإنه لا يكون متبعاً لهوى النفس، بل يكون في ظنه أنه متبع للهدى فأما الذين يعلمون بقلوبهم، ثم ينكرون بألسنتهم، فهم المتبعون للهوى. وثانيها: أن ما قبل هذه الآية وهو قوله:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ لا يتناول عوامهم بل هو مختص بالعلماء، وما بعدها وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 146] مختص بالعلماء أيضاً إذ لو كان عاماً في الكل امتنع الكتمان لأن

(1) التفسير الكبير.

الجمع العظيم لا يجوز عليهم الكتمان، وإذا كان ما قبلها وما بعدها خاصاً فكذا هذه الآية المتوسطة.

وثالثها: أن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم مصرون على قولهم، ومستمرون على باطلهم، وأنهم لا يرجعون عن ذلك المذهب بسبب شيء من الدلائل والآيات، وهذا شأن المعاند اللجوج، لا شأن المعاند المتحير.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ ففيه أقوال. الأول: أنه دفع لتجويز النسخ، وبيان أن هذه القبلة لا تصير منسوخة. والثاني: حسماً لأطماع أهل الكتاب فإنهم قالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره، وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم. الثالث: المقابلة يعني ما هم بتاركي باطلهم وما أنت بتارك حقك. الرابع: أراد أنه لا يجب عليك استصلاحهم باتباع قبلتهم، لأن ذلك معصية. الخامس: وما أنت بتابع قبلة جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأن قبلة اليهود مخالفة لقبلة النصارى، فلليهود بيت المقدس وللنصارى المشرق، فالزم قبلتك ودع أقوالهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: 21].

قال الطبري(1): ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا﴾ في الدنيا، والتَّبَع: جمع تابع، كما الغَيَبُ جمع غائب. وإنما عَنَوا بقولهم: إنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعَاً أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا يأتمرون لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله، وينتهون عما نهوهم عنه من اتباع رسل الله.

قال الفخر الرازي(2): واعلم أن هذه التبعية يحتمل أن يقال: المراد منها التبعية في الكفر، ويحتمل أن يكون المراد منها التبعية في أحوال الدنيا.

---

(1) جامع البيان. (2) التفسير الكبير.

قال الفراء: وأكثر أهل اللغة: التبع تابع مثل: خادم وخدم وباقر وبقر وحارس وحرس وراصد ورصد، قال الزجاج: وجائز أن يكون مصدراً سمي به، أي: كنا ذوي تبع.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: 175].

أي: فلحقه وأدركه وصار قريناً له حتى أضله.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحِجر: 18].

ويقال: تبعت الرجل واتبعته بمعنى واحد.

● **قال تعالى**: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هُود: 60].

قال الطبري[1]: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضباً من الله وسخطة يوم القيامة، مثلها لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا.

قال أبو السعود[2]: إبعاداً عن الرحمة وعن كل خير، أي جُعلت اللعنةُ لازمةً لهم، وعبّر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كلَّ مذهبٍ بل تدور معهم حيثما داروا، ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني أنهم لما اتّبعوهم أُتبعوا ذلك جزاءً لصنيعهم جزاءً وفاقاً.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عِمرَان: 162].

قال الفخر الرازي[3]: كل من أخلد إلى متابعة النفس والشهوة فهو داخل تحت قوله: ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أقصى ما في الباب أن الآية نازلة في واقعة معينة، لكنك تعلم أن عموم اللفظ لا يبطل لأجل خصوص السبب.

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم ونحوه الألوسي.
(3) التفسير الكبير.

قوله: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ الهمزة فيه للإنكار، والفاء للعطف على محذوف تقديره: أمن اتقى فاتبع رضوان الله..

● **وقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ...﴾ [المَائدة: 16].**

قال الفخر الرازي(1): من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذي يرتضيه الله تعالى، فأما من كان مطلوبه من دينه تقرير ما ألفه ونشأ عليه وأخذه من أسلافه مع ترك النظر والاستدلال، فمن كان كذلك فهو غير متبع رضوان الله تعالى.

وقال الألوسي(2): أي من علم الله تعالى أنه يريد اتباع رضا الله تعالى بالإيمان به، و(مَنْ) موصولة أو موصوفة.

● **قــــال** عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

قال الطبري(3): واتبع هواه: وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه، وهم فيما ذُكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم. والعبرة بعموم اللفظ.

قال الفخر الرازي(4): يدل على أن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الحق ويكون مملوءاً من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق، وتحقيق القول أن ذكر الله نور وذكر غيره ظلمة لأن الوجود طبيعة النور والعدم منبع الظلمة، والحق تعالى واجب الوجود لذاته فكان النور الحق هو الله، وما سوى الله فهو ممكن الوجود لذاته. والإمكان طبيعة عدمية فكان منبع الظلمة فالقلب إذا أشرق فيه ذكر الله فقد حصل فيه النور والضوء والإشراق، وإذا توجه القلب إلى

---

(1) نفسه.
(2) روح المعاني ونحوه أبو السعود.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات، فلهذا السبب إذا أعرض القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة، فالإعراض عن الحق هو المراد بقوله: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: 28] والإقبال على الخلق هو المراد بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: 176].

● **قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ. . .﴾** [البَقَرَة: 102].

قال الطبري[1]: أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ، فجحدوا نبوّته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله، واتّباعهم واتّباع أوائلهم وأسلافهم ما تَلَتْهُ الشياطين في عهد سليمان. وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحقّ وأمر السحر لم يزل في اليهود، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ بعضاً منهم دون بعض، إذ كان جائزاً فصيحاً في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ إلى أخلافهم بعدهم. ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول، ولا حجة تدلّ عليه، فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية، على النحو الذي قلنا.

وقال الشعراوي[2]: يخبرنا الحق تبارك وتعالى أن فريقاً من اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين. . لأن النبذ يقابله الاتباع. . واتبعوا: يعني اقتدوا وجعلوا طريقهم في الاهتداء هو ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان. .

---

(1) جامع البيان.
(2) تفسير الشعراوي.

وكان السياق يقتضي أن يقال: ما تلته الشياطين على ملك سليمان. . ولكن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نفهم أن هذا الاتباع مستمر حتى الآن كأنهم لم يحددوا المسألة بزمن معين. إنه حتى هذه اللحظة هناك من اليهود من يتبع ما تلته الشياطين على ملك سليمان، ونظراً لأن المعاصرين من اليهود قد رضوا وأخذوا من فعل أسلافهم الذين اتبعوا الشياطين فكأنهم فعلوا.

● **وقوله:** ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هُود: 59].

قال ابن عاشور(1): ومعنى اتباع الآمر: طاعة ما يأمرهم به، فالاتّباع تمثيل للعمل بما يملى على المتبع، لأنّ الآمر يشبه الهادي للسائر في الطريق، والممتثلَ يشبه المتبع للسائر.

وقال البغوي(2): أي: واتبع السفلة والسقاط أهل التكبر والعناد.

● **وقوله تعالى:** ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البَقَرَة: 166].

قال الفخر الرازي(3): فبين أن الذين أفنوا عمرهم على عبادتهم واعتقدوا أنهم أوكد أسباب نجاتهم فإنهم يتبرأون منهم عند احتياجهم إليهم ونظيره قوله تعالى: ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ [العَنكبوت: 25]. وقال أيضاً: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: 67] وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعرَاف: 38]. وحكى عن إبليس أنه قال: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ [إبراهيم: 22].

وهٰهنا مسائل: المسألة الأولى: في قوله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾ قولان، الأول: أنه بدل من: ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ [البَقَرَة: 165].

الثاني: أن عامل الإعراب في (إذ) معنى شديد كأنه قال: هو شديد العذاب إذ تبرأ يعني في وقت التبرؤ.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.

المسألة الثانية: معنى الآية أن المتبوعين يتبرؤون من الأتباع ذلك اليوم، فبيَّن تعالى ما لأجله يتبرؤون منهم وهو عجزهم عن تخليصهم من العذاب الذي رأوه لأن قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البَقَرَة: 166] يدخل في معناه أنهم لم يجدوا إلى تخليص أنفسهم وأتباعهم سبباً، والآيس من كل وجه يرجو به الخلاص مما نزل به وبأوليائه من البلاء يوصف بأنه تقطعت به الأسباب؛ واختلفوا في المراد بهؤلاء المتبوعين على وجوه: أحدها: أنهم السادة والرؤساء من مشركي الإنس، عن قتادة والربيع وعطاء. وثانيها: أنهم شياطين الجن الذين صاروا متبوعين للكفار بالوسوسة عن السدي. وثالثها: أنهم شياطين الجن والإنس. ورابعها: الأوثان الذين كانوا يسمونها بالآلهة. والأقرب هو الأول لأن الأقرب في الذين اتبعوا أنهم الذين يصح منهم الأمر والنهي حتى يمكن أن يتبعوا وذلك لا يليق بالأصنام، ويجب أيضاً حملهم على السادة من الناس لأنهم الذين يصح وصفهم من عظمهم بأنهم يحبونهم كحب الله دون الشياطين ويؤكده قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: 67]، وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل، والثاني على البناء للمفعول أي: تبرأ الأتباع من الرؤساء.

تترى

(تترى - ادّارك)

■ **تترى:** جاءوا واحداً واحداً منفردين ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا﴾ [المؤمنون: 44].

■ **ادَّارَكَ:** جاءوا واحداً واحداً بنظام ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

تتراً: ليس لها مرادف في القرآن الكريم إلا كلمة متتابع. وهي كناية عن الترتيب العددي واحداً واحداً أو وتراً وتراً 1/ 3/ 5/ 7، وهي من المواترة أي: المتابعة. ولا يؤخذ في الاعتبار المسافات التي قد تفصل بين الواحد والآخر كما في قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فالمسافة بين الرسل المرسلين مختلفة فقد طالت أحياناً وقصرت أحياناً أخرى، لكن المعنى أن الرسل أرسلوا واحداً واحداً وبينهم زمن قد يطول وقد يقصر. وقد يخطر ببال البعض أن موسى وهارون أُرسلا معاً وهذا ينافي ما قلناه فنقول: إن موسى كان رسول ربه أما هارون فكان وزيره ونائبه ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ [طه: 29-30] سورة طٰه، ولم يُرسله الله تعالى إلى قوم برسالة معينة وإنما كان وزير موسى في تبليغ فرعون وقومه ودليل ذلك قوله تعالى على لسان موسى وهارون في سورة مريم: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: 19].

متتابع: هو ترتيب زمني بغض النظر عن العدد أي: لا يفصل بينهما فاصل زمني. وهذا ما ورد في آيات الأحكام في كفارة القتل الخطأ والظِهار والجماع في نهار رمضان كما ورد في سورة النساء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ وفي سورة المجادلة: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾، فالصيام في هذه الحالة هو شهرين متتابعين ليس بينهما فاصل أبداً، فإذا صام أحد تسعةً وخمسين يوماً ثم أفطر يوماً بعدهم وجب عليه إعادة صوم شهرين متتابعين من جديد.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

تواتَرَت الإبل والقَطا وكلُّ شيء: إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مُصْطَفَّةً.

قال ابن الأعرابي[1]: تَرى يَتْري: إذا تَراخى في العمل فعمل شيئاً بعد شيء.

قال الأصمعي[2]: واتَرْتُ الخَبَرَ: أَتْبَعْتُ وبين الخبرين هُنَيْهَةٌ.

والخَبَرُ المُتَواتِرُ: أَن يحدِّثه واحد عن واحد، وكذلك خبر الواحد مثل المُتواتِرِ.

(1) اللسان. (2) معجم فقه اللغة.

والمُواتَرَةُ: المتابعة، ولا تكون المُواتَرَةُ بين الأَشياء إلا إِذا وقعت بينها فترة، وإِلا فهي مُدارَكَة ومُواصَلة.

قال ابن سيده(1): وليس هذا البدل قياساً إِنما هو في أَشياء معلومة، أَلا ترى أَنك لا تقول في وَزِير يَزِيرٌ؟ إِنما تَقِيسُ على إِبدال التاء من الواو في افْتَعَل وما تصرف منها، إِذا كانت فاؤه واواً فإِن فاءه تقلب تاء وتدغم في تاء افتعل التي بعدها.

قال الراغب(2): تترى على فعلى، من المواترة، أي: المتابعة وتراً وتراً، وأصلها واو فأبدلت، نحو: تراث وتجاه، فمن صرفه جعل الألف زائدة لا للتأنيث، ومن لم يصرفه جعل ألفه للتأنيث.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: 44].

قال الفخر الرازي(3): فالمعنى أنه كما أنشأنا بعضهم بعد بعض أرسل إليهم الرسل على هذا الحد، قرأ ابن كثير تتراً منونة والباقون بغير تنوين وهو اختيار أكثر أهل اللغة لأنها فعلى من المواترة وهي المتابعة، وفعلى لا ينون كالدعوى والتقوى والتاء بدل من الواو فإنه مأخوذ من الوتر وهو الفرد، قال الواحدي: تترى على القراءتين مصدر أو اسم أقيم مقام الحال لأن المعنى متواترة.

وذكر البغوي(4): أي: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً، وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر أي أَتْبعت بعضَه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة.

(1) المحكم.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.
(4) معالم التنزيل.

واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمروٍ: بالتنوين، ويقفون بالألف، ولا يميله أبو عمرو، وفي الوقف فيها كالألف في قولهم: رأيت زيداً، وقرأ الباقون بلا تنوين، والوقف عندهم يكون بالياء، ويميله حمزة والكسائي، وهو مثل قولهم: غضبَى وسكرَى، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله: «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل: التقوى والتكلان.

وقال الشعراوي(1): يعني: متوالين يتبع بعضهم بعضاً؛ لذلك ظنَّها البعض فعلاً وهي ليست بفعل، بدليل أنها جاءت في قراءة أخرى (تتراً) بالتنوين والفعل لا يُنوَّن، إذن: هي اسم، والألف فيها للتأنيث مثل حُبْلى.

أضِفْ إلى ذلك أن التاء الأولى تأتي في اللغة بدلاً من الواو، كما جاء في الحديث الشريف من نصيحة النبي ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدْه تجاهك** - أو وجاهك» يعني: مواجهك.

فإذا أُبدِلَتْ التاء الأولى في (تتراً) واواً تقول: (وتراً) يعني: متتابعين فَرْداً فَرْداً، والوتر هو الفَرْد.

● **وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾** [محَمَّد: 35].

قال الزمخشري(2): من وَتِرْتَ الرجل: إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، أو حربته، وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوتر وهو الفرد؛ فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله**» أي: أفرد عنهما قتلاً ونهباً.

قال القرطبي(3): أي: لن ينتقصكم في أعمالكم؛ كما تقول: دخلت البيت؛ وأنت تريد في البيت؛ قاله الجوهريّ.

(1) تفسير الشعراوي.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

الفرّاء: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ هو مشتق من الوتر وهو الفرد؛ فكان المعنى: ولن يفردكم بغير ثواب.

وقال ابن عاشور(1): وعد بتسديد الأعمال ونجاحها عكس قوله في أول السورة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمَّد: 1] فكني عن توفيق الأعمال ونجاحها بعدم وترها، أي: نقصها، للعلم بأنه إذا كان لا ينقصها فبالحري أن لا يبطلها، أي أن لا يخيبها، وهو ما تقدم من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: 4-5]. يقال: وَتِرَه يَتِرُه وَتْراً وتِرَة كوعد: إذا نقصه.

وقال الشعراوي(2): وَتْرُ الشيء يعني: فقده، والمعنى: لن ينقصكم من أجور أعمالكم شيئاً، بل سيُوفِّيكم إياها وزيادة.

تجر

(تجر - بيع - شراء - إجارة)

■ **التَّاجِرُ:** الحاذق بوجه المكتسب في البيع والشراء ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ﴾ [النِّساء: 29].

■ **البَيْعُ:** إعطاء المثمن وأخذ الثمن ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ﴾ [الجُمُعَة: 9].

■ **الشِّرَاءُ:** إعطاء الثمن وأخذ المثمن ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: 20].

■ **الأَجَارَةُ:** إعطاء الشيء بأجرة ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ [القَصَص: 27].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والجيم والراء، التِّجارة معروفة. ويقال: تَاجِرٌ وتَجْرٌ، كما يقال: صاحبٌ وصحبٌ. ولا تكاد تُرى تاءٌ بعدها جيم..

قال ابن الأعرابي: فلان تاجر بكذا، أي: حاذق به، عارف الوجه المكتسب منه.

قال ابن دريد: تَاجِرٌ و تَجْرٌ: مثل صاحب و صحب، وناقةٌ تَاجِرٌ: تبيع نفسها بحسنها وسمنها.

قال الخطابي: في حديث أبي ذر، قال: «كنا نتحدث: أن التاجر فاجر»، التُّجَّار عندهم: الخمار، اسم يخصونه من بين التجار.

(1) مقاييس اللغة.

قال ابن سيده[1]: تَجَرَ يَتْجِرُ تِجَارَةً: باع وشرى، وقد غلب الخمار.

قال الزمخشري[2]: التِّجَارَةُ: صناعة التَّاجِر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح. وناقة تَاجِرَةٌ: كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿... إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ...﴾ [البقرة: 282].

قال الضحاك: ﴿تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾ ما كان يداً بيد.

قال السدي: أي معكم بالبلد تديرونها، فتأخذ وتعطي، فليس على هؤلاء جناح ألا يكتبوها.

قال الطبري[3]: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق، وعامة القراء: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بالرفع.

وانفرد بعض قراء الكوفيين، فتقرأه بالنصب، وذلك وإن كان جائزاً في العربية، إذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع (كان)، وتضمر معناه في (كان) مجهولاً، فتقول: أن كان طعاماً طيباً فأتنا به، وترفعها فتقول: إن كان طعامٌ طيبٌ فأتنا به، فتتبع النكرة خبرها يمثل إعرابها، فإن الذي اختار من القراءة، ثم لا أستجيز القراءة بغيره، الرفع في التجارة الحاضرة، لإجماع القراء على ذلك، وشذوذ من قرأ ذلك نصباً عنهم، ولا يعترض بالشاذ على الحجة.

وإنما تفعل العرب ذلك في النكرات، لما وصفنا من إتباع أخبار النكرات

(1) اللسان، المحكم.
(2) أساس البلاغة.
(3) جامع البيان.

أسماءها، وكان من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب، فإذا رفعوها جميعها تذكروا إتباع النكرة خبرها، وإذا نصبوها تذكروا صحبة (كان) منصوب ومرفوع، ووجدوا النكرة يتبعها خبرها، وانضمروا في (كان) مجهولاً لاحتمالها الضمير.

وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ إنما قرأه على معنى: إلا أن يكون تجارة، فزعم أنه كان يلزم قارىء ذلك أن يقرأ (يكون) بالياء، وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الإعراب، وألزمه غير ما يلزمه.

ومعنى إدارتها بينهم: معاملتهم فيها يداً بيد، ثم قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [البقرة: 282] معناه: لا مضرة عليكم في ترك الكتابة، ولم يرد: الإثم عليكم، لأنه لو أراد (الإثم) لكانت الكتابة المذكورة واجبة عليهم، ويأثم صاحب الحق بتركها، وقد ثبت خلاف ذلك.

وقال أبو السعود(1): استثناء منقطع من الأمر بالكتابة، أي: لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين، تديرونها بينكم بتعاطيهما يداً بيد.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: 29].

قال ابن عباس: إلا أن يترك بعضكم على بعض في الشراء والبيع والمحاباة (عن تراضٍ).

قال أبو السعود(2): التِّجَارَةُ: رزق من رزق الله، وحلال من حلال الله، لمن طلبها بصدقها وبرها. وقد كنا نحدث أن التاجر الأمين الصدوق، مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة...

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) إرشاد العقل السليم.

وقال ابن كثير[1]: قرىء (تجارة) بالرفع والنصب، وهو استثناء منقطع، كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراضٍ من البائع والمشتري فافعلوها، وتسببوا بها في تحصيل الأموال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: 33]، وكقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56].

ومن هذه الآية الكريمة احتج الشافعي على أنه لا يصح البيع إلا بالقبول، لأنه يدل على التراضي نصاً، بخلاف المعاطاة، فإنها قد لا تدل على الرضا . . . [ثم ذكر مخالفة الجمهور في ذلك، ونقل أقوال الفقهاء في بعض شرائط البيع وأحكام المعاطاة].

وقال الألوسي[2]: وجوز أن يراد بها انتقال المال من الغير بطريق شرعي، سواء كان تجارة أو إرثاً أو هبة، أو غير ذلك من استعمل الخاص وإرادة العام.

وقيل المقصود بالنهي: المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى، وبالتجارة: صرفه فيما يرضاه، وهذا أبعد مما قبله.

● **قال تعالى**: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: 37].

قال ابن عباس: (تجارة) في الجلب، (ولا بيع) يداً بيد.

قال البغوي[3]: قيل: خص التجارة بالذكر، لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات. وأراد بالتجارة الشراء، وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً، لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً﴾ [الجمعة: 11]، يعني: الشراء.

قال الفخر الرازي[4]: اختلفوا في قوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ فقال

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) روح المعاني.
(3) معالم التنزيل.
(4) التفسير الكبير.

بعضهم: نفى كونهم تجاراً وباعة أصلاً، وقال بعضهم: بل أثبتهم تجاراً وباعة، وبيَّن أنهم مع ذلك لا يشغلهم عنها شاغل من ضروب منافع التجارات، وهذا قول الأكثرين.

قال الحسن: أما والله إن كانوا ليتجرون، ولكن إذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شيء، فقاموا بالصلاة والزكاة.

وعن سالم: نظر إلى قوم من أهل السوق، تركوا بياعاتهم وذهبوا إلى الصلاة، فقال: هم الذين قال تعالى فيهم: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ﴾، وعن ابن مسعود مثله.

واعلم أن هذا القول أولى من الأول، لأنه لا يقال: إن فلاناً لا تلهيه التجارة عن كيت وكيت إلا وهو تاجر، وإن احتمل الوجه الأول.

وقال البيضاوي(1): المراد بالتجارة: الشراء، فإنه أصلها ومبدؤها. وقيل: الجلب، لأنه الغالب فيها، ومنه قال:

تجر في كذا: إذا جلبه، وفيه إيماء بأنهم [رجال] تجار.

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10].

قال القشيري(2): سمى الإيمان والجهاد تجارة، لما في التجارة من الربح والخسران، ونوع تكسب من التاجر. وكذلك في الإيمان والجهاد ربح الجنة، وفي ذلك يجتهد العبد، وخسرانها إذا كان الأمر بالضد.

قال البغوي(3): نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، وجعل ذلك بمنزلة التجارة، لأنهم يربحون فيها رضى الله ونيل جنته، والنجاة من النار. ثم بين تلك التجارة فقال: (تؤمنون). . .

(1) أنوار التنزيل.
(2) لطائف الإشارات.
(3) معالم التنزيل.

قال الفخر الرازي[1]: هي التجارة بين أهل الإيمان وحضرة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111]، دلَّ عليه: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصَّف: 11].

والتجارة عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء، وكما أن التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر، ورحمة الصبر على ما هو من لوزامه، فكذلك هذه التجارة، وهي التصديق بالجنان، والإقرار باللسان - كما قيل في تعريف الإيمان - فلهذا قال بلفظ (التجارة).

وكما أن في التجارة الربح والخسران، فكذلك في هذا، فإن من آمن وعمل صالحاً فله الأجر والربح الوافر واليسار المبين، ومن أعرض عن العمل الصالح فله التحسر والخسران المبين.

- **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

قال ابن عباس: تجارة دحية بن خليفة الكلبي.

قال القشيري[2]: وما عند الله للعباد والزهاد - غداً - خير مما نالوه في الدنيا نقداً، وما عند الله للعارفين نقداً من واردات القلوب وبواده الحقيقية، خير مما يؤمل المستأنف في الدنيا والعقبى.

قال البيضاوي[3]: وإفراد (التجارة) برد الكناية، لأنها المقصودة. فإن المراد من اللهو: الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير. والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته، أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها، إذا كان مذموماً كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) لطائف الإشارات.
(3) أنوار التنزيل.

وقيل: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه.

● **قال تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: 16].

ذكروا في معنى ﴿ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ نحو ما تقدم في النصوص.

البواده: ما يفاجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة، وهي إما موجبات فرح أو موجبات ترح، وسادات الوقت لا تغيرهم البواده، لأنهم فوق ما يفجؤهم حالاً وقوة.

هو المريد المبتدىء الذي ما زال يفكر في الثواب الآجل والثواب العاجل.

قال الفيروزآبادي(1): وقد ذكرها الله تعالى في ستة مواضع:

الأول: تجارة غزاة المجاهدين بالروح، والنفس، والمال ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ...﴾ [الصف: 10].

الثاني: تجارة المنافقين في بيع الهدى بالضلالة ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البَقَرَة: 16]

الثالث: تجارة وقراءة القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29].

الرابع: تجارة عباد الدنيا بتضييع الأعمار، في استزادة الدرهم والدينار ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾.

الخامس: في معاملة الخلق بالبيع والشرى ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: 29].

السادس: تجارة خواص العباد بالإعراض عن كل تجارة دنيوية ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: 37].

---

(1) تفسير القرآن الفيروزآبادي.

ويقال: نصف البركة في التجارة، وقيل: نعم الشيء التجارة، ولو في الحجارة.

ويروى في الكلمات القدسية: (من تاجرني لم يخسر). وأوحي إلى بعض الأنبياء: (قل لعبيدي: تاجروني تربحوا علي، فإني خلقتكم لتربحوا علي لا لأربح عليكم).

وفي الحديث: (الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة).

جاءت (التجارة) نكرة دائماً، إلا مرة واحدة، والسر في تنكيرها أن المراد بها في الآيات الجنس ولو فرد بها.

قدمت (تجارة) على (لهو) في الأولى، لأنها كانت الهدف الأول عند من انفضوا إليها، تاركين النبي قائماً يخطب، وأخرت عن (اللهو) في الثانية، لأن سياقها الترقي من المهم إلى الأهم، كأنه قال: ما عند الله من الأجر خير من اللهو بل من التجارة.

وهذا الغرض لا يحصل إلا بتأخير (التجارة) وذلك أن الآية تدين الذين سمعوا قرع طبول القافلة التي قدمت من الشام وهي تحمل بضائع تجارية، فتركوا خطبة الجمعة، وهرعوا إليها تهافتاً على البضاعة وخف إليها جماعة لسماع اللهو، فأبدى الله ما انتووه.

تصريح بالتقابل بين هاتين التجارتين، وأن الأولى تلهي المسلم عن الثانية، حيث قال: ﴿وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: 24]، وقال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: 37]، وقال ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ [الجمعة: 11]، ونبه على ذلك إيماء في: ﴿تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطِر: 29]، وفي ﴿تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصَّف: 10] رمزاً إلى أن التجارة المالية ليست كذلك.

تحت

(تحت - أسفل - دون - القعر)

- **التَّحْتُ:** الجزء المنفصل من تحت الشيء ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المَائدة: 66].
- **الأَسْفَلُ:** الجزء المتصل من أسفل الشيء ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: 10].
- **الدُّونُ:** القاصر عن الاتصال بمن هو فوقه ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 118].
- **القَعْرُ:** التحت البعيد أو النهائي ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القَمَر: 20].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[(1)]: التاء والحاء والتاء كلمةٌ واحدةٌ، تحت الشّيء.

والتُّحُوت: الدُّونُ من النّاس.

تَحْت: إِحْدى الجهاتِ السِّتِّ المُحيطة بالجِرْمِ، تكون مَرَّةً ظرفاً، ومرَّة اسماً، وتبنى في حال الاسمية على الضم، فيقال: من تَحْتُ. وتَحْتُ نقيض فوق.

وقومٌ تُحوتٌ: أَرذالٌ سَفِلةٌ.

---

(1) مقاييس اللغة.

وفي الحديث: «**لا تقوم الساعةُ حتى تَظْهَرَ التُّحوتُ، ويَهْلِكَ الوُعُول**»؛ يعني الذين كانوا تَحْتَ أَقدام الناسِ، لا يُشعَرُ بهم ولا يُؤْبَه لهم لحقارتهم، وهم السِّفْلَةُ والأَنْذالُ؛ والوُعُولُ: الأَشْرافُ. قال ابن الأَثير: جَعَلَ التَّحتَ الذي هو ظَرْفٌ اسْماً، فأَدْخَلَ عليه لامَ التعريف، وجَمَعه؛ وقيل: أَرادَ بظهور التُّحُوتِ، ظُهُورَ الكُنوز التي تحت الأَرض؛ ومنه حديث أَبي هريرة، وذَكَرَ أَشْراطَ الساعةِ، فقال: «وإِنَّ منها أَن تَعْلُوَ التُّحُوتُ الوُعولَ» أَي: يَغْلِبَ الضُّعَفاءُ من الناس أَقْوياءَهم، شَبَّه الأَشْرافَ بالوُعُول لارْتِفاع مَساكنها.

وقال الفيروزآباديّ: تَحْت: نقيض فوق، يكون ظرفاً ويكون اسماً، ويبنى في حال اسميته على الضم، فيقال: من تحتُ.

وذكر ابن سيده: تحت: إحدى الجهات الست المحيطة بالجرم، تكون مرة ظرفاً ومرةً اسماً[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ [المَائدة: 66].

قال الزمخشري[2]: عبارة عن التوسعة. وفيه ثلاث أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة، أن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم.

وقال الفخر الرازي[3]: وفيه وجوه:

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

الأول: أن المراد منه المبالغة في شرح السعة والخصب، لا أن هناك فوقاً وتحتاً، والمعنى: لأكلوا أكلاً متصلاً كثيراً، وهو كما تقول: فلان في الخير من فرقه إلى قدمه، تريد تكاثف الخير وكثرته عنده.

الثاني: أن الأكل من فوق نزول القطر، ومن تحت الأرجل حصول النبات، كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

الثالث: الأكل من فوق كثرة الأشجار المثمرة، ومن تحت الأرجل الزروع المغلة.

والرابع: المراد أن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار، فيجتنون ما تهدل من رؤوس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم، والخامس: يشبه أن يكون هذا إشارة إلى ما جرى على اليهود من بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وإفساد زروعهم وإجلائهم عن أوطانهم.

وقال أبو السعود(1): قيل: لأكلوا من كل جهة، ومفعول (أكلوا) محذوف بقصد التعميم، أو للقصد إلى نفس الفعل كما في قوله: فلان يعطي ويمنع، و(مِنْ) في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين - من حثِّهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى والإقامةِ بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرِهم عن الإخلال به بما ذُكر ببيان إفضائِه إلى الحِرْمان عنها وتنبيههم على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جناياتهم لا لقصورٍ في فيض الفياض - ما لا يخفى.

● **وقوله تعالى**: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: 65].

قال ابن الجوزي(2): والذي من تحت أرجلهم: كما خُسف بقارون، قاله ابن

(1) إرشاد العقل السليم. (2) زاد المسير.

عباس، والسدي، ومقاتل. وقال غيرهم: ومنه الطوفان، والريح، والصيحة، والرجفة.

وقال الطبري[1]: ﴿مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ يعني: خذلان الفرج والأرجل إلى المعاصي.

● **قال تعالى**: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [العَنكبوت: 55].

قال الفخر الرازي[2]: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: لم خص الجانبين بالذكر ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام؟ فنقول لأن المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الأربع، فإن من دخلها تكون الشعلة خلفه وقدامه ويمينه ويساره وأما النار من فوق فلا تنزل وإنما تصعد من أسفل في العادة العاجلة وتحت الأقدام لا تبقى الشعلة التي تحت القدم، ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفىء بالدوس موضع القدم.

المسألة الثانية: قال: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [المَائدة: 66] ولم يقل من فوق رؤوسهم، ولا قال من فوقهم ومن تحتهم، بل ذكر المضاف إليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق، فنقول لأن نزول النار من فوق سواء كان من سمت الرؤوس وسواء كان من موضع آخر عجيب، فلهذا لم يخصه بالرأس، وأما بقاء النار تحت القدم فحسب عجيب، وإلا فمن جوانب القدم في الدنيا يكون شعل وهي تحت فذكر العجيب وهو ما تحت الأرجل حيث لم ينطق بالدوس وما فوق على الإطلاق.

قال الشعراوي[3]: وهاتان الجهتان لا تأتي منهما النار في الدنيا؛ لأن النار

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير الشعراوي.

بطبيعتها تصعد إلى أعلى، وإنْ كانت تحت القدم تنطفىء. إذن: هذا ترقٍّ في العذاب، حيث لا يقتصر على الإحاطة من جميع جهاته، إنما يأتيهم أيضاً من فوقهم ومن تحتهم. لكن قد يتجلَّد المعذَّب للعذاب، ويتماسك حتى لا تشمت فيه، وهذا يأتيه عذاب من نوع آخر، عذاب يُهينه ويُذلُّه، ويُقال له: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدّخَان: 49] لذلك وصف العذاب، بأنه: مهين، وأليم، وعظيم، وشديد.

● **وقوله تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [فُصّلَت: 29].

قال الفخر الرازي(1): وكان بعض تلامذتي ممن يميل إلى الحكمة يقول المراد باللذين يضلان الشهوة والغضب، وإليهما الإشارة في قصة الملائكة بقوله: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 30] ثم قال والمراد بقوله: ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ [فُصّلَت: 29] يعني يا ربنا أعنا حتى نجعل الشهوة والغضب تحت أقدام جوهر النفس القدسية، والمراد بكونهما تحت أقدامه كونهما مسخرين للنفس القدسية مطيعين لها، وأن لا يكونا مسؤولين عليها قاهرين لها.

● **وقوله تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البقرة: 25].

قال أبو حيان(2): أي بأمر سكانها واختيارهم، فعبر بتحتها عن قهرهم لها وجريانها على حكمهم، كما قيل في قوله تعالى، حكاية عن فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ [الزّخرُف: 51]، أي بأمري وقهري. وهذا المعنى لا يناسب إلا لو كانت التلاوة: أن لهم جنات تجري من تحتهم، فيكون نظير من تحتي إذا جعل على حذف مضاف، أي من تحت أهلها، استقام المعنى الذي ذكر أنه لا

(1) التفسير الكبير.
(2) البحر المحيط.

يناسب، إذ ليس المعنى بأمر الجنات واختيارها. وقيل: المعنى في من تحتها: من جهتها. وقد روي عن مسروق: أن أنهار الجنة تجري في غير أخاديد، وأنها تجري على سطح أرض الجنة منبسطة. وإذا صح هذا النقل، فهو أبلغ في النزهة، وأحلى في المنظر، وأبهج للنفس. فإن الماء الجاري ينبسط على وجه الأرض جوهره فيحسن اندفاعه وتكسره، وأحسن البساتين ما كانت أشجاره ملتفة وظله ضافياً وماؤه صافياً منساباً على وجه أرضه، لا سيما الجنة، حصباؤها الدر والياقوت واللؤلؤ، فتنكسر تلك المياه على ذلك الحصى، ويجلو صفاء الماء بهجة تلك الجواهر، وتسمع لذلك الماء المتكسر على تلك اليواقيت واللآلىء له خريراً.

وقال الألوسي(1): أراد سبحانه: بِـ ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ الخ لتعدي البشارة بالباء فحذف لاطراد حذف الجار مع - أنّ، وأن - بغير عوض لطولهما بالصلة، ومع غيرهما فيه خلاف مشهور، وفي المحل بعد الحذف قولان، النصب بنزع الخافض كما هو المعروف في أمثاله، والجر لأن الجار بعد الحذف قد يبقى أثره ولام الجر للاستحقاق وكيفيته مستفادة من خارج ولا استحقاق بالذات فهو بمقتضى وعد الشارع الذي لا يخلفه فضلاً وكرماً لكن بشرط الموت على الإيمان، والجنة في الأصل المرة من الجن بالفتح مصدر جنه إذا ستره، ومدار التركيب على الستر ثم سمي بها البستان الذي سترت أشجاره أرضه أو كل أرض فيها شجر ونخل فإن كرم ففردوس، وأطلقت على الأشجار نفسها ووردت في شعر الأعشى بمعنى النخل خاصة ثم نقلت وصارت حقيقة شرعية في دار الثواب إذ فيها من النعيم «مالا، ولا» مما هو مغيب الآن عنا، وجمعت جمع قلة في المشهور لقلتها عدداً كقلة أنواع العبادات ولكن في كل واحدة منها مراتب شتى ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال، وما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها سبع لم يقف على ثبوته الحفاظ، وتنوينها إما للتنويع أو للتعظيم، وتقديم

---

(1) روح المعاني.

الخبر لقرب مرجع الضمير وهو أسر للسامع، والشائع التقديم إذا كان الاسم نكرة كـ ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف: 113]. وتحت ظرف مكان لا يتصرف فيه بغير (من) كما نص عليه أبو الحسن، والضمير للجنات فإن أريد الأشجار فذاك مع ما فيه قريب في الجملة وإن أريد الأرض قيل - من تحت أشجارها - أو عاد عليها باعتبار الأشجار استخداماً ونحوه، وقيل: إن تحت بمعنى جانب كداري تحت دار فلان وضعف كالقول - من تحت أوامر أهلها - وقيل: منازلها، وإن أريد مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية - كما قيل - بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق الجنة على الكل. والوارد في الأثر الصحيح عن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود، وهذا في أرض حصباؤها الدر والياقوت أبلغ في النزهة وأحلى في المنظر وأبهج للنفس.

● **قال تعالى:** ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24].

قال الفخر الرازي[1] في الآية مسائل:

المسألة الأولى: فناداها من تحتها القراءة المشهورة فناداها وقرأ زر وعلقمة فخاطبها وفي الميم فيها قراءتان فتح الميم وهو المشهور وكسره وهو قراءة نافع وحمزة والكسائي وحفص وفي المنادي ثلاثة أوجه: الأول: أنه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير. والثاني: أنه جبريل عليه السلام وأنه كان كالقابلة للولد. والثالث: أن المنادي على القراءة بالكسر هو الملك وعلى القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم والأول أقرب لوجوه: الأول: أن قوله: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد علم قبل ذلك أن تحتها أحداً والذي علم كونه حاصلاً تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه، وأما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المنادي جبريل عليه السلام، فقد

(1) التفسير الكبير.

صح قولنا. الثاني: أن ذلك الموضع موضع اللوث والنظر إلى العورة وذلك لا يليق بالملائكة. الثالث: أن قوله فناداها فعل ولا بد وأن يكون فاعله قد تقدم ذكره ولقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيسى عليه السلام إلا أن ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ والضمير هٰهنا عائد إلى المسيح فكان حمله عليه أولى. والرابع: وهو دليل الحسن بن علي عليه السلام أن عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق فما كانت تشير إلى عيسى عليه السلام بالكلام فأما من قال المنادي هو عيسى عليه السلام فالمعنى أنه تعالى أنطقه لها حين وضعته تطييباً لقلبها وإزالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل عليه السلام من علو شأن ذلك الولد. ومن قال المنادي جبريل عليه السلام قال إنه أرسل إليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل إليها في أول الأمر ليكون ذلك تذكيراً لها بما تقدم من أصناف البشارات، وأما قوله: ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ فإن حملناه على الولد فلا سؤال وإن حملناه على الملك ففيه وجهان: الأول: أن يكونا معاً في مكان مستوٍ ويكون هناك مبدأ معين كتلك النخلة هٰهنا فكل من كان أقرب منها كان فوق وكل من كان أبعد منها كان تحت وفسر الكلبي قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزَاب: 10] بذلك وعلى هذا الوجه قال بعضهم: إنه ناداها من أقصى الوادي. والثاني: أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روي عن عكرمة أنها كانت حين ولدت على مثل رابية وفيه وجه ثالث: يحكى عن عكرمة وهو أن جبريل عليه السلام ناداها من تحت النخلة ثم على التقديرات الثلاثة يحتمل أن تكون مريم قد رأته وأنها ما رأته وليس في اللفظ ما يدل على شيء من ذلك.

تخذ

(تخذ - تناوش - تناول - غرف - قبض)

- **الأَخْذ:** حوز الشيء وتحصيله لنفسه أو لغيره. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يُوسُف: 79].
- **تَنَاوَشَ:** تناول الشيء عن الأعلا ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سَبَإ: 52].
- **تَنَاوَلَ:** حصل لنفسه على ما يصعب الحصول عليه ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: 92].
- **غَرَفَ:** أخذ بكلتا يديه ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 249].
- **قَبَضَ:** أخذ شيئاً قليلاً من كثير بقبضة يده ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: 96].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والخاء والذال كلمة واحدة، تَخِذْتُ الشّيءَ واتَّخَذْتَه.

تَخِذ الشيءَ تَخذاً وتَخْذاً؛ الأَخيرة عن كراع، واتَّخَذَه: عمله.

قال ابنُ الأَثيرِ: وليسَ من الأَخْذِ في شيءٍ، فإن الافْتِعالَ من الأَخْذِ: ائْتَخَذَ:

(1) مقاييس اللغة.

لأَنَّ فاءَهُ هَمْزَةٌ، والهمزةُ لا تُدْغَمُ في التاءِ، خلافاً لقولِ الجوهريِّ: الاتِّخاذُ: افْتِعالٌ من الأَخْذِ، إلا أنه أُدْغِمَ بَعْدَ تَلْيينِ الهمزةِ، وإبدالِ الياءِ تاءً، ثم لمَّا كثُرَ اسْتِعمالُهُ بلفظِ الافْتِعالِ تَوَهَّمُوا أصالَةَ التاءِ، فَبَنَوْا منه فَعِلَ يَفْعَلُ، وأهلُ العَرَبيَّةِ على خِلافِهِ[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف: 50].

قال الزمخشري[2]: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه.

● **وقوله تعالى:** ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا﴾ [البَقَرَة: 80].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ ليس باستفهام، بل هو إنكار لأنه لا يجوز أن يجعل تعالى حجة رسوله في إبطال قولهم أن يستفهمهم، بل المراد التنبيه على طريقة الاستدلال وهي أنه لا سبيل إلى معرفة هذا التقدير إلا بالسمع، فلما لم يوجد الدليل السمعي وجب ألا يجوز الجزم بهذا التقدير.

وقال أبو السعود[4]: ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ بإسقاط الهمزةِ المجتَلَبة لوقوعها في الدَّرْج وبإظهار الذال وقرىء بإدغامها في التاء.

● **وقال تعالى:** ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البَقَرَة: 125].

قال الفخر الرازي[5]: والتقدير أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس

---

(1) اللسان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم
(5) التفسير الكبير.

وأمناً فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم، والواو والفاء قد يذكر كل واحد منهما في هذا الوضع وإن كانت الفاء أوضح، أما من قرأ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ بالفتح فهو إخبار عن ولد إبراهيم أنهم اتخذوا من مقامه مصلى، فيكون هذا عطفاً على: ﴿جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ واتخذوه مصلى، ويجوز أن يكون عطفاً على: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ وإذ اتخذوه مصلى.

● **قــال تــعــالــى:** ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [المُمتَحنَة: 1].

قال القرطبي[1]: فاتخذ يتعدى إلى مفعولين، وهما عدوي وأولياء، والعدو فعول من عدا، كعفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد، والعداوة ضد الصداقة، وهما لا يجتمعان في محل واحد، في زمان واحد، من جهة واحدة، لكنهما يرتفعان في مادة الإمكان.

● **قال تعالى:** ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77].

قال أبو حيان[2]: وإن لم يكن سؤالاً ففي ضمنه الإنكار لفعله، والقول بتصويب أخذ الأجر وفي ذلك تخطئة ترك الأجر انتهى. وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وابن بحرية ولتخذت بتاء مفتوحة وخاء مكسورة، يقال: تخذ واتخذ نحو تبع واتبع، افتعل من تخذ وأدغم التاء في التاء.

والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ، وزعم بعضهم أن الاتخاذ افتعال من الأخذ وأنهم ظنوا التاء أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ كما قالوا تقي من اتقى.

وقال الألوسي[3]: واتَّخَذَ: افتعل فالتاء الأولى أصلية والثانية تاء الافتعال أدغمت فيها الأولى ومادته تَخَذَ لا أخذ وإن كان بمعناه لأن فاء الكلمة لا تبدل إذا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) البحر المحيط.
(3) روح المعاني.

كانت همزة أو ياء مبدلة منها، ولذا قيل إن ايتزر خطأ أو شاذ وهذا شائع في فصيح الكلام، وأيضاً إبدالها في الافتعال لو سلم لم يكن لقولهم تخذ وجه وهذا مذهب البصريين، وقال غيرهم: إنه الاتخاذ افتعال من الأخذ ولا يسلم ما تقدم، ويقول: المدة العارضة تبدل تاء أيضاً، ولكثرة استعماله هنا أجروه مجرى الأصلي وقالوا تَخَذَ ثلاثياً جرياً عليه وهذا كما قالوا: تقى من اتقى.

وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وأبو بحرية وابن محيصن وحميد واليزيدي ويعقوب وأبو حاتم وابن كثير وأبو عمرو ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ بتاء مفتوحة وخاء مكسورة أي لأخذت، وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمها باقي السبعة.

ترب

(تراب - طين - ثرى - صعيد - حقف)

■ **التُّرَابُ:** وجه الأرض الهش الصالح للزراعة ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20].

■ **الطِّينُ:** التراب مع الماء، الطين اللازج شديد الجمود والقوة، والطين الصلصال الجاف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

■ **الثَّرَى:** التراب المشتمل على الشيء النفيس من معادن ونحوهما ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].

■ **الصَّعِيدُ:** التراب الطاهر ذو الغبار ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: 43].

■ **الحَقْفُ:** التراب المتلبد المائل في سفوح التلال ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): التاء والراء والباء أصلان: أحدهما التّراب وما يشتقّ منه، والآخر تساوي الشّيئين. فالأول التُّراب، وهو التَّيْربُ والتَّوْرَاب.

ويقال: تَرِبَ الرجل: إذا افتقَرَ كأنّه لصِق بالتُّراب، وأتْربَ: إذا استَغْنى، كأنّه

---

(1) مقاييس اللغة.

صار له من المال بقَدْرِ التُّراب، والتَّرباء: الأرضُ نفسها. ويقال ريحٌ تَرِبَةٌ: إذا جاءَت بالتُّراب.

وأمّا الآخر فالتِّرب: الخِدْن، والجمع أترابٌ.

ومنه التَّرِيب: وهو الصَّدر عند تساوي رؤوس العظام.

قال: ومنه التَّرِبات: وهي الأنامل، الواحدة تَرِبة. ومما شذَّ عن الباب التّربة وهو نبت.

وقال الخليل[1]: التُّراب والتُّرب واحد، وإذا أنّثوا قالوا: تُرْبَة. وأرض طَيّبَةُ التُّربة أي: خلقة ترابها، فإذا أردت طاقة واحدةً، قلت تُرابة واحدة، ولا تدرك بالبصر إلا بالتوهم.

وقال الفراء: التّراب جنس، لا يثنى ولا يجمع، وينسب إليه تُرابي.

قال ابن دريد: والتربة ضرب من النبت، والتّربة مجال القلادة على الصدر، والجمع الترائب والتُراب: اللّدة الذي ينشأ معك، والجمع: أتراب[2].

المعنى المشترك لكلمة (ت ر ب)

وقد وردت كلمة (ترب) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: التراب: يعني الرميم ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ **[الرّعد: 5]**.

الوجه الثاني: الأتراب: يعني الأشكال ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ **[الواقِعَة: 37]**.

الوجه الثالث: الترائب: يعني الضلوع من الصدر ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ **[الطّارق: 7]**.

الوجه الرابع: التراب: يعني البهائم ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ **[النّبَإِ: 40]**.

---

(1) العين.

(2) اللسان، معجم فقه اللغة.

الوجه الخامس: التراب: يعني الصعيد ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

قال أبو حيان[1]: إما أن يراد خلق أصلك ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عِمرَان: 59] وهو آدم عليه السلام وخلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له، أو أريد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب، فنبهه أولاً على ما تولد منه ماء أبيه ثم ثانية على النطفة التي هي ماء أبيه. وأما ما نقل من أن ملَكاً وكلّ بالنطفة يلقي فيها قليلاً من تراب قبل دخولها في الرحم فيحتاج إلى صحة نقل.

وقال أبو السعود[2]: أي في ضمن خلقِ أصلِك ﴿مِن تُرَابٍ﴾ فإن خلْقَ آدمَ عليه السلام منه متضمّنٌ لخلقه منه لِما أن خلقَ كل فردٍ من أفراد البشر له حظٌّ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرتُه الشريفةُ مقصورةً على نفسه، بل كانت أُنموذجاً منطوياً على فطرة سائرِ أفرادِ الجنسِ انطواءً إجمالياً مستتبِعاً لجريان آثارِها على الكل، فكان خلْقُه عليه السلام من التراب خَلْقاً للكل منه، وقيل: خلقَك منه لأنه أصلُ مادتِك إذ به يحصُل الغذاءُ الذي منه تحصل النطفةُ فتدبر ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ هي مادتُك القريبة فالمخلوقُ واحدٌ والمبدأُ متعددٌ.

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن

(1) البحر المحيط.
(2) إرشاد العقل السليم.

﴿تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحَجّ: 5].

قال الفخر الرازي(1): وفيه وجهان: أحدهما: إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب، لقوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59] وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [طه: 55].

والثاني: أن خلقة الإنسان من المني ودم الطمث وهما إنما يتولدان من الأغذية، والأغذية إما حيوان أو نبات وغذاء الحيوان ينتهي قطعاً للتسلسل إلى النبات، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء، فصح قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ المرتبة الثانية: قوله: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: 37] والنطفة اسم للماء القليل أي ماء كان، وهو هٰهنا ماء الفحل فكأنه سبحانه يقول: أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس ماء لطيفاً، مع أنه لا مناسبة بينهما ألبتة.

● **وقال تعالى**: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم: 20].

قال الفخر الرازي(2): وهي أن الله خلق آدم من تراب وخلقنا منه فكيف قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما: ما قيل إن المراد من قوله: ﴿خَلَقَكُم﴾ أنه خلق أصلكم والثاني: أن نقول: إن كل بشر مخلوق من التراب، أما آدم فظاهر، وأما نحن فلأنا خلقنا من نطفة والنطفة من صالح الغذاء الذي هو بالقوة بعض من الأعضاء، والغذاء إما من لحوم الحيوانات وألبانها وأسمانها، وإما من النبات. والحيوان أيضاً له غذاء هو النبات لكن النبات من التراب، فإن الحبة من الحنطة والنواة من الثمرة لا تصير شجرة إلا بالتراب وينضم إليها أجزاء مائية ليصير ذلك النبات. المسألة الثانية: قال تعالى في موضع آخر:

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير الكبير.

﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ [الفُرقان: 54] وقال: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20] وهٰهنا قال من: ﴿تُرَابٍ﴾ فكيف الجمع؟ قلنا أما على الجواب الأول: فالسؤال زائل، فإن المراد منه آدم، وأما على الثاني: فنقول هٰهنا قال ما هو أصل أول، وفي ذلك الموضع قال ما هو أصل ثانٍ لأن ذلك التراب الذي صار غذاء يصير مائعاً وهو المني، ثم ينعقد ويتكون بخلق الله منه إنساناً أو نقول الإنسان له أصلان ظاهران الماء والتراب فإن التراب لا ينبت إلا بالماء ففي النبات الذي هو أصل غذاء الإنسان تراب وماء فإن جعل التراب أصلاً والماء لجمع أجزائه المتفتتة فالأمر كذلك وإن جعل الأصل هو الماء والتراب لتثبيت أجزائه الرطبة من السيلان فالأمر كذلك، فإن قال قائل الله تعالى يعلم كل شيء فهو يعلم أن الأصل ماذا هو منهما، وإنما الأمر عندنا مشتبه يجوز هذا وذاك، فإن كان الأصل هو التراب فكيف قال: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ [الفُرقان: 54] وإن كان الماء فكيف قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20] وإن كانا هما أصلين فلم لم يقل خلقكم منهما فنقول فيه لطيفة، وهي أن كون التراب أصلاً والماء أصلاً والماء ليس لذاتيهما، وإنما هو يجعل الله تعالى فإن الله نظراً إلى قدرته كان له أن يخلق أول ما يخلق الإنسان ثم يفنيه ويحصل منه التراب ثم يذوبه ويحصل منه الماء، لكن الحكمة اقتضت أن يكون الناقص وسيلة إلى الكامل لا الكامل يكون وسيلة إلى الناقص فخلق التراب والماء أولاً، وجعلهما أصلين لمن هو أكمل منهما بل للذي هو أكمل من كل كائن وهو الإنسان، فإن كان كونهما أصلين ليس أمراً ذاتياً لهما بل بجعل جاعل فتارة جعل الأصل التراب وتارة الماء ليعلم أنه بإرادته واختياره، فإن شاء جعل هذا أصلاً وإن شاء جعل ذلك أصلاً، وإن شاء جعلهما أصلين. بحيث يغذو.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النَّبإ: 40].

قال القرطبي[1]: قال قوم: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: أي: لم أبعث، كما قال:

(1) الجامع لأحكام القرآن.

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحَاقَّة: 25] وقال أبو الزّناد: إذا قُضِي بين الناس، وأُمِر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهلِ النار إلى النار، قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجنّ: عودُوا تراباً، فيعودن تراباً، فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾. وقال ليث بن أبي سليم: مؤمنو الجنّ يعودون تراباً. وقال عمر بن عبد العزيز والزهريّ والكلبيّ ومجاهد: مؤمنو الجنةِ حول الجنة في رَبِضٍ ورِحاب وليسوا فيها. وهذا أصح، وقد مضى في سورة «الرحمٰن» بيان هذا، وأنهم مكلَّفون: يُثابون ويعاقبون، فهم كبني آدم، والله أعلم بالصواب.

وقال أبو السعود[1]: ظاهرٌ وضعَ موضعَ الضميرِ لزيادةِ الذمِّ قيلَ: معنى تمنيهِ ليتني كنتُ تراباً في الدُّنيا فلم أُخلقْ ولم أُكلَّف أو ليتني كنتُ تُراباً في هذا اليومِ فلم أُبعثْ؛ وقيلَ: يحشرُ الله تعالى الحيوانَ فيقتصُّ للجمَّاءِ من القرناءِ ثم يردُّه تراباً فيودُّ الكافرُ حالَه وقيلَ: الكافرُ إبليسُ يَرَى آدمَ وولدَهُ وثوابَهُم فيتمنَّى أنْ يكونَ الشيءَ الذي احتقرَهُ حينَ قالَ: خلقتني من نارٍ وخلقتَهُ من طينٍ.

● **قال تعالى**: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ [الواقِعَة: 37].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿أَتۡرَابٗا﴾ يحتمل وجوهاً أحدها: مستويات في السن فلا تفضل إحداهن على الأخرى بصغر ولا كبر كلهن خلقن في زمان واحد، ولا يلحقهن عجز ولا زمانة ولا تغير لون، وعلى هذا إن كن من بنات آدم فاللفظ فيهن حقيقة، وإن كن من غيرهن فمعناه ما كبرن سمين به لأن كلاً منهن تمس وقت مس الأخرى لكن نسي الأصل، وجعل عبارة عن ذلك كاللذة للمتساويين من العقلاء، فأطلق على حور الجنة أتراباً، ثانيها: أتراباً متماثلات في النظر إليهن كالأتراب سواء وجدن في زمان أو في أزمنة، والظاهر أنه في أزمنة لأن المؤمن إذا عمل عملاً صالحاً خلق له منهن ما شاء الله، ثالثها: أتراباً لأصحاب اليمين، أي على سنهم، وفيه إشارة إلى الاتفاق، لأن أحد الزوجين إذا كان أكبر من الآخر فالشاب يعيره.

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) التفسير الكبير.

قال القشيري[1]: ﴿أَتْرَابًا﴾: جمع تِرْب، أي: هُنَّ على سِنٍّ واحدة.

وقال ابن عاشور[2]: والأَتراب: جمع تِرْب بكسر المثناة الفوقية وسكون الراء وهي المرأة التي ساوى سنها سنّ من تضاف هي إليه من النساء، وقد قيل: إن الترب خاص بالمرأة، وأما المساوي في السن من الرجال فيقال له: قرن ولدة.

فالمعنى: أنهن جُعلن في سن متساوية لا تفاوت بينهن، أي هن في سن الشباب المستوي فتكون محاسنهن غير متفاوتة في جميع جهات الحُسن، وعلى هذا فنساء الجنة هن الموصوفات بأنهن «أتراب» بعضهن لبعض.

● **قال تعالى**: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطّارق: 7].

قال ابن كثير[3]: يعني: صلب الرجل، وترائب المرأة، وهو صدرها. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ صلب الرجل، وترائب المرأة، أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة عن مسعر، سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: هذه الترائب، ووضع يده على صدره.

قال الألوسي[4]: ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ أي: ومن بين ترائب كل امرأة أي: عظام صدرها جمع تريبة، وفسرت أيضاً بموضع القلادة من الصدور. وروي عن ابن عباس وهو لكل امرأة واحد إلا أنه يجمع.

وحمل الآية على ما ذكر مروي عن سفيان وقتادة إلا أنهما قالا: أي يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة وظاهره كالآية أن أحد الطرفين للبينية الصلب والآخر الترائب وهو غير ما قلناه وعليه قيل هو كقولك يخرج من بين زيد وعمرو

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) التحرير والتنوير.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) روح المعاني.

خير كثير على معنى أنهما سببان فيه. وقيل إن ذلك باعتبار أن الرجل والمرأة يصيران كالشيء الواحد فكان الصلب والترائب لشخص واحد فلا تغفل. ثم إن ما تقدم مبني إما على أن الترائب مخصوصة بالمرأة كما هو ظاهر كلام غير واحد وإما على حمل تعريفها على العهد.

وقال الحسن وروي عن قتادة أيضاً أن المعنى: يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما ولم يفسر الترائب، فقيل: عظام الصدر، وقيل: ما بين الثديين، وقيل: ما بين المنكبين والصدر، وقيل: التراقي، وقيل: أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته، وعن ابن جبير الأضلاع التي هي أسفل الصلب، وحكى مكي عن ابن عباس أنها أطراف المرء رجلاه ويداه وعيناه والأشهر أنها عظام الصدر وموضع القلادة منه، وطعن في ذلك على ما قال الإمام بعض الملاحدة خذلهم الله تعالى بأن المني إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل من جميع أجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية مستعداً لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء، وإن كان المراد أن معظم أجزاء المني تتولد في ذينك الموضعين فهو ضعيف لأن معظمه إنما يتولد في الدماغ، ألا ترى أنه في صورته يشبه الدماغ والمكثر منه يظهر الضعف أولاً في دماغه وعينيه، وإن كان المراد أن مستقره هناك فهو ضعيف أيضاً لأن مستقره عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين وتسمى أوعية المني، وإن كان المراد أن مخرجه هناك فهو أيضاً كذلك لأن الحس يدل على خلافه. وأجاب رحمه الله تعالى بأنه لا شك أن أعظم الأعضاء معونة في توليد المني الدماغ وخليفته النخاع في الصلب وشعب نازلة إلى مقدم البدن وهي التريبة فلذا خصا بالذكر، على أن كلامهم في أمر المني وتولده محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو المقبول والمعول عليه.

● **قال تعالى**: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البَلَد: 16].

قال الطبري(1): اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فقال بعضهم: عُنِي بذلك: ذو اللصوق بالتراب. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: الذي ليس له مأوى إلا التراب.

وعن ابن عباس، قال: المُلقى في الطريق الذي ليس له بيت إلا التراب.

وقال آخرون: بل هو المحتاج، كان لاصقاً بالتراب، أو غير لاصق وقالوا: إنما هو من قولهم: تَرِب الرجل: إذا افتقر. ذكر من قال ذلك:

عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البَلَد: 16] يقول: شديد الحاجة.

وقال ابن عاشور(2): ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ صفة لمسكين جعلت المتربة علامة على الاحتياج بحسب العرف. والمَتربة مصدر بوزن مفْعَلة أيضاً وفعِله تَرِب يقال: ترب، إذا نام على التراب أي لم يكن له ما يفترشه على الأرض، وهو في الأصل كناية عن العُروِّ من الثياب التي تحول بين الجسد والأرض عند الجلوس والاضطجاع وقريب منه قولهم في الدعاء: تَرِبت يمينك: وتربَت يداك.

ترث

(تَرَثَ - فاز - كسب)

■ **التُّراث:** المال الموروث ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: 19].

■ **الفَوْز:** انتقال الملك من جهة إلى أخرى بالجدارة مع غاية السلامة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185].

■ **الكَسْب:** ما يتحراه الإنسان من نفع نفسه ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: 267].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الواو والراء والثاء: كلمةٌ واحدة، هي الوِرْث.

والميراث والتراث أصله الواو.

قال ابن الأعرابي: الوِرْثُ والوَرْثُ والإِرْثُ والوِرَاثُ والإِرَاثُ والتُّراثُ واحد.

قال الجوهري: المِيراثُ أَصله مِوْراثٌ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، والتُّراثُ أَصل التاء فيه واو.

قال ابن سيده: والوِرْثُ والإِرْثُ والتُّرَاثُ والمِيراثُ: ما وُرِثَ؛ وقيل: الوِرْث والميراثُ في المال، والإِرْثُ في الحسَب.

(1) مقاييس اللغة.

وقال بعضهم: وَرِثْتُهُ ميراثاً؛ قال ابن سيده: وهذا خطأٌ لأَنَّ مِفْعَالاً ليس من أَبنية المصادر[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: 19].

قال ابن عاشور[2]: ﴿ٱلتُّرَاثَ﴾: المال الموروث، أي: الذي يُخلفه الرجل بعد موته لوارثه وأصله: وُرَاث بواو في أوله بوزن فُعال من مادة وَرث بمعنى مفعول مثل الدُّقاق، والحُطام، أبدلت واوه تاء على غير قياس كما فعلوا في تُجاه، وتُخَمة، وتُهْمة، وتُقَاةٍ وأشباهها.

وتعريف التراث عوض عن المضاف إليه، أي: تراث اليتامى، وكذلك كان أهل الجاهلية يمنعون النساء والصبيان من أموال مورثيهم.

قال البغوي[3]: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾، أي: الميراث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، شديداً وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يُورِّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم.

قال الزمخشري[4]: أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم. وقيل كانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون تراثهم مع تراثهم. وقيل: يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة، وهو عالم بذلك فيَلُمُّ في الأكل بين حلاله وحرامه. ويجوز أن يذمّ الوارث الذي ظفر بالمال سهلاً مهلاً، من غير أن يعرق فيه جبينه، فيسرف في إنفاقه، ويأكله أكلا واسعاً جامعاً بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه، كما يفعل الورّاث البطالون.

---

(1) اللسان، الصحاح، معجم فقه اللغة.
(2) التحرير والتنوير.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

قال أبو حيان[1]: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾، كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد، فيأكلون نصيبهم ويقولون: لا يأخذ الميراث إلا من يقاتل ويحمي الحوزة، والتراث تاؤه بدل من واو، كالتكلة والتخمة من توكلت ووخمت. وقيل: كانوا يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهم عالمون بذلك يجمعون بين الحلال والحرام ويسرفون في إنفاق ما ورثوه لأنهم ما تعبوا في تحصيله، كما شاهدنا الورّاث البطالين.

قال البيضاوي[2]: الميراث وأصله: وراث. ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ذا لَمٍّ أي: جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك.

---

(1) البحر المحيط. (2) أنوار التنزيل.

ترف

(ترف - رغد - غنى)

■ **التَّرَفُ:** التوسعة في العيش ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: 33].

■ **الرَّغَدُ:** تحصيل الترف من غير معناه ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النّحل: 112].

■ **الغِنَى:** عدم الحاجة للشيء عن قدرة ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضّحى: 8].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): التاء والراء والفاء كلمة واحدة، وهي التُّرْفَة. يقال: رجلٌ مُترفٌ مُنَعَّمٌ، وتَرَّفَهُ أهلُه: إذا نعّموه بالطَّعام الطّيِّب والشيء يُخَصُّ به.

وقال الخليل(2): التَّرَف: تنعيم الغذاء، وصبي مُتْرَفٌ.

والمُتْرَفُ: الموسع عليه عيشه، والقليل فيه همه وأَتْرَفَه الله.

وقال ابن دريد(3): التُّرْفَةُ: الطعام الطيب أو الشيء الطريف يخص بها الرجل صاحبه.

وقال ابن عرفة: المُتْرَفُ: المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه، وإنما قيل للمتنعم: مُتْرَفٌ لأنه مطلق له لا يمنع من تنعمه.

---

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.

قال ابن سيده: التَّرَف: التنعّم. والتَّتْريف: حسن الغذاء، ورجل مُتْرَفٌ: موسع عليه(1).

قال الراغب(2): التَّرَفُّه: التوسع في النعمة، يقال: أَتْرَفَ فلان فهو مُتْرَفٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: 33].

قال الألوسي(3): أي: نعمناهم ووسعنا عليهم فيها على الصلة فيكون صفة معنى للموصوف بالموصول والمتعارف إنما هو وصف الأشراف بالمترفين دون غيرهم وكذا الحال إذا لم يعطف وجعل حالاً من ضمير ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ وأنت تعلم أنا لا نسلم أن المتعارف إنما هو وصف الأشراف بالمترفين ولئن سلمنا فوصفهم بذلك قد يبقى مع جعل الموصول صفة لقومه بأن يجعل جملة ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ حالاً من ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ بدون تقدير قد أو بتقديرها أي: قال الملأ في حق رسولنا «مَا هَاذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» الخ في حال إحساننا عليهم.

نعم الظاهر لفظاً عطف جملة ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ على جملة الصلة، والأبلغ معنى جعلها حالاً من الضمير لإفادته الإساءة إلى من أحسن وهو أقوى في الذم.

● **وقال تعالى**: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هُود: 116].

قال الطبري(4): وكأن هؤلاء وجهوا تأويل الكلام: واتبعوا الذين ظلموا

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.

الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها، إيثاراً له على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك وعتوا عن أمر الله.

عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ [هُود: 116] قال: في ملكهم وتجبرهم، وتركوا الحقّ.

وعن مجاهد، نحوه، إلا أنه قال: وتركهم الحقّ.

عن ابن جريج، عن مجاهد، مثل حديث محمد بن عمرو سواء. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذّات الدنيا فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدّوا عن سبيله وذلك أن المترف في كلام العرب: هو المنعم الذي قد غَذّى باللذات.

وقال أبو السعود[1]: أي: أُنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها، وأما المباشرون فظاهرٌ وأما المساهلون فلِما لهم في ذلك من نيل حظوظِهم الفاسدة.

وقيل: المرادُ بهم تاركو النهي، وأنت خبيرٌ بأنه يلزم منه عدمُ دخولِ مباشري الفسادِ في الظلم والإجرام عبارةً.

وقال النسفي[2]: أي أتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم.

● **وقوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 13].**

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) مدارك التنزيل.

قال الفخر الرازي[1]: أي من العيش والرفاهية والحال الناعمة، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه، أما قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 13] فهو تهكم بهم وتوبيخ، ثم فيه وجوه: أحدها: أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.

قال ابن الجوزي[2]: أي: إلى نعَمكم التي أترفتْكم، وهذا توبيخ لهم.

وذكر القرطبي[3]: أي: إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم، والمُتْرَفَ المتنعم؛ يقال: أُترف على فلان أي: وُسّع عليه في معاشه. وإنما أترفهم الله ﷻ كما قال: ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: 33].

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ [سَبَإ: 34].

تسلية لرسول الله ﷺ مما مني به من قومه، وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعي المعظم إليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها، ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب.

وقال ابن عطية[4]: و«المترف» المنعم البطال الغني القليل تعب النفس والجسم فعادتهم المبادرة بالتكذيب.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقِعَة: 45].

قال الفخر الرازي[5]: جعل السبب كونهم مترفين وليس كل من هو من أصحاب الشمال يكون مُتْرَفاً فإن فيهم من يكون فقيراً؟ نقول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقِعَة: 45] ليس بذم، فإن المترف هو الذي جُعِل ذا تَرَفٍ

(1) التفسير الكبير.
(2) زاد المسير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) المحرر الوجيز.
(5) التفسير الكبير.

أي: نعمة، فظاهر ذلك لا يوجب ذماً، لكن ذلك يبين قبح ما ذكر عنهم بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾ [الواقِعَة: 46] لأن صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح فقال: إنهم كانوا مترفين، ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب وعلى هذا فنقول: النعم التي تقتضي شكر الله وعبادته في كل أحد كثيرة فإن الخلق والرزق وما يحتاج إليه وتتوقف مصالحه عليه حاصل للكل، غاية ما في الباب أن حال الناس في الإتراف متقارب، فيقال في حق البعض بالنسبة إلى بعض: إنه في ضر، ولو حمل نفسه على القناعة لكان أغنى الأغنياء وكيف لا والإنسان إذا نظر إلى حاله يجدها مفتقرة إلى مسكن يأوي إليه ولباس الحر والبرد وما يسد جوعه من المأكول والمشروب، وغير هذا من الفضلات التي يحمل عليها شح النفس، ثم إن أحداً لا يغلب عن تحصيل مسكن باشتراء أو اكتراء، فإن لم يكن فليس هو أعجز من الحشرات، لا تفقد مدخلاً أو مغارة، وأما اللباس فلو اقتنع بما يدفع الضرورة كان يكفيه في عمره لباس واحد، كلما تمزق منه موضع يرقعه من أي شيء كان، بقي أمر المأكول والمشروب، فإذا نظر الناظر يجد كل أحد في جميع الأحوال غير مغلوب عن كسرة خبز وشربة ماء، غير أن طلب الغنى يورث الفقر فيريد الإنسان بيتاً مزخرفاً ولباساً فاخراً ومأكولاً طيباً، وغير ذلك من أنواع الدواب والثياب، فيفتقر إلى أن يحمل المشاق، وطلب الغنى يورث فقره، وارتياد الارتفاع يحط قدره، وبالجملة شهوة بطنه وفرجه تكسر ظهره على أننا نقول في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقِعَة: 45] لا شك أن أهل القبور لما فقدوا الأيدي الباطشة، والأعين الباصرة، وبان لهم الحقائق، علموا أنهم كانوا قبل ذلك مترفين بالنسبة إلى تلك الحالة.

ترق

(ترق - حلقوم)

■ **تَرْق:** بالفتح: العظم الذي بين ثغرة - بالضم - النحر والعاتق ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [القيامة: 26-27].

■ **الحُلْقُوم:** مجرى الطعام، الحلق قبل الترقوة ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقِعَة: 83].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والراء والقاف ليس فيه شيءٌ غير التَّرْقُوَة.

قال الخليل[2]: وهو عظمٌ وصَلَ ما بين ثُغْرة النَّحْرِ والعاتق.

وقال الفراء: التَّرَاقي: جمع تَرْقُوة وهي (فعْلوة) وليست (تفعْلة) إذ ليس في الكلام (رقو).

قال الأزهري[3]: (التَّرْقُوة) جمعها : التَّرَاقي، وقد تَرْقَيْتَ فلاناً: إذا أصبت ترقوتَه.

---

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) اللسان، معجم فقه اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القِيَامَة: 26].

قال أبو السعود(1): أيْ: بلغتْ النفسُ أعاليَ الصَّدرِ وهيَ العظامُ المكتنفةُ لثغرِه والنَّحرِ عنْ يمينٍ وشمالٍ.

وقال الطنطاوي(2): أي: حتى إذا بلغت روح الإنسان التراقي، وأوشكت أن تفارق صاحبها.. وجد كل إنسان ثمار عمله الذي عمله في دنياه، وانكشفت له حقيقة عاقبته.

والمقصود من الآية الكريمة وما بعدها: الزجر عن إيثار العاجلة على الآجلة. فكأنه - تعالى - يقول: احذروا - أيها الناس - ذلك قبل أن يفاجئكم الموت، وقبل أن تبلغ أرواحكم نهايتها، وتنقطع عند ذلك آمالكم.

قال القرطبي(3): أي: بلغت النفس أو الروح التراقي؛ فأخبر عما لم يجر له ذكر، لعلم المخاطب به؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [صۤ: 32]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [الواقِعَة: 83] وقد تقدّم. وقيل: «كَلاًّ» معناه حقاً؛ أي: حقًّا أن المساق إلى الله ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القِيَامَة: 26] أي: إذا ارتقت النفس إلى التراقي. وكان ابن عباس يقول: إذا بلغت نفس الكافر التراقي.

والتراقي جمع تَرْقُوة: وهي العظام المكتنفة لنُقْرة النَّحر، وهو مقدّم الحلق من أعلى الصدر، موضع الحَشْرجة.

وقد يكنى عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي، والمقصود تذكيرهم شدّة الحال عند نزول الموت.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الوسيط في تفسير القرآن.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال الزمخشري[1]: العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها: وقال حاضروا صاحبها - وهو المحتضر - بعضهم لبعض.

قال البيضاوي[2]: إذا بلغت النفس أعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها.

(1) الكشاف. (2) أنوار التنزيل.

ترك

(ترك - ذر - اجتنب - نبذ - زهد)

- **التَّرْكُ:** مفارقة ما يكون الإنسان فيه، أو رغبة عنه من غير دخول فيه ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدّخان: 25].
- **الذَّرُّ:** ترك الشيء يقذفه ترفاً ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110].
- **الاجْتِنَابُ:** ترك الشيء لشدة سوئه ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحجّ: 30].
- **النَّبْذُ:** ترك الشيء مع شدة البغضاء له لخسته ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القَصَص: 40].
- **الزُّهْدُ:** عدم الحرص على الشيء ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يُوسُف: 20].

* * *

شرح المعاني:

اترك أو الترك: التخلي عن شيء بلا عودة مطلقة ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدّخان: 24] وهو ترك نهائي ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدّخان: 25] ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [النِّساء: 9] ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: 37] سورة يوسف بمعنى أن سيدنا يوسف تركه القوم بلا رجعة، ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: 264] بمعنى أن هذا العمل ليس له أجر في الآخرة فالرياء يُحبط العمل، ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن

﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥﴾ [الدخان: 24-25] ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: 9] ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: 37] ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: 264] لعلي أعمل صالحاً فيما تركت من خوفه وفزعه يعلم أنه لن يعود لما ترك لكنها كلمة هو قائلها ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ بمعنى تركوك بلا عودة وقصتها أن النبي ﷺ كان يخطب فتركه قومه ولم يعودوا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القِيَامَة: 36] للتخلي بلا عودة إطلاقاً، ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعَام: 94].

دَعْ: هناك أولويات تأتي بعدها واو عطف بمعنى دع أمراً والتفت لغيره مما هو أهم منه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزَاب: 48] بمعنى ترك مؤقت لشيء هو أولى من هذا الأمر، والأذى هنا هو كل ما يُعكّر النفس والمزاج. تدع الشيء لحساب شيء أهمّ ولا يمنع من العودة إليه بعد أن تتم الشيء المهم مثال: دع الكسل وصلِّ.

ذَرْ: التخلي عن شيء لتفاهته ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البَقَرَة: 278]. والذَّرُّ مأخوذ من الوذر بمعنى الشيء التافه. والوذر لغة هي القطعة التي تقطع في عملية الختان وهي ترمز إلى تفاهة الشيء: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعرَاف: 180] ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة: 20-21] استهتاراً واستهانة بها. ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نُوح: 26]، ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: 11] للاستهانة بهم فالكافر أهون على الله تعالى من الحجر، ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91] الدعوة لله للكافرين والعلم للمؤمنين لذا ينبغي الحِلم مع المؤمن ولا ينبغي مع الكافر، ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعَام: 120] اللواط والزنا وإتيان الحائض أو إتيان المرأة من دُبُرها، ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجُمُعَة: 9] أي: ربح وتجارة ونحوها فهو تافه إذا ما قورن بصلاة الجمعة ويقتضي الذر، ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدَّثِّر: 11] آية نزلت في الوليد بن المغيرة بمعنى: اتركني معه وانشغل بغيره لتفاهته.

تَوَلَّى: ذهب بسرعة ومنها: وَلَّى دبره ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القَصَص: 24] في قصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب سقى لهما أولاً ثم ذهب بسرعة لأدبه وحيائه، ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ [الصَّافات: 90] بمعنى: هربوا وتخلوا عنه.

أَعْرِضْ: والإعراض هو التخلي عن الشيء لقبحه ترفعاً عنه ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ﴾ [يُوسُف: 29] باشمئزاز وتكبّر. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: 57] والإعراض هنا تأتي بمعنى التحدي واحتقار الحُرمة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طـــه: 124]، ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآۗ﴾ [النِّساء: 16] وهنا تنبيه بعدم التعرّض للتائب بعد توبته والترفّع عن التعيير.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والراء والكاف: التَّرْكُ: التخلية عن الشيء، وهو قياسُ الباب، ولذلك تسمّى البَيْضَةُ بالعَراءِ: تَرِيكَةٌ.

قال الخليل[2]: التَّرْكُ: ودعك الشيء تتركه، والإتْرَاك: الافتعال. والتَّرْكُ: الجعل في بعض الكلام، تقول: تَرَكْتُ الحبل شديداً، أي: جعلته.

قال ابن الأعرابي: تَرَكَ الرجل: إذا تزوج بالتريكة: وهي العانس في بيت أبويها.

قال الصاحب: والتَّرِيكَةُ والتِّرْكَة: بيت الأنعام المنفردة، وهي من النساء: التي تُترك فلا تتزوج.

وقال الزمخشري[3]: تَرَكَه تَرْكَ ظبي ظلّه. وتَرَكَ فلان مالاً وعيالاً، وأخرجوا الثلث من تِرْكَتِه.

---

(1) مقاييس اللغة.

(2) العين، اللسان.

(3) أساس البلاغة.

قال الراغب[1]: تَرْكُ الشيء: رفضُه قصداً واختياراً أو قهراً واضطراراً فمن الأول: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 99].

ومن الثاني: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ﴾ [الدّخَان: 25] ومنه: تِرْكَةُ فلان لما يخلفه بعد موته، وقد يقال في كل فعل ينتهي به إلى حالة ما: تَرَكْتُه كذا، أو يجري مجرى جعلته كذا، نحو: تَرَكْتُ فلاناً وحيداً. والتَّرِيكَةُ أصله: البيض المتروك في مفازته، ويسمى بيضة الحديد بها كتسميتهم إياها بالبيضة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النِّساء: 33].

قال الفخر الرازي[2]: أي: ولكل واحد جعلنا ورثة في تِرْكَتِه، ثم كأنه قيل: ومن هؤلاء الورثة؟ فقيل: هم الوالدان والأقربون، وعلى هذا الوجه لا بد من الوقف عند قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ [البَقَرَة: 248].

وقال البيضاويّ[3]: أي: ولكل تركة جعلنا وراثاً يلونها ويحرزونها، ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل. أو لكل ميت جعلنا وراثاً مما ترك على أن من صلة موالي. لأنه في معنى الوارث، وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي، وفيه خروج الأولاد فإن الأقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين، أو لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والأقربون، على أن جعلنا موالي صفة كل والراجع إليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر.

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.
(3) أنوار التنزيل.

وقال أبو السعود[1]: ومما ترك: بيانٌ لكلَ قد فُصل بينهما بما عَمِل فيه كما فُصِل في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعَام: 14] بين لفظِ الجلالةِ وبين صفتِه بالعامل فيما أضيف إليه أعني غيرَ، أو لكل قومٍ جعلناهم مواليَ أي: وارثٍ نصيبٌ معينٌ مغايرٌ لنصيب قومٍ آخرين مما ترك الوالدان والأقربون، على أن جعلنا مواليَ صفةٌ لكلَ، والضميرُ الراجعُ إليه محذوفٌ والكلامُ مبتدأٌ وخبرٌ على طريقة قولك: لكلِّ مَنْ خلقه الله إنساناً من رزق الله أي: حظٌّ منه.

وأما ما قيل من أن المعنى: لكل أحدٍ جعلنا موالي مما ترك أي: وُرّاثاً منه - على أن مِنْ صلةُ موالي لأنه في معنى الوارثِ وفي ترَك ضميرٌ مستكنٌّ عائدٌ إلى كل، وقولُه تعالى: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النِّساء: 7] استئنافٌ مفسرٌ للموالي كأنه قيل: مَنْ هم؟ فقيل: الوالدانِ ـ ففيه تفكيكٌ للنظم الكريمِ لأن ببيان الموالي بما ذُكر يفوتُ الإبهامُ المصحِّحُ لاعتبار التفاوتِ بينهم وبه يتحقق الانتظامُ كما أشير إليه في تقرير الوجهين الأولَيْن مع ما فيه من خروج الأولادِ من الموالي، إذ لا يتناولهم الأقربون كما لا يتناول الوالدين.

● **قال تعالى**: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البَقَرَة: 17].

قال الألوسي[2]: عطف على قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وهو أوفى بتأدية المراد فيستفاد منه التقرير لانتفاء النور بالكلية تبعاً لما فيه من ذكر الظلمة وجمعها وتنكيرها، وإيراد ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ وجعل الواو للحال بتقدير قد مع ما فيه يقتضي ثبوت الظلمة قبل ذهاب النور ومعه، وليس المعنى عليه - والترك - في المشهور طرح الشيء كترك العصا من يده أو تخليته محسوساً كان أو غيره وإن لم يكن في يده كترك وطنه ودينه.

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.

قال الفخر الرازي[1]: ترك إذا علق بواحد فهو بمعنى طرح وإذا علق بشيئين كان بمعنى صير، فيجري مجرى أفعال القلوب ومنه قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصبت الجزئين. لم حذف أحد المفعولين من لا يبصرون؟ الجواب: أنه من قبيل المتروك الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال، لا من قبيل المقدر المنوي، كأن الفعل غير متعد أصلاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجُمُعَة: 11].

قال ابن كثير[2]: أي: على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة. وزعم مقاتل ابن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر، إلا القليل منهم، وقد صح بذلك الخبر، فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، عن حُصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت عير مرة المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب، فخرج الناس، وبقي اثنا عشر رجلاً، فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد، لسال بكم الوادي ناراً**».

● **وقال تعالى**: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: 37].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير ابن كثير.

قال الطبري[1]: يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، وأن يكون تعليلاً لما قبله. أي: علمني ذلك وأوحي إليّ؛ لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية.

قال ابن عطية[2]: وقوله: ﴿تَرَكْتُ﴾ مع أنه لم يتشبث بها، جائز صحيح، وذلك أنه أخبر عن تجنبه من أول بالترك، وساق لفظة الترك استجلاباً لهما عسى أن يتوكأ الترك الحقيقي الذي هو بعد أخذ في الشيء، والقوم المتروكة ملتهم: الملك وأتباعه.

وذكر الفخر الرازي[3]: لقائل أن يقول: في قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ توهم أنه عليه السلام كان في هذه الملة. فنقول جوابه من وجوه: الأول: أن الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه أن يكون قد كان خائضاً فيه. والثاني: وهو الأصح أن يقال: إنه عليه السلام كان عبداً لهم بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد، ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والإيمان خوفاً منهم على سبيل التقية، ثم إنه أظهره في هذا الوقت، فكان هذا جارياً مجرى ترك ملة أولئك الكفرة بحسب الظاهر.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: 15].

قال الطبري[4]: يقول تعالى ذكره، ولقد تركنا السفينة التي فيها نوح ومن معه آية.

وقال الفخر الرازي[5]: وفي العائد إليه الضمير وجهان أحدهما: عائد إلى مذكور وهو السفينة التي فيها ألواح وعلى هذا ففيه وجهان أحدهما: ترك الله عينها مدة حتى رؤيت وعلمت وكانت على الجودي بالجزيرة وقيل بأرض الهند،

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

وثانيهما: ترك مثلها في الناس يذكر. وثاني الوجهين الأولين أنه عائد إلى معلوم أي: تركنا السفينة آية، والأول أظهر وعلى هذا الوجه يحتمل أن يقال: ﴿تَّرَكْنَهَآ﴾ أي: جعلناها آية لأنها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة يقول القائل: تركت فلاناً مثلة أي جعلته، لما بينا أنه من فرغ من أمر تركه وجعله فذكر أحد الفعلين بدلاً عن الآخر.

● **وقوله تعالى**: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العَنكبوت: 2].

قال الزمخشري[1]: إن قلت: فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية؟ قلت: هو في قوله: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين، لقولهم: آمنا، فالترك أول مفعولي حسب؛ ولقولهم: آمنا، هو الخبر. وأما «غير مفتونين» فتتمة الترك، لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير.

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان، تقدر أن تقول: تركهم غير مفتونين، لقولهم: آمنا، على تقدير: حاصل ومستقر، قبل اللام. فإن قلت: ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ هو علة تركهم غير مفتونين، فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما تقول خروجه لمخافة الشر، وضربه للتأديب، وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت مخافة الشر، وضربته تأديباً: تعليلين. وتقول أيضاً: حسبت خروجه لمخافة الشر، وظننت ضربه للتأديب، فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبر.

● **وقوله تعالى**: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [هُود: 12].

أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يخون في الوحي والتنزيل وأن يترك بعض ما يوحى إليه، لأن تجويزه يؤدي إلى

(1) الكشاف.

الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك يقدح في النبوة، وأيضاً فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [هُود: 12] شيئاً آخر سوى أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ فعل ذلك وللناس فيه وجوه:

الأول: لا يمتنع أن يكون في معلوم الله تعالى أنه إنما ترك التقصير في أداء الوحي والتنزيل لسبب يرد عليه من الله تعالى أمثال هذه التهديدات البليغة الثاني: أنهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به، فكان يضيق صدر الرسول ﷺ أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فهيجه الله تعالى لأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم، والغرض منه التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم وإن لم يؤد ذلك الوحي إليهم وقع في ترك وحي الله تعالى وفي إيقاع الخيانة فيه، فإذا لا بد من تحمل أحد الضررين وتحمل سفاهتهم أسهل من تحمل إيقاع الخيانة في وحي الله تعالى، والغرض من ذكر هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة، لأن الإنسان إذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك يشتمل على ضرر عظيم، ثم علم أن الضرر في جانب الترك أعظم وأقوى سهل عليه ذلك الفعل وخف، فالمقصود من ذكر هذا الكلام ما ذكرناه.

فإن قيل: قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ كلمة شك فما الفائدة فيها؟قلنا: المراد منه الزجر، والعرب تقول للرجل إذا أرادوا إبعاده عن أمر: لعلك تقدر أن تفعل كذا مع أنه لا شك فيه، ويقول لولده لو أمره لعلك تقصر فيما أمرتك به، ويريد توكيد الأمر فمعناه لا تترك[1]..

(1) الرازي التفسير الكبير ونحوه الزمخشري وابن عاشور وغيره.

تسعة

(تسعة)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والسين والعين كلمةٌ واحدة، وهي التِّسعة في العدد. تقول: تَسَعْتُ القومَ، أي: صرت تاسِعَهم.

وأَتْسَعْتُ الشّيءَ: إذا كان ثمانيةً فأتممته تِسعة.

والتِّسع: ثلاثُ ليالٍ من الشَّهر آخرُ ليلةٍ منها اللّيلة التاسعة.

قال الخليل[2]: يقال: تَسَعْتُ القوم، أي: صرت تاسعهم، وأَتْسَعْتُ الشيء: إذا كان ثمانية وأتممته تسعة.

والتُّسْعُ والتِّسْعَةُ من العدد يجري على وجوه التذكير والتأنيث: تِسْعَةُ رجال، وتِسْعُ نسوةٍ.

قال الليث: رجل مُتَّسِعٌ: وهو المنكمش، الماضي في أمره.

ورجل مُتَّسِعٌ، أي: سريع.

قال الفراء: ولا يجوز أن تقول: هو تَاسِعُ تِسْعَةٍ ولا رابع أربعة. إنما يقال: رابع أربعةٍ على الإضافة.

قال ابن دريد: تِسْعُ: عدد معروف، والتِّسْعُ: ظمء من أظماء الإبل، والإبل تواسع وأصحابها متسعون..

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

والتُّسْعُ: جزء من تسعة أجزاء، والتسع: ثلاث ليالٍ من العشر الأول من الشهر ثلاث تُسع[1].

قال الراغب[2]: التِّسْعَة في العدد معروفة وكذا التسعون، والتُّسْعُ: من أظماء الإبل وتَسَعْتُ القوم: أخذت تُسْعَ أموالهم، أو كنت لهم تاسِعاً.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: 25].

قال الفخر الرازي[3]: المعنى: وازدادوا تسع سنين فإن قالوا: لم لم يقل ثلاثمائة وتسع سنين؟ وما الفائدة في قوله: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾؟ قلنا: قال بعضهم: كانت المدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية وثلاثمائة وتسع سنين من القمرية، وهذا مشكل لأنه لا يصح بالحساب هذا القول، ويمكن أن يقال: لعلهم لما استكملوا ثلاثمائة سنة قرب أمرهم من الأنبياء ثم اتفق ما أوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين.

قال الطنطاوي[4]: هذا خبر من الله - تعالى - لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أن أرقدهم الله إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان. كان مقداره ثلاثمائة سنين وتسع سنين بالهلالية وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾. وقال قتادة في قوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾. وهذا قول أهل الكتاب وقد رده الله - تعالى - بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.
(4) الوسيط في تفسير القرآن.

بِمَا لَبِثُوا۟ۖ﴾ [الكهف: 26]. وفي هذا الذي قاله قتادة نظر، فإن الذي بأيدى أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع ولو كان الله - تعالى - قد حكى قولهم لما قال: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾، وظاهر الآية أنه خبر عن الله لا حكاية عنهم...

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الكهف: 26] تأكيد لاختصاصه عَزَّوَجَلَّ بعلم المدة التي لبثوها، أي: له - سبحانه - وحده علم ما خفي وغاب من أحوال السماوات والأرض، وأحوال أهلهما، كما قال - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: 5] وقوله - سبحانه -: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ﴾ [الكهف: 26] صيغتا تعجب: أي: ما أبصره وما أسمعه - تعالى - والمراد أنه - سبحانه - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء.

وجاءت هذه الجملة الكريمة بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره - تعالى - في الإدراك خارج عما عليه إدراك المبصرين والسامعين. إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت عنده لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وجلي وخفي.

قال النسفي(1): أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه ﴿تِسْعًا﴾ مفعول به لأن «زاد» تقتضي مفعولين فـ «ازداد» يقتضي مفعولاً واحداً.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النَّمل: 48].

قال الألوسي(2): هو اسم جمع يطلق على العصابة دون العشرة كما قال الراغب؛ وفي «الكشاف» هو من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة، وقيل: بل يقال إلى الأربعين وليس بمقبول، وأصله على ما نقل عن الكرماني من الترهيط وهو تعظيم اللقم وشدة الأكل، وقد أضيف العدد إليه. وقد اختلف في جواز إضافته إلى اسم الجمع فذهب الأخفش إلى أنه لا ينقاس وما ورد من الإضافة إليه فهو على سبيل الندور، وقد صرح سيبويه أنه لا يقال ثلاث غنم. وذهب قوم إلى أنه

(1) مدارك التنزيل. (2) روح المعاني.

يجوز ذلك وينقاس وهو مع ذلك قليل، وفصل قوم بين أن يكون اسم الجميع للقليل كرهط ونفر وذود فيجوز أن يضاف إليه إجراء له مجرى جمع القلة أو للكثير أو يستعمل لهما فلا يجوز إضافته إليه بل إذا أريد تمييزه به جيء به مقروناً بمن كخمسة من القوم، وقال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البَقَرَة: 260] وهو قول المازني. واختار غير واحد أن إضافة تسعة إلى رهط هاهنا باعتبار أن رهطاً لكونه اسم جمع للقليل في حكم أشخاص ونحوه من جموع القلة وهي يضاف إليها العدد كتسعة أشخاص وتسع أنفس وهذا معنى قولهم: إن وقوع رهط تمييزاً لتسعة باعتبار المعنى فكأنه قيل تسعة أشخاص، وقيل أي تسعة أنفس. وتأنيث العدد لأن المذكور في النظم الكريم ﴿رَهْطٍ﴾ وهو مذكر فليس ذاك من غير الفصيح كقوله ثلاثة أنفس وثلاث ذود، نعم تقدير ما تقدم أسلم من المناقشة، وأما ما قيل (أي تسعة رجال) ففيه الغفلة عما أشرنا إليه، ثم إنه ليس المراد أن الرهط بمعنى الشخص أو بمعنى النفس بل إن التسعة من الأشخاص أو من الأنفس هي الرهط فليس المعدود بالتسعة ما دل عليه الرهط من الجماعة ليكون هناك تسع جماعات لا تسعة أفراد. وقال الإمام الأقرب أن يكون المراد تسعة جمع إذ الظاهر من الرهط الجماعة، ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل، ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم وأحوالهم لا لاختلاف النسب اهـ، وقيل: كان هؤلاء التسعة رؤساء مع كل واحد منهم رهط، ولذا قيل تسعة رهط وأسماؤهم عن وهب: الهذيل بن عبد رب، وغنم بن غنم، ودباب بن مهرج، وعمير بن كردبة، وعاصم بن مخرمة، وسبيط بن صدقة، وسمعان بن صفى، وقدار بن سالف، وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتادة قوم صالح ومن أبناء أشرافهم، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن أسماءهم دعمى ودعيم وهرمى وهريم ودواب وصواب ودياب ومسطح وقدار وهو الذي عقر الناقة.

● **قال تعالى:** ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدَّثِّر: 30].

قال البيضاوي[1]: ملكاً أو صنفاً من الملائكة يلون أمرها، والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع، أو أن لجهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاه؛ وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه ملك، أو صنف، أو أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها الزبانية، وقرىء (تِسْعَةَ عَشَرَ) بسكون العين كراهة توالي الحركات فيها هو كاسم واحد و(تسعة أعشر) جمع عشير كيمين وأيمن، أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم أو جمع عشر فيكون تسعين.

قال البغوي[2]: أي: على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها: مالك ومعه ثمانية عشر. وجاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نُزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألف فيرميهم حيث أراد من جهنم.

قال عَمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

قال ابن كثير[3]: أي: من مقدمي الزبانية، عظيم خلقهم، غليظ خلقهم. عن البراء في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء الرجل، فأخبر النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) معالم التنزيل.
(3) تفسير ابن كثير.

تعس

(تعِس - خسِء - بئس - شقيّ)

■ **التَّعْسُ:** أن لا ينتعش من عَثْرته أو صرعته ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمّد: 8].

■ **الخسأ:** الزجر باستهانة، تقول: خَسَأْتُ الكلب فَخَسأ ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108].

■ **البُؤْسُ:** الذَّمُّ الشامل من جميع الجهات ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: 72].

■ **الشَّقْوَةُ:** غَمٌّ مع تعب شديد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والعين والسين كلمةٌ واحدة وهو الكَبُّ، يقال: تَعَسَه الله وأَتْعَسَه.

وقال الزجّاج: التَّعْسُ في اللغة: الانحطاط والعَثور.

قال ابن الأثير: يقال: تَعِسَ يَتْعَسُ: إذا عَثَر وانْكَبَّ لوجهه، وقد تفتح العين.

قال الخليل[2]: التَّعْسُ: ألاّ ينتعش من صرعته وعثرته، وأن ينكسر في السّفال. تَعِسَ الرّجل يَتْعَسُ تَعَساً، فهو تَعِيسٌ. أَتْعَسَه الله فهو مُتْعَسٌ. إذا أنزل الله به ذلك.

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

قال ابن دريد: والتَّعْسُ: العثر: أَتْعَسَه الله، أي: كبّه وأعثره، والرجل تَاعِسٌ وتَعِسٌ وتَعِيسٌ. ورجل مُتْعَسٌ إذا كان منكمشاً ماضياً ومتعس أيضاً.

قال الجوهريّ(1): التَّعْسُ: الهلاك، وأصله الكبّ، وهو ضدّ الانتعاش. يقال: تَعْساً لفلان، أي: ألزمه الله هلاكاً.

قال الراغب(2): التَّعْسُ: أن لا ينتعش من العثرة وأن ينكسر في سفال، وتَعِسَ تَعْساً فهو تَعِسٌ، وتَعَسَ بالفتح فهو تَاعِسٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محَمَّد: 8].

قال الفخر الرازي(3): هذا زيادة في تقوية قلوبهم، لأنه تعالى لما قال: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ جاز أن يتوهم أن الكافر أيضاً يصير ويثبت للقتال فيدوم القتال والحراب والطعان والضراب، وفيه المشقة العظيمة فقال تعالى: لكم الثبات ولهم الزوال والتغير والهلاك فلا يكون الثبات، وسببه ظاهر لأن آلهتهم جمادات لا قدرة لها ولا ثبات عند من له قدرة، فهي غير صالحة لدفع ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار، وعند هذا لا بد عن زوال القدم والعثار، وقال في حق المؤمنين ﴿وَيُثَبِّتۡ﴾ [محمد: 7] بصيغة الوعد لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء، وقال في حقهم بصيغة الدعاء، وهي أبلغ من صيغة الإخبار من الله لأن عثارهم واجب لأن عدم النصرة من آلهتهم واجب الوقوع إذ لا قدرة لها والتثبيت من الله ليس بواجب الوقوع، لأنه قادر مختار يفعل ما يشاء.

---

(1) معجم الصحاح.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.

وقال النيسابوري[1] : يقال: تعساً له في الدعاء عليه بالعثار والتردّي. عن ابن عباس: هو في الدنيا القتل، وفي الآخرة الهويّ في جهنم. وهو من المصادر التي يجب حذف فعلها سماعاً والتقدير: أَتْعَسَهم الله فتَعِسُوا تَعْساً ولهذا عطف عليه قوله (وأضل أعمالهم).

قال الطنطاوي[2] : والاسم الموصول مبتدأ وخبره محذوف، و﴿فَتَعْسًا﴾ منصوب على المصدر بفعل مضمر من لفظه، واللام في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾ لتبيين المخاطب، كما في قولهم: سقيا له، أي: أعنى له يقال: تَعِسَ فلان - من باب منع وسمع - بمعنى هلك.

قال القرطبي[3] : ما ملخصه وقوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ نصب على المصدر بسبيل الدعاء، مثل سقياً له.. وفيه عشرة أقوال: الأول: بعداً لهم. الثاني: حزناً لهم.. الخامس: هلاكاً لهم.. يقال: تَعْساً لفلان، أي: ألزمه الله هلاكاً. ومنه الحديث الشريف: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة. إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض**». وفي رواية: «تعس وانتكس، وإذا شيك - أي أصابته شوكة - فلا انتقش».

---

(1) غرائب القرآن.

(2) الوسيط في تفسير القرآن.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

تفث

(تفث - نجس - خبث - رجس - رجز)

- **التَّفَثُ:** الشعث في شعر الوجه والرأس وتغير رائحة الجسم في المناسك ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ [الحَجّ: 29].
- **النَّجَسُ:** كل شيء يحرم استعماله لعدم طهارته حساً أو معنى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبَة: 28].
- **الخَبَثُ:** كل ما تكرهه النفس من كل جوانبه كالغائط ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ [الأنبيَاء: 74].
- **الرِّجْسُ:** الشيء النتن الدنيء كأكل الميتة ولحم الخنزير ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعَام: 145].
- **الرِّجْزُ:** وساوس الشهوة المحرمة ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ [الأنفَال: 11].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والفاء والثاء كلمةٌ واحدة في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ [الحَجّ: 29].

(1) مقاييس اللغة.

قال أبو عبيدةَ: هو قصُّ الأظافر وأخْذ الشَّارب وشمُّ الطيب وكلُّ ما يَحْرُم على المُحْرِم إلاّ النكاح. قال: ولم يجئ فيه شِعْرٌ يُحْتَجُّ به.

قال الزجاج: لا يَعْرِفُ أَهلُ اللغة التَّفَثَ إلاَّ من التفسير.

ورُوي عن ابن عباس قال: التَّفَثُ: الحَلْق والتَّقْصير، والأَخْذُ من اللحية والشارب والإِبط، والذبحُ والرَّمْيُ.

وقال الفراء: التَّفَثُ: نَحْرُ البُدْنِ وغيرها من البقر والغنم، وحَلْقُ الرأْس، وتقليم الأَظفار وأَشباهه.

قال الجوهري: التَّفَثُ في المناسك ما كان مِن نحو قَصِّ الأَظْفار والشارب، وحَلْقِ الرأْسِ والعانة، ورمي الجِمار، ونَحْرِ البُدْن، وأَشباه ذلك؛ قال أَبو عبيدة: ولم يجئْ فيه شِعْرٌ يُحْتَجُّ به.

وقال ابن الأَعرابي: التَّفَثُ: قال: قَضاءُ حَوائجهم من الحَلْق والتَّنْظِيفِ(1).

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ [الحَجّ: 29].

عن ابن عباس، أنه قال، في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ قال: التَّفَث: حلق الرأس، وأخذ من الشاربين، ونتف الإبط، وحلق العانة، وقصّ الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والموقف بعرفة والمزدلفة.

ذكر الفخر الرازي في تفسيره(2): وقال المبرد أصل التَّفث في كلام العرب كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضها. والمراد هٰهنا قص الشارب والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، والمراد من القضاء إزالة التَّفَث، وقال القفال قال

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) التفسير الكبير.

نفطويه: سألت أعرابياً فصيحاً ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾؟ فقال: ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل: ما أَتْفَثَكَ وما أدرنك، ثم قال القفال: وهذا أولى من قول الزجاج لأن القول قول المثبت لا قول النافي.

وقال الثعلبيّ: وأصل التَّفَث في اللغة: الوسخ؛ تقول العرب للرجل تستقذره: ما أَتْفَثَك؛ أي: ما أوسخك وأقذرك.

قال الماورديّ[1]: قيل لبعض الصلحاء ما المعنِيّ في شعث المحرِم؟ قال: ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته.

قال الشعراوي[2]: ومعنى ﴿تَفَثَهُمْ...﴾ لما نزل القرآن بهذه الكلمة لم تكن مستعملة في لسان قريش، ولم تكن دائرة على ألسنتهم، فسألوا عنها أهل البادية، فقالوا: التَّفَثُ يعني: الأدران والأوساخ التي تعلَقُ بالجسم، فقالوا: والله لم نعرفها إلا ساعةَ نزل القرآن بها.

فالمراد - إذن - ليقطعوا تَفَثَهُم أي: الأدران التي لحقتهم بسبب التزامهم بأمور الإحرام، حيث يمكث الحاجُّ أيام الحج مُحْرِماً لا يتطيب، ولا يأخذ شيئاً من شعره أو أظافره، فإذا ما أنهى أعمال الحج وذبح هَدْيه يجوز له أنْ يقطع هذا التَّفَث، ويزيل هذه الأدران بالتحلُّل من الإحرام، وفِعْل ما كان محظوراً عليه.

وقال أبو السعود[3]: أي: ليؤدُّوا إزالة وَسَخِهم أو ليحكموها بقصِّ الشَّاربِ والأظفارِ ونتفِ الإبْطِ والاستحدادِ عند الإحلال.

---

(1) النكت والعيون.

(2) تفسير الشعراوي.

(3) إرشاد العقل السليم.

تقن

(تقن - برم - أحكم - رصّ)

■ **الإتْقانُ:** يجعل الشيء المتقن كاملاً لا يعاب ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّمل: 88].

■ **الإبْرَامُ:** قوة التكوين من الداخل فلا يفسد ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 79].

■ **الإحْكَامُ:** قوة المقاومة من الخارج فلا يخترق ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحَجّ: 52].

■ **الرَّصُّ:** تساند الأشياء حتى تبدو شيئاً واحداً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): التاء والقاف والنون أصلان: أحدهما: إحكام الشّيء، والثاني: الطين والحَمْأة. فالقول الأوّل أتقَنْت الشّيء: أحكَمْتُه.

قال الخليل(2): التِّقْنُ: رُسابة الماء في الرّبيع، وهو الذي يجري به الماء من الخثورة.

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الفرّاء[1]: رجلٌ تِقْنٌ: حاذق بالأشياء، ويقال: «الفصاحة من تِقْنِهِ» أي من سوسه.

قال أبو عُبيد[2]: يقال: رجلٌ تِقْنٌ، وهو حاضر النطق والجواب.

قال ابن دريد[3]: التِّقْنُ: تُرنوقُ البئر أو المسيل، وهو الطين الرّقيق تخالطه حماة. ويقال رجلٌ تَقِنٌ وتِقْنٌ، أي: مُتْقِنٌ للأشياء.

قال ابن منظور[4]: والتِّقْنُ: الطين الذي يذهب عنه الماء فيتشقق. والتِّقْنُ: بقية الماء الكدر في الحوض.

قال الفيروزآباديّ[5]: أَتْقَنَ الأمر: أحكمه. والتِّقْنُ بالكسر: الطبيعة، والرّجل الحاذق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّمل: 88].

قال الزمخشري[6]: يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب: من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها، وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه، فيكافئهم على حسب ذلك. ثم لخص ذلك بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام: 160] إلى آخر الآيتين، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره وأخذ بعضه

(1) معاني القرآن.
(2) غريب الحديث.
(3) الجمهرة.
(4) اللسان.
(5) القاموس.
(6) الكشاف.

بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ولأمر مّا أعجز القوي وأخرس الشقاشق. ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام، جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان. ألا ترى إلى قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: 88]، و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 138]، و﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: 95] و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: 30]: بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البَقَرَة: 138] ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزُّمَر: 20] ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 30].

وقال الفخر الرازي[1]: والمعنى أنه لما قدم ذكر هذه الأمور التي لا يقدر عليها سواه جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب، قال القاضي عبد الجبار: فيه دلالة على أن القبائح ليست من خلقه وإلا وجب وصفها بأنها متقنة ولكن الإجماع مانع منه والجواب: أن الإتقان لا يحصل إلا في المركبات فيمتنع وصف الأعراض بها، والله أعلم.

قال الشعراوي[2]: يعني: لا تتعجب، فالمسألة من صُنع الله وهندسته وبديع خَلْقه، واختار هنا من صفاته تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: 88].. يعني: كل خَلْق عنده بحساب دقيق مُتقَن. البعض فهم الآية على أن مرَّ السحاب سيكون في الآخرة، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القَارعَة: 5]. وقد جانبه الصواب لأن معنى ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أنها ستتفتت وتتناثر، لا أنها تمر، وتسير هذه واحدة، والأخرى أن الكلام هنا مبنيٌّ على الظن ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً...﴾ [النَّمل: 88] وليس في القيامة ظن؛ لأنها إذا قامتْ فكلُّ أحداثها مُتيقنةٌ. ثم إن السحاب لا يتحرك بذاته، وليس له موتور يُحّركه، إنما يُحرِّكه الهواء، كذلك الجبال حركتها ليست ذاتيةٌ فيها، فلم نَرَ جبلاً تحرَّك من مكانه، فحركة الجبال تابعة لحركة الأرض؛ لأنها أوتاد عليها، فحركة الوتد تابعة للموتود

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير الشعراوي.

فيه. لذلك لما تكلم الحق - سبحانه وتعالى - عن الجبال قال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ . . .﴾ [النّحل: 15] ولو خُلِقتْ الأرض على هيئة السُّكون ما احتاجتْ لما يُثبِّتها، فلا بُدَّ أنها مخلوقة على هيئة الحركة.

في الماضي وقبل تطور العلم كانوا يعتقدون في المنجِّمين وعلماء الفلك الكفرة أنهم يعلمون الغيب، أما الآن وقد توصَّل العلماء إلى قوانين حركة الأرض وحركة الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية واستطاعوا حساب ذلك كله بدقة مكّنتهم من معرفة ظاهرة الخسوف والكسوف مثلاً ونوع كل منهما ووقته، وفعلاً تحدث الظاهرة في نفس الوقت الذي حددوه لا تتخلف.

واستطاعوا بحساب هذه الحركة أنْ يصعدوا إلى سطح القمر، وأن يُطلِقوا مركبات الفضاء ويُسيِّروها بدقة حتى إنَّ إحداها تلتحم بالأخرى في الفضاء الخارجي. كل هذه الظواهر لو لم تكن مبنية على حقائق مُتيقَّنة لأدتْ إلى نتائج خاطئة وتخلفتْ. ومن الأدلة التي تثبت صحة ما نميل إليه في معنى حركة الجبال، أن قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ. . .﴾ [النَّمل: 88] امتنان من الله تعالى بصنعته، والله لا يمتنُّ بصنعته يوم القيامة، إنما الامتنان علينا الآن ونحن في الدنيا.

تلك

(تلك - ذلك - هاتان - هاذان - أولاء)

■ **تلك:** اسم إشارة والأسماء المبهمة للخطاب المؤنث ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا﴾ [الأعراف: 101].

■ **ذلك:** اسم إشارة والأسماء المبهمة للخطاب المذكر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 13].

■ **هاتان:** اسم يشار به إلى المؤنث.

■ **هاذان:** اسم يشار به إلى المذكر.

■ **أولاء:** للجمع: ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ [طه: 84].

* * *

النصوص اللغوية:

قال سيبويه: أما الأسماء المبهمة، فنحو: هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء، وذلك وتلك وأولئك وغيرها..

وإنما صارت معرفة، لأنها أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته.

قال الأزهري: قالوا: تيك وتلك وتالك. منطلقة.

أهل الكوفة يسمّون ذا وتا وتلك وذلك وهذه وهؤلاء حروف المثل.

وأهل البصرة: يسمونها حروف الإشارة، والأسماء المبهمة، وتصغير (تلك) تيا وتيالك.

قال أبو حيان: ﴿تِلْكَ﴾ من أسماء الإشارة يطلق على المؤنثة في حالة البعد. ويقال: تلك وتيلك وتالك، بفتح التّاء وسكون اللام، وكسرها ياء وبعدها كسر اللام وبفتحها، وألف بعدها وكسر اللام[1]. .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: 187].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿تِلْكَ﴾ لا يجوز أن يكون إشارة إلى حكم الاعتكاف لأن الحدود جمع ولم يذكر الله تعالى في الاعتكاف إلا حداً واحداً، وهو تحريم المباشرة بل هو إشارة إلى كل ما تقدم في أول آية الصوم إلى هٰهنا على ما سبق شرح مسائلها على التفصيل.

قال الطبري[3]: يعني تعالى ذكره بذلك هذه الأشياء التي بينتها من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهاراً في غير عذر، وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد.

● وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النِّساء: 13].

قال الفخر الرازي[4]: وفيه بحثان:

البحث الأول: أن قوله: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ماذا؟ فيه قولان: الأول: أنه إشارة إلى أحوال المواريث.

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

القول الثاني: أنه إشارة إلى كل ما ذكره من أول السورة إلى هٰهنا من بيان أموال الأيتام وأحكام الأنكحة وأحوال المواريث وهو قول الأصم، حجة القول الأول أن الضمير يعود إلى أقرب المذكورات، وحجة القول الثاني أن عوده إلى الأقرب إذا لم يمنع من عوده إلى الأبعد مانع يوجب عوده إلى الكل.

البحث الثاني: أن المراد بحدود الله المقدرات التي ذكرها وبينها، وحد الشيء طرفه الذي يمتاز به عن غيره، ومنه حدود الدار، والقول الدال على حقيقة الشيء يسمى حداً له، لأن ذلك القول يمنع غيره من الدخول فيه، وغيره هو كل ما سواه.

● **قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البَقَرَة: 252].**

قال أبو حيان[1]: الإشارة بتلك قيل: إلى القرآن كله. وقيل: إلى ما أنزل من الآيات في أمر الأوس والخزرج واليهود الذين مكروا بهم، والتقدم إليهم بتجنب الافتراق. وكشف تعالى للمؤمنين عن حالهم وحال أعدائهم بقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عِمرَان: 106].

وقال أبو السعود[2]: ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الآيات المشتملةِ على تنعيم الأبرارِ وتعذيبِ الكفارِ، ومعنى البُعدِ للإيذان بعلو شأنِها وسُمّو مكانِها في الشرف وهو مبتدأ.

● **وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف: 101].**

قال الزمخشري[3]: كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72] في أنه مبتدأ وخبر

(1) البحر المحيط.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الكشاف.

وحال ويجوز أن يكون ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ صفة لتلك و﴿نَقُصُّ﴾ خبراً، وأن يكون ﴿ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ﴾ خبر بعد خبر. فإن قلت: ما معنى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ حتى يكون كلاماً مفيداً؟ قلت: هو مفيد، ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك: هو الرجل الكريم.

ابن عطية[1]: ﴿تِلۡكَ﴾ ابتداء، و﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ قال قوم: هو نعت والخبر ﴿نَقُصُّ﴾ ويؤيد هذا أن القصد إنما الإخبار بالقصص.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي أن ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ هي خبر الابتداء، وفي ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها، وهذا كما قيل في ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البَقَرَة: 2] أنه ابتداء وخبر، وكما قال ﷺ: «**أولئك الملأ**»، وكقول أبي الصلت: تلك المكارم وهذا كثير، وكأن في اللفظ معنى التحسر على القرى المذكورة.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 17].

قال أبو حيان[2]: هو تقرير مضمنه التنبيه، وجمع النفس لما يورد عليها وقد علم تعالى في الأزل ما هي وإنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة، ويتقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة و(ما) استفهام مبتدأ و﴿وَمَا﴾ خبره و﴿بِيَمِينِكَ﴾ في موضع الحال كقوله ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هُود: 72]. والعامل اسم الإشارة.

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون ﴿تِلۡكَ﴾ اسماً موصولاً صلته بيمينك، ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهباً للبصريين وإنما ذهب إليه الكوفيون، قالوا: يجوز أن يكون اسم الإشارة موصولاً حيث يتقدر بالموصول كأنه قيل: وما التي بيمينك؟ وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفاً كأنه قيل: وما التي

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) البحر المحيط.
(3) الكشاف.

استقرت بيمينك؟ وفي هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم.

● **قال تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعرَاف: 43].

قال الطبري[1]: واختلف أهل العربية في «أن» التي مع «تلكم»، فقال بعض نحويي البصرة: هي «أنّ» الثقيلة خففت، وأضمر فيها، ولا يستقيم أن نجعلها الخفيفة لأن بعدها اسماً، والخفيفة لا تليها الأسماء،

قال: فمعناه: أنه كلانا قال، ويكون كقوله: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ [الأعرَاف: 44] في موضع «أي»، وقوله: أنْ أقِيمُوا. وَلا تَكُونُ «أن» التي تعمل في الأفعال، لأنك تقول: غاظني أن قام، وأن ذهب، فتقع على الأفعال وإن كانت لا تعمل فيها، وفي كتاب الله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ﴾ [صٓ: 6] أي: امشوا. وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة، فقال: غير جائز أن يكون مع «أن» في هذا الموضع «هاء» مضمرة، لأن «أن» دخلت في الكلام لتقي ما بعدها، قال: و«أن» هذه التي مع «تلكم»، هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية، وليس بلفظ الحكاية، نحو: ناديت أنك قائم، وأن زيد قائم، وأن قمت، فتلي كلّ الكلام، وجعلت «أن» وقاية، لأن النداء يقع على ما بعده، وسلم ما بعد «أن» كما سلم ما بعد القول، ألا ترى أنك تقول: قلت: زيد قائم، وقلت: قام، فتليها ما شئت من الكلام؟ فلما كان النداء بمعنى الظنّ وما أشبهه من القول سلم «ما» بعد «أن»، ودخلت «أن» وقاية. قال: وأما «أي» فإنها لا تكون على أن لا يكون: أي جواب الكلام، وأن تكفي من الاسم.

(1) جامع البيان.

تكأ

(تكأ - بسط - مدّ - فرش - سوّى)

■ **المُتَّكَأ:** المكان الذي يتكأ عليه، والمخدّة المتّكأ عليها ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍ﴾ [الطُّور: 20].

■ **البَسطُ:** جعل الشيء المكوّر واسعاً. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطًا﴾ [نُوح: 19].

■ **المَدُّ:** جعل الشيء المتكمش طويلاً ومتحركاً. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: 45].

■ **الفَرْشُ:** جعل الشيء الأجرد مثيراً. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا﴾ [البَقَرَة: 22].

■ **التَّسْوِيَةُ:** جعل الشيء الصعب بالوعورة سهلاً. قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: 29].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

تَوَكَّأَ على الشيءِ واتَّكَأَ: تَحَمَّلَ واعتمَدَ، فهو مُتَّكِئٌ.

والتُّكأَةُ: العَصا يُتَّكأُ عليها في المشي.

وفي الصحاح: ما يُتَّكأُ عليه. يقال: هو يَتَوَكَّأُ على عصاه، ويَتَّكِئُ.

أَبو زيد: أَتْكَأْتُ الرجُلَ إِتْكاءً إذا وَسَّدْتَه حتى يَتَّكِئَ.

وقال الزجاج: هو ما يُتَّكأُ عليه لطَعام أَو شراب أَو حديثٍ.

وقال أَبو عبيد: تُكَأَةٌ، بوزن فُعَلةٍ، وأَصلُهُ وُكَأَة، فَقُلِبت الواو تاءً في تُكَأَةٍ، كما قالوا تُراثٌ، وأَصله وُراثٌ.

واتَّكَأْتُ اتِّكاءً، أَصله اوتَكَيْتُ، فأُدغمت الواو في التاءِ وشُدّدت، وأَصل الحرف وكَّأَ يُوَكِّئُ تَوْكِئةً. وضربه فأَتْكَأَه، على أَفْعَله، أَي: أَلقاه على هيئة المُتَّكِئِ.

وقيل: أَتْكَأَه: أَلقاه على جانبه الأَيسر. والتاءُ في جميع ذلك مبدلة من واو. أَوْكَأْتُ فلاناً إِيكاءً: إِذا نصبت له مُتَّكأً، وأَتْكَأْته. إِذا حَمَلْته على الاتِّكاءِ.

ورجل تُكَأَةٌ، مثل هُمَزة: كثير الاتِّكاءِ.

قال الليث: تَوَكَّأَتِ الناقةُ، وهو تَصَلُّقُها عند مَخاضِها. والتَّوَكُّؤُ: التَّحامُل على العَصا في المَشْي[(1)].

قال الراغب[(2)]: المُتَّكأ: المكان الذي يُتَّكأ عليه، والمخدة: المُتَّكأُ عليها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾ [يُوسُف: 31].

قال الفخر الرازي[(3)]: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾، وفي تفسيره وجوه: الأول: المُتَّكأ: النمرق الذي يتكأ عليه. الثاني: أن المتكأ هو الطعام. قال العتبي: والأصل فيه أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة تسمى الطعام مُتَّكأً على الاستعارة، والثالث: مُتَّكأ أترجاً، وهو قول وهب وأنكر أبو عبيد ذلك ولكنه

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.

محمول على أنها وضعت عندهن أنواع الفاكهة في ذلك المجلس. والرابع: مُتَّكَأ: طعاماً يحتاج إلى أن يقطع بالسكين، لأن الطعام متى كان كذلك احتاج الإنسان إلى أن يتكأ عليه عند القطع. ثم نقول: حاصل ذلك أنها دعت أولئك النسوة وأعدت لكل واحدة منهن مجلساً معيناً وآتت كل واحدة منهن سكيناً أي لأجل أكل الفاكهة أو لأجل قطع اللحم ثم إنها أمرت يوسف عليه السلام بأن يخرج إليهن ويعبر عليهن وأنه عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفاً منها.

وقال الشعراوي(1): والمُتَّكَأ: هو الشيء الذي يستند إليه الإنسان حتى لا يطول به مَلَلٌ من كيفية جِلْسته، والمقصود بالقول هو أن الجلسة سيطول وقتها، وقد خططتْ لتكشف وَقْعَ رؤية يوسف عليهن، فقدَّمتْ لكل منهن سكيناً؛ وهو ما يوحي بأن هناك طعاماً سوف يؤكل.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [طه: 18].

قال ابن عاشور(2): والتَّوَكُّؤ: الاعتماد على شيء من المتاع، والاتّكاء كذلك، فلا يقال: تَوَكَّأَ على الحائط ولكن يقال: تَوَكَّأَ على وسادة، وتَوَكَّأَ على عصا.

وذكر الطنطاوي(3): ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [طه: 18] أي: أعتمد عليها لتساعدني في حال السير.

● **وقوله تعالى**: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: 20].

قال الفخر الرازي(4): الاتكاء فإنه هيئة تختص بالمنعم، والفارغ الذي لا كلفة عليه ولا تكلف لديه، فإن من يكون عنده من يتكلف له يجلس له ولا يتكىء عنده، ومن يكون في مهم لا يتفرغ للاتكاء فالهيئة دليل خير.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.
(4) التفسير الكبير.

قال الشعراوي(1): الاتكاء هيئة من هيئات الجلوس، لا يجلس على مقعدته إنما يجلس على جنب، وهي جلسة تدل على الراحة والطمأنينة، وأنه لا يوجد شيء يُنغصها.

أما المهموم والعياذ بالله فتجده في جِلْسته قلقاً لا يكاد حتى يسند ظهره إلى مسند، لماذا؟ لأن عنده ما يشغله حتى عن الراحة في الجلسة.

فقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ دَلتْ على هدوء البال وخُلوّه من المنغِّصات والهموم.

● **وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يسٓ: 56].**

وقال ابن عاشور(2): والاتِّكَاء: هيئة بين الاضطجاع والجلوس وهو اضطجاع على جنب دون وضع الرأس والكتف على الفراش. وهو افتعال من وَكَأَ المهموز: إذا اعتمد، أبدلت واوه تاء كما أبدلت في تُجاه وتُراث، وأخذ منه فعل اتكأ لأن المتّكىء يشد قعدته ويرسخها بضرب من الاضطجاع.

● **وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ [الواقِعَة: 16].**

قال الفخر الرازي(3): للتأكيد، والمعنى أنهم كائنون على سرر متكئين عليها متقابلين، ففائدة التأكيد هو أن لا يظن أنهم كائنون على سرر متكئين على غيرها كما يكون حال من يكون على كرسي صغير لا يسعه للاتكاء فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه، فلما قال: على سرر متكئين عليها دل هذا على أن استقرارهم واتكاءهم جميعاً على سرر، وقوله تعالى: ﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ فيه وجهان أحدهما: أن أحداً لا يستدبر أحداً وثانيهما: أن أحداً من السابقين لا يرى.

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) التفسير الكبير.

تَلّ

(تَلّ - جبل - ربوة - الحدب - طود - كثيب - رواسي)

■ **التَّلُّ:** من أصاغر الأكام، وطوله في السماء مثل البيت وعرضه نحو عشرة أذرع.

■ **الجَبَلُ:** من أكابر الأكام ولا حد لطوله وله عمق ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النَّبإ: 7].

■ **الرَّبْوَة:** التَّلُّ الأخضر لوجود الماء ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50].

■ **الحَدَبُ:** الطريق المرتفع الذي يصل الجبل بالسهل ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

■ **الطَّوْدُ:** الجبل الشامخ بين جبال أقل منه ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشُّعَراء: 63].

■ **الكَثِيبُ:** كتلة من الرمل المتراكم المتطاير ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: 14].

■ **الرَّاسِي:** الجبل الثابت من الأرض منذ القرون الأولى مثل الهملايا ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ [المُرسَلات: 27].

❋ ❋ ❋

تل

(تَلَّ - بَسَّ - دَكَّ - هَدَمَ - هَدَّ)

■ **تَلَّ:** الطرح أرضاً، أسقطه على التلّ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103].

■ **بَسَّ:** زحزحة الثابت الصلب عن أسسه ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقِعَة: 5].

■ **دَكَّ:** مساواة العالي الصلب بالأرض بآلة صلبة ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفَجر: 21].

■ **هَدَمَ:** الهدم إسقاط البناء ابتداءً من الأعلى ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾ [الحَجّ: 40].

■ **هَدَّ:** الهد هدم وسقوط بصوت كوقوع الشيء الصلب ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريَم: 90].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: والتَّلُّ مِنَ التُّرابِ، والكَوْمَةُ من الرمْلِ، والرابِيَةُ،

والتَّلْتَلَةُ: الإقلاع والحركة.

والتَّلِيلُ: العنق.

وقال الفرّاء: تَلَّ: إذا صَبَّ، والتَّلَّةُ: الصَّبَّةُ، والتَّلَّةُ: الضجعة والكسل.

(1) العين.

التَّلاتِلُ: الشدائد، مثل الزلازل.

قال ابن دريد: تَلَّهُ يُتلُّه تلًّا: إذا صرعه.

قال ابن سيده: تَلَّهُ يَتُلُّه تَلًّا، فهو مَتْلُولٌ، وتَلِيلٌ: صرعه، وقيل ألقاه على عنقه.

ورجل تُلاتِلٌ: قصير. ورُمْحٌ مِتَلٌّ: غليظ شديد، وهو العُرُدُّ أَيضاً؛ وكل شيءٍ أَلقيته إِلى الأَرض مما له جُثَّه، فقد تَلَلْته. وتَلَّ يَتُلُّ وَيتِلُّ إِذا صَبَّ. والتَّلَّة: الصَّبَّة. والتَّلَّة: الضَّجْعة والكَسَل.

وقول سيدنا رسول الله ﷺ: «**نُصِرْت بالرُّعْب وأُوتيت جوامع الكلم، وبَيْنَا أَنا نائم أُتِيت بمفاتيح خزائن الأَرض فتُلَّت في يدي**»؛ قال ابن الأَثير في تفسيره: أُلقيت في يدي، وقيل: التَّلُّ: الصَّبُّ فاستعاره للإِلقاء(1).

وقال الراغب: أصل التَّلّ: المكان المرتفع، والتَّلِيلُ: العنق(2).

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103].

قال الزمخشري(3): صرعه على شقه، فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد، ليرضيا الرحمان ويخزيا الشيطان. وروى أن ذلك كان عند الصخرة التي بمنى، وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منى. وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم.

قال الفخر الرازي(4): ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض وللوجه جبينان، والجبهة بينهما، قال ابن الأعرابي: التَّلِيل

(1) اللسان، المعجم في فقه اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

والمَتْلُول: المصروع والمُتِلُّ الذي يُتَلُّ به أي: يصرع، فالمعنى أنه صرعه على جبينه، وقال مقاتل: كَبَّه على جبهته، وهذا خطأ لأن الجبين غير الجبهة.

قال الشعراوي[1]: يعني: ألقاه على وجهه، أو على جنبه، قالوا: كان ذلك بمشورة الولد، حتى لا يرى أبوه وجهه ساعةَ يذبحه، فتأخذه الشفقة به، فلا يذبح، وكأن الولد يُعين والده ويساعده على إتمام الأمر، وهكذا ظهر الاستسلام واضحاً، فالولد مُلقىً على الأرض، والوالد في يده السكين، يحاول بالفعل ذَبْح ولده، وأيّ ولد؟ ولده الوحيد الذي رُزِق به على كِبَر.

قال الألوسي[2]: صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض، وأصل التَلّ: الرمي على التل وهو التراب المجتمع ثم عمم في كل صرع، والجبين أحد جانبي الجبهة وشذ جمعه على أجبن وقياسه في القلة أجبنة ككثيب وأكثبة وفي الكثرة جبنان وجبن ككثبان وكثب، واللام لبيان ما خر عليه كما في قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسرَاء: 107].

وليست للتعدية، وقيل المراد كبه على وجهه وكان ذلك بإشارة منه. أخرج غير واحد عن مجاهد أنه قال لأبيه: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني فلا تجهز عليّ، اربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي للأرض، ففعل فكان ما كان، ولا يخفى أن إرادة ذلك بإشارة من الآية بعيد، نعم لا يبعد أن يكون الذبيح قال هذا. وفي الآثار حكاية أقوال غير ذلك أيضاً، منها ما في خبر للسدي أنه قال لأبيه عليه السلام: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه أمي فتحزن وأسرع مر السكين على حلقي فيكون أهون للموت عليّ فإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني. فأقبل عليه إبراهيم يقبله وكل منهما يبكي. ومنها ما في حديث أخرجه أحمد وجماعة عن ابن عباس أنه قال لأبيه وكان عليه قميص أبيض: يا أبت ليس لي ثوب تكفنني فيه،

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) روح المعاني.

غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فكان ما قَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ . وكان ذلك عند الصخرة التي بمنى، وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منى، وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم، وقيل: كان ببيت المقدس، وحكي ذلك عن كعب، وحكى الإمام مع هذا القول أنه كان بالشام.

تلو

(تلو - تبع - ردف - ردء - اقتدى)

- **التلاوة:** قراءة القرآن بالترتيب المنظم، لأنّه يُتْبِعُ آية بعد آية: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العَنكبوت: 45].
- **التَّبعُ:** السير على الأثر من بعيد ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: 21].
- **الرَّدْف:** السير على الأثر من قريب جداً ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].
- **الرِّدْء:** السير ملازماً لقدم صاحبه كأنه هو ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: 34].
- **المُقْتَدي:** السير على فعل الآخر وقوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

❃ ❃ ❃

شرح المعاني:

صاحب القرآن هو الذي تلا وقرأ ورتّل وعمل بالقرآن.

قرأ (القراءة): هي صحة نطق الكلمة والحروف وحسن أداء الكلمة والجملة ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: 20] وهذه القرآءة توصل إلى الاتّباع ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 18]، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ [الإسراء: 71] المؤمنون يقرأون كتابهم بمنتهى الفصاحة وحُسن النطق للكلمات، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ

﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: 204] يجب أن تكون القراءة صحيحة وواضحة والكلمات كلها منظومة بشكل صحيح.

والقراءة عموماً تشمل الكلمة القرآنية والجملة القرآنية بشكل صحيح، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: 1] عند بدء نزول القرآن الكريم لم يكن هناك عدة آيات لتلاوتها إنما نزلت بضع آيات لذا وجب استخدام كلمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ بدل أُتل. وكل تلاوة قراءة وليست كل قراءة تلاوة.

تَلَا يَتْلُو تِلَاوَةً: قراءة الآيات بنسق متتالٍ من أول القرآن لآخره وهو الاتّباع بدون فاصلة ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشّمس: 2] أي جاء بعدها مباشرة كخليفة. ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المَائدة: 27] القصة متسلسلة لذا اقتضى السياق استعمال كلمة ﴿وَٱتْلُ﴾، ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 151]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ [البقرة: 252]، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البَقَرَة: 129]، ﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: 113]، ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: 121] تسلسل مع فهم وإدراك وتأمّل فيه ومعرفة بأحكامه، ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: 93] اتلوها كلها من أولها إلى آخرها لدقة استعمال كلمة اتلوها في القرآن الكريم.

رَتَّلَ والتَّرتيل: هو حُسن تنسيق الأسنان يسمى رَتَلٌ (بمعنى متسلسلة بدون خلل) ويُطلق لفظ رَتَلٌ على كل شيء حسن التنسيق. وفي القرآن الكريم تعني حُسن تنسيق الآيات في موضوع واحد، وكل آيات القرآن الكريم منسّقة تنسيقاً حسناً ومتتالية بدون خلل فيها فهي مُرَتَّلَة. والتَّرْتيلُ هو اتّباع أحكام القرآن فهو أنيق في التلاوة طاهر الفم طيّب الرائحة.

إذا جُمعت القراءة والتلاوة والترتيل يُصبح القارئ من أصحاب القرآن (حافظه عن ظهر قلب).

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء واللام والواو أصلٌ واحد، وهو الاتِّباع. يقال: تَلَوْتُه: إذا تَبِعْتَه.

ومنه تلاوةُ القُرآن، لأنّه يُتْبع آيةً بعد آية. فأمّا قوله: تلَوْتُ الرّجلَ أتلوه تُلُوًّا: إذا خَذَلْتَه وتركتَه، فإنْ كان صحيحاً فهو القياس؛ لأنه مُصاحِبُه ومَعَه، فإذا انقَطَع عنه وتركه فقد صار خَلْفَه بمنزلة التّالي. ومن الباب التّلِيَّة والتُّلاَوَة وهي البقيّة، لأنها تتلو ما تقدَّم منها.

قال الخليل[2]: تَلَا فلان القرآن يَتْلو تِلَاوَةً، وَتَلَا: تبعه تُلُوًّا.

قال ابن الأعرابيّ: تَلَا: أتبع.

قال ابن الانباري: والتَّلَاءُ: الحوالة، ويقال: أَتْلَيْتُ فلاناً على فلان، إذا أحلته عليه.

قال الصاحب: تَلَا يَتْلُو تِلَاوَةَ، أي: قرأ، المُتلي: المُردّد للتّلاوة، وتَلَاهُ: أي: رواه[3].

قال الراغب[4]: تَلَاهُ: تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها، وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم، ومصدره: تُلُوٌّ وتِلْوٌ، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، ومصدره: تِلَاوَةٌ. .

المعنى المشترك لكلمة (ت ل ا)

وقد وردت كلمة (تلا) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: التلاوة: يعني الإنزال ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 3].

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) اللسان، معجم فقه اللغة.
(4) مفردات الراغب.

الوجه الثاني: التلاوة: بمعنى الاتباع ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: 121].

الوجه الثالث: تتلوا على، أي: تكتب ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البَقَرَة: 102].

الوجه الرابع: التلاوة: يعني القراءة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ..﴾ [فَاطِر: 29] أي: يتلونه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشّمس: 2].

قال الفخر الرازي(1): قال الليل: تلا يتلو: إذا تبع شيئاً وفي كون القمر تالياً وجوه أحدها: بقاء القمر طالعاً عند غروب الشمس، وذلك إنما يكون في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، فإذا القمر يتبعها في الإضاءة، وهو قول عطاء عن ابن عباس، وثانيها: أن الشمس إذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب، وهو قول قتادة والكلبي، وثالثها: قال الفراء: المراد من هذا التلو هو أن القمر يأخذ الضوء من الشمس يقال: فلان يتبع فلاناً في كذا أي يأخذ منه، ورابعها: قال الزجاج: تلاها حين استدار وكمل، فكأنه يتلو الشمس في الضياء والنور يعني إذا كمل ضوؤه فصار كالقائم مقام الشمس في الإنارة، وذلك في الليالي البيض، وخامسها: أنه يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس، وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته، ولقد ظهر في علم النجوم أن بينهما من المناسبة ما ليس بين الشمس وبين غيرها.

(1) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: أي تَبعها: وذلك إذا سقطت الشمس رُئِيَ الهلال. يقال: تَلَوْت فلاناً: إذا تَبِعته. قال قتادة: إنما ذلك ليلة الهلال، إذا سَقطت الشمس رُئي الهلال. وقال ابن زيد: إذا غَرَبت الشمس في النصف الأول من الشهر، تلاها القمر بالطلوع، وفي آخر الشهر يتلُوها بالغروب. الفراء: «تلاها»: أخذ منها؛ يذهب إلى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس. وقال قوم: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشّمس: 2] حين استوى واستدار، فكان مِثلَها في الضياء والنور؛ وقاله الزجاج.

● **قال تعالى**: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يُونس: 16].

قال الزمخشري[2]: يعني أن تلاوته ليست إلاّ بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات، وهو أن يخرج رجل أميّ لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً، يبهر كل كلام فصيح، ويعلو على كل منثور ومنظوم، مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع، وأخبار مما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلّا الله، وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله، ولا يخفى عليكم شيء من أسراره، وما سمعتم منه حرفاً من ذلك، ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به.

وقال ابن عطية[3]: هذه من كمال الحجة أي: هذا الكلام ليس من قبلي ولا من عندي وإنما هو من عند الله، ولو شاء ما بعثني به ولا تلوته عليكم ولا أعلمتكم به.

وقال النيسابوري[4]: فمعناه ما تلوته أنا عليكم ولأخبركم الله به على لسان غيري، ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده فرآني أهلاً لذلك دون غيري.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البَقَرَة: 129].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) غرائب القرآن.

قال أبو حيان[1]: جملة في موضع الصفة لرسولاً. وقيل: في موضع الحال منه، لأنه قد وصف بقوله منهم، ووصف إبراهيم الرسول بأنه يكون يتلو عليهم آيات الله، أي يقرؤها، فكان كذلك، وأوتي رسول الله ﷺ القرآن، وهو أعظم المعجزات. وقبل الله دعاء إبراهيم، فأتى بالمدعو له على أكمل الأوصاف التي طلبها إبراهيم، والآيات هنا آيات القرآن. وقيل: خبر من مضى، وخبر من يأتي إلى يوم القيامة، وقال الفضل: معناه يبين لهم دينهم.

وقال الفخر الرازي[2]: واعلم أنه تعالى لما طلب بعثة رسول منهم إليهم، ذكر لذلك الرسول صفات. أولها: قوله: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ وفيه وجهان الأول: أنها الفرقان الذي أنزل على محمد ﷺ لأن الذي كان يتلوه عليهم ليس إلا ذلك، فوجب حمله عليه. الثاني: يجوز أن تكون الآيات هي الأعلام الدالة على وجود الصانع وصفاته سبحانه وتعالى، ومعنى تلاوته إياها عليهم: أنه كان يذكرهم بها ويدعوهم إليها ويحملهم على الإيمان بها. وثانيها: قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والمراد أنه يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه، وذلك لأن التلاوة مطلوبة لوجوه: منها بقاء لفظها على ألسنة أهل التواتر فيبقى مصوناً عن التحريف والتصحيف، ومنها أن يكون لفظه ونظمه معجزاً لمحمد ﷺ، ومنها أن يكون في تلاوته نوع عبادة وطاعة، ومنها أن تكون قراءته في الصلوات وسائر العبادات نوع عبادة، فهذا حكم التلاوة إلا أن الحكمة العظمى والمقصود الأشرف تعليم ما فيه من الدلائل والأحكام، فإن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى ونوراً لما فيه من المعاني والحكم والأسرار، فلما ذكر الله تعالى أولاً أمر التلاوة ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: 129].

الصفة الثالثة: من صفات الرسول ﷺ قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 129] أي ويعلمهم الحكمة. واعلم أن الحكمة هي: الإصابة في القول والعمل، ولا يسمى

---

(1) البحر المحيط. (2) التفسير الكبير.

حكيماً إلا من اجتمع له الأمران، وقيل: أصلها من أحكمت الشيء أي: رددته، فكأن الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ، وذلك إنما يكون بما ذكرنا من الإصابة في القول والفعل، ووضع كل شيء موضعه.

● **قال تعالى**: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البَقَرَة: 151].

قال ابن كثير(1): يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات، ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب، وهو القرآن، والحكمة، وهي السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفَرَى، فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء. فصاروا أعمق الناس علماً، وأبرهم قلوباً، وأقلهم تكلفاً، وأصدقهم لهجة. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: 164] الآية، وذمَّ من لم يعرف قدر هذه النعمة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28] قال ابن عباس: يعني بنعمة الله: محمداً ﷺ ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة، ومقابلتها بذكره وشكره.

قال الألوسي(2): صفة (رسولاً) وفيه إشارة إلى طريق إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام لأن تلاوة الأمي الآيات الخارجة عن طوق البشر باعتبار بلاغتها واشتمالها على الإخبار بالمغيبات والمصالح التي ينتظم بها أمر المعاد والمعاش أقوى دليل على نبوته ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يطهركم من الشرك وهي صفة أخرى للرسول وأتى بها عقب التلاوة لأن التطهير عن ذلك ناشىء عن إظهار المعجزة لمن أراد الله تعالى توفيقه.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البَقَرَة: 113].

قال الزمخشري(1): الواو للحال. والكتاب للجنس أي: قالوا ذلك، وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب. وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي؛ لأن كل واحد من الكتابين مصدّق للثاني شاهد بصحته، وكذلك كتب الله جميعاً متواردة على تصديق بعضها بعضاً.

قال أبو حيان(2): جملة حالية، أي وهم عالمون بما في كتبهم، تالون له. وهذا نعي عليهم في مقالتهم تلك، إذ الكتاب ناطق بخلاف ما يقولونه، شاهدة توراتهم ببشارة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وصحة نبوّتهما. وإنجيلهم شاهد بصحة نبوة موسى ومحمد ﷺ، إذ كتب الله يصدق بعضها بعضاً.

وفي هذا تنبيه لأمّة محمد ﷺ في أن من كان عالماً بالقرآن، يكون واقفاً عنده، عاملاً بما فيه، قائلاً بما تضمنه، لا أن يخالف قوله ما هو شاهد على مخالفته منه، فيكون في ذلك كاليهود والنصارى. والكتاب هنا قيل: هو التوراة والإنجيل. وقيل: التوراة، لأن النصارى تمتثلها.

● قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة: 121].

قال الطنطاوي(3): أي: يقرؤونه قراءة حقة، مصحوبة بضبط لفظه، وتدبر معانيه، ولا شك أن ضبط لفظه يقتضي عدم تحريف ما لا يوافق أهواء أهل الكتاب، كالجمل الواردة في نعت رسول الله ﷺ وأن تدبره يستدعي اتباعه والعمل به. وجملة: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ حال من الضمير (هم) أو من الكتاب وهذه الحال من قبيل الأحول التي تلابس صاحبها بعد وقوع عاملها، فإنهم إنما يتلون

(1) الكشاف.
(2) البحر المحيط.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.

الكتاب بعد أن يؤتوه. وهي التي تسمى بالحال المقدرة أي: مقدراً وقوعها بعد وقوع عاملها. والمراد بالذين أوتوا الكتاب، مؤمنو أهل الكتاب. والمراد بالكتاب التوارة والإنجيل. أو هم أصحاب النبي ﷺ والكتاب: القرآن.

وأجاز بعضهم أن تكون الآية سيقت مدحاً لمن آمن من أهل الكتاب بالقرآن، فيكون الضمير في يتلونه القرآن.

وذكر الطبري[1]: والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حقّ اتباعه، من قول القائل: ما زلت أتلو أَثَره: إذا اتبع أثره لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله. وإذا كان ذلك تأويله، فمعنى الكلام: الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتهم به من الحقّ من عندي، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى صلوات الله عليه، فيؤمنون به، ويقرّون بما فيه من نعتك وصفتك، وأنك رسولي فُرض عليهم طاعتي في الإيمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندي، ويعملون بما أحللتُ لهم، ويجتنبون ما حرّمت عليهم فيه، ولا يحرّفونه عن مواضعه ولا يبدّلونه ولا يغيرونه كما أنزلته عليهم بتأويل ولا غيره.

● **قال تعالى**: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: 44].

قال الشعراوي[2]: يذكر الله بأن اليهود يقولون ما لا يفعلون. ولو كانوا يؤمنون حقاً بالتوراة لآمنوا برسول الله ﷺ وبالإسلام. لأن ذلك أمر في التوراة، ولكنهم نسوا أنفسهم. فهم أول مخالف للتوراة لأنهم لم يتبعوها.. وهم يتلون كتابهم الذي يأمرهم بالإيمان الجديد.

ومع أنهم متأكدون من صدق رسالة رسول الله ﷺ. إلا أنهم لا يؤمنون. ولو

(1) جامع البيان. (2) تفسير الشعراوي.

كان عندهم ذرة من العقل لآمنوا بما يطلبه منهم كتابهم الذي يتلونه. ولكنهم لا يفكرون بعقولهم، وإنما يريدون علوًّا في الأرض. والآية - كما قلنا - لا تنطبق على اليهود وحدهم بل على كل مَنْ يسلك هذا السلوك.

وقال أبو حيان(1): التلاوة: القراءة، وسميت بها لأن الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضاً في الذكر. والتلو: التبع، وناقة متل: يتبعها ولدها.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: أنكم مباشرو الكتاب وقارئوه، وعالمون بما انطوى عليه، فكيف امتثلتموه بالنسبة إلى غيركم؟ وخالفتموه بالنسبة إلى أنفسكم؟ كقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 42] والجملة حالية ولا يخفى ما في تصديرها بقوله: ﴿وَأَنتُمْ﴾، من التبكيت لهم والتقريع والتوبيخ لأجل المخاطبة بخلافها لو كانت اسماً مفرداً. والكتاب هنا: التوراة والإنجيل، وفيهما النهي عن هذا الوصف الذميم، وهذا قول الجمهور. وقيل: الكتاب هنا القرآن، قالوا: ويكون قد انصرف من خطاب أهل الكتاب إلى خطاب المؤمنين، ويكون ذلك من تلوين الخطاب، مثل قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ [يُوسُف: 29] وفي هذا القول بعد، إذ الظاهر أن هذا كله خطاب مع أهل الكتاب.

● **وقال تعالى**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83].

قال أبو السعود(2): ﴿سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم﴾ [الكهف: 83] أي: سأذكر لكم ﴿مِّنْهُ﴾ أي: من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا﴾ أي: نبأ مذكوراً، وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلوِّ حكايةً عن الله عَزَّوَجَلَّ ، قيل: سأتلو أو سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكراً أي: قرآناً، والسينُ للتأكيد والدِلالة على التحقيق المناسبِ لمقام تأييدِه عليه الصلاة والسلام وتصديقِه بإنجاز وعدِه، أي: لا أترك التلاوةَ البتةَ.

(1) البحر المحيط. (2) إرشاد العقل السليم.

لا للدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل، لأن هذه الآيةَ ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة، بل موصولةٌ بما بعدها ريثما سألوه عليه الصلاة والسلام عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهفِ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**ائتوني غداً أخبرْكم**» فأبطأ عليه الوحيُ خمسة عشر يوماً أو أربعين.

وقال الشعراوي(1): وأيُّ شرف بعد هذا الشرف، إن الحق تبارك وتعالى يتولّى التأريخ لهذا الرجل، ويُؤرّخ له في قرآنه الكريم الذي يُتلَى ويُتعبَّد به إلى يوم القيامة والذي يُتحدّى به، ليظل ذِكْره باقياً بقاء القرآن، خالداً بخلوده، ويظل أثره فيما عمل أُسْوة وقُدْوة لمن يعمل مثله. إنْ دَلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن العمل الصالح مذكور عند الله قبل أنْ يُذكَرَ عند الخلق.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النَّمل: 92].

قال الألوسي(2): أي أواظب على قراءته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنيته الإرشاد لكفايته في الهداية إلى طريق الرشاد، وقيل: أي أواظب على قراءته لينكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً، فإن المواظبة على قراءته من أسباب فتح باب الفيوضات الإلٰهية والأسرار القدسية، «وقد حكي أنه ﷺ قام ليلة يصلي فقرأ قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المَائدة: 118]. فما زال يكررها ويظهر له من أسرارها ما يظهر حتى طلع الفجر»، وقيل: أتلو من تلاه: إذا تبعه، أي: وأن أتبع القرآن، وهو خلاف الظاهر، ويؤيد ما ذكرناه أولاً من المعنى ما في حرف أبي كما أخرجه أبو عبيد. وابن المنذر عن هارون (وأتل عليهم القرآن) وحكى عنه في «البحر» أنه قرأ (وأتل هذا القرآن)، ولا تأييد فيه لما ذكرنا. وقرأ عبد الله (وأن أتل) بغير واو أمراً من تلا فجاز أن تكون أن مصدرية وصلت بالأمر، وجاز أن تكون مفسرة على إضمار أمرت.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) روح المعاني.

قال ابن عاشور[1]: لأن كلاً من الإسلام والتلاوة من شؤون الرسالة. والتلاوة: قراءة كلام معين على الناس، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البَقَرَة: 102].

وحذف متعلق التلاوة لظهوره، أي أن أتلوا القرآن على الناس. وفرع على التلاوة ما يقتضي انقسام الناس إلى مهتد وضال، أي منتفع بتلاوة القرآن عليه وغير منتفع مبيناً أن من اهتدى فإنما كان اهتداؤه لفائدة نفسه. وهذا زيادة في تحريض السامعين على الاهتداء بهدي القرآن لأن فيه نفعه كما آذنت به اللام.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات: 1-3].

قال القرطبي[2]: الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى؛ قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جُبير والسّدي. وقيل: المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع؛ لأنه كبير الملائكة فلا يخلو من جنود وأتباع. وقال قتادة: المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه. وقيل: هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل: 76]. ويجوز أن يقال لآيات القرآن تاليات؛ لأن بعض الحروف يتبع بعضاً؛ ذكره القشيري. وذكر الماوردي: أن المراد بالتَّاليات الأنبياء يتلون الذكر على أممهم. فإن قيل: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قيل له: إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود.

قال الزمخشري[3]: والتاليات: كل من تلا كتاب الله، ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدراسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل، كما يحكى عن عليّ بن أبي

(1) التحرير والتنوير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.

طالب ﷺ . فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدلّ على ترتب معانيها في الوجود، كأنه قيل: الذي صبح فغنم فآب. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك، كقوله: (رحم الله المحلقين فالمقصرين) فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات فإن قلت: فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟ قلت: إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على أن ترتب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته، فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه، بيان ذلك: إنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فعطفها بالفاء، يفيد ترتباً لها في الفضل: إما إن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر، فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل، أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل، والتاليات أبهر فضلاً، أو على العكس، وكذلك إذا أردت بالصافات: الطير، وبالزاجرات: كل ما يزجر عن معصية. وبالتاليات: كل نفس تتلو الذكر.

● **قال تعالى:** ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: 3].

قال الألوسي[1]: أي نقرأ بواسطة جبرائيل عليه السلام ، فالإسناد مجازي كما في: بنى الأمير المدينة. والتلاوة في كلامهم على ما قال الراغب (تختص باتباع كتب الله تعالى المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك وهو أخص من القراءة) ويجوز أن تكون التلاوة هنا مجازاً مرسلاً عن التنزيل بعلاقة أن التنزيل لازم لها أو سببها في الجملة وأن تكون استعارة له لما بينهما من المشابهة فإن كلاً منهما طريق للتبليغ فالمعنى ننزل عليك

(1) روح المعاني.

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أي من خبرهما العجيب الشأن، والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع صفة لمفعول ﴿نَتْلُوا۟﴾ المحذوف أي: نتلو شيئاً كائناً من نبئهما. والظاهر أن ﴿مِن﴾ تبعيضية، وجوز بعضهم كونها بيانية وكونها صلة على رأي الأخفش فنبأ مجرور، لفظاً مرفوع محلاً مفعول ﴿نَتْلُوا۟﴾ ويوهم كلام بعضهم أن ﴿مِن﴾ هو المفعول كأنه قيل: نتلو بعض نبأ وفيه بحث، وأياً ما كان فلا تجوز في كون النبأ متلواً لما أنه نوع من اللفظ.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل ﴿نَتْلُوا۟﴾ أي: نتلو ملتبسين بالحق أو مفعوله أي: نتلو شيئاً من نبئهما ملتبساً بالحق أو وقع صفة لمصدر ﴿نَتْلُوا۟﴾ أي: نتلو تلاوة ملتبسة بالحق؛ وقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ متعلق بنتلو واللام للتعليل وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الدعوة والبيان لأنهم المنتفعون به، وقد تقدم الكلام في شمول ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ للمؤمنين حالاً واستقبالاً في السورة السابقة.

وقال الفخر الرازي[1]: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ أي: على لسان جبريل عليه السلام لأنه كان يتلو على محمد حتى يحفظه، وقوله: ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ فهو مفعول ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ أي: نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محققين.

(1) التفسير الكبير.

تم

(تم - كمل - وفى)

- **التَّمام:** النهاية القصوى في الكيف ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصَّف: 8].
- **الكَمَال:** النهاية القصوى في الكَمِّ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: 3]. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البَقَرَة: 196].
- **الوَفاء:** النهاية القصوى في إبراء الذمة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النّجْم: 37].

* * *

شرح المعاني:

أتم: من فعل تمّ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البَقَرَة: 187]. ويقال: فلان تام الخُلُق أي: ليس فيه نقص كمّي، فكلّ تام يسبقه نقص. النقص هنا يكون كمًّا.

أكمل: وكامل مثل كامل الخلق، هو تام مضاف إليه جمال وعكسها ناقص، والنقص هنا يكون كيفاً بمعنى معنوي أو حسّي أو سلوكي وكل كامل يسبقه قُبح. وكل كامل تام، وليس كل تام كامل فالإنسان الكامل تمّ خلقه ثم زيد. فالكمال زيادة على أصل الخِلقة وهذا يقتضي عنصرين: الإتقان والحُسن.

أتقن والإتقان: هو الإحكام وهو ربط القواعد الكلّية بجزئياتها، ويقال رجل تِقْنٌ أي: الرجل الحاذق. والتقن هو ما تقوم به الحياة من المعادن النفيسة ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النّمل: 88].

أحسن والحُسن: هو الإحسان أي تجميل الشيء. ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِۗ﴾ [آل عِمرَان: 148].

يُسمّى الشيء كاملاً إذا كان متقناً وجميلاً. ويقال: أتممت الشيء بمعنى كان ناقصاً فأتممته. وإذا أتقنت الشيء وأحسنته فهو كامل. والتمام شرع والكمال ذوق.

لكي تتم الصلاة لا بد من أن لا تُنقص منها ركعة أو ركناً ولكي تكمل الصلاة يجب أن لا تنقص كيفاً أي يكون فيها لإتقان وأحسّنه. وتمام الدين للجميع أما كماله فلا يكون إلا لبعض الصالحين المحسنين فالناس لا يتفاوتون بالتمام (فمثلاً الصلاة كل الناس متساوون بها وكذلك الصيام) ولذا جاءت الأحكام في القرآن الكريم بكلمة أتموا (وأتموا الصلاة، ثم أتموا الصيام، وأتموا الحج والعمرة) ولكن يتفاوتون بالكمال لأن كل إنسان يتقن عبادته بشكل يختلف عن غيره.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ﴾ [البَقَرَة: 233] تأتي الآية بكلمة كاملاً للدلالة على كيفية الإرضاع لا على كميّته لأن الإتمام عُرف أنه سنتان.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾، التمام في الآية تمام عددي، من الفجر إلى المغرب، وهو تمام شرع في هذه الآية أما في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [البَقَرَة: 185] فهو يعني حتى يكون رمضان كفارة لكل الذنوب، لا فيه غيبة ولا نميمة وفيه طعام حلال وكل ما يُحسّن الصوم. فالتمام إذن لإسقاط الفرض (وهو تمام عددي) والكمال هو للترقي في الجنّة (مثل كيفية الصيام) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المَائدة: 3]، أكملت فلا مزيد وأتممت فلا نقص.

وتمام الصلاة أداؤها بأركانها المعروفة فما نقص عن ذلك تبطل الصلاة. أما الكمال في الصلاة فهو الخشوع فيها والمحافظة عليها بعدم ارتكاب الكبائر التي تحبطها والمداومة على الصلاة بصلاتها في موضع الجماعة. والحديث الشريف:

«**الصلاة إلى الصلاة كفارة**» يتحقق إذا كانت الصلاة كاملة. وصلاة الليل كاملة لكلّ من صلاّها وترفع الدرجات لكل من صلاّها.

تمام الزكاة بمعنى أن تؤدى نسبتها وهي 2,5% وما أجمع عليه الشرع. أما كمال الزكاة أن تختار أفضل ما عندك لتتصدق به وتقدمه في الزكاة كتقديم أفضل شاة في القطيع بدل أن تكون عرجاء أو غيرها.

تمام الحج من حيث العدد وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البَقَرَة: 196] ليس نقصاً لكن هذه أيام من كمالها كيفاً تنوب عن الفداء.

بر الوالدين، كظم الغيظ، العفو عن الناس، الإيثار، القناعة، الصدق في التعامل، إكرام الزوجة، النفقة على الزوجة، كل هذه الأعمال لا تكون إلا كاملة. وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ﴾ [القصص: 27] هذا تمام عددي. وإتمام النعمة هو كل ما احتاج الإنسان إلى نعمة أتمّها الله تعالى عليه.

النصوص اللغوية:

تَمَّ الشي يَتِمُّ تَمًّا وتَمامةً وتَماماً بمعنىً، وتَمَّمَه الله تَتْميماً وتَتِمَّةً، وتَمامُ الشيء وتِمامَتُه وتَتِمَّتُه: ما تَمَّ به. قال الفارسي: تَمامُ الشيء ما تمَّ به، بالفتح لا غير.

وقال الليث: التَّمْتَمةُ في الكلام أَن لا يبين اللسان يُخْطئ موضع الحرف فيرجِع إِلى لفظ كأَنه التاء والميم، وإِن لم يكن بَيِّناً.

وفي حديث ابن مسعود: «**التَّمائمُ والرُّقى والتِّوَلةُ من الشِّرْك**». قال أَبو منصور: التَّمائمُ واحدتُها تَمِيمةٌ، وهي خَرزات كان الأعرابُ يعلِّقونها على أَولادِهم يَنْفون بها النفْس والعَين بزَعْمهم، فأَبطله الإِسلامُ.

وجعلها ابن مسعود من الشِّرْك لأنهم جَعلوها واقِيةً من المَقادِير والموْتِ وأَرادُوا دَفْعَ ذلك بها، وطلبوا دَفْعَ الأَذى من غير الله الذي هو دافِعُه، فكأَنهم جعلوا له شريكاً فيما قَدّر وكَتَب من آجال العِبادِ والأَعْراضِ التي تُصيبهم.

وفي حديث دُعاء الأَذان: «اللهمَّ رَبَّ هذه الدَّعْوة التامَّة»؛ وصَفَها بالتَّمام لأَنها ذِكْر الله ويُدْعَى بها إلى عِبادته، وذلك هو الذي يستحِق صِفَة الكمال والتمام[1]..

قال الجوهري[2]: وأَتَمَّتِ الحُبْلى فهي مُتِمٌّ، إذا تَمَّتْ أيامُ حَملها. وولدتْ لِتَمامٍ وتِمامٍ، ووُلِدَ المولود لتَمامٍ وتمامٍ. وقمرٌ تَمامٌ وتِمامٌ: إذا تَمَّ ليلةَ البدر. وليل التمامِ مكسور لا غير، وهو أطولُ ليلةٍ في السنة. وقال: والقلبُ من خَشْيَةٍ مُقْشَعِرٌّ فَبِتُّ أكابدُ ليلَ التِمامِ.

وقال الراغب[3]: - تمام الشيء: انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والناقص: ما يحتاج إلى شيء خارج عنه. ويقال ذلك للمعدود والممسوح، تقول: عدد تام وليل تام.

المعنى المشترك لكلمة (ت م م)

وقد وردت كلمة (تمام) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الإتمام: يعني الوفاء ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [التّوبَة: 4].

الوجه الثاني: الإتمام: يعني الإسباغ ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المَائدة: 3].

الوجه الثالث: أتم: يعني أكمل ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ [يُوسُف: 6].

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142].

قال الفخر الرازي[1]: الجواب عن السؤال من وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى أمر موسى عليه السلام بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لهذا السبب.

والوجه الثاني: في فائدة هذا التفضيل أن الله أمره أن يصوم ثلاثين يوماً وأن يعمل فيها ما يقربه إلى الله تعالى، ثم أنزلت التوراة عليه في العشر البواقي، وكلمه أيضاً فيه. فهذا هو الفائدة في تفصيل الأربعين إلى الثلاثين وإلى العشرة.

والوجه الثالث: ما ذكره أبو مسلم الأصفهاني في سورة طه ما دل على أن موسى عليه السلام بادر إلى ميقات ربه قبل قومه، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴿٨٤﴾﴾ [طه: 83-84] فجائز أن يكون موسى أتى الطور عند تمام الثلاثين، فلما أعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري، رجع إلى قومه قبل تمام ما وعده الله تعالى، ثم عاد إلى الميقات في عشرة أخرى، فتم أربعون ليلة.

والوجه الرابع: قال بعضهم لا يمتنع أن يكون الوعد الأول حضره موسى عليه السلام وحده، والوعد الثاني حضر المختارون معه ليسمعوا كلام الله تعالى، فصار الوعد مختلفاً لاختلاف حال الحاضرين والله أعلم. .

---

(1) التفسير الكبير.

وقال الطبري[1]: فإنه يعني: فكمل الوقت الذي واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها.

وقال الماوردي[2]: يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة، ليدل بذلك على أن العشر هي ليال وليست ساعات. فإن قيل: فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين، فما معنى قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: 142]. فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه تأكيد في الذرك فلم يمتنع.

والثاني: كان وعده إلى الجبل الذي كلمه فيه.

والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين لأن تمام الشيء بعض منه. فإن قيل: فلم زاد في أجل وعده بعد الثلاثين عشراً جعلها أجلاً ثانياً فأخر بها موعده؟ قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فزاده الله لتأخرهم عنه أجلاً ثانياً ليحضروا.

والثاني: لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلاً ثانياً عقوبة لهم.

ويحتمل جواباً ثالثاً: أن الله فعل ذلك به اختباراً لقومه ليتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن من المرتاب.

والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر لعمل، والوقت قد لا يتقدر لعمل.

● **قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115].**

---

(1) جامع البيان. (2) النكت والعيون.

قال الطبري(1): يقول تعالى: وكملت كلمة ربك: يعني القرآن..

وقال الماوردي(2): يعني القرآن، وفي تمامه أربعة أوجه محتملة:

أحدها: تمام حُجَجِهِ ودلائله. والثاني: تمام أحكامه وأوامره. والثالث: تمام إنذاره بالوعد والوعيد. والرابع: تمام كلامه واستكمال صوره.

وقال الفخر الرزاي(3): اعلم أن هذه الآية تدل على أن كلمة الله تعالى موصوفة بصفات كثيرة.

فالصفة الأولى: كونها تامة وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وفي تفسير هذا التمام وجوه: الأول: ما ذكرنا أنها كافية وافية بكونها معجزة دالة على صدق محمد عليه الصلاة والسلام، والثاني: أنها كافية في بيان ما يحتاج المكلفون إليه إلى قيام القيامة عملاً وعلماً، والثالث: أن حكم الله تعالى هو الذي حصل في الأزل، ولا يحدث بعد ذلك شيء، فذلك الذي حصل في الأزل هو التمام، والزيادة عليه ممتنعة، وهذا الوجه هو المراد من قوله ﷺ: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة».

● **قال تعالى**: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ۖ﴾ **[الأعراف: 137]**

قال الألوسي(4): أي: مضت عليهم واستمرت من قولهم: مضى على الأمر إذا استمر، والمراد من الكلمة وعده تعالى لهم بالنصر والتمكين على لسان نبيهم عليه السلام وهو قوله السابق: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ **[الأعراف: 129]** الخ، وذهب غير واحد إلى أنه الوعد الذي يؤذن به قوله سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ **[القصص: 5]**،

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) التفسير الكبير.
(4) روح المعاني.

وقيل: المراد بها علمه تعالى الأزلي، والمعنى مضى واستمر عليهم ما كان مقدراً من إهلاك عدوهم وتوريثهم الأرض. .

وقال الماوردي[1]: فيها قولان: أحدهما: أن تمام كلمة الحسنى ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ [الأعراف: 129] وسماها الحسنى لأنه وعد بما يحبون.

والثاني: هو قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: 5-6].

وقال الفخر الرزاي[2]: والمعنى تمت على بني إسرائيل، مضت عليهم واستمرت، من قولهم تم عليك الأمر: إذا مضى عليك. وقيل: معنى تمام الكلمة الحسنى إنجاز الوعد الذي تقدم بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، وإنما كان الإنجاز تماماً للكلام لأن الوعد بالشيء يبقى كالشيء المعلق. فإذا حصل الموعود به فقد تم لك الوعد وكمل.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

قال الزمخشري[3]: بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأنَّ لم يحجّ معكم مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. أو أتمت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام.

وقال القرطبي[4]: أي بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام كما

(1) النكت والعيون.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

وَعَدتكم، إذ قلت: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾ [البقرة: 150] وهي دخول مكة آمنين مطمئنين وغير ذلك مما انتظمته هذه الملّة الحنيفيّة إلى دخول الجنة في رحمة الله تعالى.

قال الألوسي[1]: وليس الجار فيه متعلقاً بنعمتي لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله، وقيل: متعلق به ولا بأس بتقدم معمول المصدر إذا كان ظرفاً، وإتمام النعمة على المخاطبين بفتح مكة، ودخولها / آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكها، والنهي عن حج المشركين وطواف العريان، وقيل: بإتمام الهداية والتوفيق باتمام سببهما، وقيل: بإكمال الدين، وقيل: بإعطائهم من العلم والحكمة ما لم يعطه أحداً قبلهم، وقيل: معنى أتممت عليكم نعمتي أنجزت لكم وعدي بقوله سبحانه: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

● **قال تعالى**: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المَائدة: 6].

قال الفخر الرازي[2]: ففيه وجهان:

الأول: أن الكلام متعلق بما ذكر من أول السورة إلى هنا، وذلك لأنه تعالى أنعم في أول السورة بإباحة الطيبات من المطاعم والمناكح، ثم إنه تعالى ذكر بعده كيفية فرض الوضوء فكأنه قال: إنما ذكرت ذلك لتتم النعمة المذكورة أولاً وهي نعمة الدنيا، والنعمة المذكورة ثانياً وهي نعمة الدين. الثاني: أن المراد: وليتم نعمته عليكم أي بالترخص في التيمم والتخفيف في حال السفر والمرض، فاستدلوا بذلك على أنه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة بأن يعفو عن ذنوبكم ويتجاوز عن سيئاتكم.

---

(1) روح المعاني. (2) التفسير الكبير.

● وقال تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾ [يُوسُف: 6].

قال الطبري[1]: باجتبائه إياك واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث. ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يُوسُف: 6] يقول: وعلى أهل دين يعقوب وملته من ذرّيته وغيرهم. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يُوسُف: 6] باتخاذه هذا خليلاً وتنجيته من النار، وفدية هذا بذبح عظيم.

وقال القرطبي[2]: أي: بالنبوّة. وقيل: بإخراج إخوتك إليك؛ وقيل: بإنجائك من كل مكروه. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بالخلة، وإنجائه من النار.

وقال الفخر الرازي[3]: واعلم أنا لما فسرنا هذه الآية بالنبوة لزم الحكم بأن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء، وذلك لأنه قال: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب، فلما كان المراد من إتمام النعمة هو النبوة لزم حصولها لآل يعقوب ترك العمل به في حق من عدا أبناءه فوجب أن لا يبقى معمولاً به في حق أولاده. وأيضاً أن يوسف عليه السلام قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: 4] وكان تأويله أحد عشر نفساً لهم فضل وكمال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الأرض، لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضي أن يكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلاً.

● **قال تعالى**: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفَتْح: 2].

---

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.

قال الماوردي[1]: فيه قولان:

أحدهما: بفتح مكة والطائف وخيبر. الثاني: بخضوع من استكبر. وطاعة من تجبر..

وقال الفخر الرازي[2]: يحتمل وجوهاً:

أحدها: هو أن التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج، وهو آخر التكاليف، والتكاليف نعم، ثانيها: يتم نعمته عليك بإخلاء الأرض لك عن معانديك، فإن يوم الفتح لم يبق للنبي عليه الصلاة والسلام عدو ذو اعتبار، فإن بعضهم كانوا أهلكوا يوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا يوم الفتح، ثالثها: ويتم نعمته عليك في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح، وفي الآخرة بقول شفاعتك في الذنوب ولو كانت في غاية القبح.

● **وقال تعالى**: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: 150].

قال الفخر الرازي[3]: فإن قيل: إنه تعالى أنزل عند قرب وفاة رسول الله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: 3].

فبيَّن أن تمام النعمة إنما حصل ذلك اليوم، فكيف قال قبل ذلك اليوم بسنين كثيرة في هذه الآية: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ قلنا: تمام النعمة اللائقة في كل وقت هو الذي خصه به، وفي الحديث: «**تمام النعمة دخول الجنة**» وعن علي رضي الله عنه: تمام النعمة الموت على الإسلام.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البَقَرَة: 196].

قال الشعراوي[4]: نفهم منه أن الأمر بإتمام الشيء لا يكون إلا إذا جاء الأمر

(1) النكت والعيون.
(2) التفسير الكبير.
(3) التفسير الكبير.
(4) تفسير الشعراوي.

بفرض هذا الفعل، فكأنك بدأت في العمل بعد التشريع به، ويريد منك سبحانه ألا تحج فقط، ولكن يريد منك أن تتمه وتجعله تامًّا مستوفياً لكل مطلوبات المشرع له. .

وقال ابن عاشور(1): والإتمام إكمال الشيء والإتيان على بقايا ما بقي منه حتى يستوعب جميعه.

ومثل هذا الأمر المتعلق بوصف فعل يقع في كلامهم على وجهين: أحدهما وهو الأكثر أن يكون المطلوب تحصيل وصف خاص للفعل المتعلق به الوصف كالإتمام في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ﴾ أي كملوه إن شرعتم فيه.

● **وقال تعالى**: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف: 8].

قال ابن عباس: يظهر دينه، وقال صاحب الكشاف: متم الحق ومبلغه غايته، وقيل: دين الله، وكتاب الله، ورسول الله، وكل واحد من هذه الثلاثة بهذه الصفة لأنه يظهر عليهم من الآثار وثانيها: أن نور الله ساطع أبداً وطالع من مطلع لا يمكن زواله أصلاً وهو الحضرة القدسية، وكل واحد من الثلاثة كذلك وثالثها: أن النور نحو العلم، والظلمة نحو الجهل، أو النور الإيمان يخرجهم من الظلمات إلى النور، أو الإسلام هو النور، أو يقال: الدين وضع إلٰهي سائق لأولي الألباب إلى الخيرات باختيارهم المحمود وذلك هو النور، والكتاب هو المبين.

والتمام لا يكون إلا عند النقصان، فكيف نقصان هذا النور؟ فنقول إتمامه بحسب النقصان في الأثر، وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق إلى المغارب، إذ الظهور لا يظهر إلا بالإظهار وهو الإتمام، يؤيده قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ

(1) التحرير والتنوير.

أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المَائدة: 3] وعن أبي هريرة: أن ذلك عند نزول عيسى من السماء، قال مجاهد. الثاني: قال هٰهنا: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصَّف: 8] وقال في موضع آخر: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النُّور: 35] وهذا عين ذلك[1]..

(1) التفسير الكبير.

توراة

(توراة)

النصوص اللغوية:

قال الفراء: التَّوْراةُ من الفعل التَّفْعِلة؛ كأنها أُخِذَتْ من أَوْرَيْتُ الزِّناد ووَرَّيْتُها، فتكون تَفْعِلة في لغة طيِّء لأَنهم يقولون في التَّوْصِية تَوْصاةٌ وللجارية جاراةٌ وللناصِيةِ ناصاةٌ.

وقال الفرّاء: أصل التوراة تورية تفعلة بفتح التاء، وسكون الواو، وفتح الراء والياء، إلا أنه صارت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

وقال أَبو إسحٰق في التَّوارة: قال البصريون تَوْراةٌ أَصلها فَوْعَلةٌ، وفوعلة كثير في الكلام مثل الحَوْصلة والدَّوْخلة، وكلٌّ ما قُلْت فيه فَوْعَلْتُ فمصدره فَوْعلةٌ، فالأَصل عندهم وَوْراةٌ، ولكن الواو الأُولى قلبت تاء كما قلبت في تَوْلَج وإِنما هو فَوْعَل من وَلَجْت، ومثله كثير.

والتَّوْراةُ عند أَبي العباس تَفْعِلةٌ، وعند الفارسي فَوْعلة، قال: لقلة تَفْعِلة في الأَسماء وكثرة فَوْعلة. ووَرَّيْتُ الشيءَ ووَارَيْتُه: أَخْفَيْتُه.

التوارة: معناها الضياء والنور، من قول العرب[1].

وقال الزمخشري[2]: التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من: الوري، والبخل.

---

(1) اللسان، معجم فقه اللغة. (2) الكشاف.

وقال الراغب[1]: التوراة التاء فيه مقلوب، وأصله من الورى، بناؤها عند الكوفيين: ووراة تفعلة وقال بعضهم: هي تفعلة نحو تنفلة وليس في كلامهم تفعلة اسماً. وعند البصريين وورية، هي فوعلة نحو حوصلة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عِمرَان: 3].

قال الفخر الرازي[2]: في التوراة قراءتان: الإمالة والتفخيم، فمن فخم فلأن الراء حرف يمنع الإمالة لما فيه من التكرير..

وقال ابن عطية[3]: وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم «التورَاة» مفتوحة الراء، وكان حمزة ونافع يلفظان بالراء بين اللفظين بين الفتح والكسر وكذلك فعلا في قوله: (من الأبرار) و(من الأشرار) و(قرار) إذا كان الحرف مخفوضاً، وروى المسيبي عن نافع فتح الراء من التوراة، وروى ورش عنه كسرها، وكان أبو عمرو والكسائي يكسران الراء من التوراة ويميلان من (الأبرار)، وغيرها أشد من إمالة حمزة ونافع.

وقال ابن عاشور[4]: والتوراة اسم للكتاب المنزّل على موسى عليه السلام، وهو اسم عبراني أصله طوْراً بمعنى الهدي، والظاهر أنّه اسم للألواح التي فيها الكلمات العشر التي نزلت على موسى عليه السلام في جبل الطور؛ لأنّها أصل الشريعة التي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك الاسم على جميع كتب موسى، واليهود

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.
(3) المحرر الوجيز.
(4) التحرير والتنوير.

يقولون (سِفر طوراً) فلمّا دخل هذا الاسم إلى العربية أدخلوا عليه لام التعريف التي تدخل على الأوصَافِ والنكرات لتصير أعلاماً بالغَلَبة: مثل العَقَبة، ومن أهل اللغة والتفسير من حاولوا توجيهاً لاشتقاقه اشتقاقاً عربياً، فقالوا: إنه مشتق من الوَرْي وهو الوقد، بوزن تَفعَلة أو فَوْعَلَة، وربّما أقدمهم على ذلك أمران:

أحدهما دخول حرف التعريف عليه، وهو لا يدخل على الأسماء العجمية، وأجيب بأن لا مانع من دخولها على المعرّب كما قالوا: الإسكندرية، وهذا جواب غير صحيح؛ لأنّ الإسكندرية وزن عربي؛ إذ هو نسب إلى إسكندر، فالوجه في الجواب أنّه إنّما ألزم التعريف لأنّه معرّب عن اسم بمعنى الوصف اسم علم فلمّا عربوه ألزموه اللام لذلك. .

● **وقال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المَائدة: 44].

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزانيين، وقد سبق. و«الهدى»: البيان. فالتوراة مبينة صحة نبوة محمد ﷺ، ومبينة ما تحاكموا فيه إليه. و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات[1].

(1) زاد المسير.

تارة

(تارة - مرة - كرة - حقبة)

■ **التَّارَةُ:** الجمع لتكرار الفعل ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55].

■ **المَرَّةُ:** لجزء الزمن ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: 126].

■ **الكَرَّةُ:** العطف على الشيء بالذات أو بالفعل ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6].

■ **الحِقْبَةُ /بالكسر:** مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبإ: 23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن سيده: التَّوْرُ من الأَواني: مذكر، قيل: هو عربي، وقيل: دخيل. الأَزهري: التَّوْرُ: إِناء معروف تذكره العرب تشرب فيه.

قال أَبو منصور وقال غيره: جمع تَأْرَةٍ تِئَرٌ، مهموزة؛ قال: ومنه يقال: أَتْأَرْتُ النَّظَرَ إِليه أَي: أَدمته تارةً بَعْدَ تارةٍ.

وأَتَرْتُ الشيءَ: جئت به تارةً أُخرى أَي: مَرَّةً بعد مرة.

وقال ابن الاعرابي: التَّائِرُ: المداوم على العمل بعد فتور.

والتَّيَّار: هو تيار البحر.

وتِيرَ الرجلُ: أُصيب التَّارُ منه، هكذا جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله؛ قال

ابن هَرْمَةَ: حَييّ تَقِيّ ساكنُ القَوْلِ وَادِعٌ إذا لم يُتَرْ، شَهْمٌ، إذا تِيرَ، مانِعُ وتارَاءُ: من مساجد سيدنا رسولُ الله ﷺ، بين المدينة وتبوك؛ ورأيت في حواشي ابن بري بخط الشيخ الفاضل رضي الدين الشاطبي، وأَظنه نسبه إلى ابن سيده، قوله: وما الدَّهْرُ إلاّ تارتانِ: فَمِنْهما أَمُوتُ، وأُخرى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ، أَراد: فمنهما تارة أَموتها أَي: أَموت فيها(1).

قال الخليل(2): فذكر في بنائه ما ليس من أصله، وهو اسْتَوْأَرَتِ الوَحْش.

وهذا مذكورٌ في بابه وذكر ابن دريد كلمةً لو أعْرَضَ عنها كان أحسن. قال: التّوْر: الرَّسول بين القوم، عربيٌّ صحيح.

قال: والتَّوْرُ فيما بيننا مُعْملٌ يَرضَى به المُرْسِل والمرسَلُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: 69].

قال الألوسي(3): أي مرة غير المرة الأولى. وهو منصوب على الظرفية ويجمع على تَارَاتٍ وتِيرٍ، كما في قوله:

* يقوم تَاراتٍ ويمشي تِيراً.

وربما حذفوا منه الهاء، كقوله:

* بالويل تَاراً والثبور تَاراً.

وإسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود باختيارهم ومما ينسب إليهم وإن كان مخلوقاً له سبحانه كسائر أفعالهم باعتبار خلق الدواعي فيهم الملجئة إلى ذلك.

---

(1) اللسان.
(2) العين.
(3) روح المعاني.

وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الأولى بحيث لولا الإعادة ما عادوا.

قال ابن عاشور[1]: والتَّارَةُ: المرة المتكررة، قيل عينه همزة ثم خففت لكثرة الاستعمال. وقيل: هي واو. والأول أظهر لوجوده مهموزاً وهم لا يهمزون حرف العلة في اللغة الفصحى، وأما تخفيف المهموز فكثير مثل: فأس وفاس، وكأس وكاس.

● **وقال تعالى: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾** [طه: 55].

قال ابن كثير[2]: أي: من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، وفيها نعيدكم، أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم، ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: 52].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾. وفي الحديث الذي في السنن: أن رسول الله ﷺ حضر جنازة، فلما دفن الميت، أخذ قبضة من التراب، فألقاها في القبر وقال: «**منها خلقناكم**» ثم أخذ أخرى، وقال: «وفيها نعيدكم» ثم أخرى، وقال: «**ومنها نخرجكم تارة أخرى**» وقوله:

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ يعني: فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات، وعاين ذلك وأبصره، فكذب بها وأباها كفراً وعناداً وبغياً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

قال الفخر الرازي[3]: ففيه وجوه: أحدها: وهو الأقرب: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يوم الحشر والبعث. وثانيها: ومنها نخرجكم تراباً وطيناً ثم نحييكم بعد الإخراج وهذا مذكور في بعض الأخبار. وثالثها: المراد عذاب القبر عن البراء قال:

(1) التحرير والتنوير.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) التفسير الكبير.

خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فذكر عذاب القبر وما يخاطب به المؤمن والكافر وأنه ترد روحه في جسده ويرد إلى الأرض وأنه تعالى يقول عند إعادتهم إلى الأرض: إني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى؛ واعلم أن الله تعالى عدد في هذه الآيات منافع الأرض وهي أنه تعالى جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف أرادوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلف دوابهم وهي أصلهم الذي منه يتفرعون ثم هي كفاتهم إذا ماتوا، ومن ثم قال عليه السلام: «**بروا بالأرض فإنها بكم برة**».

وقال الشعراوي: أي: مرة أخرى بالبعث يوم القيامة، وهذا الإخراج له نظام خاصّ يختلف عن الإخراج الأول؛ لأنه سيبدأ بعودة الروح، ثم يكتمل لها الجسد[1].

(1) تفسير الشعراوي.

تَنّور
(التنور)

النصوص اللغوية:

والتَّنُّور وَجْهُ الأَرض، فارسي معرَّب، وقيل: هو بكل لغة.

وقال أَحمد بن يحيى: التَّنُّور تَفْعُول من النار.

قال ابن سيده: وهذا من الفساد بحيث تراه وإِنما هو أَصل لم يستعمل إِلاَّ في هذا الحرف وبالزيادة، وصاحبه تَنَّارٌ.

وقال الجوهري: والتَّنُّور الذي يخبز فيه؛ يقال: هو في جميع اللغات كذلك.

قال ابن الأَثير: وإِنما أَراد أَنك لو صرفت ثمنه إِلى دقيق تخبزه أَو حطب تطبخ به كان خيراً لك، كأَنه كره الثوب المعصفر.

وروي عن ابن عباس: التَّنُّورُ الذي بالجزيرة وهي عَيْنُ الوَرْدِ، والله أَعلم بما أَراد.

قال الليث: التنور عمت بكل لسان.

قال أَبو منصور: وقول من قال: إِن التنور عمت بكل لسان يدل على أَن الاسم في الأَصل أَعجمي فعرّبتها العرب فصار عربيًّا على بناء فَعُّول، والدليل على ذلك أَن أَصل بنائه تنر، قال: ولا نعرفه في كلام العرب لأَنه مهمل، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس والاستبرق وما أَشبهها ولما تكلمت بها العرب صارت عربية[1]..

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هُود: 40].

قال الفخر الرازي(1): في التنور قولان: أحدهما: أنه التنور الذي يخبز فيه.

والثاني: أنه غيره، أما الأول وهو أنه التنور الذي يخبز فيه فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد. وهؤلاء اختلفوا، فمنهم من قال: إنه تنور لنوح عليه السلام، وقيل: كان لآدم، قال الحسن: كان تنوراً من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح عليه السلام، واختلفوا في موضعه فقال الشعبي: إنه كان بناحية الكوفة، وعن علي رضي الله عنه أنه في مسجد الكوفة، قال: وقد صلى فيه سبعون نبياً، وقيل بالشام بموضع يقال له: عين وردان وهو قول مقاتل، وقيل: فار التنور بالهند، وقيل: إن امرأته كانت تخبز في ذلك التنور فأخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في الحال بوضع تلك الأشياء في السفينة.

القول الثاني: ليس المراد من التنور تنور الخبز، وعلى هذا التقدير ففيه أقوال: الأول: أنه انفجر الماء من وجه الأرض كما قال: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: 11-12] والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً.

الثاني: أن التنور أشرف موضع في الأرض وأعلى مكان فيها وقد أخرج إليه الماء من ذلك الموضع ليكون ذلك معجزة له، وأيضاً المعنى أنه لما نبع الماء من أعالي الأرض، ومن الأمكنة المرتفعة فشبهت لارتفاعها بالتنانير. الثالث: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هُود: 40] أي: طلع الصبح وهو منقول عن علي رضي الله عنه. الرابع: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هُود: 40] يحتمل أن يكون معناه أشد الأمر كما يقال: حمي الوطيس،

(1) التفسير الكبير.

ومعنى الآية: إذا رأيت الأمر يشتد والماء يكثر فانج بنفسك ومن معك إلى السفينة.

قال ابن عاشور[1]: والتنور: محفل الوادي، أي: ضفَّته، فيكون مثل: طَما الوادي من قبيل: بلغ السيل الزُبى. والمعنى: بأن نفاذ أمرنا فيهم وبلغوا من طول مدة الكفر مبلغاً لا يغتفر لهم بعدُ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزّخرُف: 55].

والتنور: اسم لمَوقد النار للخبز. وزعمه الليث مما اتفقت فيه اللغات، أي: كالصابون والسمور. ونسب الخفاجي في شفاء الغليل هذا إلى ابن عباس. وقال أبو منصور: كلام الليث يدل على أنه في الأصل أعجمي.

والدليل على ذلك أنه فعّول من تنر ولا نعرف تنر في كلام العرب لأنه مهمل، وقال غيره: ليس في كلام العرب نون قبل رَاء فإن نرجس معرب أيضاً.

وقد عدّ في الألفاظ المعربة الواقعة في القرآن. ونظمها ابن السبكي في شرحه على مختصر ابن الحاجب الأصلي ونسب ذلك إلى ابن دريد. قال أبو علي الفارسي: وزنه فَعّول. وعن ثعلب أنه عربي، قال: وزنه تَفعول من النور (أي فالتاء زايدة) وأصله تنوور بواوين، فقلبت الواو الأولى همزة لانضمامها ثم حذفت الهمزة تخفيفاً ثم شددت النون عوضاً عما حذف أي مثل قوله: تقَضّى البَازي بمعنى تقضّض..

وقال القرطبي[2]: اختلف في التنور على أقوال سبعة: الأول: أنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً؛ قاله ابن عباس وعِكرمة والزّهري وابن عيينة؛ وذلك أنه قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

الثاني: أنه تنور الخبز الذي يخبز فيه؛ وكان تنوراً من حجارة؛ وكان لحوّاء

(1) التحرير والتنوير. (2) الجامع لأحكام القرآن.

حتى صار لنوح؛ فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك. وأنبع الله الماء من التنور، فعلمت بها امرأته فقالت: يا نوح فار الماء من التنور؛ فقال: جاء وعد ربي حقاً. هذا قول الحسن؛ وقاله مجاهد وعطية عن ابن عباس.

الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة؛ عن الحسن أيضاً.

الرابع: أنه طلوع الفجر، ونور الصبح؛ من قولهم: نوّر الفجر تنويراً؛ قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخامس: أنه مسجد الكوفة؛ قاله عليّ بن أبي طالب أيضاً؛ وقاله مجاهد. قال مجاهد: كان ناحية التنور بالكوفة. وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الدّاخل مما يلي كندة. وكان فوران الماء منه علماً لنوح، ودليلاً على هلاك قومه.

السادس: أنه أعالي الأرض، والمواضع المرتفعة منها؛ قاله قتادة.

السابع: أنه العين التي بالجزيرة «عين الوردة» رواه عِكرمة. وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم، وإنما كان بالشام بموضع يقال له: «عين وَرْدَة» وقال ابن عباس أيضاً: فار تنور آدم بالهند.

تين

(تين)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والياء والنون ليس أصلاً، إلاّ التِّين، وهو معروفٌ. والتِّين جبل.

قال الخليل[2]: واحد التِّينُ: تينة.

قال الصاحب: التِّينُ من الفواكه، والواحدة: تينة.

وقال ابن دريد: التِّينُ ثمر معروف.

التِّينُ: الذي يُؤكل، وفي المحكم: والتينُ شجر البَلَس، وقيل: هو البَلَس نفْسُه، واحدته تِينة؛ قال أَبو حنيفة: أَجناسُه كثيرة بَرِّيّة وريفيّة وسُهْليّة وجبَلِيّة، وهو كثير بأَرض العرب، قال: وأَخبرني رجل من أَعراب السَّراة، وهم أَهلُ تينٍ، قال: التِّينُ بالسراة كثيرٌ جدًّا مُباح، قال: وتأْكله رَطباً وتُزَبِّبه فتَدَّخِرُه، وقد يُكسَّر على التِّين.

والتين: جبَل بالشأْم؛ وقال أَبو حنيفة: هو جبل في بلاد غَطَفان.

والتِّينَةُ، (بالكسر): الدُّبُرُ، وماءةٌ[3].

قال الراغب[4]: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ هما جبلان، وقيل هما المأكولان.

---

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) اللسان.
(4) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التِّين: 1].

قال الطبري[1]: الصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تيناً، ولا جبل يقال له زيتون، إلاَّ أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسمَ بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهباً، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك، دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوِّز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون..

وقال ابن كثير[2]: قال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار:

(فالأول) محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام.

(والثاني) طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران.

(والثالث) مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء يعني: الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، وأشرق من ساعير يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى، واستعلن من جبال فاران يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب

(1) جامع البيان.
(2) تفسير ابن كثير.

الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما.

وذكر أبو السعود[1]: هما هذا التينُ وهذا الزيتونُ خصَّهُما الله سبحانَهُ من بينِ الثمارِ بالإقسامِ بهما لاختصاصِهما بخواصَّ جليلةٍ فإنَّ التينَ فاكهةٌ طيبةٌ لا فُضلَ لهُ وغذاءٌ لطيفٌ سريعُ الهضمِ ودواءٌ كثيرُ النفعِ يلينُ الطبعَ ويحللُ البلغَمَ ويطهرُ الكليتينِ ويزيلُ ما في المثانةِ من الرملِ ويسمن البدنَ ويفتحُ سددَ الكبدِ والطِّحالِ.

وقال البغوي[2]: قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم، وعطاء بن أبي رباح، ومقاتل، والكلبي: هو تينكم هذا الذي تأكلونه، وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت.

قيل: خصَّ التين بالقسم لأنها فاكهة مخلَّصة لا عجم لها، شبيهة بفواكه الجنة. وخص الزيتون لكثرة منافعه، ولأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث، وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح.

وقال عكرمة: هما جبلان. قال قتادة: «التين»: الجبل الذي عليه دمشق، و«الزيتون»: الجبل الذي عليه بيت المقدس، لأنهما ينبتان التين والزيتون.

وقال الضحاك: هما مسجدان بالشام. قال ابن زيد: «التين»: مسجد دمشق، و«الزيتون»: مسجد بيت المقدس. وقال محمد بن كعب: «التين» مسجد أصحاب الكهف، و«الزيتون»: مسجد إيليا.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) معالم التنزيل.

تيه

(تيه - ضاع - ضل)

- **التِّيهُ:** التحيّر في المقصود ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: 26].
- **الضَّيَاعُ:** التِّيه في المفازة الواسعة ومنها: ضيعة الرجل مزرعته التي تضيع إن لم يستمر في رعايتها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 143].
- **الضلال:** العدول عن الطريق الموصل للهدف وبعده الهداية ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾ [يُونس: 108].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

تاه: ومنه التيه في الأرض بمعنى تيهان (يتيهون في الأرض) ومنه التيه في العقيدة (تائه). وهو المتحير الذي لا يعرف المكان الذي هو فيه ولا كيف يتوجّه وأين: فهو تائه وتيهان.

ضاع: عندما يذهب من الشخص شيء لقلة وعيه واستهتاره به وعدم رعايته (ضاع الولد) والضياع لا يكون إلا بالإهمال ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: 59]، ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: 195] بمعنى لا أستهتر بأي عمل مهما كان بسيطاً.

فقد: والفقدان هو زوال الشيء عنوة وهو عزيز. والفقد لا يكون إلا لعزيز غالٍ وقع عليه فجأة، أو ما فُقِد باختياره بل فُقِد عنوة لأن المفقود يكون غالياً

﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴿٧٢﴾﴾ [يوسف: 71-72] وصواع الملك هنا كان غالياً لذا لم تأت الآية بكلمة ماذا أضعتم. والضائع لا يعود والمفقود يعود. ويُطلق الفاقد على كل امرأة تتزوج بعد أن مات زوجها.

ضلّ: والضلال هو الخروج عن طريق مستقيم واضح إلى طريق متعرج مجهول. وفي القرآن الكريم تطلق كلمة ضلّ والضلال على الكفر والشرك بالله، وعلى النسيان ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البَقَرَة: 282]، وعلى الخطأ البسيط ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ﴾ [يُوسُف: 8].

الضلال البعيد: كل ضلال بعيد في القرآن الكريم هو كفر وشرك والضالون مخلدون في النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشّورى: 18]، ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [قٓ: 27]، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سَبَإ: 8].

الضلال عن سواء السبيل ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البَقَرَة: 108]. ضلال في سبيل الله بمعنى كان مؤمناً فتحيّر فارتدّ مشركاً فكل من ضلّ عن سواء السبيل هو من المرتدّين.

الضلال المبين: هو آخر فرصة للضَّال قبل أن تأتيه العقوبة وتُطلق على الكافرين المشركين الخالدين في النار ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36] ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشُّعَرَاء: 97] والعقوبة في هذه الحال تكون أثناء الضلال أو بعده مباشرة.

يُضلّ الله من يشاء: الناس تمرض وتشفى بفعل رب العالمين وقد ترك فينا سبحانه عوامل إذا أهملناها مرضنا مثل الجراثيم والبكتيريا وغيرها، فإذا استعملنا عناصر الله تعالى التي خلقها بنا بطريقة صحيحة نُصيب أنفسنا بالمرض والأذى والضرر. فإذا باشرنا أسباب الصحة نصح وإذا باشرنا أسباب المرض نمرض وهكذا في كل الأمور فالذي يُضرب عن الطعام مثلاً يقتل نفسه جوعاً مع توفر

الغذاء من الله تعالى. والله تعالى سبحانه جعل فينا خصائص عجيبة فيضلّ الإنسان بعناصر خلقها الله تعالى فيه مثل التعود على العمل المُضل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ [الأنعام: 125]، والصدر فيه قابلية للشرح والضيق وهذه خصائص وضعها الله تعالى فينا فمن الناس من يوظّف انشراح صدره لما فيه خيره. ونحن نستعمل أدوات الخير والشر التي خلقها الله تعالى فينا وفي كل الحالات نستعمل الخصائص التي وضعها سبحانه فينا. فالله تعالى لا يُضل الناس سبحانه تقدست صفاته وأسماؤه ولكن الضلال يأتي بسوء استخدام وتوظيف الخصائص والأدوات التي وضعها الله تعالى فينا. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البَقَرَة: 26] فسق باستعماله لأدوات الله تعالى استعمالاً سيئاً.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: التاء والواو والهاء ليس أصلاً. قالوا: تَاهَ يَتُوه، مثل تاه [يَتِيه] وهو من الإبدال.

التَّوْهُ: لغة في التِّيهِ، وهو الهَلاكُ، وقيل: الذهاب، وقد تاهَ يتُوهُ ويَتِيهُ تَوْهاً: هَلَكَ.

قال ابن سيده: وإنما ذكرت هنا يتِيهُ وإن كانت يائية اللفظ لأَن ياءها واو، بدليل قولهم ما أَتْوَهَهُ في: ما أَتْيَهه، والقول فيه كالقول في طاحَ يَطِيحُ، وسنذكره في موضعه.

قال أَبو زيد: قال لي رجل من بني كلاب: أَلْقَيْتَنِي في التُّوهِ: ، يريد التِّيهَ.

---

(1) مقاييس اللغة.

وقال ابن سيده: فتَاهَ يَتِيهُ، على هذا، فَعِلَ يَفْعِلُ عند سيبويه، وفلاةٌ تُوهٌ والجمع: أَتْواهٌ وأَتاويهُ[1].

قال الجوهري[2]: أَتْياهٌ وأتاوِيهُ، والضَّلالُ. تاهَ تَيْهاً، ويُكْسَرُ، وتَيَهاناً، محركةً، فهو تَيَّاهٌ وتَيْهانُ.

وأرضٌ تِيهٌ، بالكسر.

قال الراغب[3]: يقال: تَاهَ يَتِيهُ: إذا تحير، وتَاه يَتُوه لغة في تَاه يَتِيه، وتَوَّهَه وتَيَّهَهَ: إذا حيَّره وطرحه. ووقع في التِّيه والتُّوه، أي: في مواضع الحيرة، ومفازة تَيْهَاءُ: تحير سالكوها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المَائدة: 26].

قال الألوسي[4]: استئناف لبيان كيفية حرمانهم، وقيل: حال من ضمير ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 26]، والتِّيه: الحيرة، ويقال: تَاهَ يَتِيه ويَتُوه، وهو أَتْوهَ وأَتْيَه، فهو مما تداخل فيه الواو والياء، والمعنى: يسيرون متحيرين وحيرتهم عدم اهتدائهم للطريق. وقيل: الظرف متعلق ﴿يَتِيهُونَ﴾، وروى ذلك عن قتادة فيكون التيه مؤقتاً والتحريم مطلقاً يحتمل التأبيد وعدمه، وكان مسافة الأرض التي تاهوا فيها ثلاثين فرسخاً في عرض تسعة فراسخ كما قال مقاتل، وقيل: اثني عشر فرسخاً في عرض ستة فراسخ، وقيل: ستة في عرض تسعة، وقيل: كان طولها ثلاثين ميلاً في عرض ستة فراسخ وهي ما بين مصر والشام، وذكر أنهم كانوا

(1) اللسان.
(2) القاموس المحيط.
(3) مفردات الراغب.
(4) روح المعاني.

ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون فيصبحون حيث يمسون ويمسون حيث يصبحون - كما قاله الحسن ومجاهد.

- قيل: وحكمة ابتلائهم بالتيه أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المَائدة: 24] عوقبوا بما يشبه القعود، وكان أربعين سنة لأنها غاية زمن يرعوي فيه الجاهل. وقيل: لأنهم عبدوا العجل أربعين يوماً فجعل عقاب كل يوم سنة في التيه وليس بشيء، وكان ذلك من خوارق العادات إذ التحير في مثل تلك المسافة على عقلاء كثيرين هذه المدة الطويلة مما تحيله العادة، ولعل ذلك كان بمحو العلامات التي يستدل بها، أو بأن ألقي شبه بعضها على بعض.

وقال ابن عاشور[1]: ﴿يَتِيهُونَ﴾ يضلّون، ومصدره التَّيْه - بفتح التّاء وسكون الياء - والتِّيه - بكسر التّاء وسكون التحتية - وسمّيت المفازة تَيْهَاء وسمّيت تِيهاً.

قال الزمخشري[2]: يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً. والتِّيه: المفازة التي يُتَاهُ فيها. روى أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين، حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظللهم من حرّ الشمس، ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم، وينزل عليهم المنّ والسلوى، ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله. فإن قلت: فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره، وهم معاقبون؟ قلت: كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركاً لهم، وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة. ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه. فإن قلت: هل كان معهم في التيه موسى وهارون عليهما السلام؟ قلت: اختلف في ذلك، فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقاباً، وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم. وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك

(1) التحرير والتنوير. (2) الكشاف.

روحاً لهما وسلامة، ولا عقوبة، كالنار لإبراهيم، وملائكة العذاب. وروي أن هارون مات في التيه. ومات موسى بعده فيه بسنة. ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر. ومات النقباء في التيه بغتة، إلا كالب ويوشع ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المَائدة: 26] فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم، فقيل: إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب، فلا تحزن ولا تندم.

قال الطبري[1]: فلما ضرب عليهم التيه، ندم موسى، وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه، فقال له: ما صنعت بنا يا موسى؟ فمكثوا في التيه فلما خرجوا من التيه، رفع المنّ والسلوى، وأكلوا من البقول. والتقى موسى وعوج، فوثب موسى في السماء عشرة أذرع، وكانت عصاه عشرة أذرع، وكان طوله عشرة أذرع، فأصاب كعب عوج فقتله. ولم يبق (أحد) ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا مات، ولم يشهد الفتح. ثم إن الله لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبياً، فأخبرهم أنه نبيّ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدّقوه، فهزم الجبارين، واقتحموا عليهم يقاتلونهم، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها.

عن ابن عباس، قال: لما دعا موسى، قال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: 26] قال: فدخلوا التيه، فكلّ من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه. قال: فمات موسى في التيه، ومات هارون قبله. قال: فلبثوا في تيههم أربعين سنة، فناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين، فافتتح يوشع المدينة.

(1) جامع البيان.

توب

(توب - اعتذر - أناب - فاء)

■ **التَّوْبُ:** أكمل حالات الاعتذار ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النُّور: 31].

■ **الاعْتِذَارُ:** تَحَرِّي المذنب ما يمحو به الذنب ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبَة: 94].

وذلك ثلاثة أضرب:

* أن يقول: لم أفعل.
* أن يقول: فعلت لأجل السبب المسوغ الفلاني.
* أن يقول: فعلت ولن أعود. وهذا هو التوبة.

إذاً.. فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة.

■ **الإِنَابَةُ:** كثرة الرجوع عن الذنب مرة بعد أخرى، يقال: فلان ينتابه الصداع.

أي: عدة مرات. ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر: 54].

■ **الفَيْءُ:** الرجوع إلى حالة محمودة ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: 9].

* * *

شرح المعاني:

كل كلمة تمثّل نوعاً من أنواع الرجوع عن نوع من أنواع الخطايا.

استغفر: الاستغفار هو بداية السالكين إلى الله تعالى لذا يأتي الاستغفار دائماً قبل التوبة. والاستغفار يعني طلب التوبة والمغفرة.

تاب: تأتي بعد الاستغفار فبعد أن نستغفر نتعهد الله تعالى بأنّا مذنبون ونادمون فإذا غفر الله لنا لن نعود للمعصية مع الإقرار بالذنب. ومراحل التوبة هي: أولاً: يأتي الاعتراف بالذنب ثم الندم عليه ثم العزم على عدم العودة للذنب، ولذا جاء في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: 3] فالمغفرة تأتي قبل التوبة، والتوبة هي الأسباب الموجبة لطلب المغفرة. والتوبة عكس الاعتذار فالمعتذر يبرر خطأه ويقدم العذر، أما التائب يقول لا عذر لي يعترف بأنه مذنب ذنباً مطلقاً وفيه تسليم كامل لأن فيه ذلاً من العبد لله رب العالمين.

أناب: الإنابة هي السرعة في التوبة. وكل منيب تائب وليس كل تائب منيباً. المنيب هو الذي يذنب الذنب فيسارع في التوبة؛ ومنها جاءت كلمة النوبة القلبية لأنها تصيب الإنسان بسرعة. والمنيب سريع التذكّر ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: 54] ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: 17] ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: 13] كلما أذنب أعقبها توبة سريعة.

آب: الأوبة والإياب: وأوّاب هو الرجوع في القضايا الفكرية. كان له فكر معيّن ثم أثّر عليه قوم آخرون بفكر جديد فيرجع إلى فكره الأول يقال له: يؤوب ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: 30]. الإياب: هو الرجوع إلى نقطة الانطلاق وإلى نفس المكان الذي كان فيه وهو عكس الذهاب.

أفاء: الفيء: هو خاص بالحركات التي تعتبر من الفتن ومن ضمنها البغي ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ [الحُجرَات: 9] وهو التمرن على الشرعية. وفتنة أخذت قوماً من الفيء (الظلال). والفيء هو كل ما جاء للبلاد من غنائم من غير قتال. والفيء هو أن تعود لوضعك الصحيح الأصلي الذي كنت عليه.

انتهى: الانتهاء هو استقامة العقل. العقل يقول أنه خطأ وكل عقل (النهى) هو الذي ينهى صاحبه عن الخطأ. ولهذا سُمي العقل نهى. ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

إِن يَنتَهُواْ﴾ [الأنفال: 38]﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 54] عقلهم ينهاهم عما هم فيه من خطأ.

أسِف: الأسف تقال للجماعة وهو تعني التوبة الجماعية بمعنى أن ترجع إلى الله عن فعل الآخرين. ﴿رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ [الأعراف: 150].

التوبة: هي الطريق الذي يوصل إلى الله تعالى بعد الاستغفار بمعنى يذنب العبد فيستغفر فيتوب، فيتوب الله تعالى عليه. وهي من أول العبادات ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 37] وما هلك عبد مع الاستغفار وكل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوابون لأن المخطئ لو أن الله تعالى لا يغفر له ولا يقبل توبته لاستمر في المعصية. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عِمران: 135] ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النِّساء: 17] فالله سبحانه وتعالى غفّار رحيم وتوّاب رحيم، تواب بأن يقبل التوبة ورحيم بأنه يعطي على التوبة والاستغفار عطاء غير مجذوذ، ثم لا يُحاسب بعدها على الذنب ولا يمنّ على عباده فيمسح الذنب من الصحائف. وصفة الله تعالى بأنه توّاب دلّت على أن العبد يذنب أكثر من ذنب وكل من يرتكب ذنباً إنما يرتكبه بجهالة لأنه لا يزني الزاني وهو عالم إنما جاهل ولو مؤقتاً لكن عليه الاستغفار من كل ذنب وخطيئة. فعلى المسلمين أن يبشّروا المخطئين بأن الله تواب رحيم، مغفرته وسعت كل شيء طالما كان العبد مؤمناً موحّداً له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: 48] وفي الحديث: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب**». (**ولله أفرح بتوبة العبد من صاحب الراحلة**) والتائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة واجبة على الفور حتى لا يبقى الذنب مستعصياً أو مزمناً. والتوبة المستمرة لها أثر هائل على النفس البشرية فلو أهمل العبد التوبة صار الذنب ديدنه وران على قلبه وتعلق بالذنب واستسهله.

الذنوب نوعان: ذنوب قلب: وهي أشد أنواع الذنوب مثل الكِبر والحقد والإيثار والبغض والحسد والنفاق والغيبة والنميمة والكراهية، وذنوب جوارح: وتركها سهل.

ومن حيث الحق هناك ذنوب تتعلق بحق الله تعالى مثل التقصير في العبادات كالصلاة والصوم، وذنوب تتعلق بحق العباد مثل أكل مال اليتيم والرشوة والقتل وهتك الأعراض وظلم القاضي والحكم الظالم الجائر والسرقة وغيرها. والظلم الفوقي (ظلم القاضي أو الحاكم) أعظم من ظلم الأقران (كالأخ والمعلم وغيرهم) وفي حال الذنوب في حق العباد لا بد من إرجاع الحقوق للعباد قبل الموت. فالشرك بالله لا يُغفر، وحقوق الله تُغفر أما حقوق العباد فلا تُترك ويجب أن توفّى وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 25] تعني عندما يتوب العبد بذاته. وكان الرسول ﷺ يستغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم.

أنواع التائبين:

السابقون: أصحاب النفوس المطمئنة وهؤلاء هم قلّة. الصالحون: يتوبون عن الكبائر والفواحش ولكن قد يرتكب بعض الصغائر عرَضاً وليس مقصوداً ويندم إذا ارتكبها وهم أصحاب النفوس اللوامة.

رجل مستقيم تأتيه فترات يضعف ثم يتوب وهذا يُخشى عليه أن يأتيه الموت وهو في ساعة ضعفه ووهنه وهو في معصية. ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: 22]، هذه الآية تدعو المسلمين للعفو عمن ظلمهم والصفح عنهم والاستغفار لهم حتى يغفر الله لنا جميعاً وكل من عفا عمن ظلمه يغفر الله تعالى له. ومن الأدعية قبل النوم في كل ليلة: «**اللهم اعف عن كل من ظلمني**».

النصوص اللغوية:

تابَ إلى الله تَوْباً وتَوْبَةً ومَتاباً وتابَةً وتَتْوِبَةً: رَجَعَ عن المَعْصيَة، وهو تائِبٌ وتَوَّابٌ. وتابَ الله عليه: وفَّقَه للتَّوبةِ، أو رجَعَ به من التَّشْدِيد إلى التَّخْفيفِ، أو رَجَعَ عليه بِفَضْلِهِ وقبوله، وهو تَوَّابٌ على عبادِه.

وقال أَبو منصور: أَصلُ تابَ: عادَ إِلى اللهِ ورَجَعَ وأَنابَ.

قال الخليل[1]: تبتُ إلى الله توبةً ومتاباً، وأنا أتوب إلى الله ليتوب عليّ، قال تعالى: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: 3].

والتَّوْبَة: الاستحياء. وقال الليث: تَابَ الرجل إلى الله يَتُوبَ تَوْبَةً وَمتَاباً، والله التَّوَّاب يَتُوب على عبده، والعبد تَائِبٌ إلى الله.

وقال الراغب[2]: التَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة.

وقال الزمخشري[3]: تَابَ العبد إلى الله من ذنبه، وتَابَ الله على عبده والله تَوَّابٌ، وإلى الله المَتَابُ.

المعنى المشترك لكلمة (ت و ب)

وقد وردت كلمة (توب) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: التوبة: يعني الندم ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البَقَرَة: 54].

---

(1) العين.
(2) مفردات الراغب.
(3) أساس البلاغة.

الوجه الثاني: التوبة: يعني التجاوز ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التّوبَة: **117**].

الوجه الثالث: التوبة: يعني الرجوع عن الشيء ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعرَاف: **143**].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: **37**].

قال الطبري(1): القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. قال أبو جعفر: وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يعني على آدم، والهاء التي في «عليه» عائدة على «آدم». وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يعني رزقه التوبة من خطيئته. والتوبة معناها الإنابة إلى الله والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: **37-38**] قال أبو جعفر وتأويل قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه.

وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه: إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه، فكذلك

(1) جامع البيان.

توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه. .

● **وقال تعالى:** ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البَقَرَة: 187].

قال القرطبي[1]: يحتمل معنيين: أحدهما: قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم. والآخر - التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المُزمّل: 20] يعني خفّف عنكم.

قال الطبري[2]: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عطف على ﴿عَلِمَ﴾ والفاء لمجرد التعقيب، والمراد: قبل توبتكم حين تبتم عن المحظور الذي ارتكبتموه.

● **قال تعالى:** ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

قال الفخر الرازي[3]: اعلم أن هذا لا يتناول التوبة من الكفر، لأن هذا الكلام خطاب مع الذين وصفهم بقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: 54] فثبت أن المراد منه توبة المسلم عن المعصية، والمراد من قوله: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ ليس هو الخطأ والغلط، لأن ذلك لا حاجة به إلى التوبة، بل المراد منه، أن تقدم على المعصية بسبب الشهوة، فكان المراد منه بيان أن المسلم إذا أقدم على الذنب مع العلم بكونه ذنباً ثم تاب منه توبة حقيقية فإن الله تعالى يقبل توبته.

● **وقال تعالى:** ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: 117].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمداً ﷺ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله في الله، الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحقّ ويشكّ في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدّة في سفره وغزوه. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحقّ الذي كان قد كاد يلتبس عليهم. .

وذكر الزمخشري[2]: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: 117] كقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] وقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: 55] وهو بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلاّ وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والأنصار، وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله، وأن صفة التوابين الأوّابين صفة الأنبياء، كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح. وقيل: معناه تاب الله عليه من إذنه للمنافقين في التخلف عنه.

● **وقال تعالى**: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التّوبَة: 118].

قال الفخر الرازي[3]: فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾. قلنا فيه وجوه: الأول: قال أصحابنا المقصود منه بيان أن فعل العبد مخلوق لله تعالى فقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يدل على أن التوبة فعل الله وقوله: ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ يدل على أنها فعل العبد، فهذا صريح قولنا، ونظيره ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ﴾ [التّوبَة: 82] مع قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النّجْم: 43] وقوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفَال: 5] مع قوله: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التّوبَة: 40] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ﴾

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

[يُونس: 22] مع قوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ﴾ [الأنعَام: 11] والثاني: المراد تاب الله عليهم في الماضي ليكون ذلك داعياً لهم إلى التوبة في المستقبل. والثالث: أصل التوبة الرجوع، فالمراد ثم تاب عليهم ليرجعوا إلى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين، وزوال المباينة فتسكن نفوسهم عند ذلك. الرابع: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي: ليدوموا على التوبة، ولا يراجعوا ما يبطلها. الخامس: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لينتفعوا بالتوبة ويتوفر عليهم ثوابها وهذان النفعان لا يحصلان إلا بعد توبة الله عليهم.

واعلم أن ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب، يدل على أن قبول التوبة لأجل محض الرحمة والكرم، لا لأجل الوجوب، وذلك يقوي قولنا في أنه لا يجب عقلاً على الله قبول التوبة.

● **قال تعالى:** ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريَم: 60] وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفُرقان: 71].

قال أبو السعود(1): ﴿وَمَن تَابَ﴾ أي عن المعاصي بتركها بالكليَّة والنَّدمِ عليها ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يتلافى به ما فَرَطَ منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطَّاعات ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ بما فعلَ ﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي يرجعُ إليه تعالى: ﴿مَتَابًا﴾ أي: متاباً عظيمَ الشَّأنِ مرضيًّا عنده تعالى ماحياً للعقاب محصِّلاً للثَّوابِ، أو يتوب متاباً إلى الله تعالى الذي يحبُّ التَّوابينَ ويحسن إليهم، أو فإنَّه يرجعُ إليه تعالى أو إلى ثوابه مرجعاً حسناً وهذا تعميمٌ بعد تخصيصٍ.

وقال الفخر الرازي(2): ففيه سؤالان:

السؤال الأول: ما فائدة هذا التكرير؟ الجواب: من وجهين: الأول: أن هذا ليس بتكرير لأن الأول لما كان في تلك الخصال بين تعالى أن جميع الذنوب بمنزلتها في صحة التوبة منها، الثاني: أن التوبة الأولى رجوع عن الشرك

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) التفسير الكبير.

والمعاصي، والتوبة الثانية رجوع إلى الله تعالى للجزاء والمكافأة كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرّعد: 30] أي: مرجعي.

السؤال الثاني: هل تكون التوبة إلا إلى الله تعالى فما فائدة قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفُرقان: 71]؟ الجواب: من وجوه: الأول: ما تقدم من أن التوبة الأولى الرجوع عن المعصية والثانية الرجوع إلى حكم الله تعالى وثوابه، الثاني: معناه أن من تاب إلى الله فقد أتى بتوبة مرضية لله مكفرة للذنوب محصلة للثواب العظيم، الثالث: قوله: ﴿وَمَن تَابَ﴾ يرجع إلى الماضي فإنه سبحانه ذكر أن من أتى بهذه التوبة في الماضي على سبيل الإخلاص فقد وعده بأنه سيوفقه للتوبة في المستقبل، وهذا من أعظم البشارات.

● **وقال تعالى:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: 160].

قال الفخر الرازي(1): اعلم أنه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال، فبين تعالى أنهم إذا تابوا تغير حكمهم، ودخلوا في أهل الوعيد، وقد ذكرنا أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لا لغرض سواه، لأن من ترك رد الوديعة ثم ندم عليه لأن الناس ذموه، أو لأن الحاكم رد شهادته لم يكن تائباً، وكذلك لو عزم على رد كل وديعة، والقيام بكل واجب، لكي تقبل شهادته، أو يمدح بالثناء عليه لم يكن تائباً، وهذا معنى الإخلاص في التوبة، ثم بيَّن تعالى أنه لا بد له بعد التوبة من إصلاح ما أفسده مثلاً لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه يلزمه إزالة تلك الشبهة، ثم بين ثالثاً أنه بعد ذلك يجب عليه فعل ضد الكتمان، وهو البيان وهو المراد بقوله: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ فدلت هذه الآية على أن التوبة لا تحصل إلا بترك كل ما لا ينبغي وبفعل كل ما ينبغي، قالت المعتزلة: تدل على أن التوبة عن بعض

(1) التفسير الكبير.

المعاصي مع الإصرار على البعض لا تصح، لأن قوله: ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ عام في الكل. والجواب عنه: أن اللفظ المطلق يكفي في صدقه حصول فرد واحد من أفراده. قال أصحابنا: تدل الآية على أن قبول التوبة غير واجب عقلاً، لأنه تعالى ذكر ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه ولو كان كذلك واجباً لما حسن هذا المدح ومعنى: ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم وقبول التوبة يتضمن إزالة عقاب ما تاب منها فإن قيل: هلا قلتم أن معنى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هو قبول التوبة بمعنى المجازاة والثواب كما تقولون في قبول الطاعة قلنا: الطاعة إنما أفاد قبولها استحقاق الثواب، لأنه لا يستحق بها سواه وهو الغرض بفعلها وليس كذلك التوبة لأنها موضوعة لإسقاط العقاب، وهو الغرض بفعلها، وإن كان لا بد من أن يستحق بها الثواب إذا لم يكن مخطئاً، ومعنى قوله: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ القابل لتوبة كل ذي توبة فهو مبالغة في هذا الباب، ومعنى الرحيم عقيب ذلك: التنبيه على أنه لرحمته بالمكلفين من عباده، يقبل توبتهم بعد التفريط العظيم منهم.

● **وقال تعالى:** ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

قال الماوردي(1): فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها.

والثاني: أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا.

والثالث: أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات. الدالة على عظيم قدرته.

وذكر الزمخشري(2): من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لست بمرئيّ ولا مدرك بشيء من الحواس.

---

(1) النكت والعيون. (2) الكشاف.

فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته، فممّ تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه، من غير إذن فيه من الله تعالى، فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بطالبها وجعله دكاً، وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر، وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه.

● **قال تعالى:** ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128].

قال الطبري[1]: أما التوبة فأصلها الأوبة من مكروه إلى محبوب، فتوبة العبد إلى ربه: أوبته مما يكرهه الله منه بالندم عليه والإقلاع عنه، والعزم على ترك العود فيه. وتوبة الربّ على عبده: عوده عليه بالعفو له عن جُرْمه والصفح له عن عقوبة ذنبه، مغفرةً له منه، وتفضلاً عليه.

فإن قال لنا قائل: وهل كان لهما ذنوب فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة؟ قيل: إنه ليس أحد من خلق الله إلا وله من العمل فيما بينه وبين ربه ما يجب عليه الإنابة منه والتوبة. فجائز أن يكون ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك، وإنما خَصَّا به الحال التي كانا عليها من رفع قواعد البيت، لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دعاءهما، وليجعلا ما فعلا من ذلك سنة يقتدي بها بعدهما، وتتخذ الناس تلك البقعة بعدهما موضع تَنَصُّل من الذنوب إلى الله.

وجائز أن يكونا عنيا بقولهما: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ﴾ وتب على الظلمة من أولادنا وذريتنا، الذين أعلمتنا أمرهم من ظلمهم وشركهم، حتى ينيبوا إلى طاعتك. فيكون ظاهر الكلام على الدعاء لأنفسهما، والمعنيُّ به ذريتهما، كما يقال: أكرمني فلان في ولدي وأهلي، وبرّني فلان: إذا برّ ولده.

(1) جامع البيان.

وأما قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فإنه يعني به: إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران، الرحيم بهم، المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته، المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك.

● **وقال تعالى:** ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: 31].

قال الألوسي(1): تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله ﷺ إلى الكل بطريق التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقية بأن يكون سبحانه وتعالى الآمر بهما لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة مواجب التكاليف كما ينبغي لا سيما في الكف عن الشهوات.

وقد أخرج أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» ومسلم وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» عن الأغر رضي الله تعالى عنه قال: «**سمعت رسول الله ﷺ** يقول: **يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة**» والمراد بالتوبة على هذا التوبة عما في الحال، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المراد التوبة عما كانوا يفعلونه قبل من إرسال النظر وغير ذلك وهو وإن جب بالإسلام لكنه يلزم الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر، وقد قالوا: إن هذا يلزم كل تائب عن خطيئة إذا تذكرها، ومنه يعلم أن ما يفعله كثير ممن يزعمون التوبة من نقل ما فعلوه من الذنوب على وجه التبجح والاستلذاذ دليل عن عدم صدق توبتهم..

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرّعد: 30].

---

(1) روح المعاني.

قال القرطبي(1): ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ أي: مرجعي غداً، واليوم أيضاً عليه توكلت ووثقت، رِضاً بقضائه، وتسليماً لأمره. وقيل: سمع أبو جهل رسول الله ﷺ يدعو في الحِجْر ويقول: «يا الله يا رحمن» فقال: كان محمد ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلٰهين؛ فنزلت هذه الآية، ونزل: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسراء: 110].

قال الطبري(2): ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ يقول: وإليه مرجعي وأوبتي. وهو مصدر من قول القائل: تُبْتُ مَتَاباً وتَوْبَة..

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء: 17-18].

قال الفخر الرازي(3): اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المرتكبين للفاحشة إذا تابا وأصلحا زال الأذى عنهما، وأخبر على الإطلاق أيضاً أنه تواب رحيم، ذكر وقت التوبة وشرطها، ورغبهم في تعجيلها لئلا يأتيهم الموت وهم مصرون فلا تنفعهم التوبة. واحتج القاضي على أنه يجب على الله عقلاً قبول التوبة بهذه الآية من وجهين: الأول: أن كلمة «على» للوجوب فقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ﴾ يدل على أنه يجب على الله عقلاً قبولها. الثاني: لو حملنا قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ على مجرد القبول لم يبق بينه وبين قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ فرق لأن هذا أيضاً إخبار عن الوقوع، أما إذا حملنا ذلك على

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

وجوب القبول وهذا على الوقوع يظهر الفرق بين الآيتين ولا يلزم التكرار. واعلم أن القول بالوجوب على الله باطل، ويدل عليه وجوه: الأول: أن لازمة الوجوب استحقاق الذم عند الترك، فهذه اللازمة إما أن تكون ممتنعة الثبوت في حق الله تعالى، أو غير ممتنعة في حقه، والأول باطل، لأن ترك ذلك الواجب لما كان مستلزماً لهذا الذم، وهذا الذم محال الثبوت في حق الله تعالى، وجب أن يكون ذلك الترك ممتنع الثبوت في حق الله، وإذا كان الترك ممتنع الثبوت عقلاً كان الفعل واجب الثبوت، فحينئذ يكون الله تعالى موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار وذلك باطل، وأما إن كان استحقاق الذم غير ممتنع الحصول في حق الله تعالى، فكل ما كان ممكناً لا يلزم من فرض وقوعه محال، فيلزم جواز أن يكون الاله مع كونه إلٰهاً يكون موصوفاً باستحقاق الذم وذلك محال لا يقوله عاقل، ولما بطل هذان القسمان ثبت أن القول بالوجوب على الله تعالى باطل.

الحجة الثانية: أن قادرية العبد بالنسبة إلى فعل التوبة وتركها إما أن يكون على السوية، أو لا يكون على السوية، فإن كان على السوية لم يترجح فعل التوبة على تركها إلا لمرجح، ثم ذلك المرجح إن حدث لا عن محدث لزم نفي الصانع، وإن حدث عن العبد عاد التقسيم وإن حدث عن الله فحينئذ العبد إنما أقدم على التوبة بمعونة الله وتقويته، فتكون تلك التوبة إنعاماً من الله تعالى على عبده، وإنعام المولى على عبده لا يوجب عليه أن ينعم عليه مرة أخرى، فثبت أن صدور التوبة عن العبد لا يوجب على الله القبول، وأما إن كانت قادرية العبد لا تصلح للترك والفعل فحينئذ يكون الجبر ألزم، وإذا كان كذلك كان القول بالوجوب أظهر بطلاناً وفساداً.

ثبت

(ثبت - رسخ - رسو - سكن - صبر)

■ **الثَّبَاتُ:** الوقوف عند الهدف الصعب ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 250].

■ **الرُّسُوخُ:** الثبات إلى النهاية في الشيء ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عِمرَان: 7].

■ **الرُّسُوُّ:** ثبات الشيء الثقيل بعد سفر طويل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعرَاف: 187].

■ **السَّكَنْ:** الثبات بعد تحرك ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعَام: 96].

■ **الصَّبْرُ:** الثبات عن المشقة كي تزول ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمَان: 17].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلّها في ألطاف الله تعالى على عباده، وهي خاصة بالمؤمنين لأنها من عطاء الألوهية، فالله تعالى يُمدّ ويؤيّد وينصر ويمكّن المؤمنين.

❋ ❋ ❋

ثبّت والتثبيت: شخص صالح بدا له شيء من الزلزلة، كالمسلم جاءته فتنة

أوشكت أن تعصف به ثم يأتيه أحد الصالحين فيثبته بعد أن أوشك أن يتزلزل ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74]، والتثبيت هو منع الانهيار كما في سورة الكهف في قصة الجدار جاءت الآية ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: 77] ولم يقل ثبّت وهذا دليل على أن الحائط وقع فعلاً لو لم يقع وكأن الحادثة في بداية انهيار الجدار وتداعيه لجاءت الآية بلفظ ثبّت. والتثبيت يكون في حالتي الحرب أو السلم وعند بداية زلزلة موقف ما.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: 27]، وفي استعراض الآيات التي قبل هذه الآية وبعدها في سورة إبراهيم نلاحظ أن كلمة يثبت جاءت في مقابل كلمة اجتثّت، هناك نظريتان: نظرية الكفر ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: 266]، ونظرية الإيمان: الكلمة الطيبة والقول الثابت وهو (لا إلٰه إلا الله) فالمؤمن أصوله ثابتة بـ (لا إلٰه إلا الله) كالشجرة تماماً أصلها ثابت وفرعها في السماء مهما تمايل يبقى الأصل ثابتاً، والفرع هو بمثابة العمل وبدون لا إلٰه إلا الله لا يصلح العمل، كما في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10] كل عمل مربوط بحينه ولا إلٰه إلا الله في كل حين.

أيّد والتأييد: عندما يعطي الله تعالى عبده من لطفه الإلٰهي قوة خارقة لا يملكها إلا هو سبحانه.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47] ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: 26] أيدهم بالملائكة في بدر.

والأيد لغة: هي الشدّة والصلابة، وهي القوة الخارقة. ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: 17]، ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ [الصف: 14]، ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 13]، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: 110]، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ﴾ [التوبة: 40]، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22].

أَمَدَّ والمدد: هو إرسال المدد من غير أن تكون معه بمعنى المدد مستمر،

ومنه كلمة تمدد، وقد يمدّ الله تعالى عباده على دفعات ومراحل، مثل الإمداد بالملائكة في بدر، فالله تعالى يُعطي بعض عباده مدداً في العلم والمال أو الولد مستمر ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، والمدّ يكون عادة في الشر ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريَم: 79] وأمدّ تكون بالخير.

وإمداد الله تعالى قد يكون بالملائكة، أو بنعمه سبحانه وتعالى. يقال: مَدَّ الظل ومَدَّ العذاب بمعنى مستمر بلا توقف، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الحِجر: 19] يعني رزقها إلى يوم القيامة، فالمدّ مستمر مدة طويلة والمدد يكون على مدة متتابعة.

نصر: المدد تعني إرسال الغير، أما النصر فيجب أن تذهب بنفسك وتدخل مرة واحدة لحسم الموقف، بمعنى أن يُنجينا الله تعالى بنفسه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: 40] تدخل مباشر من الله تعالى والنصر لا يكون إلا عند وشوك الهزيمة؛ فيأتي النصر من عند الله بعد أن يستنفذ البشر كل الوسائل المتاحة لهم ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محَمَّد: 7] ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: 72] مثل المسلمين المستضعفين في الأرض علينا نصرهم إذا استنصرونا وهذا أمر إجباري وليس اختياري.

أعان والإعانة: إذا كان المدد إلٰهياً، إذا كان النصر ليس عسكرياً يكون عوناً ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: 95] في بناء السدّ والعون والإعانة هي من أنواع المدد لكن ليس جهداً عسكرياً وهو كالتبرعات وغيرها.

مكّن والتمكن: هو أن تبسط نفوذك على مكان فيصبح ملكك، هناك صراع طويل ثم في النهاية يُحسم الموقف لصالحك ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يُوسُف: 21] أي: بعد طول صراعات مع إخوته وامرأة العزيز والملك وفي النهاية حُسم الموقف لصالحه وأصبح مُمَكَّناً في الأرض، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: 57]، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [القَصَص: 6] مكّن لهم في الأرض ولم يحدد المكان، بمعنى حيث حلّوا يعيثون فساداً في كل بلد، وما

من مجتمع حلّ فيه اليهود إلا تمكنوا فيه ثم عاثوا فيه فساداً. وهذه من سنن الله تعالى في خلقه أن لا يكون لليهود وطن. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167] بمعنى: أنه كلما تمكنوا في مكان بعث الله تعالى عليهم من يسومهم سوء العذاب، وهذا إعلان من الله تعالى مستمر إلى يوم القيامة.

آزر: قوّى وشدّ وأعان واستقام بحيث لا عوج فيه. وأصله من شدّ الإزار، والأزر هو القوة الشديدة. والآزر يكون عادة من الأقارب كما أورد القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31] أي: أتقوى به ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: 29].

بعث: هو في الأصل إثارة الشيء وتوجيهه، والله تعالى يبعث للناس الرسل مبشرين ليعينوهم على التوحيد والنجاة من النار ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: 36] وهذا من باب الإعانة لأنه لو لم يبعث الله تعالى الرسل والأنبياء لما استعان الناس على الإيمان بالله وتوحيده ولما اهتدوا للحق.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: 5] وفي الآية بعث الله تعالى لعباده المؤمنين لمحاربة اليهود المغضوب عليهم وفي هذا البعث إمداد وتأييد للمؤمنين ونصرتهم على أعدائهم من بني إسرائيل.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والباء والتاء كلمةٌ واحدة، وهي دَوامُ الشيء.

والثَّبْتُ والثَّبِيتُ: الفارسُ الشُّجاع.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والثَّبِيتُ: الثَّابتُ العَقْل.

قال الزمخشري[1]: فلان ثابت القدم، من رجال ثُبَّتٍ. ورجل ثَبْتُ الجنان وثَبْتُ الغدر، إذا لم يزلّ في خصام أو قتال.

قال الليث: يقال: ثَبَتَ فلان بالمكان يَثْبُتُ ثُبُوتاً فهو ثَابِتٌ: إذا قام به. وثَبَتَ في رأيه وأمره.

وقال: ثَبْتُ الجنَان: ماضٍ في الأمر والحرب. وأَثْبَتَ حجته: أقامها، وثَبْتُ القول والأمر.

وفارس ثَبْتٌ وثَبِيتٌ. ورجل ثَبْتٌ وثَبِيتٌ: عاقل متماسك.

وقال الراغب[2]: الثَّبَاتُ ضد الزوال، يقال: ثَبَتَ يَثْبُتُ ثَبَاتاً، ورجل ثَبْتٌ وَثِبيتٌ في الحرب، وأَثْبَتَ السهم، ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال: فلان ثَابِتٌ عندي، ونبوة النبي ﷺ ثَابِتَةٌ، والإِثْبَاتُ والتَّثْبِيتُ تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود، نحو: أَثْبَتَ الله كذا، وتارة لما يَثْبُتُ بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلان كذا وثَبَّتَهُ، وتارة لما يكون بالقول، سواء كان ذلك صدقاً منه أو كذباً، فيقال: أَثْبَتَ التوحيد وصدق النبوة.

المعنى المشترك لكلمة (ث ب ت)

وقد وردت كلمة (ثبت) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الثبات: يعني البشارة ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ **[الأنفال: 12]**.

الوجه الثاني: الثبات: على شهادة أن لا إله إلا الله وتلقينها ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ﴾ **[إبراهيم: 27]**.

---

(1) أساس البلاغة. (2) مفردات الراغب.

الوجه الثالث: الثُّبات: - بضم الثاء -: يعني الجماعات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71].

الوجه الرابع: الإثبات: بمعنى الحبس ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الأنفَال: 30].

الوجه الخامس: الثبات: بعينه كالتثبيت ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفَال: 11].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: 24].

قال الزمخشري[1]: يعني: ثابت في الأرض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وأعلاها ورأسها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ويجوز أن يريد: وفروعها، على الاكتفاء بلفظ الجنس. وقرأ أنس بن مالك «كشجرة طيبة ثابت» أصلها فإن قلت: أيّ فرق بين القراءتين؟ قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى؛ لأنّ في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة، وإذا قلت: مررت برجل أبوه قائم، فهو أقوى معنى من قولك: مررت برجل قائم أبوه؛ لأنّ المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل.

وقال الفخر الرازي[2]: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: راسخ باقٍ آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء، وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.

الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، أما إذا علم من حاله أنه باقٍ دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به.

● **قال تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27].

قال الطبري(1): يحقق الله أعمالهم وإيمانهم ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ يقول: بالقول الحقّ، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال الشعراوي(2): وتأتي هنا كلمة «التثبيت» طبيعية بعد قوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26] لأن الذي يُجتثُّ لا ثبوتَ له ولا استقرارَ؛ فجاء بالمقابل بقوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾.

وتُوحي كلمة التثبيت أيضاً بأن الإنسان ابنٌ للأغيار، وتطرأ عليه الأحداث التي هي نتيجة لاختيار المُكلَّفين في نفاذ حُكْم أو إبطاله، فالمُكلَّف حين يأمره الله بحكم؛ قد يُنفِّذه، وقد لا ينفذه. وكذلك قد يتعرض المكلّف لمخالف لمنهج الله، فلا يُنفِّذ هذا المخالفُ تعاليمَ المنهج؛ ويؤذي مَنْ يتبع التعاليم، وهنا يثق المؤمن أن له إلٰهاً لن يخذله في مواجهة تلك الظروف، وسينصره إنْ قريبٌ أو بعيد على ذلك. وهكذا لا تنال الأحداث من المؤمن، ويصدق قوله الحق: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾. فهم قد آمنوا بوجوده وبقدرته، وبأن له طلاقة مشيئة يُثبِّتهم بها مهما كانت جسامة الأحداث؛ ذلك أن المؤمن يعلم عن يقين أن الحق سبحانه قد قال وصدق: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: 28] وما دام المؤمن قد ثبت قلبه بالإيمان وبالقول الثابت؛ فهو لا يتعرّض لزيغ القلب؛ ولا يتزعزع عن الحق.

---

(1) جامع البيان.

(2) تفسير الشعراوي.

وسبحانه يُثبِّت الذين آمنوا: ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾ والقول ثابت؛ لأنه من الحَقِّ الذي لا يتغيَّر؛ وهذا القَوْلِ مُوجَّه للمؤمنين الذين يواجههم قَوْم أشرار اختاروا أنْ يكونوا على غير منهج الله.

وهذا القول يوضح للمؤمنين ضرورة أن يهدأوا؛ وأنْ يجعلوا أنفسهم في معيّة الله دائماً، وأنْ يعلموا أنّ الظالمَ لو عَلِم ما أعدَّه الله للمظلوم من ثواب وحُسْن جزاء لَضَنَّ الظالم بظُلْمه على المظلوم ولَقَال: ولماذا أجعل الله في جانبه؟

والذين اضْطهِدوا في دينهم؛ وقام الكفار بتعذيبهم؛ لم يُفْتَنوا في الدين؛ فكلما قَسَا عليهم الكفار ضَرْباً وتعذيباً كلما تذكروا حنانَ الحقِّ فتحمّلوا ما يذيقهم الكافرون من عذاب. وحُسْن الجزاء قد يكون في الدنيا التي يُثبَّت فيها المؤمن بمشيئة الله؛ وهي بنت الأغيار وبنت الأسباب؛ فأنت في الدنيا تحوز على أيِّ شيء بأن تتعبَ من أجل أنْ تحصلَ عليه، وتكِدّ لتتعلم؛ وتعثر على وظيفة أو مهنة؛ ثم تتزوج لِتُكوِّن أُسْرة؛ وتخدُم غيرك؛ ويخدُمك غيرك، وتزاول كل أسبابك بغيرك؛ فأنت تأكل مما تطبخ زوجتك، أو أمك أو مَنْ تستخدمه ليؤدي لك هذا العمل.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: 30].

قال البغوي[1]: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك.

وقال الزمخشري[2]: ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح، من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح، وفلان مثبت وجعاً. وقرىء: (ليثبتوك)، بالتشديد. وقرأ النخعي: (ليثبتوك)، ومن البيات.

---

(1) معالم التنزيل ونحوه الخازن. (2) الكشاف.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74].

قال الفخر الرازي[1]: احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه. الأول: أن الآية دلت على أنه عليه السلام قرب من أن يفتري على الله، والفرية على الله من أعظم الذنوب. والثاني: أنها تدل على أنه لولا أن الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من أن يركن إلى دينهم ويميل إلى مذهبهم. والثالث: أنه لولا سبق جرم وجناية وإلا فلا حاجة إلى ذكر هذا الوعيد الشديد. والجواب عن الأول: أن كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية أنه قرب وقوعه في الفتنة، وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة فإنا إذا قلنا كاد الأمير أن يضرب فلاناً لا يفهم منه أنه ضربه، والجواب عن الثاني: أن كلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره، تقول لولا علي لهلك عمر، معناه أن وجود علي منع من حصول الهلاك لعمر، فكذلك هٰهنا قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ معناه. أنه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد ﷺ فكان حصول ذلك التثبيت مانعاً من حصول ذلك الركون، والجواب عن الثالث: أن ذلك التهديد على المعصية لا يدل على الإقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾ [الحاقة: 44-46] ومنها قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمر: 65] ومنها قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: 48]، والله أعلم.

● **قال تعالى:** ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11].

قال القرطبي[1]: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ الضمير في (بِهِ) عائد على الماء الذي شدّ دهس الوادي، كما تقدّم. وقيل: هو عائد على ربط القلوب؛ فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب.

قال الفخر الرازي[2]: وذكروا فيه وجوهاً: أحدها: أن ذلك المطر لبد ذلك الرمل وصيره بحيث لا تغوص أرجلهم فيه، فقدروا على المشي عليه كيف أرادوا، ولولا هذا المطر لما قدروا عليه، وعلى هذا التقدير، فالضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى المطر. وثانيها: أن المراد أن ربط قلوبهم أوجب ثبات أقدامهم، لأن من كان قلبه ضعيفاً فر ولم يقف، فلما قوى الله تعالى قلوبهم لا جرم ثبت أقدامهم، وعلى هذا التقدير فالضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى الربط.

وثالثها: روى أنه لما نزل المطر حصل للكافرين ضد ما حصل للمؤمنين، وذلك لأن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب والوحل، فلما نزل المطر عظم الوحل، فصار ذلك مانعاً لهم من المشي كيفما أرادوا فقوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ يدل دلالة المفهوم على أن حال الأعداء كانت بخلاف ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هُود: 120].

قال الزمخشري[3]: بدل من كُلّاً. ويجوز أن يكون المعنى: [و] كل واقتصاص نقصّ عليك، على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقصّ عليك، يعني: على الأساليب المختلفة، و﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ﴾ مفعول نقصّ. ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه، لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم.

وذكر **البغوي**[4]: لنزيدك يقيناً ونقوي قلبك، وذلك أنّ النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.

قال أبو السعود[1] : بدلٌ منه والأظهر أن يكون المضافُ إليه المحذوفُ في كلّاً المفعولَ المطلق لنقصُّ أي: كلَّ أسلوبٍ من أساليبه نقصُّ عليك من أنباء الرسل، وقوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ مفعولُ نقصّ وفائدتُه التنبيهُ على أن المقصودَ بالاقتصاص زيادةُ يقينه عَلَيْهِ السَّلَامُ وطُمأنينةُ قلبه وثباتُ نفسه على أداء الرسالة واحتمالِ أذية الكفارِ بالوقوف على تفاصيل أحوالِ الأممِ السالفة في تماديهم في الضلال وما لقيَ الرسلُ من جهتهم من مكابدة المشاقّ.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ [الأنفال: 12].

قال ابن عطية[2] : وقوله ﴿فَثَبِّتُوا۟﴾ يحتمل أن يكون بالقتال معهم على ما روي. ويحتمل بالحضور في حيزهم والتأنيس لهم بذلك، ويحتمل أن يريد: فثبوتهم بأقوال مؤنسة مقوية للقلب، وروي في ذلك أن بعض الملائكة كان في صورة الآدميين فكان أحدهم يقول للذي يليه من المؤمنين: لقد بلغني أن الكفار قالوا لئن حمل المسلمون علينا لننكشفن، ويقول آخر: ما أرى الغلبة والظفر إلا لنا. ويقول آخر: أقدم يا فلان، ونحو هذا من الأقوال المثبتة.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أيضاً أن يكون التثبيت الذي أمر به ما يلقيه الملك في قلب الإنسان بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار ويجري عليه من خواطر تشجيعه ويقوي هذا التأويل مطابقة قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفَال: 12] وإن كان إلقاء الرعب يطابق التثبيت على أي صورة كان التثبيت ولكنه أشبه بهذا إذ هي من جنس واحد.

قال الفخر الرازي[3] : واختلفوا في كيفية هذا التثبيت على وجوه: الأول: أنهم عرفوا الرسول ﷺ أن الله ناصر المؤمنين والرسول عرف المؤمنين ذلك، فهذا

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

هو التثبيت، والثاني: أن الشيطان كما يمكنه إلقاء الوسوسة إلى الإنسان، فكذلك الملك يمكنه إلقاء الإلهام إليه فهذا هو التثبيت في هذا الباب. والثالث: أن الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا يمدونهم بالنصر والفتح والظفر.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البَقَرَة: 265].

قال الطبري(1): بمعنى: وتثبتاً، فزعموا أن ذلك إنما قيل كذلك لأن القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم. ولو كان التأويل كذلك، لكان: وتثبتاً من أنفسهم؛ لأن المصدر من الكلام إن كان على تفعلت التفعل، فيقال: تكرمت تكرماً، وتكلمت تكلماً، وكما قال جل ثناؤه: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النّحل: 47].

من قول القائل: تخوّف فلان هذا الأمر تخوّفاً.

فكذلك قوله: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام: «وتثبتاً من أنفسهم»، لا «وتثبيتاً»، ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم إياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره.

قال البيضاويّ(2): وتثبيتاً بعض أنفسهم على الإيمان، فإن المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها، أو تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم، وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال.

قال ابن كثير(3): أي: وهم متحققون متثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر

---

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) تفسير ابن كثير.

الجزاء، ونظير هذا في معنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث الصحيح المتفق على صحته: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً**» أي: يؤمن أن الله شرعه، ويحتسب عند الله ثوابه، قال الشعبي: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تصديقاً ويقيناً، وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد، واختاره ابن جرير. وقال مجاهد والحسن: أي: يتثبتون أين يضعون صدقاتهم.

ثبر

(ثبر - هلك - وبق)

- **الثُّبُورُ:** الهلاك الدائم الذي لا انتعاش بعده ومن ثم يدعو أهل النار: (واثبوراه) ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 14].
- **الهَلَاكُ:** الموت المفاجىء ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24].
- **الوَبَقُ:** الموت بالتعذيب ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: 52].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والباء والراء أصولٌ ثلاثة: الأول السهولة، والثاني الهلاك، والثالث المواظبةُ على الشيء. فالأرض السَّهلة هي: الثَّبْرَة. فأمّا ثَبْرةُ فموضع معروف.

قال الخليل(2): الثَّبْرُ: أرض حجارتها كحجارة الحرّة إلّا أنها بيضٌ.

وثَبِيرٌ: اسم جبل.

والثُّبُورُ: الهلاك.

والمُثَابِرُ: المُلح المُداوم على الشّيء.

قال الزمخشري(3): ثَابَرَ على الأمر مُثَابَرَةً: داوم عليه، وهو مُثَابِرٌ على التّعلم مواظب.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) أساس البلاغة.

وثَبَرُه الله: أهلكه هلاكاً دائماً لا ينتعش.

قال الراغب[1]: الثُّبُورُ: الهلاك والفساد، المُثَابِرُ على الإتيان، أي: المواظب، من قولهم: ثَابَرْتُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسرَاء: 102].

قال الفخر الرازي[2]: واعلم أن فرعون لما وصف موسى بكونه مسحوراً أجابه موسى بأنك مثبور؛ يعني هذه الآيات ظاهرة، وهذه المعجزات قاهرة ولا يرتاب العاقل في أنها من عند الله وفي أنه تعالى إنما أظهرها لأجل تصديقي وأنت تنكرها فلا يحملك على هذا الإنكار إلا الحسد والعناد والغي والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والثبور.

قال الألوسي[3]: أي: هالكاً كما روي عن الحسن ومجاهد على أنه من ثبر اللازم بمعنى هلك، ومفعول فيه للنسب بناءً على أنه يأتي له من اللازم والمتعدي، وفسره بعضهم بمهلكاً وهو ظاهر، وعن الفراء أنه قال: أي: مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم: ما ثبرك عن هذا؟ أي: ما منعك. وإليه يرجع ما أخرجه الطستي عن ابن عباس من تفسيره بملعوناً محبوساً عن الخير. وأخرج الشيرازي في «الألقاب» وابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عنه رضي الله تعالى عنه تفسيره بناقص العقل، وفي معناه تفسير الضحاك بمسحور قال: رد موسى عليه السلام بمثل ما قال له فرعون مع اختلاف اللفظ. وأخرج ابن أبي الدنيا في

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

«ذم الغضب» عن أنس بن مالك أنه سئل عن ﴿مَثْبُورًا﴾ في الآية فقال: مخالفاً ثم قال: الأنبياء عليهم السلام أكرم من أن يلعنوا أو يسبوا. وأنت تعلم أن هذا معنى مجازي له وكذا ناقص العقل ولا داعي إلى ارتكابه، وما ذكره الإمام مالك فيه ما فيه. نعم قيل: إن تفسيره بهالكاً ونحوه مما فيه خشونة ينافي قوله تعالى خطاباً لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44] وأشار أبو حيان إلى جوابه بأن موسى عليه السلام كان أولاً يتوقع من فرعون المكروه كما قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: 45].

فأمر أن يقول له قولاً ليناً فلما قال سبحانه له: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

وثق بحماية الله تعالى فصال عليه صولة المحمى وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك، وفيه كلام ستطلع عليه إن شاء الله تعالى في محله. وبالجملة التفسير الأول أظهر التفاسير ولا ضير فيه لا سيما مع تعبير موسى عليه السلام بالظن. ثم إنه عليه السلام قد قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فإن ظن فرعون إفك مبين وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: 13-14].

قال الطبري(1): والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما ثَبَرك عن هذا الأمر؟ أي: ما صرفك عنه. وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبيّ الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: واندامتاه، واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي: هَلَكة، ويقول: هو مصدر من ثُبِرَ الرجل: أي أهلك.

(1) جامع البيان.

وقوله: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أيها المشركون ندماً واحداً: أي مرّة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيراً. وإنما قيل: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ لأن الثبور مصدر، والمصادر لا تجمع، وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها، كما يقال: قعد قعوداً طويلاً، وأكل أكلاً كثيراً.

قال الخازن(1): هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة.

قال الفخر الرازي(2): أو لأن ذلك العذاب دائم خالص عن الشوب فلهم في كل وقت من الأوقات التي لا نهاية لها ثبور، أو لأنهم ربما يجدون بسبب ذلك القول نوعاً من الخفة، فإن المعذب إذا صاحب وبكى وجد بسببه نوعاً من الخفة فيزجرون عن ذلك، ويخبرون بأن هذا الثبور سيزداد كل يوم ليزداد حزنهم وغمهم نعوذ بالله منه.

● **قال تعالى**: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: 11].

قال ابن عطية(3): معناه: يصيح منتحباً: واثبوراه، واخزياه، ونحو هذا مما معناه: هذا وقتك، وزمانك أي: احضرني، والثبور: اسم جامع للمكاره كالويل.

قال النيسابوري(4): والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقول: «واثبوراه» . وسمي المواطأة على الشيء مثابرة على الشيء لأنه كأنه يريد أن يهلك نفسه في طلبه والنفس تمنعه عن ذلك.

قال الفخر الرازي(5): فاعلم أن الثبور هو الهلاك، والمعنى أنه لما أوتي كتابه من غير يمينه علم أنه من أهل النار فيقول: واثبوراه، قال الفراء: العرب تقول فلان يدعوا لهفه، إذا قال: والهفاه، وفيه وجه آخر ذكره القفال، فقال:

---

(1) لباب التأويل.
(2) التفسير الكبير.
(3) المحرر الوجيز.
(4) غرائب القرآن.
(5) التفسير الكبير.

الثبور مشتق من المثابرة على شيء، وهي المواظبة عليه فسمي هلاك الآخرة ثبور لأنه لازم لا يزول، كما قال: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] وأصل الغرام اللزوم والولوع.

ثبط

(ثبط - عوق - شغل)

■ **التَّبَطُ:** الكسل والتثاقل عن الواجب ﴿فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

■ **التَّعْوِيق:** التحايل في عدم الإنجاز ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: 18].

■ **الإشْغَالُ:** الانشغال بشيء عارض عن شيء دائم ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: 11].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): ثَبَّطَهُ عن الأمر تَثْبِيطاً: إذا شغله عنه.

قال ابن دريد(2): ثَبَطَ الرجل عن الشيء، وثَبَّطَه عنه إذا ريثته تَثْبيطاً وثَبْطاً. والرجل مُثَبَّط ومَثْبُوطٌ. إذا أراد شيئاً فرددته عنه وصددته.

قال الزمخشري(3): ثبّطه عن الأمر: ريثه فَتَثَبَّطَ، وما ثَبَّطَكَ عن ذلك؟

وغلام ثَبِطٌ وجارية ثَبِطَةٌ: فيهما كسل وثقل. وفرس ثَبِطٌ: ثقيل النّزو على الحجْر.

---

(1) العين.

(2) الجمهرة.

(3) أساس البلاغة.

والثَّبِطُ، ككتِفٍ: الأَحْمقُ في عَمَلِه، والضعيفُ، والثَّقيلُ مِنَّا ومن الخَيْلِ، وهي: بهاءٍ، وقد ثَبِطَ، كفرِحَ

وفي الحديث: كانت سَوْدةُ امرأَةً ثَبِطةً أي: ثقِيلة بَطِيئةً من التَّثْبِيطِ وهو التعْوِيقُ والشَّغْلُ عن المُراد؛ وقول لبيد: وهُمُ العَشِيرةُ إِنْ يُثَبِّطْ حاسِد معناه: إِنْ بَحَثَ عن مَعايِبِها؛ بذلك فسره ابن الأَعرابي. وفي بعض اللغات: ثَبَطَتْ شَفةُ الإِنسانِ وَرِمَتْ، وليس بثَبَت[1].

وقال الراغب[2]: يقال ثَبَّطَهُ المرض وأَثْبَطَهُ: إذا حبسه ومنعه ولم يكد يفارقه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث، وحاصل الكلام فيه لا يتم إلا إذا صرحنا بالحق، وهو أن صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي إليه، فإذا صارت الداعية فاترة مرجوحة امتنع صدور الفعل عنه، ثم إن صيرورة تلك الداعية جازمة أو فاترة، إن كانت من العبد لزم التسلسل، وإن كانت من الله؛ فحينئذ لزم المقصود. لأن تقوية الداعية ليست إلا من الله، ومتى حصلت تلك التقوية لزم حصول الفعل، وحينئذ يصح قولنا في مسألة القضاء والقدر.

(1) اللسان.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: يقول: فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا لذلك الخروج.

قال ابن عاشور[2]: والتثبيط: إزالة العزم. وتثبيط الله إيّاهم: أن خلق فيهم الكسل وضعف العزيمة على الغزو.

وقال الشعراوي[3]: و«ثبطهم» أي: جعلهم في مكانهم، ولم يقبل منهم أن يعدوا العدة للقتال كراهية منه سبحانه أن يخرجوا بنشاط إلى القتال. والكره: عملية وجدانية. والتثبيط: عملية نزوعية. وأضرب هذا المثل دائماً - ولله المثل الأعلى - أنت ترى الوردة، فتدرك بعينيك جمالها، فإنْ مددتَ يدك إليها لتقطفها، هنا يتدخل الشرع ليقول لك: لا؛ لأن هذا نزوع إلى ما لا تملك.

وإن أردت أن تحوز وردة مثلها، فإما أن تشتريها وإما أن تزرع مثلها، إذن: فالمشرع يتدخل - فقط - في الأعمال النزوعية. وكراهية الله لنزوعهم تجلَّتْ في تثبيطهم وخذلهم وردِّهم عن الفعل، وزيَّن لهم في نفوسهم ألا يخرجوا للقتال مع رسول الله ﷺ؛ وذلك لحكمة أرادها الحق سبحانه، فوافقت ما أذن فيه رسول الله في التخلف، وهنا نلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ وإذا كان التثبيط من الله، فكأنه أوضح لهم: اقعدوا بإذن الله من الإرادة الإلهية. أو أن رسول الله ﷺ أذن لهم بالقعود والتخلف لمّا استشفَّ تراخيهم، أو أن الشياطين أوحتْ لهم بالقعود، فالحق هو القائل سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112]. وهكذا نجد أن كلمة: (قِيلَ) قد بُنيتْ لما يُسَمَّ فاعله لإمكان أن يتعدد القائلون، فالله بتثبيطه لهم كأنه قال لهم: اقعدوا، والرسول ﷺ قال لهم: اقعدوا، والشياطين حينما زينوا لهم القعود؛ كأنهم قالوا لهم: اقعدوا.

(1) جامع البيان.
(2) التحرير والتنوير.
(3) تفسير الشعراوي.

ثبا

(ثبا - زمرة - رهط - ثلة - شرذم)

■ **الثُّبَا:** جماعة منفردة عن أقرانها ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71].

■ **الزُّمْرَةُ:** الجماعة المتخصصة في شيء دقيق ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزُّمَر: 71].

■ **رَهْطٌ:** العصابة ما دون العشرة من الرجال ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النَّمل: 48].

■ **الثُّلَّةُ:** جماعة مؤثرة في الكل ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقِعَة: 13].

■ **الشِّرْذِمُ:** جماعة منقطعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 54].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الثُّبة: العُصبة من الفرسان، ويجمع ثُبَاتٍ وثُبِينٍ.

والثُّبَى أيضاً: مثل الثُّبات. وما كان من المنقوص مضموماً أو مكسوراً فإنه لا يجمع بالتمام.

(1) العين.

والثُّبة: وسط الحوض، يَثُوبُ إليه وسط الماء.

وقال الأزهري: الثُّبة: هي الجماعة من الناس، وتجمع ثُباتٍ، وثُبًى وثُبِينَ، وقد اختلف أهل اللغة ومن من قال هي مأخوذه من (ثَابَ) أي: عاد ورجع، وكان أصلها ثُوَبَةٌ، فلما ضمت التاء حذفت الواو.

قال الراغب[1]: ثُبَاتٍ هي جمع ثُبَةٍ، أي: جماعة منفردة. ومنه: ثُبْتُ على فلان أي: ذكرت متفرق محاسنه. ويصغر ثُبَيَّةٌ، ويجمع على ثُبَاتٍ وثُبِينَ، والمحذوف منه اللام، وأما ثُبَةُ الحوض فوسطه الذي يثوب إليه الماء، والمحذوف منه عينه لا لامه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71].

قال أبو حيان[2]: وانتصاب ثبات وجميعاً على الحال، ولم يقرأ ثبات فيما علمناه إلا بكسر التاء. وقال الفراء: العرب تخفض هذه التاء في النصب وتنصبها.

قال النيسابوري[3]: (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام وأصلها ثبى فعوضت الهاء عن الياء المحذوفة. والتركيب يدل على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء وصبيت الشيء جمعته.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) البحر المحيط.
(3) غرائب القرآن.

قال الفخر الرازي[1]: قال جميع أهل اللغة: الثبات جماعات متفرقة واحدها ثبة، وأصلها من: ثبيت الشيء، أي جمعته، ويقال أيضاً: ثبيت على الرجل إذا أثنيت عليه، وتأويله جمع محاسنه، فقوله: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71] معناه: انفروا إلى العدو إما ثبات، أي جماعات متفرقة، سرية بعد سرية، وإما جميعاً، أي مجتمعين كوكبة واحدة.

قال الشعراوي[2]: أي: لتكن النفرة منكم على مقدار ما لديكم من الحذر، و«ثبات» جمع ثُبَة وهي الطائفة أي: انفروا سَرِيّة بعد سَرِيَّة و«جميعاً» أي: اخرجوا كلكم لمواجهة العدو، وعلى ذلك يجب أن نكون على مستوى ما يهيج من الشر. فإن هاجمتنا فصيلة أو سرية، نفعل كما كان يفعل رسول الله ﷺ؛ فقد كان يرسل سرية على قدر المسألة التي تهددنا، وإن كان الأمر أكبر من ذلك ويحتاج لتعبئة عامة فنحن ننفر جميعاً. ولاحظوا أن الحق يخاطب المؤمنين ويعلم أن لهم أغياراً قد تأتي في نفوسهم مع كونهم مؤمنين. فقد تخور النفس عند مواجهة الواقع على الرغم من وجود الإيمان.

---

(1) التفسير الكبير ونحوه النسفي والقاسمي وأبو السعود.

(2) تفسير الشعراوي.

ثجّ

(ثجّ - سال - سفح - سفك - سكب - صبّ - طاف)

■ **الثَّجُّ:** صوت الماء المتلاطم في المجرى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النَّبَإِ: 14].

■ **السَّيْلُ:** انسياب الماء في الأودية والمنخفضات ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرّعد: 17].

■ **السَّفْحُ:** طفح السائل من الإناء أو العين ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعَام: 145].

■ **السَّفْكُ:** دوام عملية السفح ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 30].

■ **السَّكْبُ:** ما تفرغه من إنائك أو دلوك ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقِعَة: 31].

■ **الصَّبُّ:** قوة نزول الماء من الأعلى ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عَبَسَ: 25].

■ **الطُّوَفَانُ:** اندفاع الماء من شدة السفك ليحيط بالناس ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعرَاف: 133].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): الثَّجُّ: شدّة انصباب المطر والدّم، ومطر ثُجَاجٌ.

(1) العين.

قال الجوهري: ثَجَجْتُ الماء والدم أَثُجُّهُ ثَجّاً: إذا سيّلته.

قال الفيروزآباديّ: الثَّجُّ: سيلان دم الهدي، والثَّجَّةُ: الرّوضة فيها حياض ومساكات للماء.

وسئل النبي ﷺ، عن الحج فقال: «**أَفضلُ الحجِّ العَجُّ والثَّجُّ**». (أخرجه الترمذي) سَيَلانُ دماء الهَدْيِ والأَضاحي.

وقال بعض أَهل اللغة: ثَجَجْتُ الماءَ أَثُجُّه ثَجّاً: إِذا أَساله.

وثَجَّ الماءُ نفْسُه يَثُجُّ ثُجُوجاً: إِذا انْصَبَّ، فإِذا كان كذلك فأَنْ يكون ثَجَّاجٌ في معنى ثاجٍّ أَحسنُ من أَن يُتكلف وَضْعُ الفاعل موضعَ المفعول، وإِن كان ذلك كثيراً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النّبإ: **14**].

قال الفخر الرازي(1): وأما الثجاج فاعلم أن الثج شدة الانصباب يقال: مطر ثجاج ودم ثجاج أي: شديد الانصباب. واعلم أن الثج قد يكون لازماً، وهو بمعنى الانصباب كما ذكرنا، وقد يكون متعدياً بمعنى الصب وفي الحديث: «**أفضل الحج العج والثج**» أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى، وكان ابن عباس مثجاً أي: يثج الكلام ثجاً في خطبته، وقد فسروا الثجاج في هذه الآية على الوجهين، وقال الكلبي ومقاتل وقتادة الثجاج ههنا: المتدفق المنصب، وقال الزجاج معناه الصباب كأنه يثج نفسه أي: يصب.

(1) التفسير الكبير.

وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به.

وقال الألوسي(1): أي: منصباً بكثرة يقال: ثج الماء إذا سال بكثرة، وثجه أي: أساله فثج ورد لازماً ومتعدياً واختير جعل ما في النظم الكريم من اللازم لأنه الأكثر في الاستعمال، وجعله الزجاج من المتعدي كأن الماء المنزل لكثرته يصب نفسه ومن المتعدي ما في قوله ﷺ: «**أفضل الحج العج والثج**» أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي، والمراد أفضل أعمال الحج التلبية والنحر ولا يأبى الكثرة كون الماء من المعصرات وظاهره أنه بالعصر وهو لا يحصل منه إلا القليل لأن ذلك غير مسلم ولو سلم فالقلة نسبية. وقرأ الأعرج (ثجاحاً) بجيم ثم حاء مهملة ومثاجح الماء مصابه.

وذكر الزمخشري(2): أي: مُنصبّاً بكثرةٍ، يقالُ ثجَّ الماءُ أي: سالَ بكثرةٍ، وثجَّه أيْ: أسالَه.

قال الطبري(3): يقول: ماء منصباً يتبع بعضه بعضاً، كثجّ دماء البدن، وذلك سفكها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن علي، عن ابن عباس ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النّبَإِ: 14] قال: منصباً. عن ابن عباس ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النّبَإِ: 14] ماء من السماء منصباً.

ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثجّ، وإنما الثجّ: الصبّ المتتابع. ومنه قول النبيّ ﷺ: «**أفْضَلُ الحَجِّ العَجُّ والثَّجُّ**» يعني بالثجّ: صبّ دماء الهدايا والبُدن بذبحها، يقال منه: ثَجَجت دمه، فأنا أُثجُّه ثجاً، وقد ثَجَّ الدم، فهو يثجّ ثجوجاً.

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف، ونحوه البيضاويّ والنيسابوري وأبو السعود.
(3) جامع البيان.

ثخن

(ثخن - ثقل - غلظ - اشتدّ)

■ **ثَخَنَ:** كف الآخر عن الحركة من صدمة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ [محمَّد: 4].

■ **الثِّقْلُ:** بُطءُ الحركة الشديدة لعارض قاهر ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ [الطُّور: 40].

■ **الغِلْظَةُ:** تضخم الزرع ويبوسته وخشونة التعامل ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبَة: 123].

■ **الاشْتِدَادُ:** السرعة العنيفة في كل شيء ﴿ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ [إبراهيم: 18].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والخاء والنون يدلُّ على رَزَانة الشيءِ في ثِقَل.

قال الخليل(2): ثَخُنَ الشيءُ ثَخَانَةً. والرّجُل الحليمُ الرّزين: ثَخِينٌ. والثّوْب المكتنز اللُّحْمة والسَّدَى من جَوْدةِ نَسجه ثَخين. وقد أثْخَنْته أي: أثْقَلْته.

وقال الأزهري(3): ثَخُنَ الشيء ثَخانَةً، أي: غلُظَ وصلب، فهو ثَخينٌ.

---

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

ورجل ثَخينُ السلاحِ، أي: شاكٍ. وأَثْخَنَتْهُ الجراحة: أوهَنَتْه. ويقال: أَثْخَنَ في الأرض قتيلاً: إذا أكثَرَ.

قال الراغب[1]: يقال ثَخُنَ الشيء فهو ثَخِينٌ: إذا غلظ فلم يسل، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم: أَثْخَنَتْهُ ضرباً واستخفافاً.

المعنى المشترك لكلمة (ث خ ن)

وقد وردت كلمة (ثخن) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: يثخن: يعني يغلب بالقتل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: **67**].

الوجه الثاني: الإثخان: يعني الأسر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمَّد: **4**].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمَّد: **4**].

قال الزمخشري[2]: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشّيء التّثخين وهو الغليظ، أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتّى أذهبتم عنهم النّهوض.

قال الشعراوي[3]: يعني: أذهبتم حركتهم وأضعفتموهم عن المقاومة، ومادة ثخن هي نفسها تخن، أي: تماسك وصار ثقيلاً لا يتحرك.

---

(1) مفردات الراغب.

(2) الكشاف ونحوه القرطبي والبيضاويّ والنسفي.

(3) تفسير الشعراوي.

نفهم هذا المعنى حينما نتأمل مثلاً ربة البيت وهي تطبخ أرزاً باللبن أو بصارة أو تغلي العسل لتصنع منه المربى، فمع الغليان يتبخر الماء وتبقى مادة تخينة ثقيلة، لذلك لا تتحرك مع الغليان، وتكون حرارتها شديدة، نقول: ثخن الشيء أو تخن.

قال الألوسي[1]: أي: أوقعتم القتل بهم بشدّة وكثرة، على أن ذلك مستعار من ثخّن المائعات لمنعه عن الحركة. والمراد حتّى إذا أكثرتم قتلهم وتمكنتّم من أخذ من لم يُقتل.

أو المعنى حتّى إذا أثقلتموهم بالجراح ونحوه، بحيث لا يستطيعون النهوض فأسّروهم واحفظوهم، فالشّدّ وكذا ما بعده في حقّ المثخن، لأنّه بهذا المعنى هو الذي لم يصل إلى حدّ القتل لكن ثقُل عن الحركة فصار كالشّيء الثّخين الذّي لم يسل ولم يستمر في ذهابه، والأثخان عليه مجاز أيضاً.

● **قال تعالى**: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: 67].

قال الطبري[2]: يقول: حتى يبالغ في قتل المشركين فيها، ويقهرهم، غلَبة وقسراً، يقال منه: أثخن فلان في هذا الأمر: إذا بالغ فيه، وحكي: أثخنته معرفةً، بمعنى: قتلته معرفةً.

قال الزمخشري[3]: وقرىء و﴿يُثَخِنَ﴾ بالتشديد، ومعنى الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أثخنته الجراحات: إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وأثخنه المرض: إذا أثقله، ومن الثّخانة التي هي الغلظ والكثافة يعنى حتّى يذلّ الكفر ويضعه بإشاعة القتل في أهله، ويعزّ الإسلام ويقوّيه بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك.

---

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: معناه حتّى يقوي ويشتدّ ويغلب ويبالغ ويقهر. إنّ كلمة (حتى) لانتهاء الغاية فتقول: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ يدلّ على أنّ بعد حصول الإثخان في الأرض له أن يقدم على الأسر.

(1) التفسيرالكبير.

ثرب

(ثرب - جنح - حرج - ضير - لوم)

- **التَّثْرِيبُ:** التقريع والتقرير بالذنب، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92].
- **الجُنَاحُ:** المسؤولية الخفيفة ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النِّساء: 101].
- **الحَرَجُ:** الضيق النفسي من شيء غير لائق ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: 91].
- **ضَيْرٌ:** المضرّة في ما تحسبه نافعاً ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشُّعَرَاء: 50].
- **اللَّوْمُ:** عزل الناس بنسبته إلى ما فيه تقصير. يقال: لمته فهو ملوم ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: 22].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثّاء والرّاء والباء كلمتان متباينتان الأصل، لا فروع لهما، فالتَّثْرِيبُ: اللّوم والأخذ على الذّنب، فهذا أصل واحد.

والآخر الثَّرْبُ: هو الشحم الذي يغشى الكرش والأمعاء رقيقٌ، والجمع: ثُروب.

---

(1) مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الثَّرْبُ: شحمٌ رقيقٌ يغشَى الكرش والأمعاء، والجمع ثُرُوبٌ.

والتَّثْرِيبُ: الإفساد، والتَثْرِيبُ بالذنب، لا أثرب عليك.

قال الفرّاء: نصْلٌ يَثْرَبِيّ وأَثْرَبِيّ، منسوب إلى يثرب وهي المدينة. وإنّما فتحوا الرّاء استيحاشاً لتوالي الكسرات.

قال الأصمعي: ثَرَّبْتُ عليه وعرّبت عليه بمعنى: إذا قبحت عليه فعله.

وقال ابن الاعرابيّ: الثَّارِبُ: الموبّخ، والتَّثْرِيبُ: التّوبيخ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: 92].

قال الزمخشري[2]: لا تأنيب عليكم ولا عتب. وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش. ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه. فإن قلت بم تعلق اليوم؟ قلت: بالتثريب، أو بالمقدر في ﴿عَلَيْكُمُ﴾ من معنى الاستقرار. أو بيغفر. والمعنى: لا أثر بكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام.

قال الألوسي[3]: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ أي لا تأنيب ولا لوم ﴿عَلَيْكُمُ﴾ وأصله

(1) العين.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.

من الثرب: وهو الشحم الرقيق في الجوف وعلى الكرش، وصيغة التفعيل للسلب أي: إزالة الثرب كالتجليد والتقريع بمعنى إزالة الجلد والقرع، واستعير للوم الذي يمزق الأعراض ويذهب بهاء الوجه لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال وما لا يرضى كما أنه باللوم تظهر العيوب فالجامع بينهما طريان النقص بعد الكمال وإزالة ما به الكمال والجمال وهو اسم (لا) و﴿عَلَيۡكُمُ﴾ متعلق بمقدر وقع خبراً، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ متعلق بذلك الخبر المقدر أو بالظرف أي: لا تثريب مستقر عليكم اليوم، وليس التقييد به لإفادة وقوع التثريب في غيره، فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا لم يثرب أول لقائه واشتعال ناره فبعده بطريق الأولى. وقال المرتضى: إن ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ موضوع موضع الزمان كله.

قال الطبري[1]: ﴿لَا تَثۡرِيبَ﴾ يقول: لا تغيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحُرْمة وحقّ الأخوّة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو.

قال الشعراوي[2]: والتثريب هو اللوم العنيف، وهو مأخوذ من الثَّرْب؛ فحين يذبحون ذبيحة، ويُخرِجون أمعاءها يجدون حول الأمعاء دُهْناً كثيفاً؛ هذا الدُّهْن يُسمَّى ثَرْب.

أما إن كانت هزيلة، ولم تتغذَّ جيداً، فأمعاؤها تخرج وقد ذاب من عليه هذا الثَّرْب. والتثريب يعني: أن اللوم العنيف قد أذابَ الشحم من لحمه، وجعل دمه ينزّ، ويكاد أن يصل بالإنسان إلى أن ينزل به ويسلّه.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا زنت أَمَةُ أحدكم فتبيَّن زناها فليجلدها الحدّ، ولا يُثرِّب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد، ولا يُثرِّب عليها، ثم إنْ زنت الثالثة فتبيّن زِنَاها فَليبِعْها، ولو بحبل من شعر**». أي: لا يقولن لها: يا مَنْ فعلت كذا وكذا، بل فليعاقبها بالعقاب الذي أنزله الله لمثل هذه الجريمة؛ فإن

(1) جامع البيان.
(2) تفسير الشعراوي.

لم ترتدع عن الفعل فَلْيبِعْها، وهكذا نفهم أن التثريب أو اللوم العنيف قد يُولِّد العِناد.

قال ابن عاشور[1]: والتثريب: التوبيخ والتقريع. والظاهر أن منتهى الجملة هو قوله: ﴿عَلَيْكُمُ﴾، لأن مثل هذا القول مِمّا يجري مجرى المثل فيُبنى على الاختصار فيكتفي بـ ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ مثل قولهم: لا بأس، وقوله تعالى: ﴿لَا وَزَرَ﴾ **[القِيَامَة: 11]**.

(1) التحرير والتنوير.

ثرى

(ثرى - ترب - طين - صعيد - حقف)

- **الثَّرى:** التراب المشتمل على الشيء النفيس من معادن ونحوهما ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].
- **التراب:** وجه الأرض الهش الصالح للزراعة ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20].
- **الطِّينُ:** التراب مع الماء، الطين اللازج شديد الجمود والقوة، والطين الصلصال الجاف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].
- **الصَّعيدُ:** التراب الطاهر ذو الغبار ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: 43].
- **الحقْفُ:** التراب المتلبد المائل في سفوح التلال ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثّاء والرّاء والحرف المعتلّ أصلٌ واحد، وهو الكثرة، وخلاف اليبْس.

قال الخليل[2]: والثَّرى، مقصور: التُّراب، وكل طين لا يكون لازباً إذا بُلّ.

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

وتَثَرَّى الفرس بالعرق تثرياً، وثَرِيَ أيضاً ثَرًى شديداً: إذا نَدِي بعرقه.

قال الأصمعي: يقال: ما بيني وبين فلان مُثرٍ، أي: إنّه لم ينقطع. وأصل ذلك أن يقول: لم ييبس الثَّرَى بيني وبينه.

وثَرَّى فلان التّراب والسّويق: إذا بلّه.

وأرض مُثْرِيَةٌ: إذا لم يجف ثَرَاهَا.

قال أبو عبيدة: والثَّرِيُّ: الكثير من المال وغيره. والثُرَياءُ، على فعلاء: الثَّرَى.

قال ابن دريد: الثَّرَاءُ، ممدود: الغنى، وجمع الثَّراءُ: أثْرِيَة.

قال ابن منظور: الثَّروَةُ: كثرة العدد من الناس والمال، يقال: ثَرْوَةُ رجال، وثَرْوَةُ مال، والفروة كالثَّرَوة فاؤه بدل من الثّاء.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].

قال البيضاويّ[1]: الطبقة الترابية من الأرض، وهي آخر طبقاتها.

قال أبو حيان[2]: وقيل: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ما هو في باطن الأرض فيكون ذلك توكيداً لقوله: ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلّا إن كان المراد بفي الأرض ما هو عليها فلا يكون توكيداً.

قال النيسابوري[3]: والتحقيق أن الثرى هو التراب الندي وهو ما جاوز البحر

(1) أنوار التنزيل.
(2) البحر المحيط.
(3) غرائب القرآن.

من جرم الأرض، فالذي تحته هو ما بقي من جرم الأرض إلى المركز فيحتمل أن يكون هناك أشياء لا يعلمها إلا الله سبحانه من المعادن وغيرها.

قال أبو السعود[1]: أي: ما وراءَ التراب، وذكرُه مع دخوله تحت ما في الأرض لزيادة التقريرِ.

قال الفخر الرازي[2]: ومالك لما تحت الثرى، فإن قيل الثرى هو السطح الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله مالكاً له قلنا: الثرى في اللغة التراب الندي فيحتمل أن يكون تحته شيء وهو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات.

قال الطنطاوي[3]: والثرى: هو التراب الندي. يقال: ثريت الأرض - كرضيت - إذا نديت ولانت بعد أن كانت جدباء يابسة.

والمقصود: وله - سبحانه - بجانب ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، ما وراء الثرى وهو تخوم الأرض وطبقاتها إلى نهايتها.

وخص - سبحانه - ما تحت الثرى بالذكر، مع أنه داخل فى قوله: ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لزيادة التقرير، ولتأكيد شمول ملكيته - سبحانه - لكل شيء.

(1) إرشاد العقل السليم ونحوه الألوسي.
(2) التفسير الكبير.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.

ثعب

(«ثعب - ثعبان» - حية)

■ **الثُّعْبَانُ:** حيّة سريعة الوثوب، يقال: ثعب عليهم الغارة أي: شنّها عليهم[1] ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107].

■ **الحَيَّةُ:** من الزواحف السامة تنساب انسياباً بلا صوت في الهجوم ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: 20].

وهذا يعني أن عصا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلت الحالتين.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[2]: الثّاء والعين والباء أصل واحد يدّل على امتداد الشّيء وانبساطه، يكون ذلك في ماء وغيره.

والثُّعْبَانُ: ذكر الحيّة الضّخم الطّويل، وهو من القياس في انبساطه وامتداده خلقاً وحركةً.

وربّما قيل: ماءٌ ثَعْبٌ، ويجمع على الثُّعْبَانُ.

قال الخليل[3]: ثَعَبْتُ الماء أَثْعَبُه ثَعْباً، أي: فجّرته فانْثَعَب، ومنه اشتق (المَثْعَبُ) وهو الميزاب.

---

(1) أساس البلاغة للزمخشري.
(2) مقاييس اللغة.
(3) العين.

وانْثَعَبَ الدّم من الأنف.

قال الراغب[1]: ثَعَبْتُ الماء فانْثَعَبَ، أي: فجرته وأسلته فسال، ومنه: ثَعْبُ المطر، والثُّعْبَةُ: ضرب من الوزغ وجمعها: ثُعَبٌ، كأنه شبه بالثُّعْبَانِ في هيئته، فاختصر لفظه من لفظه لكونه مختصراً منه في الهيئة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107].

قال البغوي[2]: والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن قيل: أليس قد قال في موضع آخر ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: 10] والجانّ الحية الصغيرة؟ قيل: إنها كانت الجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة.

قال أبو حيان[3]: وانقلابها ثعباناً وانقلاب خشبة لحماً ودماً قائماً به الحياة من أعظم الإعجاز، ويحصل من انقلابها ثعباناً من التهويل ما لا يحصل في غيره وضربه بها الحجر فينفجر عيوناً وضربه بها فتنبت قاله ابن عباس، ومحاربته بها اللصوص والسباع القاصدة غنمه واشتعالها في الليل كاشتعال الشمعة وصيرورتها كالرشا لينزح بها الماء من البئر العميقة وتلقفها الحبال والعصيّ التي للسحرة وإبطالها لما صنعوه من كيدهم وسحرهم والإلقاء حقيقة هو في الاجرام ومجاز في المعاني نحو ألقى المسألة.

قال أبو السعود[4]: أي: ظاهرٌ أمرُه لا يُشك في كونه ثعباناً وهو الحيةُ العظيمةُ، وإيثارُ الجملةِ الاسميةِ للدلالة على كمال سرعةِ الانقلاب وثباتِ وصفِ

(1) مفردات الراغب.
(2) معالم التنزيل.
(3) البحر المحيط.
(4) إرشاد العقل السليم.

الثُعبانية فيها كأنها في الأصل كذلك. وروي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعَرَ فاغراً فاه بين لَحْيَيهِ ثمانون ذراعاً وَضع لَحيَه الأسفلَ على الأرض والأعلى على سور القصرِ، ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث فانهزم الناسُ مزدحمين فمات منهم خمسةٌ وعشرون ألفاً فصاح فرعونُ: يا موسى أنشُدك بالذي أرسلك خُذْه وأنا أؤمن بك وأرسلُ معك بني إسرائيلَ فأخذه فعاد عصا.

قال ابن كثير[1]: الثعبان الذكر من الحيات، فاتحة فاهاً، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رآها، ذعر منها، ووثب وأحدث، ولم يكن يحدث قبل ذلك، وصاح: يا موسى خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصا، وروي عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا، وقال وهب بن منبه: لما دخل موسى على فرعون، قال له فرعون: أعرفك؟ قال: نعم، قال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: 18].

قال الزمخشري[2]: ﴿ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان. وروى أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً، وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون ليأخذه.

---

(1) تفسير ابن كثير.

(2) الكشاف.

ثقب

(ثقب - خرق - نقب - نفق)

■ **الثَّقْبُ:** فتح الجبل والخشب بالمثقب الحراري المضيء ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10].

■ **الخَرْقُ:** فتح الشيء الصلب بأسلوب فاسد من غير علم ولا تفكر ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].

■ **النَّقْبُ:** في الحائط والجلد أو الأرض بحثاً عن شيء ﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: 36].

■ **النَّفَقُ:** الشق الطويل في الأرض ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 35].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والقاف والباء كلمةٌ واحدة، وهو أن ينفُذَ الشيء. يقال: ثقَبْتُ الشيءَ أثقُبه ثَقْباً.

قال الخليل[2]: الثقْبُ. مصدر ثقبتُ الشيء أَثْقُبُه ثَقْباً، والثَّقْبُ: اسم لما نفذ.

والمِثْقَبُ: أداة يُثقب بها.

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

والثَّقُوبُ: مصدر النار الثاقبة، والكواكب.

ورجل ثَقِيبٌ، وامرأة ثَقِيبَةٌ: شديدة الحمرة.

قال الجوهري(1): الثَّقْبُ، بالفتح. واحد الثُّقُوبِ. غيره: الثَّقْبُ: الخَرْقُ النافِذُ، بالفتح، والجمع أَثْقُبٌ وثُقُوبٌ.

قال الراغب(2): الثَّاقِبُ: المضيء الذي يَثْقُبُ بنوره وإضاءته ما يقع عليه. والمِثْقَبُ: الطريق في الجبل، كأنه قد ثُقِبَ، وقال أبو عمرو: والصحيح: المُثْقَبُ وقالوا: ثَقَّبْتُ النار، أي: ذكيتها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10].

قال أبو السعود(3): ﴿ثَاقِبٌ﴾ مضيءٌ في الغايةِ كأنَّه يثقبُ الجوَّ بضوئهِ يُرجم به الشَّياطينُ إذا صعدُوا لاستراقِ السَّمعِ فيقتلهم أو يحرقُهم أو يخبلُهم. قالُوا: وإنَّما يعودُ من يَسلم منهم حيًّا طمعاً في السَّلامةِ ونيلِ المُرادِ كراكبِ السَّفينةِ.

قال ابن عاشور(4): والثاقب: الخارق، أي: الذي يترك ثَقباً في الجسم الذي يصيبه، أي: ثاقب له. وعن ابن عباس: الشهاب لا يقتل الشيطان الذي يصيبه ولكنه يحترق ويَخْبِل، أي: يفسُد قِوامه فتزول خصائصه، فإن لم يضمحل فإنه يصبح غير قادر على محاولة اسْتراق السمع مرة أخرى، أي: إلا من تمكّن من الدنوّ إلى محل يسمع فيه كلمات من كلمات الملأ الأعلى فيُردف بشهاب يثقبه فلا يرجع إلى حيث صدر، وهذا من خصائص ما بعد البعثة المحمدية.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التحرير والتنوير.

قال الشعراوي[1]: يعني: نافذ يخترق الأجواء، حتى يصل إلى هدفه في أسرع وقت.

● **قال تعالى: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطّارق: 3].**

قال أبو السعود[2]: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ والجملةُ استئنافٌ وقعَ جواباً عن استفهامٍ نشأ مما قبلَه كأنَّه قيلَ: ما هو؟ فقيلَ: النجمُ المضيءُ في الغايةِ كأنه يثقبُ الظلامُ أو الأفلاكُ بضوئِه وينفذُ فيَها والمرادُ بِهِ إما الجنسُ فإنَّ لكلِّ كوكبٍ ضوءاً ثاقباً لا محالةَ وإما كوكبٌ معهودٌ: قيلَ: هو زُحَلُ وقيلَ: هو الثُّريَّا وقيلَ: هو الجَديُ وقيل: النجمُ الثاقبُ نجمٌ في السماءِ السابعةِ لا يسكُنها غيرُه فإذا أخذتِ النجومُ أمكنتَها من السماءِ هبط فكانَ معها ثم يرجعُ إلى مكانِه من السماءِ السابعةِ وهو زُحل فهو طارقٌ حينَ ينزلُ وحينَ يصعدُ وفي إيرادِه عندَ الإقسامِ به بوصفٍ مشتركٍ بينه وبين غيرِه ثم الإشارةِ إلى أنَّ ذلكَ الوصفَ غيرُ كاشفٍ عن كنِه أمرِه وأن ذلكَ مما لا تبلغُه أفكارُ الخلائقِ ثم تفسيرِه بالنجمِ الثاقبِ من تفخيمِ شأنِه وإجلالِ محلِّه بما لا يَخْفى.

قال الألوسي[3]: والثاقب في الأصل الخارق ثم صار بمعنى المضيء لتصور أنه يثقب الظلام، وقد يخص بالنجوم والشهب لذلك وتصور أنها ينفذ ضوءها في الأفلاك ونحوها. وقال الفراء: الثاقب المرتفع يقال: ثقب الطائر أي: ارتفع وعلا. والمراد بالنجم الثاقب الجنس عند الحسن فإن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لا محالة وكذا كل كوكب مرتفع ولا يضر التفاوت في ذلك.

وذهب غير واحد إلى أن المراد به معهود، فعن ابن عباس أنه الجدي وأخرج ابن جرير عن ابن زيد أنه الثريا وهو الذي تطلق العرب عليه اسم النجم، وروي

(1) تفسير الشعراوي.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.

عنه أيضاً أنه زحل وهو أبعد السيارات وأرفعها وما يثقبه ضوؤه من الأفلاك أكثر فيما يزعم المنجمون المتقدمون وإنما قلنا أبعد السيارات لأن الجدي والثريا عندهم أبعد منه بكثير وكذا عند المحدثين.

قال القشيري[1]: المضيءُ العالي. وقيل: الذي ترمى به الشياطين. ويقال: هي نجوم المعرفة التي تدل على التوحيد يستضيءُ بنورها ويهتدي بها أولو البصائر.

(1) لطائف الإشارات.

ثقف

(ثقف - برم - أحكم - أتقن - رصّ)

■ **الثَّقْفُ:** الحذق المتميز في إدراك الشيء وفعله، ومنه المثاقفة، أي: الملاعبة بالسلاح ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57].

■ **الإِبْرَامُ:** قوة التكوين من الداخل فلا يفسد ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 79].

■ **الإِحْكَامُ:** قوة المقاومة من الخارج فلا يخترق ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ [الحَجّ: 52].

■ **الإِتْقَانُ:** يجعل الشيء المتقن كاملاً لا يعاب ﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النّمل: 88].

■ **الرَّصُّ:** تساند الأشياء حتى تبدو شيئاً واحداً ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصّف: 4].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة دَرْءِ الشيء. ويقال: ثَقَّفْتُ القناةَ: إذا أَقَمْتَ عِوَجَها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: ثَقُفَ الرجل ثَقْفاً وثَقافَةً، أي: صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقْفٌ.

ومنه المُثاقَفَةُ. والثِّقافُ: ما تُسَوَّى به الرماحُ. وتَثْقيفُها: تسويتها.

وَثَقِفْتُهُ ثَقْفاً، أي: صادفتُهُ.

قال الراغب[2]: الثَّقْفُ: الحذق في إدراك الشيء وفعله، ومنه قيل: رجل ثَقْفٌ، أي: حاذق في إدراك الشيء وفعله، ومنه استعير: المُثَاقَفَةُ هي الملاعبة بالسلاح، ورمح مُثَقَّفٌ، أي: مُقوَّم، وما يُثْقَفُ به: الثَّقَّافُ، ويقال: ثَقِفْتُ كذا: إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر، ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثَقَافَةٌ.

المعنى المشترك لكلمة (ث ق ف)

وقد وردت كلمة (ثقف) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ثقفوا: بمعنى وجدوا ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [آل عِمرَان: 112].

الوجه الثاني: يثقفوكم: يعني يغلبوكم ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ [المُمتَحنَة: 2].

الوجه الثالث: ثقف: يعني أسر ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾ [الأنفَال: 57].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾ [البَقَرَة: 191].

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) مفردات الراغب.

قال البيضاويّ[1]: حيث وجدتموهم في حل أو حرم. وأصل الثقف: الحذق في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً. فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها.

قال أبو حيان[2]: ضمير المفعول عائد على: الذين يقاتلونكم، وهذا أمر بقتلهم، و: حيث ثقفتموهم، عام في كل مكان حل أو حرم، ويلزم منه عموم الأزمان، في شهر الحرام وفي غيره، وفي (المنتخب) أمر في الآية: الأولى بالجهاد بشرط إقدام الكفار على المقاتلة، وفي هذه الآية زاد في التكليف. فأمر بالجهاد معهم سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام. انتهى. وليس كما قال: إنه زاد في التكليف فأمر بالجهاد سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، لأن الضمير عائد على: الذين يقاتلونكم، فالوصف باقٍ إذْ المعنى: واقتلوا الذين يقاتلونكم حيث ثقفتموهم، فليس أمراً بالجهاد سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا.

وقال ابن عطية[3]: ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أحكمتم غلبتهم، يقال: رجل ثقف لقف: إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور. انتهى. ويقال: ثقف الشيء ثقافة إذا حذقه، ومنه أخذت الثقافة بالسيف، والثقافة أيضاً حديدة تكون للقوَّاس والرمَّاح يقوم بها المعوج، وثقف الشيء: لزمه، وهو ثقف إذا كان سريع العلم، وثقفته: قوّمته، ومنه الرماح المثقفة، أي: المقومة.

● **قال تعالى**: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المُمتحنَة: 2].

قال البغوي[4]: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾. يظفرواو بكم ويروكم.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) البحر المحيط.
(3) المحرر الوجيز.
(4) معالم التنزيل ونحوه ابن الجوزي، الزمخشري، الفخر الرازي، المراغي، القاسمي.

قال الطنطاوي[1]: ومعنى ﴿يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم، ويدركوا طلبتهم منكم. وأصل الثقف: الحذق في إدراك الشيء وفعله، ومنه رجل ثقف إذا كان سريع الفهم، ويقال: ثقفت الرجلَ في الحرب إذا أدركته وظفرت به. أي: إن يظفر بكم هؤلاء الأعداء - أيها المؤمنون - ويتمكنوا منكم، يظهروا لكم ما انطوت عليه قلوبهم نحوكم من بغضاء، ولا يكتفون بذلك، بل يمدون إليكم أيديهم بما يضركم، وألسنتهم مما يؤذيكم. ثم هم بعد كل ذلك يودون ويتمنون أن تصيروا كفاراً مثلهم.

فأنت ترى أن الآية الكريمة، قد وضحت أن هؤلاء الكافرين، قد سلكوا في عداوتهم للمؤمنين كل مسلك، فهم عند تمكنهم من المؤمنين يظهرون حقدهم القديم، ويؤذونهم بأيديهم وألسنتهم، ويتمنون في جميع الأحوال أن يردوهم بعد إيمانهم كافرين.

● **قال تعالى**: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57].

قال الماوردي[2]: فيه وجهان: أحدهما: تصادفهم. والثاني: تظفر بهم.

قال أبو السعود[3]: شروعٌ في بيان أحكامِهم بعد تفصيلِ أحوالِهم والفاءُ لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي: فإذا كان حالُهم كما ذكر فإمّا تصادِفَنَّهم وتظفَرَنَّ بهم.

قال الشعراوي[4]: ثقف بمعنى وجد، أي: كلما وجدتهم في الحرب: فشرد بهم من خلفهم، أي: اجعلهم أداة لتشريد من خلفهم. وعليك أن تؤدبهم أدباً يجعل الذين وراءهم يخافون منكم، ويبتعدون عنكم، وكلما رأوكم أصابهم

(1) الوسيط في تفسير القرآن.
(2) النكت والعيون ونحوه المراغي، الألوسي، أبو حيان، النسفي.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) تفسير الشعراوي.

الخوف والهلع، وكما يقول المثل العامي: «اضرب المربوط يخاف السايب».

أي: أن المطلوب أن نجاهدهم بقوة وبدون شفقة، حتى لا يفكر في مساندتهم من جاءوا خلفهم لينصروهم أو يؤازروهم بالدخول معهم في القتال، ولا تحدثهم أنفسهم في أن يستمروا في المعركة.

● **قال تعالى:** ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: 112].

قال ابن الجوزي[1]: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ معناه: أُدركوا وَوُجِدوا، وذلك أنهم أين، نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء جزية.

قال ابن عاشور[2]: و﴿ثُقِفُوٓا۟﴾ في الأصل أخذوا في الحرب ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾ [الأنفَال: 57].

وهذه المادة تدلّ على تمكّن من أخذ الشيء، وتصرّف فيه بشدّة، ومنها سمي الأسْر ثِقافاً، والثقاف آلة كالكلُّوب تكسر به أنابيب قنا الرّماح.

والمعنى هنا: أينما عثر عليهم، أو أينما وجدوا، أي: هم لا يوجدون إلا محكومين، شبّه حال ملاقاتهم في غير الحرب بحال أخذ الأسير لشدّة ذلّهم.

قال الفخر الرازي[3]: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ أي: وجدوا وصودفوا، يقال: ثقفت فلاناً في الحرب أي: أدركته، وقد مضى الكلام فيه عند قوله: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البَقَرَة: 191].

(1) زاد المسير.
(2) التحرير والتنوير.
(3) التفسير الكبير.

ثقل

(ثقل - حمل - وسق - وقر)

■ **الثِّقْلُ:** الحمل الثقيل ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: 6].

■ **الحِمْلُ:** ما تحمله الدواب من أمتعة في الظاهر بكسر الحاء، وما تحمله الأمهات في الباطن بفتح الحاء.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النّحل: 7].

■ **الوَسَقُ:** الحمل المتفرق، وهو ما يحمل في الظلام من أشياء مختلفة ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17].

■ **الوِقْرُ:** بالكسر - الثقل على حمار أو بغل.

بالفتح: الثقل في الأذى. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والقاف واللام أصلٌ واحدٌ يتفرَّع منه كلماتٌ متقاربة، وهو ضِدّ الخِفّة، ولذلك سُمِّيَ الجنُّ والإنس الثَّقَلَين، لكثرة العدد.

قال الخليل(2): الثِّقْلُ: متاع السفر وحشمه، وجمعه: أَثْقَالٌ.

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

والأَثْقَالُ: الآثام.

والمِثْقَالُ: وزن معلوم قدره.

قال الجوهري[1]: والثِّقَلُ ضدّ الخفّة. تقول منه: ثَقُلَ الشيءُ ثِقَلاً، فهو ثَقيلٌ.

والثَّقَلُ، بالتحريك متاعُ المسافر وحَشَمُهُ. والثَقَلانِ: الإنسُ والجنُّ.

ويقال أيضاً: وجدت ثَقَلَةً في جسدي، أي: ثِقْلاً وفُتوراً. وثَقِلَةُ القومِ، بكسر القاف: أَثْقَالُهُمْ. يقال: احتمل القومُ بِثَقَلِهِمْ، أي: بأمتعتهم كلِّها. وثَقَلَ الشيءُ الشيءَ في الوزن يَثْقُلُهُ ثَقْلاً. وثَقَلْتُ الشاة أيضاً، أي: وزنتُها، وذلك إذا رفعتَها لتنظر ما ثِقَلُها من خفّتها. وامرأةٌ ثَقالٌ بالفتح، أي: رَزانٌ ذات مآكِمَ وكَفَلٍ.

والتَّثْقيلُ: ضدُّ التخفيف.

قال الراغب[2]: - الثَّقَلُ والخفة متقابلان، فكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال: هو ثَقِيلٌ، وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني، نحو: أَثْقَلَهُ الغرم والوزر.

والثَّقِيلُ في الإنسان يستعمل تارة في الذم، وهو أكثر في التعارف، وتارة في المدح.

المعنى المشترك لكلمة (ث ق ل)

وقد وردت كلمة (ثقل) في القرآن الكريم على تسعة أوجه:

الوجه الأول: الأثقال: يعني الزاد والمتاع ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ **[النّحل: 7]**.

الوجه الثاني: الأثقال: يعني الكنوز والأموات ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ **[الزّلزَلة: 2]**.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) مفردات الراغب.

الوجه الثالث: الثقل: يعني الشدة العظيمة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27].

الوجه الرابع: الثقل: يعني الرجحان ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8].

الوجه الخامس: الثقل: يعني الأوزار ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13].

الوجه السادس: الثقل: بعينه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: 57].

الوجه السابع: الثقل: يعني الركون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: 38].

الوجه الثامن: الثقال: يعني الشيوخ وأصحاب العيال ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ﴾ [التوبة: 41].

الوجه التاسع: الثقلان: يعني الإنس والجن ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 31].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8].

قال الزمخشري[1]: أي: فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات. أو ما توزن به حسناتهم.

(1) الكشاف.

قال أبو حيان[1]: وأما الثقل والخفة فمن صفات الأجسام وقد ورد أنّ الموزون هي الصّحائف التي أثبتت فيها الأعمال، فيُحدث الله تعالى فيها ثقلاً وخفةً وما ورد في هيئته وطوله وأحواله لم يصحَّ إسناده.

قال الشعراوي[2]: الميزان يثقل بالحسنات، ويخف بالسيئات، ونلحظ أن القسمة العقلية لإيجاد ميزان ووزان وموزون تقتضي ثلاثة أشياء: أن تثقل كفة، وتخف الأخرى، أو أن يتساويا، ولكن هذه الحال غير موجودة هنا.

● **قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 187]**

قال الزمخشري[3]: أي: كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة، وبودّه أن يتجلى له علمها وشقّ عليه خفاؤها وثقل عليه. أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها. أو لأنّ كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها.

قال الفخر الرازي[4]: والمراد وصف الساعة بالثقل ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27] وأيضاً وصف الله تعالى زلزلة الساعة بالعظم فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1] ووصف عذابها بالشدة فقال: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2]. إذا عرفت هذا فنقول: للمفسرين في تفسير قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وجوه: قال الحسن: ثقل مجيئها على السماوات والأرض، لأجل أن عند مجيئها شققت السماوات وتكورت الشمس والقمر وانتثرت النجوم وثقلت على الأرض لأجل أن في ذلك اليوم تبدل الأرض غير الأرض، وتبطل الجبال والبحار، وقال أبو بكر الأصم: إن هذا اليوم ثقيل جداً على أهل السماء والأرض، لأن فيه فناءهم وهلاكهم وذلك

(1) البحر المحيط.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

ثقيل على القلوب. وقال قوم: إن هذا اليوم عظيم الثقل على القلوب بسبب أن الخلق يعلمون أنهم يصيرون بعدها إلى البعث والحساب والسؤال والخوف من الله في مثل هذا اليوم شديد. وقال السدي: ﴿ثَقُلَتۡ﴾ أي: خفيت في السماوات والأرض ولم يعلم أحد من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها. وقال قوم: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السماوات والأرض، وكما يقال في المحمول الذي يتعذر حمله أنه قد ثقل على حامله، فكذلك يقال في العلم الذي استأثر الله تعالى به أنه يثقل عليهم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المُزمّل: 5].

قال ابن عطية(1): والقول الثقيل: هو القرآن. واختلف الناس لم سماه ﴿ثَقِيلًا﴾، فقالت جماعة من المفسرين: لما كان يحل في رسول الله من ثقل الجسم حتى أنه كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به، وحتى كادت فخذه أن ترض فخذ زيد بن ثابت رحمه الله. وقال أبو العالية والقرطبي: بل سماه (ثقيلاً) لثقله على الكفار والمنافقين بإعجازه ووعيده ونحو ذلك. وقال حذاق العلماء: معناه ثقيل المعاني من الأمر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ومزاولة الأعمال الصالحة دائمة.

قال الزمخشري(2): هذه الآية اعتراض، ويعني بالقول الثقيل: القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، وخاصة على رسول الله ﷺ لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته؛ فهي أثقل عليه وأبهظ له: وأراد بهذا الاعتراض: أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن، لأنّ الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان إذا نزل عليه

(1) المحرر الوجيز.
(2) الكشاف، ونحوه البيضاويّ.

الوحي ثقل عليه وتربد له جلده. وعن عائشة رضي الله عنها: رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه ليرفضُّ عرقاً. وعن الحسن: ثقيل في الميزان. وقيل: ثقيل على المنافقين. وقيل: كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النِّساء: 40].

قال أبو حيان(1): نزلت في المهاجرين الأوّلين. وقيل: في الخصوم. وقيل: في عامة المؤمنين. ومناسبة هذه لما قبلها واضحة لأنه تعالى لما أمر بعبادته تعالى وبالإحسان للوالدين ومن ذكر معهم، ثم أعقب ذلك بذم البخل والأوصاف المذكورة معه، ثم وبخ من لم يؤمن، ولم ينفق في طاعة الله، فكان هذا كله توطئة لذكر الجزاء على الحسنات والسيئات فأخبر تعالى بصفة عدله، وأنه عَزَّوَجَلَّ لا يظلم أدنى شيء.

قال الألوسي(2): المثقال مفعال من الثقل، ويطلق على المقدار المعلوم الذي لم يختلف كما قيل: جاهلية وإسلاماً وهو كما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر رضي الله تعالى عنه أربعة وعشرون قيراطاً، وعلى مطلق المقدار وهو المراد هنا ولذا قال السدي: أي وزن ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يُونس: 61].

قال الفخر الرازي(3): أي: وزن ذرة، ومثقال الشيء ما يساويه في الثقل، والمعنى: ما يساوي ذرة والذر صغار النمل واحدها ذرة، وهي تكون خفيفة الوزن جداً.

---

(1) البحر المحيط.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير الكبير.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

قال ابن عطية(1): والخفة والثقل متعلقة بأجسام ويقرنها الله تعالى يومئذ بالأعمال فإما أن تكون صحف الأعمال أو مثالات تخلق أو ما شاء الله تعالى. وقرأ نافع وحده ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرفع على أن تكون (كان) تامة، وقرأ الجمهور الناس «مثقالَ» بالنصب على معنى وإن كان الشيء أو العمل.

قال الألوسي(2): أي: مقدار حبة كائنة من خردل فالجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع صفة لحبة، وجوز أن يكون صفة لمثقال والأول أقرب، والمراد وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر. وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما وأبو جعفر وشيبة ونافع ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرفع على أن كان/ تامة.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [لقمان: 16].

قال ابن عطية(3): عبارة تصلح للجواهر، أي: قدر حبة، وتصلح للأعمال أي: ما تزنه على جهة المماثلة قدر حبة، وظاهر الآية أنه أراد شيئاً من الأشياء خفياً قدر حبة، ويؤيد ذلك ما روي من أن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة تقع في مقل البحر يعلمها الله، فراجعه لقمان بهذه الآية. وذكر كثير من المفسرين أنه أراد الأعمال المعاصي والطاعات، ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أي: لا تفوت، وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف منضاف ذلك إلى تبيين قدرة الله تعالى، وفي القول الآخر ليس ترجية ولا تخويف. ومما يؤيد قول من قال هي من

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) روح المعاني.
(3) المحرر الوجيز نحوه القرطبي.

الجواهر قراءة عبد الكريم الجزري «فتكِنّ» بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشيء المغطى.

● **قال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 31].**

قال البغوي[1]: أي: الجن والإنس، سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزّلزَلة: 2]، وقال أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل. قال النبي ﷺ: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي**» فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما.

قال الفخر الرازي[2]: المشهور أن المراد الجن والإنس وفيه وجوه أحدها: أنهما سميا بذلك لكونهما مثقلين بالذنوب، ثانيهما: سميا بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الأرض فإن التراب وإن لطف في الخلق ليتم خلق آدم لكنه لم يخرج عن كونه ثقيلاً، وأما النار فلما ولد فيها خلق الجن كثفت يسيراً، فكما أن التراب لطف يسيراً فكذلك النار صارت ثقيلة، فهما ثقلان فسميا بذلك، ثالثها: الثقيل أحدهما: لا غير وسمي الآخر به للمجاورة والاصطحاب كما يقال: العمران والقمران وأحدهما عمر وقمر، أو يحتمل أن يكون المراد العموم بالنوعين الحاصرين، تقول: يا أيها الثقل الذي هو كذا، والثقل الذي ليس كذا، والثقل الأمر العظيم. قال عليه السلام: «**إني تارك فيكم الثقلين**».

● **قال تعالى: ﴿خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التّوبَة: 41].**

قال القشيري[3]: «خفافاً» يعني في حال حضور قلوبكم، فلا يمسُّكم نَصَبُ المجاهدات.

«وثقالاً» إذا رُدِدْتُم إليك في مقاساة تعب المكابدات. فإنَّ البيعةَ أُخِذَتْ

(1) معالم التنزيل، ونحوه الخازن، القرطبي.
(2) التفسير الكبير.
(3) لطائف الإشارات.

عليكم في (. . .) و (. . .). ويقال: ﴿خِفَافًا﴾ إذا تحررتم من رِقِّ المطالبات والاختيار، ﴿وَثِقَالًا﴾ إذا كان على قلوبكم ثقل الحاجات، وأنتم تؤمِّلُون قضاءَ الحقِّ مآرِبَكم.

قال البغوي[1]: وقيل: خفافاً من السلاح، أي: مقلّين منه، وثقالاً أي: مستكثرين منه. وقال الحكم بن عتيبة: مشاغيل وغير مشاغيل. وقال مرّة الهمذاني. أصحاء ومرضى. وقال يمان بن رباب: عزاباً ومتأهلين. وقيل: خفافاً من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالاً مستكثرين بهم. وقيل: خفافاً مسرعين خارجين ساعة سماع النفير، وثقالاً بعد التروي فيه والاستعداد له.

قال الشعراوي[2]: والخفيف: هو الصحيح السليم القوي الذي لا تتعبه ولا ترهقه الحركة. والثقيل: هو المريض أو كبير السن. والله يريد من الجميع أن يسارعوا إلى القتال؛ لينجوا من العذاب الأليم، وينالوا توبته ورضاه.

ولكن الصحيح خفيف الحركة يمكنه أن يقاتل، فماذا يفعل المريض؟ يفعل مثلما فعل سيدنا سعيد بن المسيَّب وكان مريضاً، إذ قالوا له: إن الله أعفاك من الخروج إلى المعركة في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النُّور: 61].

فقال: والله أكَثِّرُ سواد المسلمين وأحرس متاعهم. ومن الممكن أن يكون المريض متميزاً بالذكاء وصحة العقل، ويمكن أن يُسْتشار في مسألة ما. وقد يكون المريض أسْوة في قومه، فإذا خرج للقتال هاج قومه وخرجوا معه، ويمكن أن يكون المريض أو الضعيف حافزاً للأقوياء على القتال.

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12].

---

(1) معالم التنزيل. (2) تفسير الشعراوي.

قال أبو السعود[1]: ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ بالماء وهي جمعُ ثقيلةٍ وُصف بها السحابُ لكونها اسمَ جنسٍ في معنى الجمع والواحدةُ سحابة، يقال: سحابةٌ ثقيلة وسحاب ثِقال، كما يقال: امرأة كريمة ونسوة كرام.

قال الشعراوي[2]: ونحن نعلم أن السحاب هو الغَيْم المُتَراكم؛ ويكون ثقيلاً حين يكون مُعَبئاً؛ وهو عكس السحاب الخفيف الذي يبدو كَنُتَفِ القطن. ويُقال عند العرب: «لا تستبطئ الخَيْل؛ لأن أبطأ الدِّلاء فَيْضاً أملؤها، وأثقلَ السحابِ مَشْياً أَحْفلُهَا».

فحين تنزل الدَّلْو في البئر؛ وترفعه؛ فالدَّلْو المَلآن هو الذي يُرهقك حين تشدُّه من البئر؛ أما الدلو الفارغ فهو خفيفٌ لحظة جَذْبه خارج البئر؛ وكذلك السحاب الثِّقَال تكون بطيئة لِمَا تحمله من ماء.

قال البيضاويّ[3]: ﴿ٱلثِّقَالَ﴾: وهو جمع ثقيلة وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العَنكبوت: 13].

قال ابن عطية[4]: يريد ما يلحقهم من إغوائهم لعامتهم وأتباعهم فإنه يلحق كل داعٍ إلى ضلالة كفل منها حسب الحديث المشهور: «**أيما داع إلى هدى فاتبع عليه فله مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً وأيما داع دعا إلى ضلالة. . .**» الحديث.

وهي وإن كانت من ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ فلكونها بسبب غيرهم وعن غير كفر تلبسوه فرق بينها وبين ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ ولم ينسبها إلى غيرهم بل جعلها في رتبة فقط فهم فيها إنما

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) أنوار التنزيل.
(4) المحرر الوجيز.

يزرون بوزر أنفسهم، وقد يترتب حمل أثقال الغير بما ورد عن النبي ﷺ «**أنه يقتص للمظلوم بأن يعطى من حسنات ظالمه فإن لم يبق للظالم حسنة أخذ من سيئات المظلوم فطرحت عليه**».

قال الخازن[1]: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي: أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم. فإن قلت: قد قال أولاً وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقال ها هنا: وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما؟ قلت: معناه إنهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزاراً بسبب إضلال غيرهم فهو كقوله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» رواه مسلم.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [**الزّلزلة: 2**].

قال الفخر الرازي[2]: في الأثقال قولان: أحدهما أنه جمع ثقل وهو متاع البيت: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [**النّحل: 7**] جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها، قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها، وقيل: سمي الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم إذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها إذا كانوا فوقها، ثم قال: المراد من هذه الزلزلة، الزلزلة الأولى يقول:

أخرجت الأرض أثقالها، يعني الكنوز فيمتلىء ظهر الأرض ذهباً ولا أحد يلتفت إليه، كأن الذهب يصيح ويقول: أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلي! أو تكون الفائدة في إخراجها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [**التوبة: 35**] ومن قال: المراد من هذه الزلزلة الثانية وهي بعد القيامة. قال: تخرج الأثقال

---

(1) لباب التأويل. (2) التفسير الكبير.

يعني الموتى أحياء كالأم تلده حياً، وقيل: تلفظه الأسرار، ولذلك قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزّلزلة: 4] فتشهد لك أو عليك.

قال أبو حيان(1): جعل ما في بطنها أثقالاً. وقال النقاش والزجاج والقاضي منذر بن سعيد: أثقالها: كنوزها وموتاها. ورد بأن الكنوز إنما تخرج وقت الدجال، لا يوم القيامة، وقائل ذلك يقول: هو الزلزال يكون في الدنيا، وهو من أشراط الساعة، وزلزال: يوم القيامة، كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝﴾ [النازعات: 6-7] فلا يرد عليه بذلك، إذ قد أخذ الزلزال عاماً باعتبار وقتيه. ففي الأول أخرجت كنوزها، وفي الثاني أخرجت موتاها، وصدقت أنها زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها: وقيل أثقالها كنوزها ومنه قوله: «**تلقى الأرض أفلاذ كبدها**» أمثال الأسطوان من الذهب والفضة. وقال ابن عباس: موتاها، وهو إشارة إلى البعث وذلك عند النفخة الثانية، فهو زلزال يوم القيامة، لا الزلزال الذي هو من الأشراط.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [النّحل: 7].

قال الفخر الرازي(2): الأثقال: جمع ثقل وهو متاع المسافر لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. قال ابن عباس: يريد من مكة إلى المدينة. أو إلى اليمن. أو إلى الشام. أو إلى مصر. قال الواحدي: هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير إبل لشق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد، لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه البلاد.

قال القشيري(3): الغنيُّ له جمال بماله، والفقير له استقلال بحاله.. وشتَّان ما هما! فالأغنياء يتجملون بأنعامهم حين يريحون وحين يسرحون، والفقراء

(1) البحر المحيط.
(2) التفسير الكبير.
(3) لطائف الإشارات.

يستقبلون بمولاهم حين يصبحون وحين يمسون. أولئك تحمل أثقالَهم جِمالُهم، وهؤلاء يحمل الحقُّ عن قلوبِهم أثقالَهم.

قال ابن عطية[1]: «الأثقال» الأمتعة، وقيل المراد هنا الأجسام كقوله ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 2] أي: أجسام بني آدم. قال القاضي أبو محمد: واللفظ يحتمل المعنيين، قال النقاش: ومنه سمي الإنس والجن الثقلين.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189].

قال أبو السعود[2]: إذ معناه فلما صارت ذاتَ ثِقلٍ لكبر الولدِ في بطنها، ولا ريب في أن الثقلَ بهذا المعنى ليس مقابلاً للخفة بالمعنى المذكور إنما يقابلها الكربُ الذي يعتري بعضَهن من أول الحمل إلى آخره دون بعضٍ أصلاً.

قال الطبري[3]: فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفاً ثقيلاً ودنت ولادتها، يقال منه: أثقلت فلانة: إذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال: أتمر فلان: إذا صار ذا تمر.

قال الألوسي[4]: أي: صارت ذات ثقل بكبر الحمل في بطنها فالهمزة فيه للصيرورة كقولهم: أتمر وألبن أي: صار ذا تمر ولبن، وقيل: إنها للدخول في زمان الفعل أي: دخلت في زمان الثقل كأصبح دخل في الصباح والأول أظهر، والمتبادر من الثقل معناه الحقيقي، والتقابل بينه وبين المعنى الأول للخفة ظاهر، وقد يراد به الكرب ليقابل الخفة بالمعنى الثاني لكن المتبادر في الموضعين المعنى الحقيق، وقرىء (أثقلت) بالبناء للمفعول والهمزة للتعدية أي: أثقلها حملها.

● **قال تعالى**: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: 38].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.
(4) روح المعاني.

قال الزمخشري[1]: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم. وبه قرأ الأعمش، أي: تباطأتم وتقاعستم. وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى. والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، ونحوه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعرَاف: 176] وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم. وقرىء: ﴿أَٱثَّاقَلْتُمْ﴾؟ على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ. فإن قلت: فما العامل في «إذا» وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه؟ قلت: ما دلّ عليه قوله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ أو ما في ﴿مَا لَكُمْ﴾ من معنى الفعل، كأنه قيل: ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت: ما لك قائماً.

قال القرطبي[2]: قال المفسرون: معناه اثاقلتم إلى نعيم الأرض، أو إلى الإقامة بالأرض. وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتابٌ على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وهو نحو من أخلد إلى الأرض.

قال الفخر الرازي[3]: المروي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك، وذلك لأنه عليه السلام لما رجع من الطائف أقام بالمدينة وأمر بجهاد الروم، وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر وطابت ثمار المدينة وأينعت، واستعظموا غزو الروم وهابوه، فنزلت هذه الآية. قال المحققون: وإنما استثقل الناس ذلك لوجوه: أحدها: شدة الزمان في الصيف والقحط. وثانيها: بعد المسافة والحاجة إلى الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به العادة في سائر الغزوات. وثالثها: إدراك الثمار بالمدينة في ذلك الوقت. ورابعها: شدة الحر في ذلك الوقت. وخامسها: مهابة عسكر الروم. فهذه الجهات الكثيرة اجتمعت فاقتضت تثاقل الناس عن ذلك الغزو، والله أعلم.

---

(1) الكشاف.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

(3) التفسير الكبير ونحوه الخازن.

ثلث

(ثلث - الثلاثة - الثُّلاث - الثلثان - الثلاثون)

■ **الثُّلُثُ:** أحد الأجزاء الثلاثة ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ [النِّساء: 11].

■ **الثَّلَاثَةُ:** مجموع أجزاء الثلث ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجَادلة: 7].

■ **الثُّلَاثُ:** بالضم أي: ثلاثة ثلاثة ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [فَاطِر: 1].

■ **الثُّلُثَانُ:** مثنى الثلث ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المُزمّل: 20].

■ **الثَّلَاثُونُ:** عشرة أضعاف الثلث ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعرَاف: 142].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الثلاثة: من العدد.

والمُثَلَّثُ من الأشياء: ما كان على ثلاثة أثناء.

والمَثْلُوثُ: من الحبل: ما كان على ثَلَاثِ قُوى، وكذلك ما ينسج ويضفر، والمضفور المفتول.

---

(1) العين.

قال الزمخشري[1]: حبل مَثْلُوثٌ: فُتل على ثلاث قَوّى ومادة مَثْلُوثَةٌ: عملت من ثَلَاثَة جلود.

وأرض مَثْلُوثَةٌ: كُرِبَتْ ثَلَاث مرات، ومَثْنِيَّةٌ: كربت مرّتين.

قال الجوهري[2]: الثُّلُثُ سهم من ثَلاثةٍ، فإذا فتحت الثاء زادت ياء، فقلت: ثَلِيث: مثلُ ثَمِين وسَبيع وسَدِيس وخَمِيسٍ ونَصِيفٍ؛ وأنكر أبو زيد منها خَمِيساً وثَلِيثاً. وثَلَثَهم يَثْلُثُهم ثَلْثاً: أَخَذَ ثُلُثَ أَموالِهم، وكذلك جميعُ الكسور إلى العَشْرِ.

والمَثْلُوثُ: ما أُخِذَ ثُلُثه؛ وكلُّ مَثْلُوثٍ مَنْهُوك؛ وقيل: المَثْلُوثُ ما أُخِذَ ثُلُثه، والمَنْهوكُ ما أُخِذَ ثُلُثاه، وهو رَأْيُ العَروضِيِّين في الرجز والمنسرح.

والثَلُوثُ من النوق: التي تجمع بين ثَلاثِ آنية تملؤها إذا حُلِبَتْ، وكذلك التي تَيْبَسُ ثلاثةٌ من أخلافها.

والمَثْلُوثَةُ: مَزادةٌ تكون من ثلاثة جلود. وحبلٌ مَثْلُوثٌ، إذا كان على ثَلاثِ قُوىً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾ [النُّور: 58].

قال الطبري[3]: وقوله: ﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك،

(1) أساس البلاغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) جامع البيان.

فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ برفع «الثلاث»، بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت. كأنه عندهم قيل: هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلَّا بإذن، ثلاثُ عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلُون بأهليكم.

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿ثَلَٰثَ عَوۡرَٰتٖ﴾ بنصب «الثلاث» على الردّ على «الثلاث» الأولى. وكأن معنى الكلام عندهم: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاثَ مرّات، ثلاثُ عورات لكم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

قال أبو السعود[1]: أي: ثلاثةَ أوقاتٍ في اليَّومِ واللَّيلةِ. والتَّعبيرُ عنها بالمرَّات للإيذانِ بأنَّ مدارَ وجوبِ الاستئذانِ مقارنةُ تلك الأوقاتِ لمرور المستأذنينَ بالمخاطبينَ.

● **قال تعالى**: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: 15].

قال الماوردي[2]: الفصال: مدة الرضاع، فقدر مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، وكان في هذا التقدير قولان: أحدهما: أنها مدة قدرت لأقل الحمل وأكثر الرضاع، فلما كان أكثر الرضاع أربعة وعشرين شهراً لقوله تعالى: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البَقَرَة: 233] دل ذلك على أن مدة أقل الحمل ما بقي وهو ستة أشهر، فإن ولدته لتسعة أشهر لم يوجب ذلك نقصان الحولين في الرضاع، قاله الشافعي وجمهور الفقهاء.

الثاني: أنها مدة جمعت زمان الحمل ومدة الرضاع، فإن كانت حملته تسعة

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) النكت والعيون.

أشهر؛ أرضعته أحداً وعشرين شهراً، وإن كانت حملته عشرة أشهر أرضعته شهراً لئلا تزيد المدة فيهما عن ثلاثين شهراً.

قال الزمخشري[1]: وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر؛ لأن مدّة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ بقيت للحمل ستة أشهر.

قال الألوسي[2]: ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع بالبيان في القرآن الكريم بطريق الصراحة والدلالة دون أكثر الحمل وأقل الرضاع وأوسطهما لانضباطهما بعدم النقص والزيادة بخلاف ما ذكر. وتحقق ارتباط حكم النسب بأقل مدة الحمل حتى لو وضعته فيما دونه لما يثبت نسبه منه وبعده يثبت وتبرأ من الزنا، ولو أرضعت مرضعة بعد حولين لم يثبت به أحكام الرضاع في التناكح وغيره وفي هذا خلاف لا يعبأ به.

● **قال تعالى**: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ [النساء: 171].

قال البيضاويّ[3]: أي: الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: 116] أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس، ويريدون بالأب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة (1/ 258).

قال ابن كثير[4]: أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن

---

(1) الكشاف.

(2) روح المعاني.

(3) أنوار التنزيل.

(4) تفسير ابن كثير.

ذلك علواً كبيراً، وهذه الآية كالتي في سورة المائدة؛ حيث يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المائدة: 73] وكما قال في آخر السورة المذكورة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: 116] الآية، وقال في أولها: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17] (2/ 46).

● **قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المَائدة: 73].**

قال الطبري[1]: وهذا أيضاً خبر من الله تعالى ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل أنه لما ابتلاهم بعد حسبانهم أنهم لا يبتلون ولا يفتنون، قالوا كفراً بربهم وشركاً: الله ثالث ثلاثة. وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكانية والنسطورية، كانوا فيما بلغنا يقولون: الإلٰه القديم جوهر واحد يعمّ ثلاثة أقانيم: أباً والداً غير مولود، وابناً مولوداً غير والد، وزوجاً متتبعة بينهما. يقول الله تعالى ذكره مكذّباً لهم فيما قالوا من ذلك: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ يقول: ما لكم معبود أيها الناس إلا معبود واحد، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود، بل هو خالق كلّ والد ومولود.

قال الفخر الرازي[2]: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إلٰه واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة،

وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء

(1) جامع البيان. (2) التفسير الكبير.

بالخمر، واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إلٰه، والابن إلٰه، والروح إلٰه، والكل إلٰه واحد. واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المُزمّل: 20].

قال الطبري[1]: اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة بالخفض ونصفه وثلثه بمعنى: وأدنى من نصفه وثلثه، إنكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل، فقوموا أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه. وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة بالنصب، بمعنى: إنك تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

قال القرطبي[2]: قال الفراء: وهو أشبه بالصواب؛ لأنه قال أقلّ من الثلثين، ثم ذكر نفس القِلّة لا أقلّ من القلّة. القُشَيْري: وعلى هذه القراءة يحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف؛ لخفة القيام عليهم بذلك القدر، وكانوا يزيدون، وفي الزيادة إصابة المقصود، فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه، وينقصون منه. ويحتمل أنهم أُمروا بقيام نصف الليل، ورُخّص لهم في الزيادة والنقصان، فكانوا ينتهون في الزيادة إلى قريب من الثلثين، وفي النصف إلى الثلث. ويحتمل أنهم قدّر لهم النصف وأنقص إلى الثلث، والزيادة إلى الثلثين، وكان فيهم من يفي بذلك، وفيهم من يترك ذلك إلى أن نُسخ عنهم. وقال قوم: إنما ٱفترض الله عليهم الربع، وكانوا ينقصون من الربع. وهذا القول تحكُّم.

---

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

ثلة

(ثلة - بعض - جزء - نصيب - قسم)

- **الثُّلَّةُ:** قطعة من جماعة متناظرة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: 13].
- **البَعْضُ:** ما دون الكل غير محدد ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 129].
- **الجُزْءُ:** ما لا يستقل بنفسه عن الكل كأجزاء السفينة وأجزاء البيت ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: 15].
- **النَّصِيبُ:** الجزء المعني تحديداً ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النّساء: 53].
- **القَسَمُ:** الجزء المفروز عن الكل من النصيب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحِجر: 44].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثّاء واللام أصلان متباينان: أحدهما. التجمّع، والآخر: الهدم والذّل.

قال الخليل[2]: وثَلَّ عرشه: أي زال قوام أمره، وأَثَلَّهُ الله. ويقال لعرش الكرم، وعرش العريش الذّي تتخذ منه ظلة ونحوه من الأشياء إذا انهدم: قد ثَلَّ.

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

والثُّلَّةُ: قطيع من الغنم غير كثير.

والثُّلَّةُ: جماعات من الناس كثيرة.

والثُّلَّةُ: تراب البئر.

والثُّلَّةُ: الهلاك، وكذلك الثَّلَلُ والثَّلَالُ.

قال الزمخشري(1): الثَّلَّةُ: جماعة من الغنم، الثُّلَّةُ: جماعة الناس.

قال الراغب(2): الثُّلَّةُ: قطعة مجتمعة من الصوف، ولذلك قيل للمقيم ثلة، ولاعتبار الاجتماع.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: 13].

قال النسفي(3): أي: هم ثلة، والثلة الأمة من الناس الكثيرة، والمعنى أن المسابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليه السلام، وقليل من الآخرين وهم أمة محمد ﷺ. وقيل: من الأولين من متقدمي هذه الأمة، ومن الآخرين من متأخريها. وعن النبي ﷺ: «**الثلتان جميعاً من أمتي**».

قال ابن عطية(4): الثلة: الجماعة والفرقة، وهو يقع للقليل والكثير، واللفظ في هذا الموضوع يعطي أن الجملة (من الأولين) أكثر من الجملة (من الآخرين)، وهي التي عبر عنها بالقليل.

واختلف المتأولون في معنى ذلك، فقال قوم حكى قولهم مكي: المراد بذلك الأنبياء، لأنهم كانوا في صدر الدنيا أكثر عدداً، وقال الحسن بن أبي الحسن

(1) أساس البلاغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) مدارك التنزيل.
(4) المحرر الوجيز.

وغيره: المراد السابقون من الأمم والسابقون من الأمة، وذلك إما أن يقترن أصحاب الأنبياء بجموعهم إلى أصحاب محمد، فأولئك أكثر لا محالة، وإما أن يقترن أصحاب الأنبياء ومن سبق في أثناء الأمم إلى السابقين من جميع هذه الأمة فأولئك أكثر. وروي أن الصحابة حزنوا لقلة سابق هذه الأمة على هذا التأويل فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: 39-40] فرضوا. وروي عن عائشة أنها تأولت أن الفرقتين في أمة كل نبي وهي في الصدر (ثلة) وفي آخر الأمة (قليل)». وقال النبي ﷺ فيما روي عنه: «**الفرقتان في أمتي فسابق أول الأمة (ثلة) وسابق سائرها إلى يوم القيامة (قليل)**».

قال الألوسي[1]: وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ خبر مبتدأ مقدر أي: هم ثلة الخ، وجوز كونه مبتدأ خبره محذوف أي منهم، أو خبراً أولاً أو ثانياً لأولئك وجوز أبو البقاء كونه مبتدأ والخبر ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ [الواقعة: 15]. والثلة في المشهور الجماعة كثرت أو قلّت، وقال الزمخشري: الأمة من الناس الكثيرة وقوله تعالى بعد: ﴿وَقَلِيلٌ﴾ [الواقعة: 14] الخ كفى به دليلاً على الكثرة انتهى. والظاهر أنه أنشد البيت شاهداً لمعنى الكثرة في الثلة فإن كانت الباء تجريدية وهو الظاهر فنص وإلا فالاستدلال عليها من أن المقام مقام مبالغة ومدح، وأما استدلاله بما بعد فذلك لأن التقابل مطلوب لأن الثلة لم توضع للقليل بالإجماع حتى يحمل ما بعد على التفنن بل هي إما للكثرة والاشتقاق عليها أدل لأن الثل بمعنى الصب وبمعنى الهدم بالكلية، والثلة بالكسر الضأن الكثيرة وإما لمطلق الجماعة كالفرقة والقطعة من الثل بمعنى الكسر كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم إلا أن الاستعمال غلب على الكثير فيها فالمعنى جماعة كثيرة من الأولين وهم الناس المتقدمون من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام.

(1) روح المعاني.

ثمر

(ثمر - جني - ينع)

■ **الثَّمَرُ:** ما يتدلى من شجرة كالرطب والعنب والتفاح وغير ذلك ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ [النّحل: 67].

■ **الجَنْيُ:** الثمر في بواكير نضجه ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54] ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريَم: 25].

■ **اليَنْعُ:** الثمر في آخر أيام نضجه ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: 99].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والميم والرّاء أصل واحد، وهو شيء يتولّد عن شيء مجتمعاً، ثم يحمل عليه غيره استعارةً.

والثَّمِيرُ من اللّبن حين يُثْمِرُ فيصير فيه الجمار الأبيض، وهذا هو القياس.

قال الخليل[2]: الثَّمَرُ: حمل الشّجر.

والثَّمَرُ: أنواع المال. والولد ثَمَرَةُ القلب.

والعقل المُثْمِرُ: عقل المسلم، والعقل العقيم: عقل الكافر. وثَمَرُ الله: مالك.

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

والثَّامِرُ: نورُ بقلة تسمى الحُماض، وهو أحمر شديد الحمرة.

قال الراغب[1]: الثَّمَرُ اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثَمَرَةٌ، والجمع: ثِمَارٌ وثَمَرَاتٌ، ويقال: ثَمَرٌ لله ماله، ويقال لكل نفع يصدرعن شيء: ثَمَرَةٌ، كقولك: ثَمَرَةُ العلم العمل الصالح، وثَمَرَةُ العمل الصالح الجنة، وثَمَرَةُ السوط عقدة أطرافها تشبيهاً بالثَّمَرِ في الهيئة، والتدلي عنه كتدلي الثَّمَرِ عن الشجر، والثَّمِيرَةُ من اللبن: ما تحبب من الزبد تشبيهاً بالثَّمَرِ في الهيئة وفي التحصيل من اللبن.

المعنى المشترك لكلمة (ث م ر)

وقد وردت كلمة (ثمر) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الثُّمُرُ، مضموماً: هو المال. ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف: 34].

الوجه الثاني: الثمرات: بمعنى الفاكهة ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ [النّحل: 67].

الوجه الثالث: الثمرات: يعني الأولاد الصغار ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البَقَرَة: 155].

الوجه الرابع: الثمرات: يعني رزق النخل من النور والزهر ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النّحل: 69].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34].

---

(1) مفردات الراغب.

قال الماوردي[1]: قرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ الباقون ثُمُر بضم الثاء والميم. وفي اختلاف هاتين القراءتين بالضم والفتح قولان: أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه الذهب والفضة، قاله قتادة، لأنها أموال مثمرة.

الثاني: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس لأن تثميره أكثر.

الثالث: أنه الأصل الذي له نماء، قاله ابن زيد، لأن في النماء تثميراً.

والقول الثاني: أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف، فعلى هذا في الفرق. بينهما، أربعة أوجه: أحدها: أنه بالفتح جمع ثمرة، وبالضم جمع ثمار.

الثاني: أنه بالفتح ثمار النخيل خاصة، وبالضم جميع الأموال، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله، وبالضم ما كان ثماره من غيره.

الرابع: أن الثمر بالضم الأصل، وبالفتح الفرع، قاله ابن زيد. وفي هذا الثمر المذكور قولان: أحدهما: أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما، وهو قول الجمهور. الثاني: أنه ثمر ملكه من غير جنتيه، وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصولها، قاله ابن عباس، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله فيكون أعم مِلكاً.

● **قال تعالى:** ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: 99].

قال الطبري[2]: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ بفتح الثاء والميم، وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قرّاء الكوفيين: «إلى ثُمُرِهِ» بضم الثاء والميم. فكأنَّ من فتح الثاء

(1) النكت والعيون. (2) جامع البيان.

والميم من ذلك وجَّه معنى الكلام: انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر وأن الثَّمَر جمع ثمرة، كما القَصَب جمع قصبة، والخشب جمع خشبة. وكأن من ضمّ الثاء والميم، وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار، كما الحُمُر جمع حمار، والجُرُب جمع جراب.

وأولى القراءتين في ذلك عند بالصواب، قراءة من قرأ: «انْظُرُوا إلى ثُمُرِهِ» بضمّ الثاء والميم، لأن الله جلّ ثناؤه وصف أصنافاً من المال، كما قال يحيى بن وثاب. وكذلك حبّ الزرع المتراكب، وقنوان النخل الدانية، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان، فكان ذلك أنواعاً من الثمر، فجمعت الثمرة ثَمراً ثم جمع الثمر ثماراً، ثم جمع ذلك فقيل: «انظروا إلى ثُمُره»، فكان ذلك جمع الثمار، والثمار جمع الثمرة، وإثماره: عقد الثمر.

● **قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾** [الأنعَام: 141].

قال أبو السعود(1): أي من ثمر كل واحدٍ من ذلك ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى.

قال الزمخشري(2): وقرىء: «ثمرة» بضمتين. فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه؟ قلت: لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل: إذا أثمر، ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر، لئلا يتوهم أنه لا يباح إلّا إذا أدرك وأينع.

● **قال تعالى: ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾** [يسٓ: 35].

قال الفخر الرازي(3): الضمير في قوله: ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾ عائد إلى أي شيء؟

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

نقول: المشهور أنه عائد إلى الله أي: ليأكلوا من ثمر الله وفيه لطيفة: وهي أن الثمار بعد وجود الأشجار وجريان الأنهار لم توجد إلا بالله تعالى ولولا خلق الله ذلك لم توجد فالثمر. بعد جميع ما يظن الظان أنه سبب وجوده ليس إلا بالله تعالى وإرادته فهي ثمره، ويحتمل أن يعود إلى النخيل وترك الأعناب لحصول العلم بأنها في حكم النخيل ويحتمل أن يقال: هو راجع إلى المذكور أي: من ثمر ما ذكرنا، وهذان الوجهان نقلهما الزمخشري، ويحتمل وجهاً آخر أغرب وأقرب وهو أن يقال: المراد من الثمر الفوائد يقال: ثمرة التجارة الربح ويقال: ثمرة العبادة الثواب، وحينئذٍ يكون الضمير عائداً إلى التفجير المدلول عليه بقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [يسٓ: 34] تفجيراً ليأكلوا من فوائد ذلك التفجير وفوائده أكثر من الثمار بل يدخل فيه ما قال الله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عَبَسَ: 25] إلى أن قال: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: 27-31] والتفجير أقرب في الذكر من النخيل، ولو كان عائداً إلى الله لقال من ثمرنا كما قال: (وجعلنا) (وفجرنا).

قال البيضاوي [1]: ثمر ما ذكر وهو الجنات، وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه، وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه، أو جمع ثمار وقرىء بضمة وسكون. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما، وقيل (ما) نافية والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم، ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها (2/ 280).

● **قال تعالى**: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البَقَرَة: 25].

---

(1) أنوار التنزيل.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: ما موقع من ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾؟ قلت: هو كقولك: كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك. فموقع ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ موقع قولك من الرمان، كأنه قيل: كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمّانها أو عنبها أو غير ذلك رزقاً قالوا ذلك. فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأنّ الرزق قد ابتدىء من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدىء من ثمرة. وتنزيله تنزيل أن تقول: رزقني فلان، فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من رمّان. وتحريره أن «رزقوا» جعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجنات، ثم جعل مقيداً بالابتداء من ضمير الجنات، مبتدأ من ثمرة، وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير، وإنما المراد النوع من أنواع الثمار. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ بياناً على منهاج قولك: رأيت منك أسداً. تريد أنت أسد. وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار، والجنات الواحدة.

قال الألوسي[2]: وجمع سبحانه بين ﴿مِنْهَا﴾ و﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ ولم يقل من ثمرها بدل ذلك لأن تعلق ﴿مِنْهَا﴾ يفيد أن سكانها لا تحتاج لغيرها لأن فيها كل ما تشتهي الأنفس، وتعلق ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ يفيد أن المراد بيان المأكول على وجه يشمل جميع الثمرات دون بقية اللذات المعلومة من السابق واللاحق، وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا ويكفي إحساس أفراده وهذا كقولك مشيراً إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع أو إلى شخصه.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [**فُصّلَت: 47**].

يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطراً، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقاً لهم غذاءً وأقواتاً.

---

(1) الكشاف. (2) روح المعاني.

قال الزمخشري[1]: و«من» في ﴿مِن ثَمَرَٰتِ﴾ للتبعيض بشهادة قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف: 57]، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فَاطِر: 27]. ولأنّ المنكرين أعني: ماء، ورزقاً. يكتنفانه. وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات، ليكون بعض رزقكم. وهذا هو المطابق لصحة المعنى، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات، ولا جعل الرزق كله في الثمرات. ويجوز أن تكون للبيان كقولك: أنفقت من الدراهم ألفاً. فإن قلت: فيم انتصب ﴿رِزْقًا﴾؟ قلت: إن كانت «من» للتبعيض. كان انتصابه بأنه مفعول له. وإن كانت مبنية، كان مفعولاً لأخرج. فإن قلت: فالثمر المخرج بماء السماء كثير جمّ فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك:

فلان أدركت ثمرة بستانه، تريد ثماره. ونظيره قولهم: كلمة الحويدرة، لقصيدته. وقولهم للقرية: المدرة، وإنما هي مدر متلاحق. والثاني: أنّ الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية، كقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾ [الدخان: 25] و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: 228]. ويعضد الوجه الأوّل قراءة محمد بن السميفع: من الثمرة، على التوحيد.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 32].

قال الفخر الرازي[2]: والمراد أنه تعالى إنما أخرج هذه الثمرات لأجل أن تكون رزقاً لنا، والمقصود أنه تعالى قصد بتخليق هذه الثمرات إيصال الخير والمنفعة إلى المكلفين، لأن الإحسان لا يكون إحساناً إلا إذا قصد المحسن بفعله إيصال النفع إلى المحسن إليه.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.

قال الزمخشري[1]: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيان للرزق، أي: أخرج به رزقاً هو ثمرات. ويجوز أن يكون ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مفعول أخرج، و﴿رِزْقًا﴾ حالاً من المفعول، أو نصباً على المصدر من أخرج، لأنه في معنى رزق.

(1) الكشاف.

ثم

(ثم - هنا - هنالك)

■ **ثَمَّ:** بالفتح: إشارة إلى البعيد من المكان ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان: 20].

■ **وثُمَّ** بالضمّ: حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ﴾ [يونس: 51-52].

■ **هَاهُنَا:** إشارة إلى المكان الذي أنت فيه أو زمان الحدث المشار إليه ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].

■ **هُنَالِكَ:** إشارة إلى البعيد من المكان أو الزمان المشار إليه ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: 30].

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 119].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والميم أصلٌ واحد، هو اجتماعٌ في لِينٍ. يقال: ثَمَمْتُ الشيءَ ثمًّا: إذا جمعته. وأكثرُ ما يُستعمل في الحشيش. ويقال للقُبْضَة من الحشيش: الثُّمَّة.

والثُّمَامُ: شجرٌ ضعيف، وربما سُمِّي به الرّجل.

(1) مقاييس اللغة.

وقال قوم: الثُّمَامُ ما كُسِر من أغْصان الشَّجَر فوُضِع لنَضَد الثّياب، فإذا يَبِس فهو ثُمَامٌ.

ويقال: ثَمَمْتُ الشيءَ أثُمُّه ثَمًّا: إذا جمعتَه ورمَمْتَه.

قال الجوهري[1]: وثَمَمْتُ الشيء: جمعته. يقال هو يَثُمُّهُ ويَقُمُّهُ، أي: يكنسه، ويجمع الجيِّد والرديء. ورجلٌ مِثَمٌّ ومِقَمٌّ بكسر الميم، إذا كان كذلك. ومِثَمَّةٌ ومِقَمَّةٌ أيضاً، الهاء للمبالغة.

قال الراغب[2]: حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله؛ إما تأخيراً بالذات؛ أو بالمرتبة، أو بالوضع حسبما ذكر في (قبل) ولا في (أول). وثَمَمْتُ الشيء: جمعته، ومنه قيل: كنا أهل ثُمَّةٍ ورُمَّةٍ. و(ثَمَّ) إشارة إلى المتبعد من المكان، و(هنالك) للتقرب، وهما ظرفان في الأصل.

المعنى المشترك لكلمة (ث م)

وقد وردت كلمة (ثم) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: ثم: بمعنى الواو ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يُونس: 46].

الوجه الثاني: ثم: بعينه للاستقبال ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النّحل: 119].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البَقَرَة: 115].

---

(1) الصحاح في اللغة (2) مفردات الراغب.

قال أبو السعود[1]: ثَمَّ: اسمُ إشارة للمكان البعيد خاصة مبنيٌّ على الفتح ولا يتصرَّف سوى الجر بمن وهو خبر مقدمٌ ووجهُ الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على أنها جواب الشرط، أي هناك جهتُه التي أمر بها فإن إمكان التوليةِ غيرُ مختصَ بمسجد دون مسجد أو مكان دون آخر، أو فثَمَّ ذاتُه بمعنى الحضورِ العلميّ أي: فهو عالم بما يُفعل فيه ومثيبٌ لكم على ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسَان: **20**].

قال الزمخشري[2]: (ثم) في موضع النصب على الظّرف، يعني في الجنة.

قال أبو حيان[3]: وثم ظرف العامل فيه رأيت. وقيل: التقدير: وإذا رأيت ما ثم، فحذف ما كما حذف في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعَام: **94**] أي ما بينكم. وقال الزجاج، وتبعه الزمخشري فقال: ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ، لأن ثم صلة لما، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. انتهى. وليس بخطأ مجمع عليه، بل قد أجاز ذلك الكوفيون، وثم شواهد من لسان العرب.

أي: ومن يمدحه، فحذف الموصول وأبقى صلته. وقال ابن عطية: وثم ظرف العامل فيه رأيت أو معناه، التقدير: رأيت ما ثم حذفت ما. انتهى. وهذا فاسد، لأنه من حيث جعله معمولاً لرأيت لا يكون صلة لما، لأن العامل فيه إذ ذاك محذوف، أي ما استقر ثم.

وقرأ الجمهور: ثم بفتح الثاء؛ وحميد الأعرج: ثم بضم التاء حرف عطف، وجواب إذا على هذا محذوف، أي: وإذا رميت ببصرك رأيت نعيماً.

● **قال تعالى**: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التّكوير: **21**].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الكشاف.
(3) البحر المحيط.

قال الزمخشري[1]: ﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى الظرف المذكور، أعني: عند ذي العرش، على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقرَّبين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه. وقرىء «ثم» تعظيماً للأمانة. وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة.

(1) الكشاف.

ثمد

ثمد

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والميم والدال أصلٌ واحد، وهو القليل من الشيء، فالثَّمْدُ: الماءالقليل لا مادّةَ له. وثَمَدتْ فلاناً النّساءُ: إذا قطَعْنَ ماءَه.

وفلانٌ مثمودٌ: إذا كثُرَ السُّؤال عليه حتى ينفَدَ ما عنده.

والثَّامِدُ من البَهْم حِينَ قَرِم؛ لأنّ الذي يأخذه يَسِيرٌ. ومما شذّ عن الباب الإثْمِد، وهو معروف، وكان بعضُ أهل اللغة يقول: هو من الباب، لأنّ الذي يُستعمَل منه يَسيرٌ. وهذا ما لا يُوقَف على وجهه.

قال الخليل(2): الثَّمْدُ والثَّمَدُ: الماء القليل الذي لا مادّ له، وقيل: هو القليل يبقى في الجَلَد، وقيل: هو الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف.

قال الجوهري(3): واثْتَمَدَ الرجلُ واثَّمَدَ بالإدغام، أي: ورد الثَمَدَ. وماءٌ مَثْمودٌ: إذا كثُر عليه الناس حتّى يُنفِدوه إلّا أقلَّه.

وثَمُودُ: قبيلة من العرب الأُول، يصرف ولا يصرف؛ ويقال: إنهم من بقية عاد وهم قوم صالح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، بعثه الله إليهم وهو نبي عربي، واختلف القراءُ في إعرابه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فمنهم من صرفه ومنهم من لم يصرفه، فمن صرفه ذهب به إلى الحيّ لأنه اسم عربي مذكر سمي بمذكر، ومن

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة، وهي مؤنثة. ابن سيده: وثمودُ اسم؛ قال سيبويه: يكون اسماً للقبيلة والحي وكونه لهما سواء[1].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: 73].

قال الطبري[2]: ثمود: هو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن عابر، وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله. ومعنى الكلام: وإلى بني ثمود أخاهم صالحاً. وإنما منع ثمود، لأن ثمود قبيلة كما بكر قبيلة.

قال الفخر الرازي[3]: قرىء ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ يمنع التصرف بتأويل القبيلة ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر، وقد ورد القرآن بهما صريحاً. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: 68]. واعلم أنه تعالى حكى عنه أنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله كما ذكره من قبله من الأنبياء.

قال النسفي[4]: وقريء ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر، ومنع الصرف بتأويل القبيلة، وقيل: سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام.

---

(1) اللسان، معجم فقة اللغة.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) مدارك التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [هُود: 61].

قال القرطبي[1]: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بالتنوين في كل القرآن؛ وكذلك روي عن الحسن. وٱختلف سائر القرّاء فيه فصرفوه في موضع ولم يصرفوه في موضع. وزعم أبو عبيدة أنه لولا مخالفة السواد لكان الوجه ترك الصرف؛ إذ كان الأغلب عليه التأنيث. قال النحاس: الذي قال أبو عبيدة رحمه الله من أن الغالب عليه التأنيث كلام مردود؛ لأن ثموداً يقال له حيّ؛ ويقال له قبيلة، وليس الغالب عليه القبيلة، بل الأمر على ضدّ ما قال عند سيبويه. والأجود عند سيبويه فيما لم يقُل فيه بنو فلان الصَّرف؛ نحو قريش وثقيف وما أشبههما، وكذلك ثمود، والعلة في ذلك أنه لما كان التذكير الأصل، وكان يقع له مذكر ومؤنث كان الأصل الأخف أولى.

● **قال تعالى:** ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [العَنكبوت: 38].

قال الألوسي[2]: ﴿وَثَمُودَا۟﴾ بالتنوين بتأويل الحي، وهو على قراءة ترك التنوين بتأويل القبيلة، وقرأ ابن وثاب ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ بالخفض فيهما والتنوين عطفاً على ﴿مَدْيَنَ﴾ [العنكبوت: 36] على ما في «البحر» أي: وأرسلنا إلى عاد وثمود.

قال القرطبي[3]: قال الكسائي: قال بعضهم هو راجع إلى أوّل السورة؛ أي: ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عاداً وثموداً. قال: وأحب إليّ أن يكون معطوفاً على ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعرَاف: 78] وأخذت عاداً وثموداً. وزعم الزجاج: أن التقدير وأهلكنا عاداً وثموداً.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) روح المعاني.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

ثمن

(ثمن - بدل - جزاء - أجر)

■ **الثَّمَنُ:** بدل عينيّ في البيع. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: 20].

ويطلق مجازاً على البدل المعنوي. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 41].

■ **والثُّمُنُ:** بالضم - واحد من الثمانية ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ [النِّساء: 12] والثامن آخر الثمانية ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22].

■ **بَدَلٌ:** شيء يحل مكان آخر. ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

■ **الجَزَاءُ:** عوض يتناسب وكمال العمل أو نقصه ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: 76].

■ **الأَجْرُ:** عوض الأجير عن عمله ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ [القَصَص: 27].

***

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والميم والنون أصلان: أحدهما عِوَضُ ما يُباع، والآخَر جزءٌ من ثمانية. فالأوّل قولهم بِعْتُ كذا وأخذْتُ ثمنَه.

قال الجوهري(2): ثَمانِيَةُ رجالٍ وثَماني نسوةٍ، وهو في الأَصل منسوب إلى

(1) مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

الثُمْنِ، لأنَّه الجزء الذي صيَّر السبعة ثَمانِيَةْ، فهو ثُمْنُها. وقولهم الثوب سَبْعٌ في ثَمانٍ، كان حقُّه أن يقال ثمانية، لأنَّ الطول يذرع بالذراع وهي مؤنثة، والعرض يُشْبَرُ بالشِبْر وهو مذكّر. وإنْ صغَّرت الثمانيةَ فأنت بالخيار: إن شئت حذفت الألف، وهو أحسن، فقلت ثُمَيْنِيَةٌ. وإن شئت حذفت الياء فقلت ثميِّنة. وثَمَنْتُ القوم أَثْمُنُهُمْ بالضم: إذا أخذتَ ثُمُنَ أموالهم، وأَثْمِنُهُمْ بالكسر: إذا كنت ثامِنَهُمْ. وأَثْمَنَ القومُ: صاروا ثَمانيَةً. وشيءٌ مُثَمَّنٌ: جُعِلَ له ثمانيَةُ أركان. وأَثْمَنَ الرجلُ: إذا وردت إبلُهُ ثِمْناً وهو ظِمْءٌ من أَظمائِها. والثَمَنُ ثَمَنُ المبيع. يقال: أَثْمَنْتُ الرجلَ متاعَه، وأَثْمَنْتُ له.

قال الراغب[1]: الثَّمَنُ: اسم لما يأخذه البائع في مقابلة البيع، عيناً كان أو سلعة. وكل ما يحصل عوضاً عن شيء فهو ثَمَنُهُ.

وأَثْمَنْتُ الرجل بمتاعه وأَثْمَنْتُ له: أكثرت له الثَّمَنُ، وشيء ثَمِينٌ: كثير الثَّمَنِ، والثَّمَانِيَة والثَّمَانُونَ والثُّمُنُ في العدد معروف. ويقال: ثَمِنْتُه: كنت له ثامناً، أو أخذت ثُمُنَ ماله.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41].

قال البغوي[2]: أي: عَرَضاً يسيراً من الدنيا وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا إن بينوا صفة محمد ﷺ

(1) مفردات الراغب.
(2) معالم التنزيل (1/ 110).

وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل، فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة.

قال الزمخشري[1]: والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعاً لرسول الله ﷺ فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل، وكل كبير إليه حقير، فما بال القليل الحقير.

قال الفخر الرازي[2]: أن الاشتراء يوضع موضع الاستبدال فكذا الثمن يوضع موضع البدل عن الشيء، والعوض عنه، فإذا اختير على ثواب الله شيء من الدنيا فقد جعل ذلك الشيء ثمناً عند فاعله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمداً لانقطعت عنهم تلك الهدايا، فأصروا على الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر، وذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة إلى الدين قليلة جداً فنسبتها إليه نسبة المتناهي إلى غير المتناهي، ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القلة بالنسبة إلى الدنيا، فالقليل جداً من القليل جداً أي: نسبة له إلى الكثير الذي لا يتناهى؟ واعلم أن هذا النهي صحيح سواء كان فيهم من فعل ذلك أو لم يكن، بل لو ثبت أن علماءهم كانوا يأخذون الرشا على كتمان أمر الرسول ﷺ وتحريف ما يدل على ذلك من التوراة كان الكلام أبين.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البَقَرَة: 174].

قال الماوردي[3]: يعني قبول الرُشَا على كتم رسالته وتغيير صفته، وسماه

---

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

(3) النكت والعيون.

قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته. وقيل: لأن ما كانوا يأخذون من الرُشا كان قليلاً.

قال البغوي[1]: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عوضاً يسيراً يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم.

قال القاسمي[2]: أي: مما يتمتعون به من لذات العاجلة، وقَلَّلَهَ لحقارته في نفسه، ففيه إشعار بدناءة نفوسهم حيث رضيت بالقليل، أو بالنسبة لما فَوَّتوه على أنفسهم من نعيم الآخرة الذي لا يُحاط بوصفه.

قال ابن عاشور[3]: وهو المال الذي يأخذونه من الناس جزاء على إفتائهم بما يلائم هواهم مخالفاً لشرعهم أو على الحكم بذلك، فالثمن يطلق على الرشوة لأنها ثمن يدفع عوضاً عن جور الحاكم وتحريف المفتي.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) محاسن التأويل.
(3) التحرير والتنوير.

ثنى

(ثنى - حمد - شكر)

■ **الثَّنَاءُ:** ذكر المحامد والفضائل العامّة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحِجر: 87].

■ **الحَمْدُ:** ذكر محامد وفضائل من النعم عليك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: 39].

■ **الشُّكْرُ:** إظهار النعمة والتحدث بها لمكافأتها ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

❊ ❊ ❊

ثنى

(ثنى - طوى - طبق - قلب - لوى - ليّ)

- **الثَّنْيُ:** ما يعاد مرتين ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هُود: 5].
- **الطَّيُّ:** تكرار الثني للشيء الواحد حتى يحمل بيد واحدة ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: 67].
- **الطَّبْقُ:** جعل الشيء فوق الآخر بقدرة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [المُلك: 3].
- **القَلْبُ:** صرف الشيء وجه إلى وجه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 227].
- **لَوَيَ:** الإمعان في الهزيمة ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عِمرَان: 153].
- **اللَّيُّ:** إمالة الشيء لإفشال وظيفته ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 78].

* * *

شرح المعاني:

ثنى: ثنيت الثوب: بمعنى جعلته نصفين وجعلت النصف فوق النصف الآخر.

يُقال: ثنيّة الوادي هي الطريق التي تُشكل رقم سبعة.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود: 5] بمعنى انحنوا انحناء كاملاً كأنهم نصفين متساوين الرأس على القدم تماماً من شدة الهروب من الشيء، وقد يكون الثني معنوياً فيدلّ على شدة الإغلاق والإحكام لأن الصدر مكان الهداية، وهم فوق الانثناء يضعون ثيابهم على وجوههم بحيث لا تُرى ملامحهم (يستغشون ثيابهم) لأنه ما من إنسان يسمع كلام الله تعالى إلا وظهر أثر ذلك في وجهه وملامحه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] ويقصد بها الفاتحة لأن نصفها للعبد ونصفها لله تعالى فهي مثنيّة، تحمد الله وتمجّد الله وتثني عليه وتدعوه بالهداية فيجيب الله تعالى على كل منها كما ورد في الحديث القدسي.

والثني باعتبار العدد أو باعتبار التكرير الموجود أو باعتبارهما معاً ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التّوبَة: 40] وقال: ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النِّساء: 3] وقوله ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [البَقَرَة: 60].

عطف: عندما يستقيم الطريق إذا رجع رجوعاً كاملاً حادًّا يُسمى رجع، وإذا انحرف انحرافاً يُسمى عطف، وإذا رجع رجوعاً جزئياً يُسمى عوج.

عوج: انحناء ملتصق. عَوَج تقال للأشياء مثل الطريق والقلم وغيره، أما عِوَج فتقال للفكر والنظريات ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزُّمَر: 28] بمعنى لا يمكن لأي شيء فيه أن ينحني، وقوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعرَاف: 45] هم أصلاً من أهل الكتاب أي النصارى وغيرهم، وفي الآية الأخرى: ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هُود: 19] هم أصلاً مُلحدون كافرون، ولم تأتِ الآية بـ (يجعلونها عوجاً) وإنما جاءت ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ بمعنى يحاولون ويريدون أن يتهموا الإسلام اتهامات باطلة.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: 99]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: 1].

قلب: تغيير حال الشيء إلى عكسه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الأنعام: 110]، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عِمـران: 196]، ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النُّور: 37]، ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ [الكهف: 42]، ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ [الكهف: 18].

والقلب والتقليب في الأشياء المادية هو وضع الشيء على عكس حاله، أما في الأشياء الحسّية كالقلوب فالله تعالى يعلم المعادن ويعلم ما في القلوب والتقليب قد يكون من الباطل إلى الحق ومن الكفر إلى الإيمان.

لوى: من الليّ وهي فتل الحبل وتعني الإمالة ﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ [المنَافِقون: 5] أي: أمالوها، ولوى لسانه بكذا: كناية عن الكذب وتخرّص الحديث كما في قوله تعالى: ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 78] وقال تعالى: ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ [النِّساء: 46] ويقال: فلان لا يلوي على أحد بمعنى: إذا أمعن في الهزيمة كما في قوله ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ [آل عِمرَان: 153].

طوى: طويت الشيء طيًّا كطيّ الدَرَج كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبيَاء: 104] ومنه يقال: طويت الفلاة، ويعبّر بالطيّ عن مُضي العمر أو هلاكه ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: 67]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: 12] قال المفسرون: هو اسم الوادي، وقال آخرون أن موسى عليه السلام طوى عليه مسافة لو احتاج أن ينالها في الاجتهاد لبعُد عليه.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو تكرير الشّيء مرّتين، أو جعلُه شيئين متواليَين أو متباينين، وذلك قولك: ثَنَيْت الشّيءَ ثَنْياً.

والاثْنَان في العدد معروفان. والثِّنَى والثُّنْيانُ الذي يكون بعد السّيِّد، كأنّه ثانِيهِ.

قال الخليل[2]: الثَّنيُ من كل شيء: ما يثنى بعضه على بعض أطباقاً، كل واحد: يثنى حتى قيل: أثناء الحيّة: مطاويها إذا انطوت.

والتَّثَنيِّ: التّلوي في المشية.

والتّثْنِيَةُ: أعلى ميل في رأس جبل، يرى من بعيد فيعرف.

والثَّنِيّ: بعد البكر.

والثِّنَى من الرجال: بعد السَّيِّد، وهو الثُّنْيان؛ قال أَوس بن مَغْراء: تَرَى ثِنانا إِذا ما جاء بَدْأَهُمُ، وبَدْؤُهُمْ إِن أَتانا كان ثُنْيانا. ورواه الترمذي: ثُنْيانُنا إِن أَتاهم؛ يقول: الثاني منَّا في الرياسة يكون في غيرنا سابقاً في السُّؤدد، والكامل في السُّؤدد من غيرنا ثِنىً في السؤدد عندنا لفضلنا على غيرنا.

والثَّنِيّة: واحدة الثَّنايا من السِّن. المحكم: الثَّنِيّة من الأَضراس أولُ ما في الفم. غيره: وثَنايا الإنسان في فمه الأربعُ التي في مقدم فيه: ثِنْتانِ من فوق، وثِنْتانِ من أَسفل.

والثَّنِيُّ من الإبل: الذي يُلْقي ثَنِيَّته، وذلك في السادسة، ومن الغنم الداخل في السنة الثالثة، تَيْساً كان أَو كَبْشاً.

---

(1) مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الراغب[1] : - الثِّنْيُ والاثْنَانِ أصل لمتصرّفات هذه الكلمة، ويقال ذلك باعتبار العدد، أو باعتبار التكرير الموجود فيه أو باعتبارهما معاً، والثِّنَى: ما يعاد مرتين.

وامرأة ثِنْيٌ: ولدت اثنين، والولد يقال له: ثِنْيٌ، وحلف يميناً فيها ثِنْيٌ وثَنَوِيٌّ وَثِنْيَةٌ ومَثْنَوِيَّةٌ، ويقال للآوي الشيء: قد ثَنَاهُ، والثَّنِيُّ من الشاة: ما دخل في السنة الثانية وما سقطت ثِنَيَّتُهُ من البعير، وقد أَثْنَى، وثَنَيْتُ الشيء أَثْنِيهِ: عَقَدَتُه بَثَنَايَيْنِ غير مهموز قيل: وإنما لم يهمز لأنه بنى الكلمة على التَّثِنْيَة، ولم يَبنِ عليه لفظ الواحد. والـمُثَنَّاةُ: ما ثُنِيَ من طرف الزمان، والثُّنْيَانُ الذي يُثْنَى به إذا عُدَّ السادات.

وفلان ثَنِيَّةُ أهل بيته كناية عن قصور منزلته فيهم، والثَّنِيَّةُ من الجبل: ما يحتاج في قطعه وسلوكه إلى صعود وصدود، فكأنه يَثَنِي السير، والثَّنِيَّةُ من السن تشبيهاً بالثَّنِيَّةِ من الجبل في الهيئة والصلابة.

والثُّنْيَا من الجزور: ما يُثْنِيهِ جازره إلى ثُنْيِهِ من الرأس والصُّلب، وقيل: الثُّنْوَى. والثَّنَاءُ: ما يذكر في محامد الناس، فيُثْنَى حالاً فحالاً ذكره، يقال: أَثْنَى عليه. وتَثَنَّى في مشيته نحو: تبختر، وسميت سور القرآن مَثَانِي لأنها تُثْنَى على مرور الأوقات وتكرر فلا تدرس ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضمحل وتبطل على مرور الأيام.

والاسْتِثْنَاءُ: إيراد لفظ يقتضي رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم، أو يقتضي رفع حكم اللفظ عماهو فمما يقتضي رفع بعض ما يوجبه عموم اللفظ.

---

(1) مفردات الراغب.

المعنى المشترك لكلمة (ث ن ي)

وقد وردت كلمة (ثني) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: يثني يعني: يلوي من الكبر ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: 9].

الوجه الثاني: الثاني من العدد ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التّوبَة: 40].

الوجه الثالث: مثاني مما يثنى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحِجر: 87].

الوجه الرابع: الثني: الكتمان والإخفاء ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ [هُود: 5].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هُود: 5].

قال الزمخشري(1): يزورّون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه.

قال ابن عطية(2): قيل إن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا إليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعداً منه وكراهة للقائه، وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى

---

(1) الكشاف. (2) المحرر الوجيز.

الله عَزَّوَجَلَّ فنزلت الآية في ذلك. و﴿صُدُورَهُمْ﴾ منصوبة على هذا بـ ﴿يَثْنُونَ﴾. وقيل: هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه كما تقول: فلان يطوي كشحه على عداوته، ويثني صدره عيلها. فمعنى الآية: ألا إنهم يسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى في ظنهم عن الله، وهو تعالى حين تغشيهم بثيابهم وإبلاغهم في التستر يعلم ما يسرون.

قال البيضاويّ(1): يثنونها عن الحق وينحرفون عنه، أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبي ﷺ، أو يولون ظهورهم. وقرىء «يثنوني» بالياء والتاء من اثنوني، وهو بناء مبالغة و «تثنون»، وأصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثني، و«تثنئن» من اثنأن كأبياض بالهمزة.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبَة: 40].

قال الطبري(2): يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين: أي واحد من الاثنين، وكذلك تقول العرب: (هُوَ ثانِيَ اثْنَيْنِ) يعني أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، ورابع أربعة، يعني: أحد ثلاثة، وأحد الأربعة، وذلك خلاف قولهم: هو أخو ستة وغلام سبعة، لأن الأخ والغلام غير الستة والسبعة، وثالث الثلاثة: أحد الثلاثة. وإنما عنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ رسول الله ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش، إذ همّوا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار.

قال ابن عطية(3): معناه أحد اثنين، وهذا كثالث ثلاثة ورابع أربعة فإذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة فالمعنى صير الثلاثة بنفسه أربعة، وقرأ جمهور الناس «ثانيَ اثنين» بنصب الياء من «ثاني». قال أبو حاتم: لا يعرف غير هذا

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) المحرر الوجيز.

وقرأت فرقة «ثاني اثنين» بسكون الياء من ثاني، قال أبو الفتح: حكاها أبو عمرو بن العلاء، ووجهه أنه سكن الياء تشبيهاً لها بالألف.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ [الحج: 8-9].

قال ابن عطية[1]: (ثاني) حال من ضمير في (يجادل) ولا يجوز أن تكون من (من) لأنها ابتداء والابتداء إنما عمله الرفع لا النصب وإضافة (ثاني) غير معتد بها لأنها في معنى الانفصال إذ تقديرها ثانياً عطفه، وقوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ عبارة عن المتكبر المعرض قاله ابن عباس وغيره، ع: وذلك أن صاحب الكبر يرد وجهه عما يتكبر عنه فهو يرد وجهه يصعر خده ويولي صفحته ويلوي عنقه ويثني عطفه وهذه هي عبارات المفسرين.

قال الطبري[2]: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراضُ عما هو مستكبر عنه ولَيُّ عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله أعرض عن داعيه لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكباراً.

قال القرطبي[3]: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ [الحَجّ: 9] نصب على الحال. ويتأوّل على معنيين: أحدهما: روي عن ابن عباس أنه قال: هو النضر بن الحارث، لَوَى عنقه مَرَحاً وتعظُّماً. والمعنى الآخر: وهو قول الفراء أن التقدير: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عِطْفه، أي مُعْرِضاً عن الذّكر؛ ذكره النحاس. وقال مجاهد وقتادة: لاوِياً عنقه كفراً. ابن عباس: مُعْرِضاً عما يُدْعَى إليه كفراً.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ [المَائدة: 106].

قال الطبري[1]: واختلفوا في صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ما هي، وما هما؟ فقال بعضهم: هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي. وقال آخرون: هما وصيان. وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان، قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم. وتأويل الذين قالوا: هما وصيان لا شاهدان، قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض، من قولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرته. وأولى التأويلين بقوله: ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ﴾ تأويل من تأوّله بمعنى: أنهما من أهلال ملة دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصي.

قال الماوردي[2]: تأويلان: أحدهما: يعني من المسلمين.

والثاني: من حي المُوصِي، وفيهما قولان: أحدهما: أنهما شاهدان يشهدان على وصية المُوصِي.

والثاني: أنهما وصيان.

قال الفخر الرازي[3]: في الآية حذف، والمراد أن يشهد ذوا عدل منكم، وتقدير الآية: شهادة ما بينكم عند الموت الموصوف، هي أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم، وإنما حسن هذا الحذف لكونه معلوماً.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ [النحل: 51-52].

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: قيل: المعنى لا تتخذوا اثنين إلٰهين. وقيل: جاء قوله «اثنينِ» توكيداً. ولما كان الإلٰه الحق لا يتعدّد وأن كل من يتعدّد فليس بإلٰه، اقتصر على ذكر الاثنين؛ لأنه قصد نفي التعديد.

قال البيضاويّ[2]: ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه، أو إيماءٍ بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلٰهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلٰهية.

● **قال تعالى**: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: 143].

قال الزمخشري[3]: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ زوجين اثنين، يريد الذكر والأنثى، كالجمل والناقة، والثور والبقرة، والكبش والنعجة، والتيس والعنز. والواحد إذا كان وحده فهو فرد، فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منها زوجاً، وهما زوجان، بدليل قوله: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: 45] والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ثم فسرها بقوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ ونحو تسميتهم الفرد بالزوج، بشرط أن يكون معه آخر من جنسه: تسميتهم الزجاجة كأساً بشرط أن يكون فيها خمر.

● **قال تعالى**: ﴿كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النِّساء: 176].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الكشاف.

قال أبو حيان[1]: قالوا: الضمير في كانتا ضمير أختين دل على ذلك قوله: وله أخت. وقد تقرر في علم العربية أن الخبر يفيد ما لا يفيده الاسم. وقد منع أبو عليّ وغيره سيد الجارية مالكها، لأن الخبر أفاد ما أفاده المبتدأ. والألف في كانتا تفيد التثنية كما أفاده الخبر، وهو قوله اثنتين.

وأجاب الأخفش وغيره بأن قوله: اثنتين يدل على عدم التقييد بالصغر أو الكبر أو غيرهما من الأوصاف، فاستحق الثلثان بالاثنينية مجردة عن القيود، فلهذا كان مفيداً وهذا الذي قالوه ليس بشيء، لأن الألف في الضمير للاثنتين يدل أيضاً على مجرد الاثنينية من غير اعتبار قيد، فصار مدلول الألف ومدلول اثنتين سواء، وصار المعنى: فإن كانتا الأختان اثنتين، ومعلوم أنّ الأختين اثنتان.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ [الأعرَاف: 160].

قال الطبري[2]: واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنتي عشرة والأسباط جمع مذكر، فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفِرَق أسباط، ولم يجعل العدد على أسباط. وكان بعضهم يَسْتَخِلُّ هذا التأويل ويقول: لا يخرج العدد على عين الثاني، ولكن الفِرق قبل الاثنتي عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها، ويكون الكلام: وقطعناهم فِرَقا اثنتي عشرة أسباطاً، فيصحّ التأنيث لما تقدّم. وقال بعض نحويي الكوفة، إنما قال اثنتي عشرة بالتأنيث والسبط مذكر، لأن الكلام ذهب إلى الأمم فغلَّب التأنيث وإن كان السبط ذكراً، ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة، فلذلك جمع البطن بالتأنيث. وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون: إنما أنثت «الاثنتا عشرة» و «السبط» ذَكر، لذكر «الأمم».

والصواب من القول في ذلك عندي أن الاثنتي عشرة أنثت لتأنيث القطعة.

---

(1) البحر المحيط.

(2) جامع البيان.

ومعنى الكلام: وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة، ثم ترجم عن القطع بالأسباط. وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرة عن الاثنتي عشرة وهي جمع، لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع، والأسباط جمع لا واحد، وذلك كقولهم: عندي اثنتا عشرة امرأة، ولا يقال: عندي اثنتا عشرة نسوة، ففي ذلك أن الأسباط ليست بتفسير للاثنتي عشرة، وإن القول في ذلك على ما قلنا. وأما الأمم فالجماعات، والسبط في بني إسرائيل نحو القرن. وقيل: إنما فرّقوا أسباطاً لاختلافهم في دينهم.

قال أبو السعود[1]: ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ ثاني مفعولي قطع لتضمّنه معنى التصيير، والتأنيثُ للحمل على الأمة أو القِطعة، أي صيرناهم اثنتي عشْرةَ أمةً أو قطعةً متميزاً بعضُها من بعض، أو حالٌ من مفعوله أي: فرقناهم معدودين هذا العددَ.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النِّساء: 3].

قال الطبري[2]: وأما قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ فإنما ترك إجراؤهنّ لأنهنّ معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك إجراؤه، وكذلك أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع، لا يجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه. ومما يدلّ على أن ذلك كذلك، وأن الذكر والأنثى فيه سواء، ما قيل في هذه السورة وسورة فاطر: مثنى وثلاث ورباع، يراد به الجناح، والجناح ذكر، وأنه أيضاً لا يضاف إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث، وأن الألف واللام لا تدخله، فكان في ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة، ولو كان نكرة لدخله الألف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والأربعة، ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته، لم يسمع منها

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.

خماس ولا المخمس، ولا السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع، يريد عشراً عشراً، يقال: إنه لم يسمع غير ذلك.

قال الزمخشري[1]: معدولة عن أعداد مكررة، وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغها، وعدلها عن تكررها، وهي نكرات يعرّفن بلام التعريف. تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع، ومحلهن النصب على الحال مما طاب، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد، ثنتين ثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟

(قلت): الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له، كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال - وهو ألف درهم - درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. ولو أفردت لم يكن له معنى. فإن قلت: فلم جاء العطف بالواو دون أو؟ قلت: كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك. ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة: أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع.

وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو. وتحريره: أنّ الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاؤوا متفقين فيها، محظوراً عليهم ما وراء ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سَبَإ: 46].

(1) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: إشارة إلى جميع الأحوال فإن الإنسان إما أن يكون مع غيره أو يكون وحده، فإذا كان مع غيره دخل في قوله: ﴿مَثْنَىٰ﴾ وإذا كان وحده دخل في قوله: ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ فكأنه يقول تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد إلى معين يعينكم على ذكر الله.

قال الماوردي[2]: ثلاثة أوجه: أحدها: معناه جماعة وفرادى، قاله السدي.

الثاني: منفرداً برأيه ومشاوراً لغيره.

الثالث: مناظراً مع غيره ومفكراً في نفسه.

ويحتمل رابعاً: أن المثنى عمل النهار، والفرادى عمل الليل، لأنه في النهار. مُعانٌ وفي الليل وحيد.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

قال الطبري[3]: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عُني بالسبع المثاني السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمُّ القُرآنِ السَّبْعُ المَثانِي الَّتِي أُعْطِيتُها**» فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا، فالواجب أن تكون المثاني مراداً بها القرآن كله، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات مما يَثْنِي بعض آيه بعضاً. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مَثْناة، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك، لأن بعضها يَثْنِي بعضاً وبعضها يتلو بعضاً بفصول تفصل بينها، فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

(1) التفسير الكبير.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.

يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزُّمَر: 23] وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك إن القرآن إنما قيل له مَثَانى لأن القصص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصريّ: أنها إنما سميت مَثاني لأنها تُثْنَى في كلّ قراءة، وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مثاني، لأن الله تعالى ذكره استثناها لمحمد ﷺ دون سائر الأنبياء غيره فادّخرها له. وكان بعض أهل العربية يزعم أنها سميت مَثَانِيَ لأن فيها الرحمٰن الرحيم مرّتين، وأنها تُثْنَى في كلّ سورة، يعني: بسم الله الرحمٰن الرحيم.

قال الزمخشري[1]: من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية. وأمّا السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء، كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى. و«من» إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال، وللبيان إذا أردت الأسباع. ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني، لأنها تثني عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة، ويكون القرآن بعضها.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨﴾ [القلم: 17-18].

قال الفخر الرازي[2]: وقوله: ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ يعني ولم يقولوا: إن شاء الله، هذا قول جماعة المفسرين، يقال: حلف فلان يميناً ليس فيها ثنياً ولا ثنوى، ولا ثنية ولا مثنوية ولا استثناء وكله واحد، وأصل هذا كله من الثنى وهو الكف والرد، وذلك أن الحالف إذا قال: والله لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله غيره، فقد رد

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

انعقاد ذلك اليمين، واختلفوا في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ فالأكثرون أنهم إنما لم يستثنوا بمشيئة الله تعالى لأنهم كانوا كالواثقين بأنهم يتمكنون من ذلك لا محالة، وقال آخرون: بل المراد أنهم يصرمون كل ذلك ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم إلى المساكين.

الماوردي[1]: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: لا يستثنون من المساكين، الثاني: استثناؤهم قول سبحان ربنا.

الثالث: قول إن شاء الله.

قال البيضاويّ[2]: ولا يقولون إن شاء الله، وإنما سماه استثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه، أو لأن معنى لأخرج إن شاء الله ولا أخرج إلى أن يشاء الله واحد، أو ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ. . .﴾ **[الزُّمَر: 23]**.

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون ﴿مَّثَانِيَ﴾ بياناً لكونه متشابهاً؛ لأن القصص المكررة لا تكون إلّا متشابهة. والمثاني: جمع مثنى بمعنى مردّد مكرّر، ولما ثنى من قصصه وأنبائه، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه. وقيل: لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرّد. ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل، من التثنية بمعنى التكرير، والإعادة كما كان قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ **[المُلك: 4]** بمعنى كرّة بعد كرّة، وكذلك: لبيك و سعديك، وحنانيك. فإن قلت: كيف وصف الواحد بالجمع؟ قلت: إنما صحّ ذلك لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل

---

(1) النكت والعيون.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الكشاف.

الشيء هي جملته لا غير، ألا تراك تقول: القرآن أسباع وأخماس، وسور وآيات، وكذلك تقول: أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات، ونظيره قولك: الإنسان عظام وعروق وأعصاب، ألا أنك تركت الموصوف إلى الصفة؛ وأصله: كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني. ويجوز أن يكون كقولك: برمة أعشار، وثوب أخلاق. ويجوز أن لا يكون مثاني صفة، ويكون منتصباً على التمييز من متشابهاً، كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شمائل، والمعنى: متشابهة مثانية. فإن قلت: ما فائدة التثنية والتكرير؟ قلت: النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً عن بدء، لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعاً ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم.

قال الفخر الرازي[1]: من صفات القرآن كونه مثَاني وقد بالغنا في تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [**الحجر**: **87**] وبالجملة فأكثر الأشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين مثل: الأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمفصل، وأحوال السماوات والأرض، والجنة والنار، والظلمة والضوء، واللوح والقلم، والملائكة والشياطين، والعرش والكرسي، والوعد والوعيد، والرجاء والخوف، والمقصود منه بيان أن كل ما سوى الحق زوج ويدل على أن كل شيء مبتلى بضده ونقيضه وأن الفرد الأحد الحق هو الله سبحانه.

(1) التفسير الكبير.

ثوب

(ثوب - لباس - جلباب - كساء - خمار - سربال - ريش - إزار)

■ **الثَّوْبُ:** هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة والذي تقابل به الناس ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 4].

■ **اللِّبَاسُ:** هو كل شيء خفي سواء كان مادياً أو معنوياً يسمى لباس، وهو الخفي الذي يستر السوءة وليس العورة فالعورة قد تُستر بسياج عال حول البيت. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: 26].

■ **الجِلْبَابُ:** ثوب له أكمام ويُقفل من الأمام. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59].

■ **الكِسَاءُ:** هو الثوب الذي يُلقى على الكتف إلقاءً، فيشمل الجسد من غير أن يكون مخيطاً ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النِّساء: 5].

■ **الخِمَارُ:** غطاء الرأس. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: 31].

■ **السِّرْبَالُ:** كل شيء غليظ يقيك من الحر أو البرد أو الضرب. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النّحل: 81].

■ **الرِّيشُ:** هو ما يدل على الترف وهو حلال ما دام لا يؤدي بلابسه إلى الخيلاء والزهوّ. ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: 26].

■ **الإِزَارُ:** ما يشدّ من الوسط حتى القدمين ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ [طه: 31].

شرح المعاني:

ثوب: هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة والذي تقابل به الناس وقد استعملها القرآن الكريم بمعنييها المعنوي: (مروءة، نيّات، خُلُق رفيع) والمادي: (ما نلبسه).

وهناك فرق بين العورة والسوءة، فالعورة هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، والسوءة هو كل ما تستره عن الناس لقبحه.

وجمعه أثواب وثياب، والثياب توضع وضعاً برفق وسهولة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 4] بمعنى الأعمال الصالحة والأخلاق والتقوى والعلم والعمل، والسورة جاءت فيها قواعد التقوى في الخمس آيات الأولى.

وفي الحديث: «**يُبعث الميّت بثوبه**»، أي: بعمله.

لباس: هو كل شيء خفي سواء كان مادياً أو معنوياً يسمى لباساً، وهو الخفي الذي يستر السوءة وليس العورة فالعورة قد تُستر بسياج عال حول البيت.

واللباس يُنزع نزعاً لأنه يكشف السوءة، ولا يُنزع إلا بالقوة وللضرورة فقط ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾ [الأعراف: 27].

واللباس يدل على الستر المادي والمعنوي.

أما الستر المعنوي: ففي قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 187] وهذا أمر بعدم إظهار سيئات الزوج أو الزوجة، وفي قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النّحل: 112] تدل على أن القرية كانت منيعة لكن عندها إحساس خفيّ بالجوع والخوف، وكلما ازدادت قوة الدول ازداد شعورها بالجوع والخوف، كما هو هاجس الدول العظمى الآن من التلوث النووي والإشعاعات وغيرها على رغم قوتهم.

واللباس جاء هنا بمعنى نظري وهذا يعود إلى سوء استعمال الوسائل وسوء استعمال القوة لأنه كلما توفر لدى الإنسان ما لم يتوفر عند غيره أرهقه ذلك وأخافه. ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26] والتقوى هي أن تجعل بينك وبين الله وقاية.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: 26] وكلمة التقوى هي لا إلٰه إلا الله، ولباس التقوى هو كل عبادة فيها جانب خفيّ ووقار (الشعور الخفيّ وتوقير العبادة) وهذا امتحان للتقوى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: 3].

واللباس يواري السوءة الحسّية والمعنوية، ومن سوء العبادة أن تؤديها مفضوحة والأفضل أن تؤديها خالصة لله تعالى وقلبك مخلص لله بدون مراءاة، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طٰه: 14] عند ذكر الله يجب قول سبحانه وتعالى أو جلّ جلاله أو لا إله إلا هو.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: 9] للرسول ﷺ وهو غض الصوت عنده والصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: 1-2] وهذا هو وقار الصلاة.

وكل ما سبق هو من ضمن لباس التقوى وتأدية العبادة بوقار كامل.

جلباب: ثوب له أكمام ويُقفل من الأمام. وقل: ﴿الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59].

كِساء: هو الثوب الذي يُلقى على الكتف إلقاءً. ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المَائدة: 89]، ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ [النِّساء: 5]، ومنها قوله تعالى ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14].

خِمار: غطاء الرأس. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: 31] سورة آية.

سربال: كل شيء غليظ يقيك من الحر أو البرد أو الضرب.

﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النّحل: 81] يلبس الحديد عادة للحرب.

ريش: هو ما يدل على الترف وهو حلال ما دام لا يؤدي بلابسه إلى الخيلاء والزهوّ. ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

سابغ: كل شيء واسع وتامّ ومريح ومنها اشتّق إسباغ الوضوء و﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمَان: 20]

مزّمّل: طريقة لبس الكساء إذا لفّ الإنسان نفسه بكسائه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المُزمّل: 1].

الإزار: ما يشدّ من الوسط حتى القدمين ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31].

غطاء دثار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثِّر: 1]، والمدثر هو المتدرّع دثاره.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والواو والباء قياسٌ صحيحٌ من أصلٍ واحد، وهو العَوْدُ والرُّجوع. يقال: ثَابَ يَثُوبُ: إذا رَجَع. والمَثَابةُ: المكان يَثُوب إليه النّاس.

وقال قَوم: المَثَابَةُ: العدد الكبير. فإنْ كان صحيحاً فهو من الباب، لأنهم الفئة التي يُثَابُ إليها. ويقال: ثَابَ الحوضُ: إذا امتلأ. قال: وهكذا كأنّه خلا ثم ثَابَ إليه الماء، أو عاد ممتلئاً بعد أنْ خلا. والثَّوَابُ: من الأجْر والجزاء أمرٌ

(1) مقاييس اللغة.

يُثابُ إليه. ويقال: إنّ المَثابة حِبالةُ الصَّائد، فإن كان هذا صحيحاً فلأنّه مَثابة الصَّيد، على معنى الاستعارة والتّشبيه.

والثَّوْبُ: الملبوس محتملٌ أن يكون من هذا القياس؛ لأنّه يُلْبَس ثم يُلبَس ويُثَابُ إليه. وربَّما عبَّروا عن النفس بالثَّوب، فيقال: هو طاهر الثِّياب.

قال الخليل[1]: ثَابَ يَثُوبُ ثُؤُوباً، أي: رجع بعد ذهابه.

وثَابَ البئر إلى مَثَابِه، أي: استفرغ الناس ماءه إلى موضع وسطه، والمَثُوبَةُ: الثَّوَابُ.

والثَّوْبُ: واحد الثِّياب، والعدد: أَثْوَابٌ، وثلاثة أَثْوُبٍ بغير همز.

وفي الحديث: «**المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**». قال ابن الأثير: المُشْكِلُ من هذا الحديث تثنية الثوب. قال الأزهريّ: معناه أَن الرجل يَجعَلُ لقَميصِه كُمَّيْنِ أَحدُهما فوق الآخر لِيُرَى أَن عليه قَميصَين وهما واحد، وهذا إنما يكونُ فيه أَحدُ الثَّوْبَيْن زُوراً لا الثَّوْبانِ.

قال الجوهري[2]: الثَّوْبُ: واحدُ الأَثْوابِ والثِّيَابِ، ويجمع في القِلَّةِ على أَثْوُبٍ، وبعض العرب يقول: أَثْؤُبٌ فيهمز. قال سيبويه: يقال لصاحب الثِّيَاب: ثَوَّابٌ. وثَابَ الرجل يَثُوبُ ثَوْباً وثَوَباناً: رجع بعد ذَهابه. وثَابَ الناس: اجتمعوا وجاءوا. وكذلك الماء إذا اجتمع في الحوض. ومَثَابُ الحوض: وسطه الذي يَثُوبُ إليه الماء إذا استُفرِغَ.

المعنى المشترك لكلمة (ث و ب)

وقد وردت كلمة (ثوب) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الثواب: يعني الجزاء ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ **[الكهف: 31]**.

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

الوجه الثاني: الثواب: يعني الفتح والغنيمة والراحة ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: 148].

الوجه الثالث: الثواب: يعني الوعد ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المَائدة: 85].

الوجه الرابع: الثواب: يعني الزيادة ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عِمرَان: 153].

الوجه الخامس: الثواب: يعني المنفعة ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النِّساء: 134].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البَقَرَة: 125].

قال الماوردي[1]: فيه قولان: أحدهما: مجمعاً لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة.

والثاني: مرجعاً من قولهم قد ثابت العلة: إذا رجعت.

وفي رجوعهم إليه وجهان: أحدهما: أنهم يرجعون إليه المرة بعد المرة.

والثاني: أنهم في كل واحد من نُسُكَيَ الحج والعمرة يرجعون إليه من حل إلى حرم؛ لأن الجمع في كل واحد من النسكين بين الحل والحرم شرط مستحق.

(1) النكت والعيون.

قال الزمخشري[1]: مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي: يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم.

قال البيضاويّ[2]: مرجعاً يثوب إليه أعيان الزوار أو أمثالهم، أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره. وقرىء: «مثابات» أي: لأنه مثابة كل أحد.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 145].

قال الطبري[3]: ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة، يعني: ما عند الله من كرامته التي أعدّها للعاملين له في الآخرة، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ يقول: نعطه منها، يعني من الآخرة؛ والمعنى: من كرامة الله التي خصّ بها أهل طاعته في الآخرة. فخرج الكلام على الدنيا والآخرة.

قال الماوردي[4]: فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: من أراد بجهاده ثواب الدنيا أي: ما يصيبه من الغنيمة.

والثاني: من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة.

والثالث: من أراد ثواب الدنيا بالنهوض لها بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي عليها في الدنيا دون الآخرة.

قال الفخر الرازي[5]: اعلم أن الذين حضروا يوم أحد كانوا فريقين، منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة كما ذكره الله تعالى فيما بعد من هذه السورة، فالذين حضروا القتال للدنيا، هم الذين حضروا لطلب الغنائم والذكر والثناء، وهؤلاء لا بد وأن ينهزموا، والذين حضروا للدين، فلا بد وأن لا ينهزموا

---

(1) الكشاف.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.
(5) التفسير الكبير.

ثم أخبر الله تعالى في هذه الآية أن من طلب الدنيا لا بد وأن يصل إلى بعض مقصوده ومن طلب الآخرة فكذلك، وتقريره قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» إلى آخر الحديث. واعلم أن هذه الآية وإن وردت في الجهاد خاصة، لكنها عامة في جميع الأعمال، وذلك لأن المؤثر في جلب الثواب، والعقاب المقصود والدواعي لا ظواهر الأعمال، فإن من وضع الجبهة على الأرض في صلاة الظهر والشمس قدامه، فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الإسلام، وإن قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر. وروى أبو هريرة عنه ﷺ أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمقاتل في سبيل الله «في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك» ثم إن الله تعالى يأمر به إلى النار.

● **قال تعالى**: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 148].

قال الزمخشري[1]: من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر. وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدّمه، وأنه هو المعتدّ به عنده ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ﴾ [الأنفال: 67].

قال البيضاويّ[2]: فأتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ إلى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة، وخص ثوابها بالحسن إشعاراً بفضله وأنه المعتد به عند الله.

● **قال تعالى**: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النِّساء: 134].

(1) الكشاف.
(2) أنوار التنزيل.

قال الطبري[1]: يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ ممن أظهر الإيمان لمحمد ﷺ من أهل النفاق الذين يستبطنون الكفر وهم مع ذلك يظهرون الإيمان. ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: عرض الدنيا، بإظهار ما أظهر من الإيمان بلسانه. ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: جزاؤه في الدنيا منها وثوابه فيها، هو ما يصيب من المغنم إذا شهد مع النبيّ مشهداً، وأمنه على نفسه وذرّيته وماله، وما أشبه ذلك. وأما ثوابه في الآخرة فنار جهنم. فمعنى الآية: من كان من العاملين في الدنيا من المنافقين يريد بعمله ثواب الدنيا وجزاءها من عمله، فإن الله مجازيه جزاءه في الدنيا من الدنيا، وجزاءه في الآخرة من العقاب والنكال وذلك أن الله قادر على ذلك كله، وهو مالك جميعه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 15-16].

قال القرطبي[2]: أي: من عمل بما افترضه الله عليه طلباً للآخرة أتاه الله ذلك في الآخرة، ومن عمل طلباً للدنيا أتاه بما كتب له في الدنيا وليس له في الآخرة من ثواب؛ لأنه عمل لغير الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشّورى: 20]. وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هُود: 16]. وهذا على أن يكون المراد بالآية المنافقون والكفار، وهو اختيار الطبري. وروي أن المشركين كانوا لا يؤمنون بالقيامة، وإنما يتقربون إلى الله تعالى ليوسع عليهم في الدنيا ويرفع عنهم مكروهها؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النِّساء: 134] أي: يسمع ما يقولونه ويبصر ما يسرونه.

● **قال تعالى**: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عِمرَان: 195].

---

(1) جامع البيان. (2) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفخر الرازي[1]: مصدر مؤكد، والتقدير: لأثيبنهم ثواباً من عند الله، أي: لأثيبنهم إثابة أو تثويباً من عند الله، لأن قوله: لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى: لأثيبنهم. ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ وهو تأكيد ليكون ذلك الثواب في غاية الشرف لأنه تعالى لما كان قادراً على كل المقدورات، عالماً بكل المعلومات، غنياً عن الحاجات، كان لا محالة في غاية الكرم والجود والإحسان، فكان عنده حسن الثواب. روي عن جعفر الصادق أنه قال: من حزبه أمر فقال خمس مرات: ربنا، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآية، قال: لأن الله حكى عنهم أنهم قالوا خمس مرات: ربنا، ثم أخبر أنه استجاب لهم.

قال القرطبي[2]: أي: حسن الجزاء، وهو ما يرجِع على العامِل من جراء عمله؛ من ثاب يثوب.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

قال الزمخشري[3]: أي: ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل؛ لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله، ويصيبه في الآخرة.

قال الألوسي[4]: ﴿ثَوَابًا﴾ جزاء وأجراً، وقيل: نفعاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم: 76].

قال البيضاويّ[5]: عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.
(4) روح المعاني.
(5) أنوار التنزيل.

يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ والخير ها هنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم: الصيف أحر من الشتاء، أي: أبلغ في حره منه في برده.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 103].

قال الطبري(1): والمثوبة في كلام العرب مصدرٌ من قول القائل: أثبتك إثابةً وثواباً ومَثُوبة، فأصل ذلك من ثاب إليك الشيء بمعنى: رجع، ثم يقال: أثبته إليك: أي رجعته إليك ورددته. فكان معنى إثابة الرجل الرجل على الهدية وغيرها: إرجاعه إليها منها بدلاً، وردّه عليه منها عوضاً. ثم جعل كلّ معوّض غيره من عمله أو هديته أويد له سلفت منه إليه مثيباً له. ومنه ثواب الله عَزَّوَجَلَّ عباده على أعمالهم، بمعنى إعطائه إياهم العوض والجزاء عليه، حتى يرجع إليهم بدل من عملهم الذي عملوا له. وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ مما اكتفي بدلالة الكلام على معناه عن ذكر جوابه، وأن معناه: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا ولكنه استغنى بدلالة الخبر عن المثوبة عن قوله: لأثيبوا. وكان بعض نحويي أهل البصرة ينكر ذلك، ويرى أن جواب قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ﴾ وأن «لو» إنما أجيبت بالمثوبة، وإن كانت أخبر عنها بالماضي من الفعل لتقارب معناه من معنى «لئن» في أنهما جزاءان، فإنهما جوابان للإيمان، فأدخل جواب كلّ واحدة منهما على صاحبتها، فأجيبت «لو» بجواب «لئن»، و«لئن» بجواب «لو» لذلك وإن اختلفت أجوبتهما فكانت «لو» من حكمها وحظها أن تجاب بالماضي من الفعل، وكانت «لئن» من حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل لما وصفنا من تقاربهما، فكان

(1) جامع البيان.

يتأوّل معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾: ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحجّ: 19].

قال الماوردي(1): معناه أن النار قد أحاطت بها كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم، فصارت من هذا الوجه ثياباً، لأنها بالإحاطة كالثياب.

قال البغوي(2): قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب، وليس من الآنية شيء إذا حمي أشد حراً منه وسُمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب.

وقال بعضهم: يلبس أهل النار مُقَطَّعات من النار.

قال النسفي(3): كأن الله يقدر لهم نيراناً على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المَائدة: 85].

قال الزمخشري(4): قرأ الحسن: «فآتاهم» ﴿بِمَا قَالُواْ﴾ بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان، أي: اعتقاده وما يذهب إليه.

قال القرطبي(5): دليل على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم؛ فأجاب الله سؤالهم وحَقَّق طمعَهم وهكذا من خَلَص إيمانه وصَدَق يقينه يكون ثوابه الجنة.

---

(1) النكت والعيون.
(2) معالم التنزيل.
(3) مدارك التنزيل.
(4) الكشاف.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

● قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عِمرَان: 153].

قال الطبري[1]: يعني: فجازاكم بفراركم عن نبيكم، وفشلكم عن عدوّكم، ومعصيتكم ربكم غماً بغمّ، يقول: غمًّا على غمّ. وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوّهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثواباً، إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم، فدلّ بذلك جلّ ثناؤه أن كل عوض كالمعوّض من شيء من العمل، خيراً كان أو شرّاً، أو العوض الذي بذله رجل لرجل أو يد سلفت له إليه، فإنه مستحقّ اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة.

قال البغوي[2]: فجازاكم، جعل الإثابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الثواب، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: 21] جعل البشارة في العذاب، ومعناه: جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عِمرَان: 153].

● **قال تعالى**: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطفّفِين: 36].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم، وضحكهم بهم، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة، والمؤمنون على الأرائك ينظرون، وهم في النار يعذّبون.

(وثُوِّب) فعل من الثواب والجزاء، يقال منه: ثوّب فلان فلاناً على صنيعه، وأثابه منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.

قال الماوردي[1]: هذا سؤال المؤمنين في الجنة عن الكفار حين فارقوهم، وفيه تأويلان:

أحدهما: معناه هل أثيب الكفار ما كانوا يعلمون في الكفر.

الثاني: هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون.

فيكون «ثُوِّب» مأخوذاً من إعطاء الثواب. ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن يكون معناه هل رجع الكفار في الآخرة عن تكذيبهم في الدنيا على وجه التوبيخ، ويكون مأخوذاً من المثابِ الذي هو الرجوع، لا من الثواب الذي هو الجزاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 125] أي: مرجعاً. ويحتمل تأويلاً رابعاً: هل رجع من عذاب الكفار على ما كانوا يفعلون، لأنهم قد علموا أنهم عذبوا، وجاز أن يظنوا في كرم الله أنهم قد رحموا.

(1) النكت والعيون.

ثور

(ثَوَرَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الثاء والواو والراء أصْلانِ قد يمكن الجمعُ بينهما بأدنَى نظَرٍ. فالأوّل انبعاثُ الشيء، والثاني جنسٌ من الحيوان. فالأوّل قولُهم: ثَارَ الشيءُ يَثُورُ ثَوْراً وثُؤُوراً وثَوَراناً. وثَارَتِ الحصْبة تَثُورُ.

قال الخليل(2): الثَّوْرُ: الذكر من البقر، والقطعة من الأقط، وبرج من بروج السماء، وبه سمي السيد.

وجبل ثَوّرٍ: جبل بمكة.

قال الجوهري(3): ثارَ الغبار يَثورُ ثَوْراً وثَوَراناً، أي: سطَع. وأَثارَهُ غيره.

وثارَتْ بفلان الحَصْبَةُ. وثَارَ به الناسُ، أي: وثَبوا عليه.

والمُثاوَرَةُ: المواثبةُ. يقال: انتظِرْ حتَّى تسكن هذه الثَّوْرَةُ، وهي الهَيْجُ.

قال الراغب(4): ثَارَ الغبار والسحاب ونحوهما، يَثُورُ ثَوْراً وثَوَرَاناً: انتشر ساطعاً، وقد أَثَرْتهُ، وثَارَتِ الحصبة ثَوْراً تشبيهاً بانتشار الغبار، وثَوَّرَ شرّاً كذلك، وثَارَ ثَائِرُه كناية عن انتشار غضبه، وثَاوَرَه: واثَبَه، والثَّوْرُ: البقر الذي يُثَارُ به الأرض، فكأنه في الأصل مصدر جعل في موضع الفاعل.

---

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الرُّوم: 9].

قال ابن عطية[1]: يريد بالمباني والحرث الحروب، وسائر الحوادث التي أحدثوها هي كلها إثارة للأرض بعضها حقيقة وبعضها تجوز لأن إثارة أهل الأرض والحيوان والمتاع، إثارة للأرض، وقرأ أبو جعفر «وآثاروا» بمد الهمزة قال ابن مجاهد: ليس هذا بشيء، قال أبو الفتح: وجهها أنه أشبع فتحة الهمزة فنشأت ألف ونحوه قال وهذا من ضرورة الشعر لا يجيء في القرآن وقرأ أبو حيوة «وآثروا الأرض» بالمد بغير ألف بعد الثاء من الأثرة.

قال أبو السعود[2]: أي: قلبُوها للزراعةِ والحرثِ وقيل لاستنباطِ المياه واستخراجِ المعادنِ وغيرِ ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العَاديَات: 4].

قال البغوي[3]: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾، أي: هيَّجن بمكان سيرهن كناية عن غير مذكور، لأن المعنى مفهوم.

قال الزمخشري[4]: أي: فهيجن في المغاز عليهم صياحاً وجلبة. وقرأ أبو حيوة: «فأثرن» بالتشديد، بمعنى: فأظهرن به غباراً؛ لأنّ التأثير فيه معنى الإظهار. أو قلب ثورّن إلى وثرن، وقلب الواو همزة، وقرىء: «فوسطن» بالتشديد للتعدية. والباء مزيدة للتوكيد، كقوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ [البَقَرَة: 25].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: وأثرن الغبار أي: هيجنه، والمعنى أن الخيل أثرن الغبار لشدة العدو في الموضع الذي أغرن فيه.

فإن قيل: على أي شيء عطف قوله: ﴿فَأَثَرْنَ﴾ قلنا: على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه، والتقدير واللائي عدون فأورين، وأغرن فأثرن.

● **قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾** [البَقَرَة: 71].

قال القرطبي[2]: ﴿تُثِيرُ﴾ في موضع رفع على الصفة للبقرة؛ أي: هي بقرة لا ذَلُولٌ مُثيرة. قال الحسن: وكانت تلك البقرة وحْشِيّة، ولهذا وصفها الله تعالى بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث، أي: لا يُسْنَى بها لَسقْي الزرع ولا يُسقى عليها.

والوقف ها هنا حسن. وقال قوم: «تثير» فعل مستأنف، والمعنى إيجاب الحرث لها، وأنها كانت تحرث ولا تسقي. والوقف على هذا التأويل «لا ذلول». والقول الأوّل أصح لوجهين: أحدهما: ما ذكره النحاس عن عليّ بن سليمان أنه قال: لا يجوز أن يكون «تثير» مستأنفاً؛ لأن بعده «ولا تسقي الحرث»، فلو كان مستأنفاً لما جمع بين الواو و«لا». الثاني: أنها لو كانت تثير الأرض لكانت الإثارة قد ذلّلتها، والله تعالى قد نفى عنها الذّل بقوله: «لا ذلول». قلت: ويحتمل أن تكون «تثير الأَرْضَ» في غير العمل مرحاً ونشاطاً؛ فعلى هذا يكون «تثير» مستأنفاً، «ولا تسقي» معطوف عليه؛ فتأمله. وإثارة الأرض: تحريكها وبحثها؛ ومنه الحديث: «**أثِيروا القرآن فإنه عِلْم الأوّلين والآخرين**» وفي رواية أخرى: «**من أراد العلم فَلْيُثَوِّر القرآن**» وقد تقدّم. وفي التنزيل: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرُّوم: 9] أي: قَلبوها للزراعة. والحرث: ما حُرِث وزُرِع.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ [الرُّوم: 48].

قال المراغي(1): أي الله الذي يرسل الرياح فتنشيء سحاباً، فتنشره ويجمعه جهة السماء، تارة سائراً وأخرى واقفاً، وحيناً قطعاً.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فَاطِر: 9].

قال الفخر الرازي(2): بصيغة المستقبل، وذلك لأنه لما أسند فعل الإرسال إلى الله وما يفعل الله يكون بقوله كن فلا يبقى في العدم لا زماناً ولا جزأً من الزمان، فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان وكأنه فرغ من كل شيء فهو قدر الإرسال في الأوقات المعلومة إلى المواضع المعينة والتقدير كالإرسال، ولما أسند فعل الإثارة إلى الريح وهو يؤلف في زمان فقال: (تُثِيرُ) [البَقَرَة: 71] أي على هيئتها.

قال الألوسي(3): لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة وكثيراً ما يفعلون ذلك بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك.

ولأن الإثارة خاصية للرياح وأثر لا ينفك في الغالب عنها فلا يوجد إلا بعد إيجادها فيكون مستقبلاً بالنسبة إلى الإرسال، وعلى هذا يكون استعمال المضارع على ظاهره وحقيقته من غير تأويل لأن المعتبر زمان الحكم لا زمان التكلم، والفاء دالة على عدم تراخي ذلك وهو شيء آخر، وجوز أن يكون الإتيان بما يدل على الماضي ثم بما يدل على المستقبل إشارة إلى استمرار الأمر وأنه لا يختص بزمان دون زمان إذ لا يصح المضي والاستقبال في شيء واحد إلا إذا قصد ذلك.

---

(1) تفسير المراغي.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

ثوي

(ثوي)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الثاء والواو والياء كلمةٌ واحدة صحيحة تدلُّ على الإقامة. يقال: ثَوَى يثْوِي فهو ثَاوٍ.

والثَّوِيَّة والثَّايَة: مأوى الغَنَم. والثَّوِيَّة مكان.

وأمُّ مَثْوَى الرّجلِ: صاحبةُ منزلِهِ. والقياس كلُّه واحد. والثّايَة أيضاً: حِجارةٌ تُرفَع للرّاعي يَرجع إليها لَيْلاً، تكونُ علماً له.

قال الخليل[2]: الثَّوَاءُ: طول المقام، وقد ثَوَى يَثْوي ثَوَاء.

ويقال للمقتول: قد ثَوىَ، ويقال للغريب المقيم ببلدة: هو ثَاوِيها.

والثَّوِيُّ: بيت في جوف بيت، وهو البيت المهيأ للضيف.

والثَوِيُّ: الضيف نفسه.

والثَّوِيُّ: المجاور في الحرمين. والثَّوِيُّ: الصَّبور في المغازي المُجَمَّر وهو المحبوس. والثَّوِيُّ أَيضاً: الأَسير؛ عن ثعلب، وكل هذا من الثَّواء.

وثُوِيَ الرجل: قُبِرَ لأَن ذلك ثَواءٌ لا أَطول منه.

قال الراغب[3]: الثَّوَاءُ: الإقامة مع الاستقرار، يقال: ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً، والثَّوِيَّةُ: مأوى الغنم.

---

(1) مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) مفردات الراغب.

المعنى المشترك لكلمة (ث و ي)

وقد وردت كلمة (ثوي) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: مثوى: يعني مأوى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد: **19**].

الوجه الثاني: مثواه: يعني منزله ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: **21**].

الوجه الثالث: المثوى: يعني الإقامة ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ [القصص: **45**].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: **151**].

قال أبو السعود(1): والمخصوصُ بالذم محذوفٌ أي: بئس مثوى الظالمين النارُ وفي جعلها مثواهم بعد جعلِها مأواهم نوعُ رمزٍ إلى خلودهم فيها، فإن المثوى مكانُ الإقامةِ المنبئة عن المُكثْ وأما المأوى فهو المكانُ الذي يأوي إليه الإنسان.

قال أبو حيان(2): بالغ في ذم مثواهم والمخصوص بالذم محذوف، أي: وبئس مثوى الظالمين النار. وجعل النار مأواهم ومثواهم. وبدأ بالمأوى وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولا يلزم منه الثواء، لأن الثواء دال على الإقامة، فجعلها مأوى ومثوى كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: **12**].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المحيط.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الأنعام: 128].

قال الطبري[1]: يعني: نار جهنم مثواكم الذي تثوون فيه: أي تقيمون فيه.

والمثوى: هو المفعل، من قولهم: ثَوَى فلان بمكان كذا: إذا أقام فيه.

قال الفخر الرازي[2]: المثوى: المقام والمقر والمصير، ثم لا يبعد أن يكون للإنسان مقام ومقر ثم يموت ويتخلص بالموت عن ذلك المثوى، فبين تعالى أن ذلك المقام والمثوى مخلد مؤبد وهو قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمَّد: 19].

قال الطبري[3]: فإن الله يعلم متصرّفكم فيما تتصرّفون فيه في يقظتكم من الأعمال، ومثواكم إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلاً، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على جميع ذلك.

قال الماوردي[4]: يحتمل وجهين: أحدهما: متقلبكم في أسفاركم، ومثواكم في أوطانكم.

الثاني: متقلبكم في أعمالكم نهاراً ومثواكم في ليلكم نياماً.

قال الزمخشري[5]: والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم، ويعلم حيث تستقرون في من ازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور. أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ [يُوسُف: 21].

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.
(5) الكشاف.

قال الزمخشري[1]: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً، أي: حسناً مرضياً، بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: 23] والمراد: تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة، حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا، ساكنة في كنفنا. ويقال للرجل: كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة، يراد: هل تطيب نفسك بثوائك عنده، وهل يراعى حق نزولك به.

قال الألوسي[2]: أي: اجعلي محل ثوائه وإقامته كريما أي: حسناً مرضيّاً، وهذا كناية عن إكرامه عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه على أبلغ وجه وأتمه لأن من أكرم المحل بتنظيفه وفرشه ونحو ذلك فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به، وقيل: المثوى مقحم يقال: الملجس العالي والمقام السامي، والمعنى أحسني تعهده والنظر فيما يقتضيه إكرام الضيف.

قال الفخر الرازي[3]: وقال المحققون: أمر العزيز امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتعظيم وهو كما يقال: سلام الله على المجلس العالي.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يُوسُف: 23].

أي: أكرم منزلي. هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد: أن الله تعالى ربّي أحسن مثوايَ، أي: آواني، ومن بلاء الجبِّ عافاني (2/ 483).

قال أبو السعود[4]: أي: أحسن تعهّدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أُسيء إليه بالخيانة في حَرَمه وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيزِ بألطف وجهٍ،

---

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

وقيل: الضميرُ لله عَزَّوَجَلَّ وربي خبرُ إن وأحسن مثواي خبرٌ ثانٍ أو هو الخبرُ والأولُ بدلٌ من الضمير، والمعنى أن الحالَ هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشةِ الكبيرةِ وفيه تحذيرٌ لها من عقاب الله عَزَّوَجَلَّ ، وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالةِ.

ثيب

(ثَيّب)

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الثَّيِّبُ من النساءِ: التي تَزَوَّجَتْ وفارَقَتْ زَوْجَها بأَيٍّ وجْهٍ كان بَعْدَ أَنْ مَسَّها.

وقال الأَصمعي: امرأَة ثَيِّبٌ ورجل ثَيِّبٌ: إِذا كان قد دُخِلَ به أَو دُخِلَ بها، الذكَرُ والأُنثى، في ذلك، سواء.

وقد ثُيِّبَتِ المرأَةُ، وهي مُثَيَّبٌ. التهذيب يقال: ثُيِّبَتِ المرأَةُ تَثْييباً: إِذا صارت ثَيِّباً، وجمع الثَّيِّبِ، من النساءِ، ثَيّباتٌ. قال الله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا﴾ [التحريم: 5].

وفي الحديث: الثَّيِّبُ بالثيبِ جَلْدُ مائةٍ ورَجْمٌ بالحجارة.

قال ابن الأَثير: الثَّيِّبُ مَن ليس بِبِكْر. قال: وقد يُطْلَقُ الثَّيِّبُ على المرأَةِ البالِغةِ، وإِن كانت بِكْراً، مَجازاً واتِّساعاً. قال: والجمع بين الجَلد والرَّجْم منسوخ. قال: وأَصل الكلمة الواو، لأَنه من ثابَ يَثُوبُ إِذا رَجع كأَنَّ الثَّيِّب بِصَدَد العَوْدِ والرُّجوع. وثِيبانُ اسم كُورة[2].

قال الزمخشري[3]: الثَّيِّبانِ يُرْجَمانِ، والبِكْرانِ يُجْلَدانِ ويُغَرَّبانِ.

---

(1) العين.
(2) اللسان، معجم فقة اللغة.
(3) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التّحريم: 5].

قال الماوردي[1]: الثيب فإنما سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقها، وقيل لأنها ثابَتْ إلى بيت أبويها، وهذا أصح لأنه ليس كل ثيّب تعود إلى زوج.

قال الفخر الرازي[2]: ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقلل رغبة الرجال إليهن. نقول: يمكن أن يكون البعض من الثيب خيراً بالنسبة إلى البعض من الأبكار عند الرسول لاختصاصهن بالمال والجمال، أو النسب، أو المجموع مثلاً، وإذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في المدح لجواز أن يكون المراد مثل ما ذكرناه من الثيب.

قال الطبري[3]: ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ وهنّ اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهنّ.

---

(1) النكت والعيون.

(2) التفسير الكبير.

(3) جامع البيان.

حرف الجيم

جأر

(جأر - أذن - صرخ - نادى - دعا - نَعق - جهر)

- **الجَأْرُ:** الإفراط في منع الصوت بالتوجع أو التضرع ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النّحل: 53].
- **الأَذَانُ:** رفع الصوت بالدعاء إلى الصلاة ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحجّ: 27].
- **الصُّرَاخ:** الإفراط في رفع الصوت بالاستغاثة ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: 22].
- **النِّدَاءُ:** رفع الصوت بدعوة الآخر بحرف النداء وذكر الاسم ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: 11].
- **الدُّعاءُ:** رفع الصوت بدعوة الآخر بدون حرف النداء ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي﴾ [آل عِمرَان: 38].
- **النَّعِيقُ:** رفع الصوت مجرداً من الكلام بدعوة الأعجم ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البَقَرَة: 171].
- **الجَهْرُ:** الإفراط في ظهور الشيء كحاسة البصر أو السمع ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البَقَرَة: 55]. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسرَاء: 110].

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: جَأرَتْ البقرة جِآراً: رفعت صوتها.

وجَأَرَ القوم إلى الله جُؤَاراً: وهو أن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرِّعين.

قال الجوهري[2]: الجُؤَارُ مثل الخوار. يقال: جَأَرَ الثور يَجْأَرُ أي: صاح. وجَأَرَ الرجل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أي: تضرّع بالدعاء. وغَيْثٌ جُؤَرٌ، أي عزيزٌ كثير المطر.

قال الأصمعي[3]: غَيْثٌ جُؤَرٌ بالتخفيف والهمز، مثال نغز.

جَأَرَ الثور جُؤَاراً، بمعنى واحد.

الجائر: حز في الحلق.

قال ابن السكيت[4]: ورجل جَأْارٌ وامراةُ جَأْرَةُ، يعنون ضخماً غليظاً. وهذا أَجْأَرُ من هذا.

يقال: غَيْثٌ جُؤَرٌ: إذا كان غزيراً كثير المطر.

ويقال: قد جَأَرَ بالدعاء: إذا رفع به صوته.

قال ابن دريد[5]: جَأَرَ الرجل - مقصور مهموز - يَجْأَرُ جَأْراً وجُؤَاراً: إذا صاح.

قال الراغب[6]: جَأَرَ: إذا فرط في الدعاء والتضرع.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الأضداد.
(4) إصلاح المنطق.
(5) الجمهرة.
(6) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: 64].

قال أبو السعود(1): أي: فاجأوا الصراخ بالاستغاثة من الله عَزَّوَجَلَّ . كقوله تعالى: ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: 53]، وهو جواب الشرط. وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ بالعذاب، ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضاً، لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم، وكون ذلك أشقُّ عليهم، ولأنهم معك كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لاقوا من الحالة الفظيعة، فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم.

قال ابن عطية(2): ﴿يَجۡـَٔرُونَ﴾ قتلى مكة لأنهم ناحوا واستغاثوا.

قال الشعراوي(3): يجأر: يصرخ بصوت عالٍ، والإنسان لا يصرخ إلا إذا كان في محنة لا تقدر أسبابه على دفعها، فيصرخ طلباً لمن ينجده، ويرفع صوته ليُسمِع كل مَنْ حوله، كما يقولون (يجعر). والجؤار مثل الخوار يعني: يصيحون مثل العجول بعد ما كانوا رجالاً وسادة وطغاة، فلماذا لم تظلّوا سادة، لماذا تصرخون الآن؟ وكان المنتظر منهم في وقت الشدة أنْ يتماسكوا، وأن يتجلّدوا حتى لا يشمت بهم العبيد والفقراء الذين آمنوا.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النّحل: 53].

قال الطبري(4): فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به، ليكشف ذلك

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) المحرر الوجيز.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) جامع البيان.

عنكم. وأصله: من جؤار الثور، يقال منه: جأَر الثور يجأَرُ جؤاراً، وذلك إذا رفع صوتاً شديداً، من جوع أو غيره.

قال الفخر الرازي[1]: والمعنى أنه تعالى بَيَّن جميع النعم من الله تعالى، ثم إذا اتفق لأحد مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم فإلى الله يَجْأَرُ، أي: لا يستغيث أحداً إلّا الله تعالى، لعلمه بأنه لا مفزع للخلق إلّا هو، فكأنه تعالى قال لهم: فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة.

قال الشوكاني[2]: أي: إذا مسكم الضرّ أيّ مس فإلى الله تجأرون فلا كاشف له إلّا هو، يقال: جَأَر يَجْأَرُ جُؤُوراً: إذا رفع صوته في تضرع.

والضرّ: المرض والبلاء والحاجة والقحط.

● **قال تعالى**: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون: 65].

قال الطبري[3]: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم، وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم.

قال ابن عطية[4]: وهذا القول يجوز أن يكون حقيقةً، أي: تقول ذلك لهم الملائكة. ويحتمل أن يكون مجازاً، أي: لسان الحال يقول ذلك، وهذا على أن الذين يَجْأَرون هم المعذبون.

قال الفخر الرازي[5]: ويقال لهم على وجه التكبيت: (لا تَجْئَرُوا).

قال الشعراوي[6]: لا تجأروا لأنكم لن تُنصروا مِنّا، وكيف ننصركم بجؤاركم هذا، وقد انصرفتم عن آياتي؟.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) فتح القدير.
(3) جامع البيان.
(4) المحرر الوجيز.
(5) التفسير الكبير.
(6) تفسير الشعراوي.

جالوت

جالوت

النصوص اللغوية:

قال ابن دريد[1]: . . . أما طالوت وجالوت وصابون فليس بكلام عربي فلا تلتفت إليه، وإن كان طالوت وجالوت في التنزيل؛ فهما اسمان أعجميان، وكذلك داود.

قال الأزهري[2]: يقال: جلته عشرين سوطاً: أي ضربته. قلت: أصله جلدته، فأدغمت الدال في التاء. وجالوت: اسم أعجمي لا ينصرف، قال الله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾.

ويقال: اجتلته، واجتلدلته، أي: شربته أجمع. وجالوت: اسم رجل أعجمي.

قال الراغب[3]: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وذلك أعجمي، لا أصل له في العربية.

قال الزمخشري[4]: وجالوت: جبار من العمالقة من أولاد عماليق عاد، وكانت بيضته فيها ثلاثمئة رطل.

---

(1) الجمهرة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة - الكشاف.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ... وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا... فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ...﴾ [البقرة: 249 - 251].

قال ابن عطية[1]: جالوت: اسم أعجمي معرب.

قال محمد إسماعيل عطية: جالوت، من أعلام القرآن. [وقال في قصته:] لما قامت الحرب بين الفسلطينيين الغزاة وبين طالوت ملك بني إسرائيل، كان على رأس الجيش الفلسطيني طاغية أكبر الوثنيين هو جالوت (جليات) المشهور ببأسه وقوته، وقد وقف في ميدان القتال يتحدى أبطال جيش طالوت طالباً منهم النزال، والكل يهابه لبأسه، وكان بين جيش طالوت شاب يملؤه الحماس والإيمان فطلب من طالوت الإذن بمنازلة جالوت، وذلك الشاب هو داوود نبي الله وملك بني إسرائيل فيما بعد.

وبرز داوود لا يحمل من أدوات الحرب سوى عصاه ومقلاعه وبعض الأحجار، فاستخف به جالوت، وعجب من أمر هذا الشاب الذي يلقي بنفسه إلى التهلكة، أمام عدو جبار عنيد بسيفه ورمحه، ولكن داوود سدد إليه مقلاعه فشج رأسه ثم أتبعه بآخر، حتى سقط جالوت صريعاً، وانتصر بنو إسرائيل على عدوه.

هاكس: (جليات): يسميه العرب باسم جالوت، رجل من أهالي جت، وواحد من شجعان الفلسطينيين.

1 - أجمع من تكلم في هذا العلم على أعجميته، إلّا أنه بقي مجهول الأصل زماناً طويلاً، ولم يفصح عن أصله أحد من المتقدمين، حتى ترجم الكتاب

---

(1) المحرر الوجيز.

المقدس في العصور المتأخرة إلى العربية، فظهر أنه عبري المنشأ، يلفظ بصورة (جاليت) أو (جاليات) أو (جليات).

وزعم (الهرشفاد) أن مغايرة اللفظ القرآني ﴿جَالُوتَ﴾ للأصل ناجم عن غلط راوي هذه القصة التي وردت في العهد العتيق[1]! أو ما درى أن الرواي جبريل والقائل الرب الجليل؟! وأن ما أملاه على نبيه الكريم ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ [فصلت: 41-42]!

ثم إن العرب - كما هو شائع ومشهور - في الألفاظ الأعجمية تصرفاً فاحشاً، مثلما تقدم مراراً في هذا المعجم، وقد جاء (جالوت) على غرار ألفاظ أعجمية بهذا الوزن في القرآن، نحو: طالوت وقارون وهارون وهاروت وماروت وتابوت وياقوت وغيرها، وكلها تغاير أصلها في اللفظ.

2 - وقد عزا المؤرخون (جالوت) إلى الفلسطينيين الذين يسميهم الكتاب المقدس الكنعانيين، نسبة إلى كنعان بن حام. وذهب المسعودي إلى أن (جالوت) لقب ملوكهم وكان آخرهم.

ونحن أيضاً نقول بقول المسعودي، لأن هذا الاسم - كما تقدم - عبري، والكنعانيون لا يسمون أبناءهم بأسماء عبرية، فالأصح أن يكون لقباً أطلقه العبريون على كل ملك من ملوك الكنعانيين، كما يفعل العرب ذلك، فهم يطلقون لقب تبع على ملك اليمن، وقيل على ملك حمير، وفرعون على ملك مصر، وكسرى على ملك الفرس، وقيصر على ملك الروم، وخاقان على ملك الترك، ونجاشي على ملك الحبشة، وبلهور على ملك الهند.

جاءت كلمة جالوت ثلاث مرات في آيات متواليات[2]:

1 - 2 - 3 - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن

(1) المفرادت الدخيلة في القرآن الكريم (164) - آرثر جفري.
(2) معجم فقة القرآن.

شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: 249- 251].

يلاحظ أولاً: أنها جاءت في سورة البقرة ترغيباً وعبرة للمؤمنين، بعد أن كلفهم بالقتال بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 244]، فحكى لهم قصة طالوت وجالوت ابتداء من: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ...﴾ [البقرة: 246]، إلى أن انتهى هذه الآيات الثلاث، فأبان للمؤمنين كيف غلبت فئة قليلة من بني إسرائيل فئة كثيرة من الكنعانيين بإذن الله، إعلاماً بأن الله مع الصابرين. وكانت درساً للمؤمنين في غزوة بدر التي وقعت بعدها بمدة قليلة، كما بيّن لهم جبن فئة منهم وتخلفهم عن أمر ملكهم طالوت، وما أشبهت حال المؤمنين في غزوة بدر بحالهم!

ثانياً: يتبين منها أن بني إسرائيل غلبوا الكنعانيين وهم أسلاف الفلسطينيين اليوم، احتلوا أراضيهم بقوة ثم أخرجهم الله منها بقوة بعد تخلفهم عن أمر ربهم، وأن أرض فلسطين للفلسطينيين دون اليهود.

جب

(جب - بئر - رس - عين - ينبوع)

■ **الجُبُّ:** الحفرة غير المطوية في جبوب أي أرض صلبة خالية ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يُوسُف: 10].

■ **البِئْرُ:** الحفرة المطوية في الأرض المأهولة، بَأَرْتَ بُؤْرَةَ أي: حفرة. ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **الرَّسُّ:** البئر المتروكة التي صارت أثراً صغيراً بعد عين ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [قٓ: 12].

■ **العَيْنُ:** المنخفض المملوء بالماء لينتفع به الكل من بشر وحيوانات وزرع ويتسع للسباحة ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسَان: 6].

■ **اليُنْبُوعُ:** العين الغزيرة الفياضة. يقال: فلان صارت عينه ينبوعاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: 21].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والباء في المضاعف أصلان:

أحدهما: القطع، والثاني: تجمع الشيء.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فأما الأول فالجَبُّ: القَطْعُ، يقال: جَبَبْتُه أَجُبُّه جَبّاً، وخَصِيٌّ مَجْبُوبٌ بَيِّنُ الجِبَابِ.

ويقال: جَبَّهُ: إذا غلبه بحسنه أو غيره، كأنه قطعه عن مساماته ومفاخرته.

والجَبَبُ: أن يقطع سنام البعير، وهو أَجَبُّ وناقة جَبَّاءُ.

الأصل الثاني: الجُبَّةُ معروفة، لأنها تشمل الجسم وتجمعه فيها. والجُبَّةُ: ما دخل ثعلب الرمح السنان.

الجُبُّ: بئر غير بعيدة القعر، ويجمع على: جَبَبَةٌ وجِبَابٌ وأَجْبَابٌ.

والجَبُوبَه: الحجارة، الواحدة بالهاء.

والتَّجْبِيبُ: النفار والذهاب، يقال: جبب فذهب. وفي الحديث: **(الممسك بطاعة الله إذا جبب عنها الكار بعد الفار)**.

قال الجوهري[1]: الجَبُّ: القَطْعُ. وخَصِيٌّ مَجْبوبٌ بَيِّنُ الجِبابِ. وبعيرٌ أجبُّ بيِّن الجَبَبِ، أي: مقطوعُ السَنامِ. وفلان جَبَّ القومَ: إذا غلبَهُمْ. والجِبابُ: التي تُلبَسُ. والجِبابُ أيضاً: تلقيح النخل، يقال: جاء زمن الجِبابِ. وقد جَبَّ الناسُ النخل. والجُبَّةُ: ما دخل فيه الرمحُ من السِنانِ. والجُبَّةُ: مَوصِلُ الوَظيفِ في الذراع. قال الأصمعيّ: هو مَغْرِزُ الوظيفِ في الحافر. والتَّجْبِيبُ: أن يبلُغَ التحجيل رُكْبَةَ اليد وعرقوبَ الرِجْلِ. والفرس مُجَبَّبٌ، وفيه تجبيبٌ.

والاسم الجَبَبُ. والتَّجْبِيبُ أيضاً: النِفارُ؛ يقال: جَبَّبَ فلان فذهب. والمَجَبَّةُ: جَادَّةُ الطريق. والجُبابُ بالضم: شيءٌ يعلو ألبان الإبل كالزُبْدِ، ولا زُبْدَ لألبانها. والجُبُّ: البئر التي لم تُطْوَ، وجمعها جِبابٌ وجِبَبَةٌ. والجَبوُبُ: الأرض الغليظة، ويقال وجه الأرض، ولا يجمع.

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: 10].

قال ابن عطية[1]: إنه بئر بيت المقدس، وقيل: غيره.

وقيل: لم يكن حيث طرحوه ماء، ولكن أخرجه الله فيه حتى قصده الناس للاستقاء.

وقيل: بل كان فيه ماءٌ كثيرٌ يغرق يوسف، فنشر حجر من أسفل الجب حتى ثبت عليه يوسف.

وروي أنهم رموه بحبل في الجب فتماسك بيديه، حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينئذ، وهموا برضخه بالحجارة، فمنعهم أخوهم المشير بطرحه من ذلك.

قال الفخر الرازي[2]: **المسألة الأولى**: . . . وإنما ذكرت الغيابة مع الجب، دلالة على أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب، لا يلحقه نظر الناظرين، فإذا ذكر الغيابة هذا المعنى؛ إذ كان يحتمل أن يلقى في موضع من الجب لا يحول بينه وبين الناظرين.

المسألة الثانية: الألف واللام في (الجب) تقتضي المعهود السابق. . . .

وإنما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها، وهي قولهم: (يلتقطه بعض السيارة) وذلك لأن تلك البئر كانت معروفة، وكانوا يردون عليها كثيراً، وكان يعلم أنه إذا طرح فيها يكون إلى السلامة أقرب، لأن السيارة إذا جازوا وردوها،

---

(1) المحرر الوجيز. (2) التفسير الكبير.

وإذا وردوها ذلك الإنسان فيها، وإذا شاهدوه أخرجوه وذهبوا به، فكان إلقاؤه فيها أبعد عن الهلاك.

وقال النيسابوري[1]: قيل: هو بئر بين مصر ومدين.

قال الشعراوي[2]: والجُبُّ هو البئر غير المطوي؛ ونحن نعلم أن الناس حين تحفر بئراً، فمياه البئر تتدفق طوال الوقت؛ وقد يأتي الردم فيسُدُّ البئر؛ ولذلك يبنون حول فُوَّهة البئر بعضاً من الطوب لحمايته من الرَّدْم؛ ويسمون مثل هذا البئر «بئر مطوي»، وهكذا تظل المياه في البئر في حالة استطراق. وكلمة: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾. أي: المنطقة المَخْفية في البئر؛ وعادة ما تكون فوق الماء؛ وما فيها يكون غائباً عن العيون.

جاء منها ﴿ٱلْجُبِّ﴾ مرتين بشأن يوسف عليه السلام في آيتين من سورة مكية:

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15].

ويلاحظ أولاً: أنه جاء في الآيتين بسياق واحد: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وقد اختلفوا في معنى (الغيابة) هنا - بعد اتفاقهم على أنها كل موضع ستر شيئاً، وعلى أنه إنما اقترحه القائل ليستر يوسف عن أعين الناس - على وجهين:

قعر البئر، فإنه بظلمته يستر يوسف عن النظر.

حفرة أو طاق بجانب البئر فوق سطح الماء، يدخلها من يدلي فيه لإخراج شيء وضع فيه، أو إصلاح خلل عرض له، فإذا دخله يوسف لا يراه الناظرون.

ويؤيد الأول لفظ (ألقوه) فإن الإلقاء ترك الشيء من جانب العلو إلى السفل، فإذا ألقوا يوسف فسيقع في قعر البئر لا في حفرة بجانبه، فلا يقال فيه: (ألْقِه) بل

(1) غرائب القرآن. (2) تفسير الشعراوي.

(ضَعْهُ) فيه، ويؤيد الثاني قراءة (غيابات) فربما يكون بجوانب البئر شعب وحفرات وطاقات. وأنكر هذه القراءة أبو عبيد. وأقر بها النحاس.

وعندنا أن السياق يساعد التحقير والإهانة بيوسف بدل قتله بإلقائه في الجب، فالأول والأقرب.

ثانياً: اختلفوا في الجب هل هو جُبٌّ خاص، فاختلفوا في موضعه أنه (بيت المقدس) أو (الشام) أو موضع بين مصر ومدين، فتكون اللام للعهد إشارة إلى جُبٍّ معروف في الطريق، يردون عليها كثيراً، ولهذا: قال (يلتقطه بعض السيارة)، أو جُبٍّ غير معين من الآبار التي في الطريق.

وعليه فاللام للجنس ولعله الأقرب، لأن القائل قاله قبل أن يعزموا على يوسف بشيء، وربما قبل أن يطرقوا الطريق، فبعيد أن يريد جبّاً معيناً، كان في طريق السيارة وفيه الماء. فلا يعبأ بقول من عمه إلى ما فيه ماءٌ وما ليس فيه ماء، فهذا غريب عن المراد.

ثالثاً: جاءت في التفاسير قصص عن إلقاء يوسف في الجب لا أصل لها، ككثير من القصص الإسرائيلية العجيبة ولاسيما في تفسير سورة يوسف.

جبت

(جبت - رذل - سفيه - الطاغوت)

- **الجِبْتُ:** المعبود التافه من شيطان حجر أو إنسان رديء كفرعون ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾ [النِّساء: 51].
- **الرَّذْلُ:** المرغوب عنه لرداءته لاعتبارات مختلفة من فقر أو سلوك ونحو ذلك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هُود: 27].
- **السَّفِيهُ:** ضعيف العقل غير المنضبط ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النِّساء: 5].
- **طَاغُوت:** الإنس والجن والسحرة والكهنة والشياطين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزُّمَر: 17].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الجبت والطاغوت في القرآن الكريم هما صفتان مذمومتان، ومذموم من يوصف بهما. وفي القرآن الكريم نوعان من الكلمات المذمومة: مجموعة كلمات الظلم خسيسة: (الجبت الطاغوت، الرذل، السفيه) ومجموعة مذمومة ولكنها لا تعتبر خسيسة إنما فيها استعلاء: (عُتل، ظالم، متكبر، جبّار).

الجبت: كل شيء يُعبد من دون الله من صنم أو راهب أو شمس أو قمر أو إنسانٍ كفرعون. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: 51].

الطاغوت: هو كل من هو رأس ضلالة وكل من ليس له قيمة في مكانه مثل الساحر. الطاغية من حيث فعله والطاغوت من فعل طغو (الناس جعلوه طاغوتاً) مثل فرعون لو لم يدّعي الألوهية لكان طاغية. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60]. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36].

الرذل: جمعه أراذل بمعنى النفاية. كل نفاية رذالة، والرذل من الناس هو الدون والذي يُعتبر نفايتهم ويحتقره الجميع. وفي الحديث: ما استرذل الله عبداً إلا حصر عنه العلم والأدب. ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشُّعَراء: 111] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: 27].

الزنيم: ملحق بالقوم وليس منهم أي، رجل بلا أصل ألحق نفسه بقوم. ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القَلَم: 13].

السفيه: نوعان: سفيه بالفعل وهو الذي لا يحسن التجارة وتصريف الأموال وقد ورد ذكره في القرآن مع التبذير وهو سفيه الدنيا. وسفيه القول وهو سفيه الآخرة لأنه سفيه القول والفكر. ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجنّ: 4] ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النِّساء: 5] وكل هذه الصفات التي ذكرناها لا تكون إلا لكافر.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والباء والتاء كلمةٌ واحدة. الجِبْت: السّاحر، ويقال الكاهن.

قال الخليل[2]: الجِبْتُ يفسر الكاهن، ويفسر الساحر.

قال الجوهري[3]: الجِبْتُ: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر، ونحو ذلك. وفي الحديث: **(الطيرة والعيافة والطرق من الجبت)**.

وهذا ليس من محض العربية، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي.

قال ابن منظور[4]: الجِبْتُ: كلُّ ما عُبِدَ مِن دون الله، وقيل: هي كلمة تَقَعُ على الصَّنَم والكاهن والساحر، ونَحْوِ ذلك. الشَّعبيُّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: 51]؛ قال: الجِبْتُ: السحر.

في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النِّساء: 51].

قال الطبري[5]: والصواب من القول في تأويل (يؤمنون بالجبت والطاغوت)

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) اللسان.
(5) جامع البيان.

أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلٰهين.

وذلك أن (الجبت والطاغوت) اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة أو خضوع له، كائناً ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان.

وإذا كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله، فقد كانت جبوتاً وطواغيت.

وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله، فكانا جبتين وطاغوتين.

قال البيضاوي[1]: والجِبْتُ في الأصل اسم صنم، فاستعمل في كل ما عبد من دون الله. وقيل: أصله الجِبْسُ، وهو الذي لا خير فيه، فقلبت سينه تاء.

قال الشعراوي[2]: «الجبت والطاغوت» هما صنمان لقريش، وذهب إليهما اليهود أصحاب التوراة الذين عندهم نصيب من الكتاب وخضعوا لهما، أو «الجبت» هو كل مَنْ يدعو لغير الله سواء أكان شيطاناً أم كاهناً أم ساحراً، فإذا كان هذا هو «الجبت» فـ«الطاغوت» من «طغى» وهو اسم مبالغة وليس «طاغياً»، بل «طاغوت» وهو الذي كلما أطعته في ظلم ارتقى إلى ظلم أكثر. وسواء أكان الجبت والطاغوت صنمين أم إلٰهين من الآلهة التي يتبعونها، المهم أن وفد اليهود خضعوا لهم وسجدوا، لكي تصدق قريش عداء اليهود لسيدنا رسول الله ﷺ.

قال ابن عاشور[3]: والجبت: كلمة معرّبة من الحبشية، أي: الشيطان والسحر؛ لأنّ مادة: جَـ ـ بَ ـ تَ مهملة في العربية، فتعيّن أن تكون هذه الكلمة

(1) أنوار التنزيل.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التحرير والتنوير.

دخيلة. وقيل: أصلها جبس: وهو ما لا خير فيه، فأبدلت السين تاء كما أبدلت في قول علباء بن أرقم: يا لَعَنَ الله بني السعْلات، عمرَو بنَ يَربوعٍ شرار النَّات، ليسوا أعفّاء ولا أكيات، أي شرار الناس ولا بأكياس. وكما قالوا: الجتّ بمعنى الجسّ.

جبر

(جبر - قهر - أكره - طغى)

■ **الجَبْر:** الجبار – في صفة الله – المقتدر الذي يفرض ما يشاء على عباده بالحكمة ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر: 23].

والجبار في صفة المخلوقين ذم ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15].

■ **القَهْر:** في حق الله: القهَّار: الغالب لمن ناوأه وكرهه أو عصاه ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 18].

وفي حق العبد الإذلال ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضّحى: 9].

■ **الإكْراه:** إجبار الآخر على شيء لكرهه ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ [النّور: 33].

■ **طَغَى:** تجاوز الحد في العصيان. قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: 17].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

كلمة جبّار وأخواتها في القرآن الكريم كلها تدل على الظلم والاستعلاء مع القوة.

جبّار: هو الذي يُجبر نقصه بإجبار الآخرين على أن يكونوا مثله، وهو إنسان ناقص ونتيجة ظروف معينة صار مسلّطاً على أناس كرام شرفاء فأذلهم. أن تكون

جباراً يعني أن تحمل الغير على أن يفعل أو لا يفعل لتسدّ نقصاً فيك. في صفة العبد تعني إنساناً ناقصاً لا يملك مؤهلات يتسلط بقوته فيبدأ يظلم الآخرين ويحملهم على فعل أو عدم فعل أشياء وفق أهوائه هو ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15]. أما في صفة الله تعالى فالجبار هو الذي يجبر نقص العبد فيعفو عن المذنب ويشفي المريض وغيره ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23].

قاهر: يضاف إلى صفات الجبار صفة واحدة وهي الإذلال أي: يتعمد إذلال الشرفاء الكرماء الذين يشعر بالنقص أمامهم فهو يجمع لهم الإرغام مع الإذلال ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]، ولذا جاء في الحديث: «**وأعوذ بك من قهر الرجال**». أما في صفة الله تعالى فقد قهر عباده بالموت والبعث. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18].

متكبر: نفس صفات جبار وقاهر ويضاف إليها الإعجاب بالنفس والزهوّ والتغنّي بالنفس. أما في حق الله تعالى فهو استحالة أن ينقاد لغيره سبحانه. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 27].

متعالي/عالي: العالي هو الذي يُعجب بنفسه ويحتقر غيره في الوقت نفسه. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: 46].

المجرم: هو الذي يفتك بغيره بحيلة بمعنى قد يزيّن لغيره أنه صديق ثم يغدر به، فهو إذن الذي يسبب الأذى لغيره بحيلة. وهناك فرق بين مجرم وجانٍ. فالمجرم هو الذي يسبب الأذى بحيلة أما الجاني فهو الذي يسبب الأذى لكن بدون حيلة. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: 75].

عُتُلٌّ: كل ما مضى من الصفات ويضاف إليها أنه يستطيع أن يستحوذ على غيره استحواذاً كاملاً تاماً بحيث لا يفلتون منه. ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: 13].

عاتي: من العُتُوّ وهي كل الصفات السابقة بالإضافة إلى كونه لا يُرجى صلاحه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 21] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8]. (عِتِيّاً هنا بمعنى لا صلاح فيه).

طاغية: كل ما مضى ويضاف إليها أنه يرفض أي منطق حق أو برهان ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 43].

وأضيف كلمة أشِر ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: 26].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والباء والراء أصلٌ واحد، وهو جِنْسٌ من العظَمة والعُلوّ والاستقامة. فالجَبَّار: الذي طَال وفاتَ اليد، يقال: فرسٌ جَبَّارٌ، ونخلة جَبَّارَةٌ. وذو الجبُّورة وذو الجَبَرُوت: الله جلّ ثناؤه.

قال الخليل[2]: الجَبْرُ: الاسم، وهو أن تجبر إنساناً على ما لا يريد، وتكرهه جبريةً على كذا. واجبر القاضي على تسليم ما قضى عليه.

والجَبْرُ: أن تَجْبُرَ كسراً، وتقول: جَبَرْتَه فَجَبَر.

والجُبَارُ: اسم يوم الثلاثاء في الجاهلية الجهلاء.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والجُبَارُ من الأرش: ما لا يهدر، والأرش: الدية، وفي الحديث: **(العجماء جبار)** أي ما اصاب الدابة فهو هدر.

والله تبارك وتعالى: الجَبَّارُ العزيز، أي: قهر خلقه، فلا يملكون من أمراً، وله التَجَبُّر، وهو التعظم.

ولله الجَبَرِيَّة والجَبَرُوت. والجبروة: لغة في الجبروت.

وفي الحديث: **(ما كانت نبوة إلّا تناسخها ملك جبرية)** أي: تَجَبَّرت الملوك.

والجَبَّارُ من الناس: العظيم في نفسه، الذي لا يقبل موعظة أحد.

قال الأزهري[1]: يقال: رجل جَبَّارٌ. إذا كان طويلاً عظيماً قوياً، تشبيهاً بالجَبَّار من النخيل.

وقال النبي ﷺ: **(العجماء جرحها جُبَار)**. الجُبَارُ: الهدر، ومعناه أن تنفلت البهيمة العجماء فتصيب في انفلاتها إنساناً أو شيئاً فجرحها هدر، وكذلك البئر العادية يسقط فيها الإنسان فيهلك فدمه هدر، والمعدن إذا انهار على حافره فقتله، فدمه هدر.

المعنى المشترك لكلمة (جبار):

إن الجبار في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الله عَزَّوَجَلَّ ، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ **[الحشر: 23]**.

والثاني: القتال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ **[الشعراء: 130]**، أي: قتالين للناس.

والثالث: المتكبر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: **32**].

---

(1) تهذيب اللغة.

والرابع: العظيم الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: 22]، أراد عظم خلقهم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59].

قال الفخر الرازي(1): والمراد من الجبار: المرتفع المتمرد.

قال ابن كثير(2): كفروا بها، وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء؛ لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل.

قال أبو السعود(3): كفروا بها بعد ما استيقنوها.

قال الشعراوي(4): والجحود هو النكران مع قوة الحجة والبرهان.

● **قال تعالى:** ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: 45].

قال ابن عاشور(5): تطمين للرسول ﷺ بأنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم لأنه إنما بُعث داعياً وهادياً، وليس مبعوثاً لإرغامهم على الإيمان، والجبّار مشتق من جبره على الأمر بمعنى أكرهه. وفرع عليه أمره بالتذكير لأنه ناشىء عن نفي كونه جبّاراً عليهم وهذا كقوله تعالى:

---

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) تفسير الشعراوي.
(5) التحرير والتنوير.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: 21-22]، ولكن خصّ التذكير هنا بالمؤمنين لأنه أراد التذكير الذي ينفع المذكَّر. فالمعنى: فذكر بالقرآن فيتذكّر مَن يخاف وعيد. وهذا كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النَّازعَات: 45].

قال ابن عطية[1]: نهى الله عن التجبر وتقدم فيه، فمعناه: وما أنت عليهم بمتعظم من الجبروت. وقال الطبري وغيره معناه: وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على الإيمان، ويقال جبرته على كذا، أي قسرته فـ «جبار» بناء مبالغة من جبر قال: أراد بـ «الجبار» النعمان بن المنذر لولايته، ويحتمل أن نصب عزمة على المصدر وأراد عصينا مقدمين عزمة جبار، فمدح نفسه وقومه بالعتو والاستعلاء أخلاق الجاهلية والحياة الدنيا، وروى ابن عباس أن المؤمنين قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: 45]. قال القاضي أبو محمد: ولو لم يكن هذا سبباً فإنه لما أعلمه أنه ليس بمسلط على جبرهم، أمره بالاقتصار على تذكير الخائفين من الناس.

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحَشر: 23].

قال الفخر الرازي[2]: أما (الجَبَّارُ) ففيه وجوه:

أحدها: أنه (فعال) من جبر إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير. قال الأزهري: وهو لعمري جَابِرُ كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه.

والثاني: أن يكون (الجَبَّار) من جبره على كذا، إذا أكرهه على ما أراده. قال السدي: إنه يقهر الناس ويجبرهم على ما أراده. قال الأزهري: هي لغة تميم.

(1) المحرر الوجيز. (2) التفسير الكبير.

وكثير من الحجازيين يقولونها. وكان الشافعي يقول: جبره السلطان على كذا بغير ألف. [ثم حكى قول الفراء المتقدم أنه من (أجبر) وقال:].

وعلى هذا القول: الجبار هو القهار.

الثالث: قال ابن الانباري: (الجَبَّار) في صفة الله: الذي لاينال، ومنه قيل للنخلة التي فاتت يد المتناول: جَبَّارة.

الرابع: قال ابن عباس: (الجَبَّار) هو الملك العظيم، قال الواحدي: هذا الذي ذكرناه من معاني (الجبار) في صفة الله، وللجبار معانٍ في صفة الخلق:

أحدها: المسلط، كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ [قٓ: 45].

والثاني: العظيم الجسم، كقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: 22].

والثالث: المتمرد عن عبادة الله، كقوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا﴾ [مريم: 32].

والرابع: القتال، كقوله: ﴿بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130]، وقوله: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: 19].

● **قال تعالى**: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم: 14].

قال الطبري[1]: يقول جل ثناؤه: ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً، يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه.

قال الفخر الرازي[2]: الصفة السابعة [ليحيى عليه السلام في الآية] ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب؛ وذلك من صفات المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: 159].

ولأن رأس العبادات معرفة الإنسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة

---

(1) جامع البيان. (2) التفسير الكبير.

والكمال. ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتجبر! ولذلك فإن إبليس لما تجبر وتمرد صار مبعداً عن رحمة الله تعالى وعن الدين.

وقيل: (الجبار) هو الذي لا يرى لأحد على نفسه حقاً، وهو من العظم والذهاب بنفسه عن أن يلزمه قضاء حق أحد.

وقال سفيان في قوله: (جباراً عصياً) أنه الذي يقبل على الغضب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 19].

وقيل: كل من عاقب على غضب نفسه من غير حق فهو جبار، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130].

وقيل: الجبار هو الذي لا يرى لأحد على نفسه حقاً، وهو من التعظيم والذهاب بنفسه، من أنه لا يلزمه قضاء حق لأحد، وقيل: من عاقب على غضب نفسه.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: 19].

قال الطبري(1): وكان من فعل الجبابرة: قتل النفوس ظلماً بغير حق. وقيل: إنما قال لموسى الإسرائيلي، لأنه كان عندهم من قتل نفسين، من الجبابرة.

قال الخازن(2): وقيل الجبار: هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب، وقيل: هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لأمر الله تعالى.

قال الألوسي(3): وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب، وقيل: المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى، وأصله على ما قيل: النخلة الطويلة، فاستعير لما ذكر إما باعتبار تعاليه المعنوي أو تعظمه.

---

(1) جامع البيان.
(2) لباب التأويل.
(3) روح المعاني.

وأخرج ابن المنذر عن الشعبي أنه قال: من قتل رجلين - أي بغير حق - فهو جبار، ثم تلا هذه الآية.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المَائدة: 22].

قال الطبري[1]: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب قوم موسى عليه السلام؛ إذ أمرهم بدخول الأرض المقدسة: أنهم أبوا عليه إجابة إلى أمرهم به من ذلك، واعتلوا عليه في ذلك، بأن قالوا: إن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها قوماً جبارين، لا طاقة لنا بحربهم، ولا قوة لنا بهم، وسموهم جبارين لأنهم كانوا بشدة بطشهم، وعظيم خلقهم - فيما ذكرنا - قد قهروا سائر الأمم غيرهم، وأصل الجبار: المصلح امر نفسه، وامر غيره، ثم استعمل في كل من اجتر إلى نفسه بحق أو باطل، طلب الإصلاح لها حتى قيل للمعتدي إلى ما ليس له بغياً على الناس، وقهراً، لهم وعتواً على ربه: جبار، وإنما هو (فعال) من قولهم: جبر فلان هذا الكسر، إذا أصلحه ولأمه.

قال الألوسي[2]: شديدي البطش متغلبين، لا تتأتى مقاومتهم ولا تجز لهم ناصية. والجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثي على القياس، لا من أجبره على خلافة كالحساس من الإحساس، وهو الذي يقهر الناس ويكرههم كائناً من كان، على ما يريده كائناً ما كان ومعناه في النخل: ما فات اليد طولاً. وكان هؤلاء القوم من العمالقة بقايا قوم عاد، وكانت لهم أجسام ليست لغيرهم.

---

(1) جامع البيان. (2) روح المعاني.

جبريل

جبريل

النصوص اللغوية:

قال الأصمعي[1]: جبرئيل وميكائيل: معنى (إيل) الربوبية، فأضيف جبر وميكا، إليه.

قال الزجاج[2]: (جبرين) بالنون أيضاً بدل اللام، وهي لغة بني أسد، وبتشديد اللام.

❋ ❋ ❋

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 98].

قال الماوردي[3]: قد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلم خصهما بالذكر؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهما خصا بالذكر تشريفاً لهما وتمييزاً.

والثاني: أن اليهود لما قالوا: جبريل عدونا، وميكائيل ولينا خصا بالذكر،

---

(1) الأضداد.
(2) معاني القرآن.
(3) النكت والعيون.

لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء لله وملائكته، لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة، فنص عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص، ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 98].

قال الألوسي(1): وأفرد الملكان بالذكر تشريفاً لهما وتفضيلاً، كأنهما من جنس آخر تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. وقيل: لأن اليهود ذكروهما ونزلت الآية بسببهما، وقيل: للتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر، واستجلاب العداوة من الله تعالى، وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع، لأن الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد وإن اختلف بحسب التوهم والاعتقاد، ولهذا أحب اليهود ميكائيل وأبغضوا جبريل. واستدل بعضهم بتقديم جبريل على ميكائيل على أنه أفضل منه وهو المشهور، واستدلوا عليه أيضاً بأنه ينزل بالوحي والعلم وهو مادة الأرواح، وميكائيل بالخصب والأمطار وهي مادة الأبدان، وغذاء الأرواح أفضل من غذاء الأشباح.

واعترض بأن التقديم في الذكر لا يدل على التفضيل؛ إذ يحتمل أن يكون ذلك للترقي أو لنكتة أخرى، كما قدمت الملائكة على الرسل وليسوا أفضل منهم عندنا، وكذا نزوله بالوحي ليس قطعياً بالأفضلية؛ إذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فلا بد في التفضيل من نص جلي واضح.

وأنا أقول بالأفضلية وليس عندي أقوى دليلاً عليها من مزيد صحبته لحبيب الحق بالاتفاق وسيد الخلق على الإطلاق ﷺ. وكثرة نصرته وحبه له ولأمته، ولا أرى شيئاً يقابل ذلك، وقد ثنى الله تعالى عليه بما لم يثن به ميكائيل بل ولا على إسرافيل وعزرائيل وسائر الملائكة أجمعين.

وأخرج الطبراني - لكن بسند ضعيف - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: (قال رسول الله عليه السلام: ألّا أخبركم بأفضل الملائكة؟ جبرائيل)

---

(1) روح المعاني.

وأخرج أبو الشيخ عن موسى بن عائشة، قال: (بلغني أن جبريل إمام أهل السماء).

● **قال تعالى:** ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4].

قال الزمخشري[1]: رأس الكروبيين، وقرن ذكره بذكره مفرداً له من بين الملائكة، تعظيماً له وإظهاراً لمكانته عنده.

قال ابن عطية[2]: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ يحتمل أن يكون عطفاً على اسم الله تعالى في قوله: (هو) فيكون ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ في الولاية، ويحتمل أن يكون (جبريل) رفعاً بالابتداء، وما بعده عطف عليه.

قال أبو حيان[3]: ويكون (وجبريل) مبتدأ وما بعده معطوف عليه، والخبر (ظهير) فيكون ابتداء الجملة بـ (جبريل) وهو أمين وحي الله، واختتامه بالملائكة. وبدى بـ (جبريل) وأفرد بالذكر تعظيماً له، وإظهاراً لمكانته عند الله، ويكون قد ذكر مرتين: مرة بالنص، ومرة في العموم، واكتنف (صالح المؤمنين) جبريل تشريفاً لهم واعتناء بهم؛ إذ جعلهم بين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون. فعلى هذا (جبريل) داخل في الظهراء لا في الولاية، ويختص الرسول بأن الله هو مولاه. وجوزوا أن يكون (وجبريل وصالح المؤمنين) عطفاً على اسم (الله) فيدخلان في الولاية ويكون (والملائكة) مبتدأ، والخبر (ظهير) فيكون (جبريل) داخلاً في الولاية بالنص، وفي الظهراء بالعموم.

---

(1) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

(3) البحر المحيط.

جَبَلَ

(جَبَلَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والباء واللام أصلٌ يطَّرد ويُقاس، وهو تجمُّع الشيء في ارتفاعٍ. فالجبل معروف، والجَبَل: الجماعة العظيمة الكثيرة.

والجِبِلَّة: الخَلِيقة. والجِبِلُّ: الجماعة الكثيرة. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يسٓ: 62]، وجُبُلاًّ أيضاً. ويقال: حَفَر القومُ فأجْبَلُوا: إذا بلغوا مكاناً صُلْباً.

قال الخليل[2]: الجَبَلُ: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال، من الأعلام والأطوار والشناخيب والأنضاد، فإذا صغر فهو من الآكام والقيران.

وجِبِلَّة الجَبَل: تأسيس خلقته التي جُبِل عليها.

وجِبِلَّةُ الأرض: صلابها.

وجِبِلَّةُ كل مخلوق: تُوسُهُ الذي طبع عليه.

ويقال للثوب الجيد النسج والغزل والفتل: إنه لجيد الجِبِلَّة.

وجِبِلَّة الوجه: بشرته.

ورجل جَبِلٌ الوجه، أي: غليظ بشرة الوجه.

والجِبِلُّ: الخَلْقُ، جَبَلَهُم الله، فهم مَجْبُولُون.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 184].

وجُبِلَ الإنسان على هذا الأمر، أي: طُبِعَ عليه.

قال أبو هلال(1): الفرق بين الناس والجِبِلَّة: أن الجِبِلَّة اسم يقع على الجماعات من الناس حتى يكون لهم معظم وسواد، وذلك أن أصل الكلمة: الغلظ والعظم، ومنه قيل: الجَبَل، لغلظه وعظمه. ورجل جَبِلٌ وامرأة جَبِلَةٌ: غليظة الخلق، وفي القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 184]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يسٓ: 62]، أي: جماعات مختلفة أمثالكم.

والجَبَل: أول الخلق، جَبَلَه: إذا خلقه الخلق الأول، وهو أن يخلقه قطعة واحدة قبل أن يميز صورته، ولهذا قال النبي ﷺ: (**جُبِلَتْ القلوب على حب من أحسن إليها**) **وذلك أن القلب قطعة من اللحم، وذلك يرجع إلى معنى الغلظ.**

وجَبَلَ الله الخلق يَجْبُلُهُم، ويَجْبِلُهُم: خلقهم.

وجَبَلَهُ على الشيء: طبعه.

المعنى المشترك لكلمة (جبل):

وردت كلمة (جبل) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الجبال: بمعنى البرد ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النُّور: 43].

الوجه الثاني: الجبال: بمعنى أربعة أجبل ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: 260].

الوجه الثالث: الجبال كلها ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطُّور: 10].

---

(1) الفروق في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد إذا اقتلعنا الجبل، فرفعناه فوق بني إسرائيل، كأنه ظلة غمام من الظلال.

قال الماوردي[2]: بمعنى جذبنه، والنَّتقُ: الجَذْبُ، ومنه قيل للمرأة الولود: نَاتِقٍ. ومعناه: ورفعناه عليهم من أصله.

واختلف في سبب رفع الجبل عليهم، هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم.

الثاني: كان إنعاماً لإقلاعهم به عن المعصية.

قال الزمخشري[3]: قلعناه ورفعناه، كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63]، ومنه نَتَقَ السقاء: إذا نفضه ليقتلع الزبدة.

وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها، فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ.

● قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74].

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.

قال الزجاج[1]: يروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا بيوتاً في الجبال، لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم.

قال الماوردي[2]: لتكون مساكنهم في الشتاء، لأنها أحصن وأبقى وأدفأ، فكانوا طوال الآمال طوال الأعمار.

قال البغوي[3]: كانوا ينقبون في الجبال البيوت، ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال، وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبإ: 6-7]

قال الطبري[4]: والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم.

قال ابن عطية[5]: وشبّه (الجبال) بـ(الأوتاد) لأنها تمسك وتثقل، وتمنع الأرض أن تميد.

قال القرطبي[6]: أي: لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها.

قال ابن كثير[7]: أي: جعلها لها أوتاداً أرساها بها، وثبتها وقررها، حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: 32].

قال الزمخشري[8]: وإرساء الجبال وإثباتها أوتاداً لها حتى تستقر ويستقر عليها.

---

(1) معاني القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) معالم التنزيل.
(4) جامع البيان.
(5) المحرر الوجيز.
(6) الجامع لأحكام القرآن.
(7) تفسير ابن كثير.
(8) الكشاف.

قال البيضاوي(1): أثبتها، وقرىء (والأرض والجبال) بالرفع على الابتداء، وهو مرجوح لأن العطف على فعلية ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: 32].

قال ابن كثير(2): أي: قررها وأثبتها وآكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقه الرحيم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: 19].

قال الطبري(3): وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبة لا تسقط، فتنبسط في الأرض، ولكنها جعلها بقدرته منتصبة جامدة، لا تبرح مكانها، ولا تزول عن موضعها.

قال الزمخشري(4): نصباً ثابتاً، فهي راسخة لا تميل ولا تزول.

قال ابن عطية(5): معناه: أثبتت قائمة في الهواء لا تنتطح.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: 47].

قال الماوردي(6): فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يسيرها. من السير حتى تنتقل عن مكانها، لما فيه من ظهور الآية وعظم الاعتبار.

الثاني: يسيرها: أي يقللها حتى يصير كثيرها قليلاً يسيراً.

الثالث: بأن يجعلها هباءً منثوراً.

قال البغوي(7): تسيير الجبال: نقلها من مكان إلى مكان.

قال الفخر الرازي(8): ليس في لفظ الآية ما يدل على أنها إلى أين تسير،

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) المحرر الوجيز.
(6) النكت والعيون.
(7) معالم التنزيل.
(8) التفسير الكبير.

فيحتمل أن يقال: أنه تعالى يسيرها إلى الموضع الذي يريده، ولم يبين ذلك الموضع لخلقه.

والحق أن المراد أنه تعالى يسيرها إلى العدم، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: 105-107]، لقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: 5-6].

● **قال تعالى:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: 105].

قال الطبري[1]: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال، فقل لهم: يذريها ربي تذرية، ويطيرها: يقلعها، واستئصالها من أصولها، ودك بعضها ببعض، وتصييره إياها هباءً منبثاً.

قال الزجاج[2]: النسف: التذرية، تصير الجبال كالهباء المنثور تذرى تذريةً.

قال ابن عطية[3]: وروي أن الله تعالى يرسل على الجبال ريحاً فتدكدكها حتى تكون ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: 5]، ثم يتوالى عليها حتى يعيدها كالهباء المنبث، فذلك هو النسف.

● **قال تعالى:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: 88].

قال الماوردي[4]: أي لا يرى سيرها لبعد أطرافها، كما لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه. وهذا مثل، وفيما ضرب له ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ضربه الله تعالى للدنيا، يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال، وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب، قاله سهل بن عبد الله.

الثاني: أنه ضربه الله للإيمان، تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعداً إلى السماء.

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) المحرر الوجيز.
(4) النكت والعيون.

الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسير إلى القدس.

قال القشيري[1]: وهذا يوم القيامة، أي: هي لكثرتها كأنها جامدة، أي: واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفسه تسير سير السحاب، والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير، أي: تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبإ: 20].

قال البغوي[2]: قائمة واقفة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: 88] أي: تسير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها، وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه، فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطُّور: 10].

قال الطبري[3]: وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيراً، فتصير هباءً منبثاً.

قال القرطبي[4]: قيل: تسير كسير السحاب اليوم في الدنيا.

قال النسفي[5]: في الهواء كالسحاب، لأنها تصير هباءً منثوراً.

● **قال تعالى**: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحَاقَّة: 14].

قال الطبري[6]: فزلزلتا زلزلة واحدة. وقيل: (فدكتا) وقد ذكر قبل الجبال والأرض، وهي جماع، ولم يقل: فدككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد.

(1) لطائف الإشارات.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) مدارك التنزيل.
(6) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بخلق من الملائكة، أو بقدرة الله من غير سبب.

والدك أبلغ من الدق. وقيل: فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، من قولك: اندك السنام: إذا انفرش، وبعير أدك، وناقة دكاء، ومنه الدكان.

قال الألوسي[2]: رفعتا من أحيازهما بمجرد القدرة الإلٰهية، من غير واسطة مخلوق أو بتوسط نحو ريح ملك، قيل: أو بتوسط الزلزلة، أي بأن يكون لها مدخل في الرفع، لأنها رافعة لهما حاملة إياهما، ليقال: إنها ليس فيها حمل وإنما هي اضطراب.

وقيل: يجوز أن يخلق الله تعالى من الأجرام العلوية ما فيه قوة جذب الجبال ورفعها عن أماكنها، أو أن يكون في الأجرام الموجودة اليوم ما فيه قوة ذلك إلّا أن في البين مانعاً من الجذب والرفع، وأنه يزول بعد فيحصل الرفع. وكذا يجوز أن يعتبر مثل ذلك بالنسبة إلى الأرض وأن تكون قوتا الجاذبين مختلفين، فإذا حصل رفع كل إلى غاية يريدها الله تعالى حدث في ذلك الجاذب ما لم يبق معه ذلك الجذب من زوال مسامته ونحوه، وحصل بين الجبال والأرض ما يوجب التصادم.

ويجوز أيضاً أن يحدث في الأرض من القوة ما يوجب قذفها للجبال، ويحدث للأرض نفسها ما يوجب رفعها عن حيزها، وكون القوى منها ما هو متنافر ومنها متحاب مما لا يكاد ينكر.

● **قال تعالى:** ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعَارج: 9].

قال الطبري[3]: وتكون الجبال كالصوف.

---

(1) الكشاف.

(2) روح المعاني.

(3) جامع البيان.

قال الماوردي[1]: يعني كالصوف المصبوغ، والمعنى أنها تلين بعد الشدة، وتتفرق بعد الاجتماع.

قال الواحدي[2]: كالصوف الأحمر في خفتها وسيرها.

قال البغوي[3]: كالصوف المصبوغ، ولا يقال: عهن إلّا للمصبوغ. وقال الحسن: كالصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف. وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً، ثم عهناً منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.

● **قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المُزمّل: 14].**

قال الطبري[4]: ورجفان ذلك: اضطرابه بمن عليه، وذلك يوم القيامة.

قال الفخر الرازي[5]: الرجفة: الزلزلة والزعزعة الشديدة.

قال عبد الكريم الخطيب[6]: إشارة إلى ما يحدث للأرض في هذا اليوم من اضطراب؛ حيث تشقق القبور وتخرج ما فيها؛ وحيث تموج بهذه الأمواج المتدافعة من الخلق الذين يساقون إلى المحشر، ورجفة الأرض والجبال، هي من رجفة الخلائق يوم البعث، من فزعهم من أحوال هذا اليوم العظيم، كما يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: 87].

● **قال تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: 14].**

قال عبد الكريم الخطيب[7]: إشارة أخرى إلى ما يصيب الجبال من أحداث هذا اليوم وشدته، وإنها تتفتت، وتنهار، وتبدو مثل كثيب من الرمل المهيل، أي: غير المتماسك.

---

(1) النكت والعيون.
(2) الوجيز.
(3) معالم التنزيل.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.
(6) تفسير الخطيب.
(7) تفسير الخطيب.

قال الألوسي[1]: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ مع صلابتها وارتفاعها ﴿كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعاً من كَثَب الشيء: إذا جمعه، فكأنه في الأصل فعيل بمعنى مفعول ثم غلب حتى صار له حكم الجوامد. والكلام على التشبيه البليغ. وقيل لا مانع من أن تكون رملاً حقيقة.

قال ابن عاشور[2]: للإشارة إلى تحقيق وقوعه حتى كأنه وقع في الماضي. ووجه مخالفته لأسلوب ﴿تَرْجُفُ﴾ [المُزمّل: 14] أن صيرورة الجبال كثباً أمر عجيب غير معتاد، فلعله يستبعده السامعون وأما رجف الأرض فهو معروف، إلاّ أن هذا الرجف الموعود به أعظم ما عرف جنسه.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المُرسَلات: 10].

قال الطبري[3]: وإذا الجبال نسفت من أصلها، فكانت هباءً منبثاً.

قال القرطبي[4]: قيل: النسف: تفريق الأجزاء حتى تذروها الرياح. ومنه نسف الطعام، لأنه يحرك حتى يذهب الريح بعض ما فيه من التبن.

قال أبو حيان[5]: أي: فرقتها الرياح، وذلك بعد التسيير، وقبل كونها هباءً.

● **قال تعالى**: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النّبَإ: 20].

قال الطبري[6]: ونسفت الجبال فاجتثت من أصولها، فصيرت هباءً منثوراً، لعين الناظر، كالسراب الذي يظن من يراه من بعد ماءً، وهو في الحقيقة هباء.

قال القرطبي[7]: أي لا شيء كما أن السراب كذلك، يظنه الرائي ماء وليس بماء.

---

(1) روح المعاني.
(2) التحرير والتنوير.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) البحر المحيط.
(6) جامع البيان.
(7) الجامع لأحكام القرآن.

قال البيضاوي[1]: مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التّكوير: 3].

قال الطبري[2]: وإذا الجبال سيَّرها الله، فكانت سراباً، وهباءً منبثاً.

قال الماوردي[3]: يعني ذهبت عن مكانها.

قال الزمخشري[4]: أي: عن وجه الأرض وأبعدت، أو سيرت في الجو تسيير السحاب.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القَارعَة: 5]

قال الطبري[5]: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش، والعِهْنُ: هو الألوان من الصوف.

قال الماوردي[6]: لخفته وضعفه، فشبه به الجبال لخفتها.

قال الزمخشري[7]: وشبة الجبال بالعهن، وهو الصوف المصبغ ألواناً لأنها ألوان، وبالمنفوش منه، لتفرق أجزائها.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يسٓ: 62].

قال الطبري[8]: ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه، واتخذوا دوني آلهة يعبدونها.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) النكت والعيون.
(4) الكشاف.
(5) جامع البيان.
(6) النكت والعيون.
(7) الكشاف.
(8) جامع البيان.

قال أبو السعود(1): أي والله لقد أضل منكم كثيراً أو صنفاً كثيراً عن ذلك الصراط المستقيم، الذي أمرتكم بالثبات عليه، فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها، وبقي مدى الدهر آثارها.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 184].

قال الفخر الرازي(2): والمراد أنه المتفضل بخلقهم وخلق من تقدمهم، ممن لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين.

قال الألوسي(3): أي: وذوي الجبلة، أي: الخلقة والطبيعة، أو المجبولين على أحوالهم التي بنوا عليها، وسبلهم التي قيضوا لسلوكها المتقدمين عليكم من الأمم.

وجاء في رواية عن ابن عباس: أن الجبلة: الجماعة إذا كانت عشر آلاف كأنها شبهت - على ما قيل - بالقطعة العظيمة من الجبل. وقيل هي الجماعة الكثيرة مطلقاً، كأنها شبهت بما ذكر أيضاً.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

جبين

(جبين - جبهة - ناصية)

- **الجَبِينُ:** واحد الجبينين جانب الجبهة ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103].
- **الجِبْهَةُ:** ما اكتنفها الجبينان، وهي موضع السجود ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التّوبَة: 35].
- **النَّاصِيَةُ:** موقع أول الشعر من الجبهة ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: 56].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والباء والنون ثلاث كلمات لا يقاس بعضها ببعض. فالجُبْنُ: الذي يؤكل، وربما ثقلت نونه مع ضم الباء. والجُبْنُ: صفة الجبان، والجَبِينَان: ما عن يمين الجبهة وشمالها، كل واحد منهما جبين.

والجَبِينُ: حرف الجبهة ما بين الصدغين، منفصلاً عن الناحية، كل ذلك جَبِينٌ واحد، وبعضهم يقول: هما جَبِينَان.

قال الجوهري(2): الجُبْنُ: هذا الذي يؤكل؛ والجُبْنَةُ أخصّ منه. والجُبْنُ أيضاً صفة الجَبانِ. والجُبُنُ بضم الجيم والباء لغةٌ فيهما. وبعضهم يقول جُبُنٌّ وجُبُنَّةٌ، بالضم والتشديد. وقد جَبَنَ فهو جَبانٌ، وجَبُنَ أيضاً بالضم فهو جَبِينٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

وقالوا: امرأة جَبانٌ، كما قالوا حَصانٌ ورزانٌ. وأَجْبَنْتُهُ: وجدتُهُ جَباناً. وجَبَّنْتُهُ تَجْبيناً: نسبته إلى الجُبْنِ.

ويقال: الولد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ، لأنّه يُحَبُّ البقاءُ والمالُ لأجله. والجَبَّانُ والجَبَّانَةُ بالتشديد: الصحراء. وتَجَبَّنَ الرجل: غَلُظَ. والجَبينُ فوق الصدغ، وهما جَبينانِ عن يمين الجبهة وشمالها.

قال الراغب[1]: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، فالجبينان جانبا الجبهة.

الأصل الواحد فيها ما يقابل الشجاعة، ويعبر عنه بالمهابة في الإقدام والتقدم إلى أمر، ويلازم التأخر والحذر والاتقاء.

وبمناسبة هذا المعنى يطلق على ﴿لِلْجَبِينِ﴾ فإنه وراء الجبهة، والرجل الشجاع يقدم جبهته، فكلن الجبين جبان ومتأخر عن جبهة البراز، مضافاً إلى أن الشجاعة تتجلى في الجبهة، كما أن الجبن يتجلى في الجبين.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103].

قال الطبري[2]: يقول: وصرعه للجبين، الجبينان، ما عن يمين الجبهة، وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

قال الشعراوي[3]: يعني: ألقاه على وجهه، أو على جنبه، قالوا: كان ذلك بمشورة الولد، حتى لا يرى أبوه وجهه ساعةَ يذبحه، فتأخذه الشفقة به، فلا يذبح، وكأن الولد يُعين والده ويساعده على إتمام الأمر، وهكذا ظهر الاستسلام

(1) مفردات الراغب.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير الشعراوي.

واضحاً، فالولد مُلقىً على الأرض، والوالد في يده السكين، يحاول بالفعل ذَبْح ولده، وأيّ ولد؟ ولده الوحيد الذي رُزِق به على كِبَر.

قال الزمخشري[1]: صرعه على شقه، فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد، ليرضيا الرحمٰن ويخزيا الشيطان. وروى أن ذلك كان عند الصخرة التي بمنى، وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منىٰ. وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم. فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلما أسلما وتله للجبين.

قال ابن عطية[2]: ﴿لِلْجَبِينِ﴾ معناه لتلك الجهة وعليها وكما يقولون في المثل: لليدين والفم وكما تقول: سقط لشقه الأيسر، وقال ساعدة بن جوبة: «وظل تليلاً للجبين والجبينان ما اكتنف الجبهة من هنا وهنا»، وروي في قصص هذه الآية أن الذبيح قال لأبيه: «اشدد رباطي بالحبل لئلا اضطراب واصرف بصرك عني، لئلا ترحمني ورد وجهي نحو الأرض»، قال قتادة: كبه لفيه وأخذ الشفرة، والتل للجبين ليس يقتضي أن الوجه نحو الأرض بل هي هيئة من ذبح للقبلة على جنبه.

(1) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

حَبه

(حَبَهَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والباء والهاء كلمة واحدة، ثم يشبه بها، فالجَبْهَةُ: الخيل، والجَبْهَةُ من الناس: الجماعة. والجَبْهَةُ: كوكب، يقال: هو جَبْهَةُ الأسد.

ومن الباب قولهم: جبهاء الماء، إذا وردناه وليست عليه قامة ولا أداة. وهذا من باب لأنهم قابلوه وليس بينهم وبينه ما يستعينون به على السقي.

والعرب تقول: (لكل جابه جوزة، ثم يؤذن)، فالجابه ما ذكرناه، والجوزة: قدر ما يشرب ثم، ويجوز.

قال الخليل[2]: الجَبْهَةُ: مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية.

وجَبَهْتُهُ: استقبلته بكلام فيه غلظ.

قال الجوهري[3]: الجَبْهَةُ للإنسان وغيره، ورجل أَجْبَهُ بَيِّنُ الجَبَهِ، أي: عظيم الجَبْهَة، وامرأة جَبّهَاءُ، وبتصغيره سمي جُبَيْهَاءُ الأشجعي.

والجَبْهَة: جَبْهَةُ الأسد، وهي أربعة أنجم ينزلها القمر. والجَبْهَةُ من الناس: الجماعة.

وَجَبَهْتُهُ: صككت جَبْهَتَهُ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التّوبَة: 35].

قال أبو السعود[1]: لأن جمعهم لها وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية، أو لأنهم أزوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد، أو لأنها أصول الجهات التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه.

قال الألوسي[2]: ويبقى عليه نكتة الاقتصار على هذه الأربع من بين الجهات الست، وتكلف لها بعضهم بأن الكانز وقت الكنز لحذره من أن يطلع عليه أحد يلتفت يميناً وشمالاً وأماماً ووراءً، ولا يكاد ينظر إلى فوق أو يتخيل أن أحداً يطلع عليه من تحت، فلما كانت تلك الجهات الأربع مطمح نظره ومظنه حذره دون الجهتين الأخريين اقتصر عليها دونهما، وهو مع ابتنائه على اعتبار الدفن في الكنز في حيز المنع، كما لا يخفى.

وقيل: إنما خصت هذه المواضع، لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل، وفيه أن البطن كذلك، وفي جمعه مع الظاهر لطافة أيضاً.

وقيل: لأن الجبهة محل الوسم لظهورها، والجنب محل الألم، والظهر محل الحدود، لأن الداعي للكانز على الكنز وعدم الإنفاق خوف الفقر الذي هو الموت الأحمر، حيث أنه سبب للكد وعرق الجبين والاضطراب يميناً وشمالاً، وعدم

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

استقرار الجنب لتحصيل المعاش مع خلو المتصف به عما يستند إليه ويعول في المهمات عليه، فلملاحظة الأمن من الكد وعرق الجبين تكوى جبهته، ولملاحظة الأمن من الاضطراب والطمع في استقرار الجنب يكوى جنبه، ولملاحظة استناد الظهر والاتكال على ما يزعم أنه الركن الأقوى والوزر الأوقى يكوى ظهره، وقيل: غير ذلك، وهي أقوال يشبه بعضها بعضاً، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

قال الشعراوي[1]: لماذا خَصَّ الله هذه الأماكن بالعذاب؟ لأن كل جارحة من هذه الجوارح لها مدخل في عدم إنفاق المال في سبيل الله. كيف؟ مثلاً: تجدون الوجه هو أداة المواجهة، وإذا رأيت إنساناً فقيراً متجهاً إليك ليطلب صدقة، وأنت تعرف أنه فقير وقد جاءك لحاجته الشديدة، فإن كان أول ما تفعله حتى لا تؤدي حق الله أن تشيح بوجهك عنه، أو تعبس ويظهر على وجهك الغضب، فإن هذا الفقير يحس بالمهانة والذلة؛ لأن الغني قد تركه وابتعد عنه، فإذا لم تنفع إشاحة الوجه واستمر الفقير في تقدمه من الغني، فإنه يعرض عنه بأن يدير له جنبه ليحس بعدم الرضا، فإذا استمر الفقير واقفاً بجانبه فإنه يعطي له ظهره. إذن: فالجوارح الثلاث قد تشترك في منع الإنفاق في سبيل الله، وهي الوجه الذي أداره بعيداً، ثم أعطاه جانبه، ثم أعطاه ظهره. هذه هي الجوارح الثلاث التي تشترك في منع حق الله عن الفقير، ولذلك لا بد أن تُعذَّب فَتُكْوى الجباه والجنوب والظهور.

---

(1) تفسير الشعراوي.

جبى

(جبى - آثر - اصطفى - اختار - اختص)

- **اجْتَبَى:** جمع شيئاً يحبه إلى سائر ما ومن يحب ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القَلَم: 50].
- **آثَرَ:** حدد محبوباً لنفسه هو على سائر من يحب لأثر خفي. فالأثر: فضل والإيثار تفضيل ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يُوسُف: 91].
- **اصْطَفَى:** حدد من يرفعهم في نفسه على الآخرين ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 42].
- **اخْتَارَ:** حدد من يصلح لوظيفة خاصة من بين آخرين ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعرَاف: 155].
- **اخْتَصَّ:** حدد من يستحق فضله المتميز ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: 105].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والباء وما بعده من المعتل أصل واحد، يدل على جمع الشيء والتجمع، يقال: جَبَيْتُ المال أجْبِيه جِبَايَةً، وجَبَيْتُ الماء في الحوض. والحوض نفسه: جَابِيَة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: جَبَيْتُ الخراج جِبَايَةً، أي: جمعته وحصلته. وجَبَى المستقي الماء في الحوض جَبْياً وجِبًى.

والجَبَى: محفر البئر.

والجَابِيَة: حوض ضخم واسع، تشرب منه الإبل في مركو من الأرض.

واجْتَبَى الرجل الرجل: إذا قربه، قال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم: 50]، أي: قربه.

قال الجوهري[2]: الجَبَا بالفتح، مقصور: نَثِيلَة البئر، وهي ترابها الذي حولها تراه من بعيد، ومنه: امرأة جَبْأَى على (فعلى) مثال وَحْمَى، إذا كانت قائمة الثديين.

والجِبَى بالكسر، مقصوراً: الماء المجموع في الحوض للإبل، وكذلك الجِبْوَة والجِبَاوَة.

والجَابِيَة: الحوض الذي يُجْبَى فيه الماء للإبل.

والجمع: الجَوَابِي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سَبَإ: 13].

والجَابية: مدينة بالشام. وجَبَيْتُ الخراج جِبَايَةً وجَبَوْتُه جِبَاوَةً، ولا يهمز وأصله الهمز.

والإجْبَاءُ: بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه، وفي الحديث: **(من أَجْبَى فقد أَرْبَى)** وأصله الهمز. واجْتَبَى الشيء: اختاره، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ [الأعرَاف: 203]، معناه عند ثعلب: جئت بها من نفسك.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57].

قال الطبري(1): يجمع إليه وهو من قولهم: جبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه، وإنما أريد بذلك: يحمل إليه ثمرات كل بلد.

قال البغوي(2): قرأ أهل المدينة (تُجْبَى) بالتاء لأجل الثمرات، والآخر بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل، أي: يجلب ويجمع.

قال الفخر الرازي(3): يجمع، من قولهم: جبيت الماء في الحوض: إذا جمعته. قرأ أهل المدينة (تجبى) بالتاء، وأهل الكوفة وأبو عمرو بالياء، وذلك أن تأنيث (الثمرات) تأنيث جمع وليس بتأنيث حقيقي، فيجوز تأنيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى.

● قال تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 121].

قال الطبري(4): اصطفاه واختاره لخلته.

قال الزمخشري(5): اختصه واصطفاه للنبوة.

قال الفخر الرازي(6): أي: اصطفاه للنبوة. والاجتباء هو أن تأخذ الشيء بالكلية، وهو (افتعال) من جبيت، وأصله: جمع الماء في الحوض، والجابية هي الحوض.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) التفسير الكبير.

قال الألوسي[1]: أصل الاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء، ويطلق على تخصيص الله تعالى العبد بفيض إلٰهي، يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي منه، ويكون للأنبياء عليهم السلام ومن يقاربهم.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طٰه: 122].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: ما معنى (ثم اجتبيه ربه) ؟ قلت: ثم قبله بعد التوبة وقربه إليه، من جبى إلى كذا فاجتبته. ونظيره: جليت على العروس فاجتليتها، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ [الأعراف: 203]، أي: هلا جبيت إليك فأجتبيها. وأصل الكلمة: الجمع، ويقولون: اجتبت الفرس نفسها، إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار.

قال الطنطاوي[3]: والاجتباء: الاصطفاء والاختيار، أي: ثم بعد أن أكل آدم من الشجرة، وندم على ما فعل هو وزوجه، اجتباه ربه أي: اصطفاه وقربه واختاره.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: 50].

قال الطبري[4]: فاجتبى صاحب الحوت ربه، يعني: اصطفاه واختاره لنبوته.

قال الزمخشري[5]: فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه، كما قال: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طٰه: 122].

قال البيضاوي[6]: بأن رد الوحي إليه، أو استنبأه، إن صح أنه لم يكن نبيّاً قبل هذه الواقعة.

---

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحجّ: 78].

قال الطبري[1]: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه، والجهاد في سبيله.

قال الفخر الرازي[2]: معناه أن التكليف تشريف تعالى للعبد، فلما خصكم بهذا التشريف فقد خصكم بأعظم التشريفات، واختاركم لخدمته والاشتغال بطاعته، فأي رتبة أعلى من هذا، وأي سعادة فوق هذا، ويحتمل في اجتباءكم: خصكم بالهداية والمعونة والتيسير.

قال القرطبي[3]: أي: اختاركم للذب عن دينه، والتزام أمره، وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة، أي وجب عليكم أن تجاهدوا، لأن الله اختاركم له.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203].

قال الطبري[4]: هلا اخترتها واصطفيتها، من قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: 179]، يعني يختار ويصطفي.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه هلا افتعلتها من قبل نفسك واختلقتها؟ بمعنى هلا اجتبيتها اختلاقاً؟ كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر، وتخيره اختلاقاً. وقال آخرون: معنى ذلك: هلا أخذتها من ربك، وتقبلتها منه.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال تأويله: هلا أحدثتها من

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.

نفسك، لدلالة قول الله: ﴿. . . قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ. . .﴾ يبين ذلك ان الله إنما أمر نبيه ﷺ بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه، أنه يتبع ما ينزل عليه ربه، ويوحيه إليه، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولاً، وينشئه، فيدعو الناس إليه.

قال الزجاج[1]: أي: هلا اختلقتها، أي: هلا أتيت بها من نفسك، فأعلمهم ﷺ أن الآيات من قبل الله جل ثناؤه.

قال الماوردي[2]: هلا اخترتها لنفسك.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 87].

قال الطبري[3]: واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه، كالذي اخترنا ممن سمينا، يقال منه: اجتبى فلان لنفسه كذا: إذا اختاره واصطفاه، يجتبيه اجتباءً.

قال البغوي[4]: اخترناهم واصطفيناهم.

قال ابن عاشور[5]: والاجتباء: الاصطفاء والاختيار، قالوا: هو مشتقّ من الجَبْي، وهو الجمع، ومنه جباية الخَراج، وجَبْيُ الماء في الحَوض الّذي سمّيت منه الجابية، فالافتعال فيه للمبالغة مثل الاضطرار، ووجه الاشتقاق أنّ الجمع إنّما يكون لشيء مرغوب في تحصيله للحاجة إليه. والمعنى: أنّ الله اختارهم فجعلهم موضع هديه لأنّه أعلَم حيث يجعل رسالته ونبوءته وهديَه.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 179].

---

(1) معاني القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) معالم التنزيل.
(5) التحرير والتنوير.

قال الزمخشري[1]: فيخبره ببعض المغيبات ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران: 179]، بأن تقدروه حق قدره، وتعلموه وحده مطلعاً على الغيوب، وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلّا ما علمهم الله، ولا يخبرون إلّا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء.

قال ابن عطية[2]: معناه يختار ويصطفي، وهي: من جبيت الماء والمال.

قال الفخر الرازي[3]: أي: ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء، فخصهم بإعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق. ويحتمل: ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيمتحن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يتميز الفريقان بالامتحان ويحتمل أيضاً أن يكون المعنى: وما كان الله ليجعلكم كلكم عالمين بالغيب، من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول، بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة، ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6].

قال ابن عاشور[4]: والاجتباء: الاختيار والاصطفاء. وتقدّم في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾ في سورة الأنعام (87)، أي: اختياره من بين إخوته، أو من بين كثير من خلقه. وقد علم يعقوب عليه السلام ذلك بتعبير الرؤيا ودلالتها على رفعة شأنه في المستقبل، فتلك إذا ضُمّت إلى ما هو عليه من الفضائل آلت إلى اجتباء الله إياه، وذلك يؤذن بنبوءته. وإنّما علم يعقوب عليه السلام أنّ رفعة يوسف عليه السلام في مستقبله رفعة إلهية لأنّه عَلِمَ أن نعم الله تعالى متناسبة فلمّا كان ما ابتدأه به من النعم اجتباءً وكمالاً نفسيّاً تعيّن أن يكون ما يلحق بها، من نوعها.

---

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) التحرير والتنوير.

قال الطنطاوي[1]: ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ من الاجتباء بمعنى الاصطفاء والاختيار، مأخوذ من جبيت الشيء: إذا اخترته لما فيه من النفع والخير.

● **قال تعالى**: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبإ: 13].

قال الزجاج[2]: أكثر القراء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل الوقف بالياء، إلّا أن الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولام الوقف عليها بغير ياء، تقول: هذه جواب، فأدخلت الألف واللام، وترك الكلام على ما كان قبل دخولهما. والجوابي: جمع جابية، والجابية: الحوض الكبير.

قال الزمخشري[3]: الجوابي: الحياض الكبار. لأن الماء يجبى فيها، جعل الفعل لها مجازاً، وهي من الصفات العالية كالدابة. قيل: كان يقعد على الجفنة ألف رجل. وقرىء بحذف الياء اكتفاء بالكسرة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: 6].

قال الألوسي[4]: أي: كالحياض العظام، جمع جابية، من الجباية، أي: الجمع. فهي في الأصل مجاز في الطرف أو النسبة، لأنها يجبى إليها لا جابية، ثم غلبت على الإناء المخصوص غلبة الدابة في ذوات الأربع، وجاء تشبيه الجفنة بالجابية في كلامهم.

---

(1) الوسيط في تفسير القرآن.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) روح المعاني.

جثّ

(جثّ (اجتثّ) - قطع - قلع - نزع - صرم)

شرح المعاني:

كل هذه الكلمات تعني القطع والقلع عموماً لكن لكل منها معنى منفرداً بها لا يكون لغيرها.

اجتث: الجَثُّ يقال عندما تكون الشجرة بالية واهية والجذور واهنة فلم يعد لها قيمة بل المطلوب التخلص منها. ولهذا كلمة الكفر تافهة مهما كانت جذورها عميقة لكنها واهنة، والاجتثاث يكون من الجذور. أما الإسلام فهو كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

والاجتثاث من الجُثَّة بمعنى الجسد بلا روح. قلعت من فوق الأرض لأن جذورها واهنة تُقتلع بلا مشقة. والاجتثاث عموماً هو: قطع الشيء الواهن من الجذر الواهن.

القلع: يقال للشجرة المثمرة الحيّة لنقلها إلى مكان آخر. وقوله تعالى: يا سماء أقلعي بمعنى نقل المطر إلى مكان آخر. ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44].

أما الإقلاع: ترك الشيء لانشغاله بشيء آخر. أما الترك فهو ترك الشيء لزهده فيه أو فشله فيه أو لرداءته.

قطع: نزع جذع الشجرة من فوق الجذور بحيث يبقى الجذر في الأرض. والقطع يُعدّ تخريباً. ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 33]. ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يُوسُف: 31].

النزع: يقال لشيء تلبّس بغيره مثل شجرة ملتفّة الأغصان التفّت تماماً على شجرة أخرى. ولهذا استعملت كلمة النزع مع الملك في القرآن الكريم: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26] لأن المالك حريص على ملكه حرصاً شديداً. وفي قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: 1] لأن الكافر متمسك بحياته الدنيا وعند خروج روحه تُنزع نزعاً لحرصه عليها. وفي قصة موسى عليه السلام: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: 108] المعجزة هي سحب يده بصعوبة من جيبه.

الصرم: قطع الثمر فقط. ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: 17].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والثاء يدلّ على تجمُّع الشيء. وهو قياسٌ صحيح. فالجُثَّة جُثَّة الإنسان، إذا كان قاعداً أو نائماً. والجُثّ: مجتمِعٌ من الأرض مرتفِعٌ كالأكَمَة.

قال الخليل[2]: الجَثُّ: قطعك الشيء من أصله، والاجتثاث أوحى منه، واللازم: انْجَثَّ واجتث أيضاً. وشجرة مُجْتَثَّة: لا أصل لها في الأرض.

والمُجْتَثُّ من (العروض) (مستفعلن فاعلات) مرتين. ولا يجيء من هذا النحو أنقص منه ولا أطول إلّا بالزحاف.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال ابن منظور[1]: الجَثُّ: القَطْعُ؛ وقيل: قَطْعُ الشيء من أَصله؛ وقيل: انتزاعُ الشجر من أُصوله؛ والاجْتثاث أَوْحى منه؛ يقال: جَثَثْته، واجْتَثَثْته، فانجَثَّ.

قال الجوهري[2]: الجُثَّةُ: شخص الإنسان قاعداً أو نائماً. وجَثَّهُ: قلعه. واجْتَثَّهُ: اقتلعه. والجَثيثُ من النَخل: الفَسِيلُ. والجَثيثةُ: الفَسيلةُ. ولا تزال جثيثةً حتى تُطْعِمَ، ثم هي نخلة. والجَثُّ بالفتح: الشَمَع، ويقال هو كلّ قذًى خالط العسلَ من أجنحة النحل وأبدانها. قال ساعدة بن جُؤَيَّةَ: لدى الثَوْلِ يَنْفي جَثَّها ويَؤُومُها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

قال القرطبي[3]: جثه: قلعه، واجتثه: اقتلعه من فوق الأرض، أي ليس لها أصل راسخ يشرب بعروقه من الأرض.

قال ابن عطية[4]: والظاهر عندي أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت فيها هذه الأوصاف، فالخبث، هو أن تكون العضاه، أو كشجر السموم أو نحوها، إذا اجتثت - أي اقتلعت، حيث جثتها بنزع الأصول وبقيت في غاية الوهاء والضعف - لتقلبها أقل ريح. فالكافر يرى أن بيده شيئاً وهو لا يستقر ولا يغني عنه، كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد أو للجهل بها أنها شيء نافع وهي خبيثة الجني غير باقية.

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) المحرر الوجيز.

قال الشعراوي[1]: فالاجتثاث هو استئصالُ الشيء من أصله وقَلْعه من جذوره، أما المقابل في الشجرة الطيبة فأصلها ثابت لا تُخلخله ظروف أو أحداث، والكلمة الخبيثة بلا جذور لأنها مُجْتثّة؛ وليس لها قَرار تستقر فيه.

قال العزّ بن عبد السلام[2]: اجتثت اقتلبعت من أصلها.

(1) تفسير الشعراوي.

(2) التفسير العظيم.

جثم

(جثم - جثى - جلس - قعد)

- **الجُثُومُ:** الجلوس الطويل بلا حراك ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78].
- **الجُثُوُّ:** الجلوس على الركبتين ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28].
- **الجُلُوسُ:** بمكان بعد قيام ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ [المجادلة: 11].
- **القُعُودُ:** ما كان بعد نوم ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

* * *

شرح المعاني:

جثا: الجلوس على الركبة ولا يكون إلا من خوف أو تضرع أو تذلل. قد يكون الجثو في النار ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72] أو في ساعة المحشر في ساعة الحشر يؤتى بالنار فما من أحد يراها إلا يجثو على ركبتيه من الخوف. حتى الصالحون حينما يرون هول المحشر يجثون على الركب في ساعة الحساب ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 28]. أو من شدة الخوف يجثو الإنسان على ركبتيه. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: 68].

جثم: الجاثم يأخذ هيئة الجلوس ولكنه ثقيل جداً فيبدو كأنه التصق

بالأرض. شديد الثقل الذي وقع قفاه أو إسته على الأرض فلا يقوم لضخامة جثته. ولذا يقال جثمان لأنه صار ثقيلاً جداً.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78].

جلس: إذا كان الشخص واقفاً فجلس وعكسها وقف. وهي حركة يومية كل واقف يجلس فيجلس للحكم والقضاء والعلم والراحة من وقوف طويل.

قعد: عكسها قام وهو ليس حركة يومية لكنها تدل على هيئة وعمل معين. القيّم والقائم والقوام وعكسه المتخاذل والبليد. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: 9] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 90] والمتخلف عن الخير يقال له قاعد ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 68]. والقعود من التخاذل وليس للراحة ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]. ويقال: قام فلان للشيء إذا صار راعياً لشؤونه ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: 191] (أي في حالتي الانهماك بالعمل والراحة) أي: في حال النشاط والعزم والجد كالمجاهد والتاجر وفي حال الراحة أو التعب والكسل والمرض والنعس. فالقيام ليس وقوفاً لكنه أن تكون مشغولاً ومنهمكاً في عمل هام مثل قيام الليل فلم يقل وقوف الليل. مثال أن يقال: أناس قاموا بالحرب وآخرين قعدوا عن الجهاد.

اتكأ: الاتكاء يكون للراحة والترف والسعادة ودليل الأبهة والرفعة والراحة ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ [الرحمن: 54] ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: 56] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13].

استند: تقال في حال الضعف بمعنى يسند حتى لا يقع ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ

﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4]. والاتكاء والاستناد جلسة. والمهموم لا يتكىء إنما يجثوعلى ركبتيه.

استوى: جلس متمكناً مع سيطرة كاملة (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك). استوى على العرش: الاستواء لله تعالى تأتي بمعنى استولى لأنه سبحانه ليس كمثله شيء وليس فعله كفعل أي من البشر. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59] ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والثاء والميم أصل صحيح، يدل على تجمع الشيء. فالجُثْمَانُ: شخص الإنسان، وجَثَمَ: إذا لطىء الأرض، وجَثَمَ الطائر يَجْثُمُ. وفي الحديث: (نهي عن المُجَثَّمةُ) وهي المصبورة على الموت.

قال الخليل[2]: جَثَمَ يَجْثُمُ جُثُوماً، أي: لزم مكاناً لا يبرح. وفي بعض الوصف: إذا شرب على العسل، جثم على المعدة، ثم قذف بالداء.

والجَاثُوم: الكابوس، أي: الديثان.

والجَثَّامَةُ: الرجل البليد، والسيد الحليم.

والجُثْمَان: بمنزلة الجسمان، جامع لكل شيء، تريد جسمه وألواحه.

والجُثُوم للطير كالربوض للغنم.

و(نهي عن المُجَثَّمَة) وهي المصبورة من الطير والأرانب وأشباههما، مما يَجْثِمُ بالأرض إذا لزمتها ولبدت عليها، فإن حبسها إنسان قيل: جَثَمَها فهي مُجَثَّمَة، أي: محبوسة، فإن فعلت هي، قيل جَثَمَتْ فهي جَاثِمَةٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهري[1]: جَثَمَ الطائر، أي: تلبد بالأرض، يَجْثِمُ ويَجْثُم جُثُوماً، وكذلك الإنسان.

قال الأزهري[2]: [وقيل:] الجَثَّامَةُ: الرجل الذي لايبرح بيته؛ وهو اللُّبَّدُ أيضاً.

من لا يسافر ولا يترك منزله.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78].

قال الطبري[3]: يعني سقوطاً صرعى لا يتحركون، لأنهم لا أرواح فيهم قد هلكوا، والعرب تقول للبارك على الركبة: جَاثِمٌ.

قال الماوردي[4]: وفي الجاثم قولان:

أحدهما: أنه البارك على ركبتيه، لأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال.

والثاني: معناه أنهم أصبحوا كالرماد الجاثم، لأن الصاعقة أحرقتهم.

وقيل: أنه كان بعد العصر.

قال الزمخشري[5]: ﴿جَٰثِمِينَ﴾ هامدين لا يتحركون موتى، يقال: الناس جُثْمٌ، أي: قعود لا حراك بهم ولا ينسبون نسبة، ومنه المُجَثَّمَةُ التي جاء النهي عنها، وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.
(5) الكشاف.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هُود: 67].

قال الطبري[1]: قد جثمتهم المنايا، وتركتهم خموداً بأفنيتهم.

قال الماوردي[2]: في ﴿جَٰثِمِينَ﴾ وجهان: أحدهما: [قول ابن زيد المتقدم]، والثاني: هلكى بالجثوم.

وفي الجثوم تأويلان: أحدهما: أنه السقوط على الوجه، والثاني: أنه القعود على الركب.

قال الفخر الرازي[3]: الجثوم هو السكون، يقال للطير إذا باتت في أوكارها: أنها جثمت، ثم أن العرب أطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت، فوصف الله تعالى هؤلاء المهلكين بأنهم سكنوا عند الهلاك، حتى كأنهم أحياء.

قال القرطبي[4]: أي: ساقطين على وجوههم، قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

جثو - ي

(جثو - ي)

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الجُثْوَةُ: تراب مجموع كهيئة القبر.

والجثو: مصدر الجاثي، والجُثُوّ أيضاً.

قال الأزهري[2]: وفي الحديث: **(فلان من جثى جهنم)**. وله معنيان فيما فسر قال أبو عبيد:

أحدهما: أنه ممن يجثو على الركب فيها.

والآخر: أنه من جماعات أهل جهنم، على رواية من روى (جثى) بالتخفيف.

ومن رواه **(من جُثِيِّ جهنم)** بتشديد الياء، فهو جمع الجاثي، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريَم: 68].

وفي الحديث: **(من دعا دعاء الجاهلية فهو من جثى جهنم)** أي: من جماعتها، ويروى **(من جُثِيِّ جهنم)** وهو جمع: جاثٍ.

والجَثْوَةُ: تراب مجموع كهيئة القبر.

ويقال: جِثْوَةٌ وجَثْوَةٌ وجُثْوَةٌ من النار، أي: قطعة منها؛ وكذلك من الشجرة إذا قطعتها فأبقيت أصلها[3].

---

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

(3) اللسان.

والجَثَى: الأنصاب التي تذبح عليها الذبائح.

والجُثَى: الجاثوم بالليل.

والجَثَاءُ: الشخص كالجماء، والجَثَاءُ كذلك.

والجَثَاءُ: الجزاء أيضاً والقدر؛ جَثَاءُ القوم كذا، أي: زهاؤهم.

قال الجوهري[1]: الجُثوَة والجَثوَة والجِثْوَة، ثلاث لغات: الحِجَارة المجموعة.

وجُثَى الحرم بالضم وجِثَى الحرم أيضاً بالكسر: ما اجتمع فيه حجارة الجمار.

وجَثَا على ركبيته يَجْثُو ويَجْثِي جَثْياً وجُثُوّاً، على (فعول) فيهما، وأَجْثَاهُ غيره.

وقوم جِثِيٌّ أيضاً، مثل جلس جلوساً وقوم جلوس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72]، و(جِثِيّاً) أيضاً بكسر الجيم لما بعدها من الكسرة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28].

قال الزمخشري[2]: باركة مستوفزة على الركب. وقرىء (جاذية)، والجذو أشد استيفازاً من الجثو، لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه.

قال الألوسي: باركة على الركب مستوفزة، وهي هيئة المذنب الخائف المنتظر لما يكره.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الكشاف.

قال الطنطاوي[1]: ﴿جَاثِيَةً﴾ من الجثُو وهو الجلوس على الركب بتحفز وترقب وخوف. يقال: جثا فلان على ركبتيه يجثو جثواً وجثيّاً، إذا برك على ركبتيه وأنامله في حالة تحفز، كأنه منتظر لما يكرهه. أي: وترى - أيها العاقل - في هذا اليوم الذي تشيب من هوله الولدان، كل أمة من الأمم متميزة عن غيرها، وجاثية على ركبها، مترقبة لمصيرها في تلهف وخوف، فالجملة الكريمة تصور أهوال هذا اليوم، وأحوال الناس فيه، تصويراً بليغاً مؤثراً، يبعث على الخوف الشديد من هذا اليوم، وعلى تقديم العمل الصالح الذي ينفع صاحبه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: 19].

● **قال تعالى**: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريَم: 68].

قال الطبري[2]: والجثي: جمع الجاثي.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت ما معنى إحضارهم جثياً ؟ قلت: أما إذا فسر الإنسان بالخصوص، فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطىء جهنم عتلاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم؛ وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجَاثيَة: 28]، على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الراكب، لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة، أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبواً.

وإن فسر بالعموم، فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطىء جهنم. على أن (جثياً) حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين، لأنه من توابع التواقف للحساب، قبل التوصل إلى الثواب والعقاب.

---

(1) الوسيط في تفسير القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنم، ثم أنه تعالى يحضرهم على أذل صورة، لقوله تعالى: ﴿جِثِيًّا﴾ لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل أو صورته صورة العاجز.

فإن قيل: هذا المعنى حاصل للكل، بدليل قوله تعالى كـ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجَاثيَة: 28]، والسبب فيه جريان العادة أن الناس في مواقف المطالبات من الملوك يتجاثون على ركبهم، لما في ذلك من الاستنظار والقلق، أو لما يدهمهم من شدة الأمر الذي لا يطيقون معه القيام على أرجلهم، وإذا كان هذا عاماً للكل فكيف يدل على مزيد من ذل الكفار؟

قلنا: لعل المراد أنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة، وذلك يوجب مزيد الذل في حقهم.

(1) التفسير الكبير.

جحد

(جحد - نكر)

- **الجَحْدُ:** نفي الشيء في الظاهر مع الاعتراف به ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النَّمل: 14].
- **الإنْكَارُ:** نفي الشيء ظاهراً وباطناً ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يُوسُف: 58].

* * *

شرح المعاني:

جحد (الجحود): هو كل ما تنكره بلسانك ولكن القلب يثبّته ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾، ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59].

الكنود: هو الإنكار بالقلب واللسان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 6] مثل قوم فرعون والشيوعيين والوثنيين وكل من ينكر وجود الخالق ونعمه والأديان. ويقال في اللغة: أرض كندة أي: أنها لا تصلح للزراعة مطلقاً، وأرض نكدة أي: صالحة للزراعة ولكن لا يخرج زرعها إلا نكداً أي: بصعوبة ومشقة.

النكران: هو الإقرار بالشيء أولاً ثم إنكاره لاحقاً. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: 69]، ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: 81]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: 36].

الكفران: الكفر والكفران يقال: كفر للدين والكفران للنعمة. وهو يعني الاعتراف بالشيء مع التقليل من أهميته. وكفران النعمة هو إهمال قيمتها وعدم شكرها فكل من لا يشكر النعمة فهو كفران (فلا كفران لسعيه).

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: 39]، ومثل الزوجة إن غضبت من زوجها لأمر ما تنسى فضله ونعمه وهو ما يسمى بكفران العشير.

الخُداع: هو التظاهر بقبول النعمة ولكن في الباطن مختلف وتفعل ضده، أي: إظهار غير ما يبطن. الباطن غير الظاهر مما يشوّه وجه الحياة الناصعة ويثير الخلاف. والخداع كفر وزيادة وهو صفة المنافقين ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]. وهو أخطر أنواع النكران فالجحود والنكران والكفران معدود أما الخداع فكثير ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: 142] وقد يكون من السهل خداع الناس ممن لا يعرفون ألاعيب المخادع، أما أن يخدع الله تعالى وهو أعلم بالسرائر فهذا أمر عظيم. كالمنافق يقوم للصلاة إذا كان الناس ينظرون إليه لذا جاءت الآية ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: 142] وهؤلاء المنافقون لم يعاقبهم الله تعالى ظاهراً في الحياة الدنيا لأنهم يقومون بما يتماشى مع الدين فأجرى الله تعالى عليهم أحكام الإسلام وعصم دماءهم لأنهم قالوا بلسانهم كلمة الإيمان والإسلام ولكن في الآخرة قد أعد الله تعالى لهم جهنم وساءت مصيراً (في الدرك الأسفل من النار). «**بين يدي الساعة سنون خدّاعة يصدق فيها الكافر ويكذب فيها الصادق يخوّن فيها الأمين ويؤمّن الخائن. .**» حديث شريف. يقال: خداع الضبّ أي: لا يدخل الغار إذا كان فيه عقرب.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والحاء والدال أصل يدل على قلة الخير، يقال: عام جَحْدٌ: قليل المطر. ورجل جَحْدٌ: فقير، وقد جَحَدَ وأَجْحَدَ.

ومن هذا الباب: الجُحُود، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلّا مع علم الجَاحِدُ به أنه صحيح، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14]، وما جاء جَاحِدٌ بخير قط.

قال الخليل[2]: الجُحُود: ضد الإقرار كالإنكار والمعرفة.

والجَحْدُ: من الضيق والشح، ورجل جَحْدٌ: قليل الخير.

الجَحَادِي والجَخَادي: الضخم.

أَجْحَدَ الرجل وجَحِدَ: إذا تمفض وذهب ماله.

قال ابن دريد: استعمل منها: جَحَد الرجل يَجْحَد جُحُوداً: إذا ما نكر ما عليه من حق.

وعام جَحْدٌ: قليل المطر، ورجل جَحْدٌ: فقير.

والجَحْدٌ: القلة من كل شيء. وسمت العرب جُحَادَة.

قال الجوهري[3]: الإنكار مع العلم، يقال: جَحَدَهُ حقه وبحقه، جَحَداً وجُحُوداً.

والجَحْدُ أيضاً: قلة الخير، وكذلك الجحد بالضم.

والجَحَدُ بالتحريك مثله، يقال: نكداً له وجَحَداً.

قال أبو هلال[4]: الفرق بين الإنكار والجحد: أن الجحد أخص من

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الفروق في اللغة.

الإنكار، وذلك أن الجحد إنكار الشيء الظاهر، والشاهد قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: 28]، فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلّا ظاهراً. وقال تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83]، فجعل الإنكار للنعمة، لأن النعمة قد تكون خافية.

ويجوز أن يقال: الجحد هو إنكار الشيء مع العلم به، والشاهد قوله ك ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: 14]، فجعل الجحد مع اليقين، والإنكار يكون مع العلم وغيره.

الفرق بين قولك: جحده وجحد به: أن قولك: جحده يفيد أنه: أنكره مع علمه به، وجحد به يفيد أنه جحد ما دل عليه، وعلى هذا فسر قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: جحدوا ما دلت عليه من تصديق الرسل.

ونظير هذا قولك، إذا تحدث الرجل بحديث: كذبته وسميته كاذباً، فلا مقصود المحدث. وإذا قلت: كذبت به، فمعناه كذبت بما جاء به، فالمقصود هاهنا الحديث.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتِلۡكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59].

قال الفخر الرازي[1]: المراد: جحدوا دلالة المعجزات على الصدق، أو الجحد، ودلالة المحدثات على وجود الصانع الحكيم، إن ثبت أنهم كانوا زنادقة.

---

(1) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: أي: كذبوا بالمعجزات وأنكروها.

قال الشعراوي[2]: والجحود هو النكران مع قوة الحجة والبرهان. والآيات - كما نعلم - جمع آية، وهي الأمور العجيبة الملفتة للنظر التفاتاً يوحي بإيمان بما تنص عليه. ومن الآيات ما يدل على قمة العقيدة، وهو الإيمان بواجب الوجود؛ بالله الرب الخالق الحكيم القادر سبحانه وتعالى، مثل آيات الليل والنهار والشمس والقمر، ورؤية الأرض خاشعة إلى آخر تلك الآيات التي في القمة. وكذلك هناك آيات أخرى تأتي مصدقة لمن يخبر أنه جاء رسولاً من عند الله تعالى، وهي المعجزات. وآيات أخرى فيها الأحكام التي يريدها الله سبحانه بمنهجه لضمان صحة حركة الحياة في خلقه. وقوم عاد جحدوا بكل هذه الآيات؛ جحدوا الإيمان، وجحدوا تصديق الرسول بالمعجزة، وأهملوا وتركوا منهج الله جحوداً بإعراض.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النَّمل: 14].

قال الطبري[3]: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله.

قال البغوي[4]: أي: أنكروا الآيات، ولم يقروا أنها من عند الله.

قال القرطبي[5]: أي: تيقنوا أنها من عند الله، وأنها ليست سحراً، ولكنهم كفروا بها، وتكبروا أن يؤمنوا بموسى. وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين.

قال النسفي[6]: قيل: الجحود لا يكون إلّا من علم من الجاحد. وهذا ليس بصحيح، لأن الجحود هو الإنكار، وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به، وقد

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) جامع البيان.
(4) معالم التنزيل.
(5) الجامع لأحكام القرآن.
(6) مدارك التنزيل.

يكون بعد المعرفة تعنتاً، كذا ذكر في (شرح التأويلات) وذكر في (الديوان) يقال: جحد حقه وبحقه بمعنى.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **[العنكبوت: 47]**.

قال البغوي[1]: وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا.

قال الزمخشري[2]: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلّا المتوغلون في الكفر المصممون عليه.

قال الفخر الرازي[3]: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تنفيراً لهم عما هم عليه، يعني أنكم آمنتم بكل شيء، وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة، إلّا هذه المسألة الواحدة، وبإنكارها تلتحقون بهم وتبطلون مزاياكم، فإن الجاحد بآية يكون كافراً.

● **قال تعالى**: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ **[الأنعام: 33]**.

قال الزمخشري[4]: المعنى: إن تكذيبك أمر راجع إلى الله، لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته، فاله عن حزنك لنفسك وإن هم كذبوك وأنت صادق، وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعفافك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه، ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس: إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني، وفي هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ **[الفتح: 10]**.

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.

وقيل: فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم، وقيل: فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق، ولكنهم يجحدون بآيات الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يسمى الأمين، فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون. وكان أبو جهل يقول: ما نكذبك، لأنك عندنا صادق، وإنما نكذب ما جئتنا به.

قال البيضاوي(1): ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها، فوضع ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم، أو جحدوا لتمرنهم على الظلم، والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب.

قال أبو السعود(2): أي: ولكنهم بآياته تعالى يكذبون. فوضع المظهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم بالرسوخ في الظلم الذي يعتبر جحودهم هذا فنا من فنونه، والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحود آياته تعالى، وإيراد الجحود في مورد التكذيب للإيذان بأن آياته تعالى من الوضوح؛ بحيث يشاهد صدقها كل أحد، وإن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾، وهو المعني بقول من قال: إن نفي ما في القلب إثباته، أو إثبات ما في القلب نفيه.

والباء متعلقة بـ(يجحدون) ويقال: جحد حقه وبحقه: إذا أنكره وهو يعلمه. وقيل هو لتضمين الجحود معنى التكذيب، وأياً ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ **[الأعراف: 51]**.

(1) أنوار التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.

قال الطبري[1]: يكذبون، ولا يصدقون بشيء من ذلك.

قال الخازن[2]: يعني: ونتركهم في النار كما كانوا بدلائل وحدانيتنا يكذبون.

قال الألوسي[3]: ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾... ذهب غير واحد إلى أن الكاف للتعليل متعلق بما عنده لا للتشبيه إذ يمنع منه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ لأنه عطف على (ما نسوا) وهو يستدعي أن يكون مشبهاً به النسيان مثله.

وتشبيه النسيان بالجحود غير ظاهر، ومن ادعاه قال: المراد نتركهم في النار تركاً مستمراً كما كانوا منكرين أن الآيات من عند الله تعالى إنكاراً مستمراً.

---

(1) جامع البيان.
(2) لباب التأويل.
(3) روح المعاني.

جحيم

(جحيم - جهنم)

■ **الجَحِيمُ:** النار في حال توقدها المطلق بين جدران محكمة ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 97].

■ **جَهَنَّمُ:** اسم لنار الله الموقدة أي: بعيدة القعر ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: 43-44]

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والحاء والميم عظمها، به الحرارة وشدتها. فالجَاحِمُ: المكان الحار.

وبه سميت الجَحِيمُ جَحِيماً. ومن هذا الباب - وليس ببعيد منه - الجَحْمَةُ: العين، ويقال: أنها بلغة اليمن. وكيف كان فهي من هذا الأصل، لأن العينين سراجان متوقدان.

قالوا: جَحْمَتَا الأسد: عيناه في اللغات كلها. وهذا صحيح، لأن عينيه أبداً متوقدتان.

فأما قولهم: أَجْحَمَ عن الشيء، إذا كع عنه، فليس بأصل، لأن ذلك مقلوب عن (أَحْجَمَ)، وقد ذكر في بابه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الجَحِيم: النار الشديدة: التأجج والالتهاب، جَحَمَتْ تَجْحَمُ جُحُوماً.

وجَاحِمُ الحرب: شدة القتل في معركتها. والجَحْمَةُ: العين، بلغة حمير.

وَجْحَمَتا الأسد: عيناه بكل لغة.

والأجْحَمُ: الشديد حمرة العين مع سعتها، والمرأة: جَحْمَاءُ، ونساء جُحمٌ وجَحْمَاوَات.

قال الأزهري[2]: يقال: للنار جَاحِمٌ، أي: توقّد والتهاب، ورأيت جُحْمَةَ النار، أي: توقدها.

وأخبرني المنذري عن أبي طالب في قولهم: فلان جَحَّامٌ، وهو يَتَجاحَمُ علينا، أي: يتضايق، وهو مأخوذ من (جاحم الحرب) وهو ضيقها وشدتها.

وقال بعضهم: هو يَتَجَاحَمُ، أي: يحترق حرصاً وبخلاً، وهو من (الجَحِيم).

قال الجوهري[3]: الجَحِيمُ: اسم من أسماء النار، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جَحِيمٌ، من قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 97].

والجاحم كالمكان الشديد الحر.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: 13، 14].

قال الماوردي[4]: فيه قولان:

---

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) النكت والعيون.

أحدهما: في الآخرة، فيكون نعيم الأبرار في الجنة بالثواب، وجحيم الفجار في النار بالعقاب.

والقول الثاني: أنه في الدنيا، فعلى هذا فيه أربعة أوجه ذكرها أصحاب الخواطر.

أحدها: النعيم: القناعة، والجحيم: الطمع.

الثاني: النعيم: التوكل، والجحيم: الحرص.

الثالث: النعيم: الرضا بالقضاء، والجحيم: السخط فيما قدر وقضى.

الرابع: النعيم: بالطاعة، والجحيم: بالمعصية.

قال القشيري[1]: في ضيق قلوبهم وتسخطهم على التقدير، وفي ظلمات تعبيرهم، وضيق اختيارهم.

قال النيسابوري[2]: وقال العارفون: النعيم: الاشتغال بالله، والجحيم: الاشتغال بما سواه.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البَقَرَة: 119].

قال الطبري[3]: (الجحيم) هي النار بعينها إذا شبت وقودها.

قال البغوي[4]: (الجحيم) معظم النار.

قال البيضاوي[5]: (الجحيم) المتأجج من النار.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: 10].

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) غرائب القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) معالم التنزيل.
(5) أنوار التنزيل.

قال الطبري[1]: يعني: أهل النار، الذين يخلدون فيها، ولا يخرجون منها أبداً.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ يفيد الحصر.

قال أبو السعود[3]: ملابسوها ملابسة مؤبدة، من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد، والجمع بين الترغيب والترهيب، إيفاء لحق الدعوة بالتبشير والإنذار.

● **قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 23].**

قال الطبري[4]: قيل أن (الجحيم) الباب الرابع من أبواب النار.

قال الماوردي[5]: أي: طريق النار.

قال القرطبي[6]: أي: سوقوهم إلى النار.

● **قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 97].**

قال الطبري[7]: و(الجحيم) عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار.

قال الفخر الرازي[8]: والألف واللام في (الجحيم) يدل على النهاية، والمعنى في جحيمه، أي: في جحيم ذلك البنيان.

قال البيضاوي[9]: في النار الشديد، من الجحمة، وهي شدة التأجج، واللام بدل الإضافة، أي: جحيم ذلك البنيان.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.
(5) النكت والعيون.
(6) الجامع لأحكام القرآن.
(7) جامع البيان.
(8) التفسير الكبير.
(9) أنوار التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحَاقَّة: 31].

قال الزمخشري[1]: ثم لا تصلوه إلّا الجحيم، وهي النار العظمى، لأنه كان سلطاناً يتعظم على الناس.

قال أبو السعود[2]: أي: لا تصلوه إلّا الجحيم، وهي النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية، حيث كان يتعاظم على الناس.

قال الألوسي[3]: أي: لا تصلوه إلّا الجحيم، وهي النار العظيمة الشديدة التأجج، لعظم ما أُوتي به من المعصية، وهي الكفر بالله تعالى العظيم.

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.

جدث

(جدث - قبر)

■ **الجَدَثُ:** مأوى الناس حين ينفخ في الصور فيخرجون ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: 51].

■ **القَبْرُ:** مأوى الناس بعد الموت ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: 21].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات هي مرادفات كلمة القبر ومنها أيضاً: لحي - ريم - رمس ولكنها لم ترد في القرآن الكريم.

الجدث: هو القبر الذي صار عمقه ذاهباً بفعل الزمن. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

القبر: هو بيت الجثة باعتبار عمقه وكل شيء يدفن دفناً عميقاً يسمى قبراً. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾.

اللحد: هو الجزء من القبر الذي توضع فيه الجثة كونه مائلاً. والإلحاد هو الميل، من مال عن التوحيد فهو ملحد. فالقبر عميق والجزء المائل منه هو اللحد. وتقال كلمة الضريح عندما يكون اللحد في الوسط.

القبر بكل أسمائه لفظ يجد وقعاً قوياً ومخيفاً في النفس البشرية ولا يمكن أن يكون محبوباً إلا من عرف فلسفة الموت وحقيقته. والقبر قبران:

قبر دنيوي: وهو مقر الجسد الفاني الطيني الذي سوف يفنى، عند الموت تنتهي

العلاقة بالجسد ويصبح الجسد غير صالح لبقاء الروح فيه فتفارقه وينتهي دوره ثم يدفن ويتحلل ويعود إلى عناصره الأولى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: 84] ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: 1-2]. وهناك فرق بين فعل قبر وأقبر: قبر تعني إذا وضعت الجثة بيدك أنت، أما أقبر تأتي بمعنى أن تهيأ له قبراً بقدرة الله المطلقة وبفعله ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: 21]. العبد يقبِر والله تعالى أقبر والإقبار هو من فعل الله تعالى ولا يستطيعه البشر، الله تعالى أقبر روحه، فالروح خالدة لأنها موجودة قبل خلق البدن وبعد فناء البدن تسكن في الجسد الأثيري. وكل الناس خُلقوا بأرواحهم يوم خلق آدم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]. الروح الخالدة تبقى في مكانها الذي أعدّه الله تعالى لها، والموت يكون للنفس البشرية وليس للروح، وبعد فناء الجسد تحل الروح في الجسد الأثيري وهو الذي رآه الرسول ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج كما في الحديث عن البخاري: أن الرسول ﷺ رأى كل ذرية آدم في الإسراء والمعراج.

قبر برزخي: قال رجل من الأحبار للرسول ﷺ: يا محمد أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال ﷺ: «**في الظلمة دون الجسر**» فقال: أشهد أنك رسول الله. والصراط هو مركز الكون والأرواح تصعد من مكانها في قبرها البرزخي. والعذاب يكون في القبر البرزخي أي في القبر الذي أقبره الله تعالى فيه. وقال ابن حزم: أن مستقر الأرواح بعد الموت هو نفس مستقرها قبل خلق آدم عليه السلام.

ومن العبادات التي يجب القيام بها من مات له ميت: غسل الميت وحفر القبر كما جاء في الحديث الشريف عن جابر: «**من غسّل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة ومن كفّن ميتاً كساه الله من سندس الجنة**». وعن أبي ذر قال رسول الله ﷺ: «**زوروا القبور تذكروا بها الآخرة**». والأحاديث في فضل تتبع الجنازة عديدة لما فيه من الأجر والثواب. ونهانا الرسول ﷺ عن الجلوس على القبور.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والدال والثاء كلمة واحدة، الجَدَثُ: القبر، وجمعه: أَجْدَاثٌ.

قال الخليل[2]: الأَجْدَاثُ، القبور، واحدها: جَدَثٌ.

قال الأصمعي[3]: يقال: جَدَفٌ وجَدَثٌ: للقبر.

يقول: جَدَفٌ، وهي القبور.

قال ابن دريد[4]: الجَدَثُ: القبر، وهو الجَدَفُ أيضاً.

قال الجوهري[5]: الجَدَثُ: القبر، والجمع أَجْدُثٌ وأَجْدَاثٌ. واجْتَدَثَ، أي: اتخذ جَدَثاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يسٓ: 51].

قال الطبري[6]: يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها: جدث، وفيها لغتان: فأما أهل العالية فتقوله بالثاء: جدث، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء: جدف.

قال الزمخشري[7]: القبور وقرىء بالفاء.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الأضداد.
(4) الجمهرة.
(5) الصحاح في اللغة.
(6) جامع البيان.
(7) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: أين يكون في ذلك الوقت (أجداث) وقد زلزلت الصيحة الجبال؟

نقول: يجمع الله أجزاء كل واحد في الموضع الذي قبر فيه، فيخرج من ذلك الموضع، وهو جدثه.

● **قال تعالى**: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعَارج: 43].

قال ابن عاشور[2]: ﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾: جمع جدث بفتحتين وهو القبر، والقبر: حفير يجعل لمواراة الميت.

قال ابن كثير[3]: أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً.

(1) التفسير الكبير.
(2) التحرير والتنوير.
(3) تفسير ابن كثير.

جدّ

(جدّ - أتقن - صدق)

■ **الجَدُّ:** اجتماع الصدق والسرعة والعظمة والقدرة والغنى في الفعل ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنّ: 3].

■ **الإتْقَانُ:** في الصنع: الإتيان بالشيء على أتم صورة ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النّمل: 88].

■ **الصِّدْقُ:** أن يفعل ما يقول ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النّساء: 87]. ﴿مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النّساء: 122].

***

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول: العظمة، والثاني: الحظ، والثالث: القطع.

فالأول: العظمة، قال الله جل ثناؤه إخباراً عمن قال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: 3]، ويقال: جَدَّ الرجل في عيني، أي: عظم.

والثاني: الغنى والحظ. وفلان أَجَدُّ من فلان وأَحَظُّ منه، بمعنى.

والثالث: يقال: جَدَدْتُ الشيء جَدّاً، وهو مَجْدُودٌ وجَدِيدٍ، أي: مقطوع.

وليس ببعيد أن يكون الجد في الأمر والمبالغة فيه من هذا، لأنه يصرمه

(1) معجم مقاييس اللغة.

صريمة ويعزمه عزيمة، ومن هذا قولك: أجدّك تفعل كذا، أي أجدأ منك أصريمة منك أعزيمة منك؟ والجد: البئر، من هذا الباب، والقياس واحد، ولكنها بضم الجيم.

والبئر: تقطع لها الأرض قطعاً. ومن هذا الباب الجَدْجَدُ: الأرض المستوية.

والجَدَدُ مثل الجَدْجَدُ، والعرب تقول: (من سلك الجَدَدَ أمن العثار). ويقولون: (رويد يعلون الجَدَدَ)، ويقال: أَجَدَّ القوم: إذا صاروا في الجَدَدِ.

ومن هذا الباب الجَدَّاءُ: الأرض التي لا ماء بها، كأن الماء جَدَّ عنها أي: قطع.

قال الخليل(1): جَدُّ الرجل: بخته، وجَدُّ ربنا: عظمته، ويقال: غناه.

والجَدُّ: نقيض الهزل.

وجَدَّ فلان في أمره وسيره، أي: انكمش عنه بالحقيقة.

والجُدَّةُ: مصدر الجَدِيدُ، وفلان أَجَدَّ ثوباً واسْتَجَدَّه.

والجَدِيدُ يستوي فيه الذكر والأنثى، لأنه (مفعول) بمعنى مُجَدَّد، ويجيء (فعيل) بمعنى (المفعول) المخالف للفظ، من تصريف المُفعل والمفعَل.

والجُدَّةُ: جُدَّةُ النهر، أي: ما قرب من الأرض.

والجَدَدُ والجَدِيدُ: وجه الأرض.

والجُدَّةُ: ساحل البحر بمكة.

والجَدَّاءُ: مفازة يابسة، وكذلك سنة جَدَّاءُ.

والجد: البئر تكون في موضع الكلا.

قال الجوهري(2): الجَدَدُ: الأرض الصلبة، وفي المثل: (من سلك الجدد أمن العثار). وقد أجدَّ القوم: إذا صاروا إلى الجدد، وأَجدَّ الطريق: صار جَدَداً.

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

والجَادَّةُ: معظم الطريق، والجمع: جَوَادُّ.

وجُدَّةُ: بلد على الساحل.

والجُدَّةُ: الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه.

والجُدَّةُ: الطريقة، والجمع: جُدَدٌ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ [فاطر: 27]، أي طرائق تخالف لون الجبل، ومنه قولهم: ركب فلان جُدَّةً من الأمر: إذا رأى فيه رأياً.

وكساء مُجَدَّدٌ: فيه خطوط مختلفة.

قال أبو هلال العسكري[1]: الفرق بين الجد والانكماش: أن الانكماش سرعة السير، يقال: انكمش سيره، إذا أسرع فيه. ثم استعمل في كل شيء تصح فيه السرعة، فتقول: انكمش على النسخ والكتابة وما يجري مع ذلك.

والجد: صدق القيام في كل شيء، تقول: جد في السير وجد في اغاثة زيد وفي نصرته، ولا يقال: انكمش في إغاثة زيد ونصرته، إذ ليس مما تصح فيه السرعة.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرّعد: 5].

قال الطبري[2]: وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها من دوني، فعجب قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ وبلينا فعدمنا ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أئنّا لمجدد إنشاؤنا وإعادتنا خلقاً جديداً، كما كنا

(1) الفروق في اللغة. (2) جامع البيان.

قبل وفاتنا؟ تكذيباً منهم بقدرة الله، وجحوداً للثواب والعقاب، والبعث بعد الممات.

قال القشيري[1]: استبعادهم النشأة الثانية - مع إقرارهم بالخلق الأول، وهما في معنى واحد - موضع التعجب؛ إذ هو صريح في المناقضة.

قال البغوي[2]: أي: نعاد خلقاً جديداً، كما كنا قبل الموت.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فَاطِر: 27].

قال الزمخشري[3]: بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾.

قال القرطبي[4]: الجدد: جمع جدة، وهي الطرائق المختلفة الألوان، وإن كان الجميع حجراً أو تراباً.

قال أبو حيان[5]: قرأ الجمهور (جدد) بضم الجيم وفتح الدال، جمع: جدة. قال ابن بحر: قطع، من قولك: جددت الشيء: قطعته، وقرأ الزهري كقراءة الجمهور.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنّ: 3].

قال الطبري[6]: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: عني بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن للجد في كلام العرب معنيين:

أحدهما: الجد الذي هو أبو الأب وأبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) البحر المحيط.
(6) جامع البيان.

هؤلاء النفر، الذين وصفهم الله بهذه الصفة؛ وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ **[الجن: 2]**، ومن وصف الله بأن له ولداً أو جداً، هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من الشركين.

والمعنى الآخر: الجد الذي بمعنى (الحظ) يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر، إذا كان له حظ فيه، وهوالذي يقال له بالفارسية (البخت)، وهذا المعنى الذي قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: (وأنه تعالى جد ربنا) إن شاء الله.

وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا تكون له صاحبة ولا ولد، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز، الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد؛ فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته، أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد.

وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم، أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ يقال منه: رجل جدي وجديد، ومجدود أي: ذو حظ فيما هو فيه.

قال القشيري[1]: الجد: العظمة، والعظمة استحقاق نعوت الجلال.

ويجوز إطلاق لفظ (الجد) في حق الله تعالى؛ إذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن، غير أنه لفظ موهم فتجنبه أولى.

قال الزمخشري[2]: عظمته، من قولك: جد فلان في عيني، أي: عظم. . . أو ملكه أو غناه، استعارة من (الجد) الذي هو الدولة والبخت، لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون. والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة ولا ولد،

(1) لطائف الإشارات. (2) الكشاف.

لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان ذلك.

وقرىء (جداً ربنا) على التمييز، و(جدِّ ربنا) بالكسر، أي: صدق ربوبيته وحق إلٰهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد؛ وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان، تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن، من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولداً، فاستعظموه ونزهوه عنه.

جدل

(جدل - حجاج - حوار - مراء)

■ **الجَدَلُ:** مرادة المختلفين على سبيل الخصومة والمنازعة ﴿يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هُود: 32].

■ **الحِجَاجُ:** مرادة المختلفين على سبيل الاحتجاج للوصول إلى الحق ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عِمرَان: 66].

■ **الحِوَارُ:** مرادة المختلفين على سبيل العتاب والتعنيف ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: 37].

■ **المِرَاءُ:** مرادة المختلفين على سبيل إنكار الحق وقد ظهر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ﴾ [الشّورى: 18].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام.

وهو القياس الذي ذكرناه. ويقال للزّمام المُمَرِّ جَديلٌ. والجَدْوَل: نهر صغيرٌ، وهو ممتدٌّ، وماؤُه أقْوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السائح.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: رجل جَدِلٌ مِجْدَالٌ، أي: خصم مخصام، والفعل: جَادَلَ يُجَادِلُ مُجَادَلَةً.

وَجَدْلتُه جَدْلاً، مجزوم، فانْجَدَلَ صريعاً. وأكثر ما يقال: تَجْدِيلاً، أي: صرعته.

والأَجْدَلُ: من صفة الصقر، ورجل أَجْدَلُ المنكب، أي: فيه تطأطؤ خلاف الأشرف من المناكب.

ويقال للطائر إذا كان كذلك: أَجْدَلُ المنكبين، فإذا جعلته نعتاً قلت: صقر أَجْدَلُ، وصقور جُدْلٌ.

وإذا تركته اسماً للصقر، قلت: هذه أَجْدَلُ وهذه

أَجَادِلُ لأن الأسماء التي على (أَفْعَلْ) تجمع على (أفاعل) والنعت إذا كان على (أَفْعَلْ) يجمع على (فَعَلَ).

والجَدِيلُ: نهر بأخذ من دجلة. والجَدْوَلُ: نهر الحوض، ونحوه من الأنهار الصغار.

قال الأزهري[2]: الجَدْلُ: شدة الفتل، يقال: إنه لحسن الأرم وحسن الجَدْلِ: إذا كان حسن أسر الخلق.

قال الصاحب: جَدِلٌ: خصم شديد الجَدْلِ. ومِجْدَالٌ: مخصام.

والجَدْلُ: الصرع، جَدَلْتُه فانْجَدَلَ، وهو مَجْدُولٌ، وجَدَلْتُه تَجْدِيلاً أيضاً.

والجَدْوَلُ: نهر الحوض وغيره من الأنهار، والجميع الجَدَاوِلُ. وهو أيضاً: حد بين أرضين، والدبرة من دبار الأرض.

ويقولون: استقام جَدْوَلُ القوم على كذا، أي: رأيهم[3].

---

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

(3) اللسان.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

قال الطبري[1]: وكان الإنسان أكثر شيء، مراء وخصومة، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة.

قال الزجاج[2]: فإن قال قائل: وهل يجادل غير الإنسان؟ فالجواب في ذلك إبليس قد جادل، وإن كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، ولكن الإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً.

قال الزمخشري[3]: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل، إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب (جدلاً) على التمييز، يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء.

قال الفخر الرازي[4]: أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل. وانتصاب قوله: (جدلاً) على التمييز.

قال بعض المحققين: والآية دالة على أن الأنبياء عليهم السلام جادلوهم في الدين حتى صاروا هم مجادلين، لأن المجادلة لا تحصل إلّا من الطرفين؛ وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 58].

قال الطبري[5]: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد، ولا قالوا لك هذا القول

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.
(5) جامع البيان.

إلّا جدلاً وخصومة يخاصمونك به. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلّا أوتوا الجدل)**. [ثم] قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ﴾.

قال القشيري[1]: وذلك أنهم قالوا: إن قال: آلهتكم خير، فقد أقر بأنها معبودة، وإن قال: عيسى خير من آلهتكم، فقد أقر بأن عيسى يصلح لأن يعبد، وإن قال: ليس واحد منهم خيراً، فقد نفى ذلك عن عيسى عليه السلام. هم راموا بهذا الكلام أن يجادلوه، ولم يكن سؤالهم للاستفادة، فكان جواب النبي ﷺ: أن عيسى عليه السلام خير من آلهتكم ولكنه لا يستحق أن يعبد؛ إذ ليس كل ما هو خير من الأصنام بمستحق أن يكون معبوداً من دون الله. وهكذا بين الله سبحانه لنبيه أنهم قوم جدلون، وأن حجتهم داحضة عند ربه.

قال البغوي[2]: خصومة بالباطل، وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: **98**] هؤلاء الأصنام.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: **5**].

قال الطبري[3]: خاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة.

قال الخازن[4]: يعني: خاصموا.

قال ابن كثير[5]: أي: ما حلوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [**الحجّ**: **68**].

(1) لطائف الإشارات.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) لباب التأويل.
(5) تفسير ابن كثير.

قال الطبري[1]: وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل.

قال الزمخشري[2]: أي: وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة، بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم.

قال الفخر الرازي[3]: والمعنى: فتعدلوا عن النظر في هذه الأدلة إلى طريقة المراء والتمسك بالعادة، فقد بينت وأظهرت ما يلزمك ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: 32].

قال الطبري[4]: قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا.

قال الزمخشري[5]: معناه: أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته، كقولك: جاد فلان فأكثر وأطاب.

قال الفخر الرازي[6]: هذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدال معهم، وذلك الجدال ما كان إلّا في إثبات التوحيد والنبوة والمعاد. وهذا يدل على أن (الجدال) في تقرير الدلائل وفي إزالة الشبهات حرفة الأنبياء، وعلى أن التقليد والجهل والإصرار على الباطل حرفة الكفار.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ [النِّساء: 109].

قال الطبري[7]: ها أنتم الذين جادلتم يا معشر من جادل، عن بني أبيرق في

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) التفسير الكبير.
(7) جامع البيان.

الحياة الدنيا. والهاء والميم في قوله: (عنهم) من ذكر الخائنين. (فمن يجادل الله عنهم) يقول: فمن ذا يخاصم الله عنهم يوم القيامة، أي: يوم يقوم الناس من قبورهم لمحشرهم، فيدافع عنهم، ما الله فاعل بهم، ومعاقبهم به.

وإنما يعني بذلك أنكم أيها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم، وإن دافعتم عنهم في عاجل الدنيا، فإنهم سيصيرون في آجل الآخرة إلى من لا يدافع عنهم عنده أحد، فيما يحل بهم من أليم العذاب، ونكال العقاب.

قال القشيري[1]: أي: ندفع عنهم - بحرمتك - لأنك فيهم، فكيف حالهم يوم القيامة، إذ زالت عنهم بركاتكم أيها المؤمنون ؟!

● **قال تعالى**: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: 56].

قال الطبري[2]: ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل، وذلك كقولهم للنبي ﷺ أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح، وما أشبه ذلك، مما كانوا يخاصمونه به، يبتغون إسقاطه، تعنيتاً له ﷺ.

قال الزمخشري[3]: وجدالهم: قولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يسٓ: 15]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: 24]، وما أشبه ذلك.

قال القرطبي[4]: كانوا يجادلون في الرسول ﷺ فيقولون: ساحر ومجنون وشاعر وكاهن، كما تقدم.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحجّ: 3].

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال القشيري[1]: المجادلة لله مع أعداء الحق وجاحدي الدين. من موجبات القربة، والمجادلة في الله، والمماراة مع أوليائه، والإصرار على الباطل بعد ظهور الدلائل من أمارات الشقوة، وما كان بوساوس الشيطان ونزغاته فقصاراه النار.

قال البغوي[2]: نزلت في النضر بن الحارث، وكان كثير الجدل، وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار تراباً.

قال الزمخشري[3]: وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله، وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع، وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة، فهو يخبط خبط عشواء، غير فارق بين الحق والباطل.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحَجّ: 8].

قال الطبري[4]: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهية بغير علم منه بما يخاصم به.

وذكر أنه عني بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث، من بني عبد الدار.

قال الزمخشري[5]: قيل: كرر كما كررت سائر الأقاصيص. وقيل الأول [الحج: 3] في المقلدين، وهذا في المقلدين.

● **قال تعالى**: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غَافر: 4].

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

قال الطبري[1]: ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها، إلّا الذين جحدوا توحيده.

قال الماوردي[2]: في الفرق بين المجادلة والمناظرة وجهان:

أحدهما: أن المجادلة لا تكون إلّا بين مبطلين، أو مبطل ومحق، والمناظرة بين محقين.

الثاني: أن المجادلة فتل الشخص عن مذهبه محقاً أو مبطلاً، والمناظرة التوصل إلى الحق في أي من الجهتين كان.

وقيل: أنه بذلك الحارث بن قيس السهمي.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: 74-75].

قال الطبري[3]: يخاصمنا. وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله: (يجادلنا) يكلمنا، وقال: لأن إبراهيم لا يجادل الله، إنما يسأله ويطلب منه. وهذا من الكلام جهل، لأن الله تعالى ذكره، أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط، فقول القائل: إبراهيم لا يجادل، موهماً بذلك أن قول من قال في تأويل قوله: (يجادلنا): يخاصمنا، إن إبراهيم كان يخاصم ربه، جهل الكلام، وإنما كان جدال الرسل على وجه المحاجة لهم. ومعنى ذلك: وجاءته البشرى يجادل رسلنا، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل.

قال الزمخشري[4]: قوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب، وتقديره: اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال: كيت وكيت، ثم ابتدأ فقال: (يجادلنا في قوم لوط).

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

وقيل: في (يجادلنا) هو جواب (لما) وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال.

وقيل: إن (لما) ترد المضارع إلى معنى الماضي، كما ترد (أن) الماضي إلى معنى الاستقبال.

● **قال تعالى:** ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرّعد: 13].

قال الطبري[1]: وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق، أصابهم في حال خصومتهم في الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ.

قال الزمخشري[2]: **(وهم) يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله، وأنكروا آياته** ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث، وإعادة الخلائق، بقولهم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يسٓ: 78]، ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد، ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة، بقولهم: الملائكة بنات الله، فهذا جدالهم بالباطل، كقوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: 5].

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره مخبراً عن المؤمن من آل فرعون:

فقوله: (الذين) مردود على (من) في قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ [غافر: 34]، وتأويل الكلام: كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله،

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله، ليدحضوها بالباطل من الحجج.

قال ابن كثير[1]: أي الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى.

قال المراغي[2]: أي أن المسرفين المرتابين هم الذين يخاصمون في حجج الله التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج التي لا مستساغ لها من عقل ولا نقل، فيتمسكون بتقليد الآباء والأجداد، ويتمسكون بترهات الأباطيل التي لا يتقبلها ذوو الحصافة والرأي.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: 56].

قال القرطبي[3]: .... يخاصمون: يجادلون والمراد المشركون، وقيل: اليهود فالآية مدنية على هذا، كما تقدم أول السورة. والمعنى: أن تعظموا عن اتباع محمد ﷺ، وقالوا: إن الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك إلينا، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فذلك كبر لا يبلغونه، فنزلت الآية فيهم، قاله أبو العالية وغيره، وقد تقدم في آل عمران أنه يخرج ويطأ البلاد كلها إلّا مكة والمدينة.

وهو يهودي واسمه آصاف ويكنى أبا يوسف.

وقيل: كل من كفر بالنبي ﷺ وهذا حَسن، لأنه يعم.

قال البيضاوي[4]: عام في كل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة أو اليهود.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) تفسير المراغي.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) أنوار التنزيل.

• قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: 69].

قال ابن عطية[1]: ظاهر الآية أنها في الكفار المجادلين في رسالة محمد والكتاب الذي جاء به، بدليل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [غافر: 70]، وهذا قول ابن زيد والجمهور من المفسرين.

قال البيضاوي[2]: تكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل فيه أو للتأكيد.

• قال تعالى: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]

قال الزمخشري[3]: والمعنى: بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك. وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون: (إن هذا إلّا أساطير الأولين).

قال أبو حيان[4]: (يجادلونك) أي: يخاصمونك في الاحتجاج، وبلغ تكذيبهم في الآيات إلى المجادلة، وهذا إشارة إلى القرآن، وجعلهم إيّاه من أساطير الأولين، قدح في أنه كلام الله.

قيل: كان النضر يعارض القرآن بأخبار اسفنديار ورستم.

قال ابن كثير[5]: أي: يحاجونك ويناظروك في الحق والباطل.

• قال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: 6].

قال الطبري[6]: والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) البحر المحيط.
(5) تفسير ابن كثير.
(6) جامع البيان.

إسحاق: من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين، أنهم كرهوا لقاء العدو، وكان جدالهم نبي الله ﷺ أن قالوا: لم يعلمنا أنا نلقي العدو، فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير. ومما يدل على صحة قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7]، ففي ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله، أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين، وان جدالهم في القتال، كما قال مجاهد: كراهية منهم له، وأن لا معنى لما قال ابن زيد، لأن الذي قبل قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ خبر عن أهل الإيمان، والذي يتلوه خبر عنهم، فإن يكون خبراً عم، أولى منه بأن يكون خبراً عمن لم يجر له ذكر.

قال الزجاج[1]: وعدهم الله جل وعز في غزاة بدر انهم يظفرون بأهل مكة وبالعير وهي الإبل، لكراهتهم القتال، فجادلوا النبي ﷺ وقالوا: إنما خرجنا إلى العير.

● **قال تعالى**: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجَادلة: 1].

قال الطبري[2]: والتي كانت تجادل رسول الله ﷺ في زوجها امرأة من الأنصار. واختلف أهل العلم في نسبها واسمها، فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها خويلة بنت ثعلبة، وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت، وقال آخرون: هي خويلة ابنة الدليج.

وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها أوس بن الصامت، مراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنت علي كظهر أمي، ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية.

قال البغوي[3]: تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها.

---

(1) معاني القرآن.

(2) جامع البيان.

(3) معالم التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ [الأعراف: 71].

قال الألوسي[1]: إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه عليه السلام داعياً لهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما كان يعبد آباؤهم من الأصنام.

● **قال تعالى:** ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

قال الطبري[2]: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك.

● **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: 46].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله، اليهود والنصارى، وهم (أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن) يقول: إلّا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه.

قال الزجاج[4]: لا تجادلوا أهل الجزية إلّا بالتي هي أحسن، وقاتلوا الذين ظلموا. وقيل: إن الآية منسوخة بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، فكان الصغار خارجاً من التي هي أحسن، فالأشبه أن تكون منسوخة. وجائز أن يكون

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.

الصغار أخذ الجزية منهم وإن كرهوا، فالذين تؤخذ منهم ينص الكتاب اليهود والنصارى، لأنهم أصحاب التوراة والإنجيل، فأما المجوس فأخذت منهم الجزية لقول رسول الله ﷺ: **(سنوا بهم سنة أهل الكتاب)**. واختلف الناس فيمن سوى هؤلاء من الكفار مثل عبدة الأوثان ومن أشبههم، فهم عند مالك بن أنس يجرون هذا المجرى. تؤخذ منهم الجزية كانوا عجماً أو عرباً، وأما أهل العراق فقالوا نقبل أجزية من العجم غير العرب إذا كانوا كفاراً، وإن خرجوا من هذه الأصناف أعني اليهود والنصارى والمجوس، نحو الهند والترك والديلم، فأما العرب عندهم فإذا خرجوا من هذه الثلاثة الأصناف لم تقبل منهم جزية، وكان القتل في أمرهم إن أقاموا على ملة غير اليهودية والنصرانية والمجوسية، وبعض الفقهاء لا يرى إلّا القتل في عبدة الأوثان والأصنام ومن أشبههم.

● **قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾** [البَقَرَة: 197].

قال الطبري[1]: اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك النهي عن أن يجادل المحرم أحداً. ثم اختلف قائلو هذا القول، فقال بعضهم: نهى عن أن يجادل صاحبه حتى يغضبه.

وقال آخرون منهم: الجدال في هذا الموضع معناه السباب.

وقال آخرون منهم: بل عنى بذلك خاصاً من الجدال والمراء، وإنما عنى الاختلاف فيمن هو أتم حجّاً من الحجاج.

وقال آخرون منهم: بل ذلك اختلاف كان يكون بينهم في اليوم الذي فيه الحج، فنهوا عن ذلك.

وقال آخرون: بل اختلافهم ذلك في أمر مواقف الحج أيهم المصيب موقف إبراهيم.

(1) جامع البيان.

وقال آخرون: بل (ولاجدال في الحج) خبر من الله تعالى عن استقامة وقت الحج على ميقات واحد، لا يتقدمه ولا يتأخره، وبطول فعل النسيء.

وأولى هذه الأقوال في قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ بالصواب، قول من قال: معنى ذلك قد بطل الجدال في الحج ووقته. واستقام أمره ووقته على وقت واحد، ومناسك متفقة غير مختلفة، ولا تنازع فيه ولا مراء.

قال الزمخشري(1): ولا مراء مع الرفقاء، والخدم والمكارين، وإنما أمر باجتناب ذلك - وهو واجب الاجتناب في كل حال - لأنه في الحج أسمج، كلبس الحرير في الصلاة، والتطريب في قراءة القرآن، والمراد بالنفي وجوب انتفائها أنها حقيقة بأن لا تكون.

وقرىء المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع. وقرأ أبو عمر وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب، لأنهما حملا الأولين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث معنى الإخبار بانتفاء الجدال، كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج؛ وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب، فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة، وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة وهو النسيء، فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة، فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج، واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال، بقوله ﷺ: (**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه**) وأنه لم يذكر الجدال.

---

(1) الكشاف.

جدار

(جدار - حائط - سور - سد - ردم - برزخ - حاجز - حجاب)

شرح المعاني:

جدار: باعتبار ارتفاعه ويقال: جَدَرْتَ الجِدَارُ أي رفعته. والجِدَارُ يُحسن الاختباء خلفه لارتفاعه. ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77] والذي يكنز كنزاً لأحفاده لا بد أن يخبئه تحت جدار قوي مرتفع، لكن مع السنين كاد أن يهوي هذا الجدار فأقامه الخضر، والقصة تشير إلى أن الله تعالى يُكرم الأبناء بصلاح الآباء والأجداد. وقال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14] وفي عصرنا الحالي تعتبر الدبابة كأنها قرى محصنة فعلينا أن نقاتل أعداءنا بأسلوب يتماشى مع أسلوبهم بما يبطل جدرهم وأساليبهم المحصّنة أو على الأقل يجتمع المسلمون عندما يتفرّق الأعداء لأن قلوبهم متفرّقة متنافرة.

حائط: هو الجدار حول أشخاص أو حول مجموعة من البيوت كما في قوله تعالى: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: 22] وقوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ [الكهف: 29] بمعنى أن النار يوم القيامة متحركة وتؤتى بحبال وعليها عجل هذه النار الخاصة بالكافرين وهي تحيط بالكافرين بحيث لا يخرج الكفار إلا من باب معدّ، والله تعالى لا يحيط العبد بالذنب إلا بالشرك، ولكن هناك ما هو قريب من

الإحاطة بحيث أن الخلود نوعان: خلود عادي وخلود أبدي الذي هو عادة في حق الظالم المتجبر الطاغية الذي قد يصل بظلمه هذا إلى حد النفاق أو الشرك. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 49]. ونار المؤمن العاصي غير نار الكافر، وقد يدخل هذا العاصي النار إذا بلغ به الفجور حداً ربما يصل به إلى حد الذنب الذي يحيط به؛ لأنه يكون قد تعوّد عليه واستولت عليه ذنوبه والخطايا بحيث لم يتمكن من التوبة فيموت على ما هو عليه من فجور وربما أصبح من المنافقين. والله تعالى يتكلم في القرآن عن التوبة بحيث لم يترك مذنباً إلا وشرع له التوبة ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: 135] والفعل هو جزء من العمل فالفعل واحد والعمل مجموع، فيقال: يعمل نجّاراً والفعل يكون نجار أبواب مثلاً أو الأسرّة أو غيرها وقال تعالى: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ﴾ [الشعراء: 19] فعلها مرة واحدة ولو قال: عملتها لأفادت أنه عملها أكثر من مرة. لأن التوبة لله على الذين يعملون السيئات ثم يتوبون من قريب، أما الذي لا يتوب من قريب وينتظر إلى أن يأتيه الموت فقد يدخل مع الذين قال فيهم تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: 81]. وكما قلنا: نار المؤمن خارج جهنم والله أعلم.

سور: إذا كان الجدار محيطاً بمدينة أو قرية أو قطر كامل كسور الصين يسمى سوراً. ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] السور في هذه الآية هو حائط بين الجنة والنار يمنع وصول أهل الجنة إلى الكافرين، ويبدو من نسق الآيات أن النار والجنة متداخلان، ومن الصعب على العقل أن يدركها. وقوانين يوم القيامة على الصراط أن الأصل هو الظلمة ثم يأتي كل عبد ومعه من النور ما يناسب عمله في الدنيا ولهذا يقول الكفار للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، لأنه ليس لهم نور. ومن المؤمنين من يكون نوره كبيراً وأدناهم من يكون نوره على إبهام رجله يوقد مرة ويطفأ مرة، ونور الآخرة يتميز

بأنه لا يراه إلا صاحبه فقط. وهناك من الأعمال في الدنيا ما يضاعف هذا النور في الآخرة ومنها صلاة الليل، المشي إلى المساجد في المغرب والعشاء والصبح، قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة ويوم الجمعة، قراءة سورة الدخان، الشيب في الإسلام، الدم في سبيل الله، الصدقة والإنفاق وقراءة القرآن والتوحيد. وشعار الرسول عليه الصلاة والسلام على الصراط: اللهم سلّم سلّم..

الباب والسد والردم: الباب يُفتح ويُغلق، السد لا يُفتح أبداً والردم لا يهدم أبداً لمتانته وهذه الكلمات الثلاث تعني كل إغلاق لفجوة.

السَّدّ والسُّد: السدّ من صنع البشر وكل شيء يفتح ويغلق يسمى باباً والذي لا يفتح أبداً يسمى سداً وعليه يجب قول غلق الذريعة وليس سد الذريعة لأنه مثل قانون الطوارىء بعض الأحيان ولضرورة ما يحلل بعض الأمور ثم تعاد إلى أصلها والعكس صحيح. والسُّد هو المخلوق طبيعياً بصنع الله تعالى. ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يسٓ: 9] هذا سد معنوي جعله الله تعالى بينهم وبين الرسول حتى لا يروه. وجاء في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94].

ردم: جدار لا يُهدم لقوته ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95] ولهذا قال بعده: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: 98] أي: أن هذا السد لا يُهدم إلا بأمر الله تعالى.

البرزخ: هو الحاجز غير المنظور بين أمرين متناقضين. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: 20] يفصل بين الماء العذب والماء المالح بحيث لا يتداخلان أبداً. ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100].

حاجز: هو الحاجز المنظور بين أمرين متناقضين. ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 61].

حجاب: جمعها حُجُب. هو منع شيء مهم مثل حرمات المسلمين وحرمة النساء أو ملك أو أمير. ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ **[الأعراف: 46]**، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ **[الإسراء: 45]**.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والدال والراء أصلان: فالأول: الجِدَارُ: وهو الحائط، وجمعه: جُدُر وجُدْرَان. والجَدْرُ أصل الحائط، وفي الحديث: **(اسق يا زبير ودع الماء يرجع إلى الجَدْرِ)**.

ومن هذا الباب قولهم: هو جَدِيرٌ بكذا، أي: حري به. وهو مما ينبغي أن يثبت ويبني أمره عليه، ويقولون:

الجَديرَةُ: الطبيعة.

والأصل الثاني: ظهور الشيء، نباتاً وغيره.

فالجِدْرِيّ معروف، وهو الجَدَرِيُّ أيضاً، ويقال: شاةٌ جَدْرَاءُ: إذا كان بها ذاك.

والجَدَرُ: سلعة تظهر في الجسد.

والجَدْرُ: النبات، يقال: أَجْدَرَ المكان وجَدَرَ: إذا ظهر نباته.

والجِدَارُ: جمعه جُدُرِ.

والجَدِيرُ: مكان بني حواليه جِدار مَجْدُور.

وفلان جَدِيرٌ لذاك، وقد جَدَرَ جَدَارَةً، وأَجْدَرَ به أن يفعله أي: خليق.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

فإذا كانت الحظيرة من حجارة فهي جديرة، فإن كان من طين فهو جِدَارٌ.

قال الجوهري[1]: الجَدْرُ والجِدَارُ: الحائط. وجمع الجِدَار: جُدُر، وجمع الجُدُر: جُدْرَان، مثل بطن وبطنان.

قال أبو هلال: الفرق بين قولك: هو قمين به، وقولك: هو حري به وخليق به وجدير به: أن (القمين) يقتضي مقارنة الشيء والدنو منه حتى يرجى تحققه، ولذلك قيل: خبز قمين، إذا بدأ ينكرح، كأنه دنا من الفساد. ويقال للقودح الذي تتخذ منه الكوامخ: القمن.

وقولك: حري به يقتضي أنه مأواه، فهو أبلغ من القمين. ومن ثم قيل لمأوى الطير: حِرَاها، ولموضع بيضها: الحري، وإذا رجا الإنسان أمراً وطلبه قيل: تحرَّاه، كأنه طلب مستقره ومأواه. [ثم استشهد بشعر] وأما خليق به بين الخلاقة، فمعناه أن ذلك مقدر فيه، وأصل الخلق: التقدير. وأما قولهم: جدير به، فمعناه أن ذلك يرتفع من جهته ويظهر من قولك: جَدَرَ الجِدَارُ: إذا بني وارتفع، ومنه سمي الحائط جِداراً.

وقول: عبد الله بن عمر أو غيره: إذا اشتريت اللحم يضحك جَدْرُ البيت، يجوز أن يكون جَدْرُ: لغة في جدار، وهذا مثل، وإنما يريد أن أهل الدار يفرحون.

وجَدَرَهُ يَجْدُرُهُ جَدْراً: حوطه.

---

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 97].

قال الألوسي[(1)]: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي: أحق وأخلق.

قال ابن الجوزي[(2)]: قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟﴾ قال الزجاج: (أن) في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من (أن) المعنى: أجدر بترك العلم. تقول: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليق بأن تفعل، أي: هذا الفعل ميسَّر فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ(أن)، وإن أتيت بالباء صلح بـ(أن) وغيرها، فنقول: أنت جدير بأن تقوم، وجدير بالقيام. فإذا قلت: أنت جديرٌ القيامَ، كان خطأً، وإنما صلح مع (أن) لأن (أن) تدل على الاستقبال، فكأنها عوض من المحذوف.

قال الفخر الرازي[(3)]: وقوله: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي: أولى وأحق، وفي الآية حذف، والتقدير: وأجدر بأن لا يعلموا. وقيل في تفسير حدود ما أنزل الله مقادير التكاليف والأحكام.

قال الشعراوي[(4)]: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: 97] يعني: أحق ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله؛ لأن عرفان حدود ما أنزل الله من الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، يأتي من التواصل مع العلم، وهذا لا يتأتَّى بالتنقل من مكان إلى آخر، بل لا بد من الاستقرار.

---

(1) روح المعاني.
(2) زاد المسير.
(3) التفسير الكبير.
(4) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى:** ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: 77].

قال الفخر الرازي[1]: أي: فرأيا في القرية حائطاً مائلاً، فإن قيل: كيف يجوز وصف الجدار بالإرادة مع أن الإرادة من صفات الأحياء قلنا: هذا اللفظ ورد على سبيل الاستعارة.

قال ابن كثير[2]: إسناد الإرادة ههٰنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة، فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل، والانقضاض هو السقوط.

قال ابن عاشور[3]: الجدار: الحائط المبني.

وإقامة الجدار: تسوية مَيله، وكانت إقامته بفعل خارق للعادة بأن أشار إليه بيده كالذي يسوي شيئاً ليّناً كما ورد في بعض الآثار.

● **قال تعالى:** ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحَشر: 14].

قال الطبري[4]: أو من خلف حيطان. واختلفت القراء في قراءة ذلك، عامة قراء الكوفة والمدينة (أو من وراء جُدُرٍ) على الجماع، بمعنى الحيطان، وقرأه بعض قراء مكة والبصرة (من وراء جِدَارٍ) على التوحيد، بمعنى الحائط.

والصواب من القول عندي في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

قال الزمخشري[5]: دون أن يصرحوا لكم ويبارزوكم، لقذف الله الرعب في قلوبهم، وإن تأييد الله تعالى ونصرته معكم.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) التحرير والتنوير.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

جذّ

(جذّ - بسّ - هشم - حطم)

■ **الجَذُّ:** كسر الشيء قطعاً صغيرة ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ [الأنبياء: 58].

■ **البَسُّ:** كسر الشيء فتاتاً ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقِعَة: 5].

■ **الهَشْمُ:** كسر الشيء اللين سحقاً كالنبات ﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾ [الكهف: 45].

■ **حَطْمُ:** شدة التكسير المهلك ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النَّمل: 18].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والذال أصل واحد، إما كسر وإما قطع. يقال جَذَذْتُ الشيء: كسرته، وجَذَّذْتُه: قَطَّعته.

ويقال: ما عليه جُذَّةٌ، أي: شيء يستره من ثياب، كأنه أراد خرقة وما أشبهها.

ومن الباب: الجَذِيَذةُ، وهي الحب يُجَذُّ ويجعل سويقاً.

ويقال لحجارة الذهب: جُذَاذٌ، لأنها تكسر وتحل.

فأما المَجْذُوذِيُّ فليس يبعد أن يكون من هذا، وهو اللازم الرحل لا يفارقه،

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

منتصباً عليه. يقال: اجْذَوْذَى، لأنه إذا كان كذا، فكأنه انقطع عن كل شيء، وانتصب لسفره على رحله.

قال الخليل[1]: الجَذُّ: القطع المستأصل الوحي.

والجُذَاذُ: قطع ما كسر، الواحدة: جُذَاذَةٌ، كما جعلت الأصنام جذَاذاً وقطع أطرافها، فتلك القطع: الجُذَاذُ.

والجَذِاذُ: قطع الفضة الصغار.

والجَذِيذُ: السويق، والجَذِيذَةُ: الجشيشة إذا اتخذت من السويق الغليظ.

وجَذَذْتُ الحبل فانْجَذَّ، أي: تقطع، فهو مَجْذُوذٌ.

قال الجوهري[2]: جَذَذْتُ الشيء: كسرته وقطعته. والجُذَاذُ والجِذَاذُ: ما تقطع منه، وضمه أفصح من كسره.

والجُذَاذُ، مثله الجيم: القطع المتكسرة، قال تعالى في الأصنام التي كسرها سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ **[الأنبياء: 58]**.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى** ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: **108**].

قال الطبري[3]: يعني عطاء من الله غير مقطوع عنهم ولا مقطعّ، من قولهم: جذذت الشيء أجذه جَذّاً: إذا قطعته.

قال الماوردي[4]: فيه وجهان: أحدهما: غير مقطوع، الثاني: غير ممنوع.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.

قال الزمخشري[1]: غير مقطوع، ولكنه ممتد إلى غير نهاية، كقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: 25].

● **قال تعالى**: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبيَاء: 58].

قال الطبري[2]: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي (فجعلهم جُذَاذاً) بمعنى جَذِيذٌ، كأنهم أرادوا به جمع جَذِيذ وجُذَاذ، كما يجمع الخفيف خفاف، والكريم كرام.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب: قراءة من قرأه (جذاذاً) بضم الجيم، لإجماع قراء الأمصار عليه، وإن ما أجمعت عليه فهو الصواب، وهو إذا قرىء كذلك مصدر مثل الرفات، والفتات، والدقاق، لا واحد له. وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجذيذ، والجذيذ: هو (فعيل) صرف من مجذوذ إليه، مثل كسير، وهشيم، والمجذوذة: المكسورة قطعاً.

قال أبو حيان[3]: ﴿جُذَاذًا﴾ أي: مفكوكة الأجزاء.

قال الشعراوي[4]: ومعنى ﴿جُذَاذًا﴾ أي: قطَعاً متناثرة وحطاماً، بعد أنْ كانت هياكل مجتمعة ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبيَاء: 58] أي: أنه تركه فلم يحطمه، وقد كانوا يضعون الأصنام على هيئة خاصة و(ديكور)، بحيث يكون الكبير في الوسط، وحوله الأصنام الصغيرة يعني: كأن له سيطرةً عليهم ومنزلة بينهم، وكانوا يضعون في عينه الزبرجد، حتى يُخيَّل لمَنْ يراه أنه ينظر إليه.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) البحر المحيط.
(4) تفسير الشعراوي.

جذو

(جذو - شرر - شواظ - شهاب - لهب - قبس)

- **الجَذْوَةُ:** قطعة من الحطب بعد التهاب النار فيها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29].
- **الشَّرَرُ:** ما تطاير من النار ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المُرسَلات: 32].
- **الشُّوَاظُ:** لهب لا دخان فيه ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرَّحمٰن: 35].
- **الشِّهَابُ:** ساطعة من نار موقدة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10].
- **اللَّهَبُ:** اضطرام النار ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المَسَد: 3].
- **القَبَسُ:** المتناول من الشهاب ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النَّمل: 7].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

شعلة: هي فتيل موقود كعود الثقاب أو فتيل السراج وهي كل ما توقد به النار. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4].

لهب: الخطوة الأولى من النار الفعلية أي: اضطرام النار الأول.

لهب: مضرم النار واللهب الصافي هو مصدر اللهيب. ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: 31] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المَسَد: 3].

لهيب: شدة حر النار عندما تنضج باستمرار الإيقاد عليها.

شهاب: عندما يرتفع اللهب وعندما يوقد كل ما في النار (النار في الخشبة أو العود المأخوذ من النار ويكون قد اشتعلت كلها). ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: 7].

قبس: العود الذي يؤخذ مشتعل نار وناره مستوية ليس فيها دخان وقد يأتي شخص آخر يأخذ منها جزءاً ليضرم ناراً أخرى تسمى قبس. ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: 10].

شرر: الشرر الذي يتطاير من النار من شدة الالتهاب. ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات: 32].

شواظ: لسان طويل يخرج من النار. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمٰن: 35].

جمر: عندما ينطفئ اللهب وتصبح النار حوراء متقدة حية قوية (والجمرة عند العرب تطلق على كل قبيلة قوية).

جذوة: عندما تضعف حرارة الجمر وهي النار الهادئة بعد أن كانت جمراً. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والذال والواو أصل يدل على الانتصاب، يقال: جَذَوْتُ على أطراف أصابعي: إذا قمت.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: يقال: جَذَا يَجْذُو مثل جَثَا يَجْثُو، إلّا أن جَذَا أدل على اللزوم.

وهذا الذي قال الخليل فدليل لنا في بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام، والخليل عندنا في هذا المعنى إمام.

ورجل جَاذٌ، وامرأة جَاذِيَةٌ، وهو القصير الباع.

والجُذْوَةُ: قبسة من نار.

والتَّجَاذِي، والإِجْذَاءُ إشالة الجمر ونحوه، أَجْذَيْتُه، وهم يَجْذُونَهُ.

قال الجوهري[2]: الجَذوة والجُذوة والجِذْوَة: الجمرة الملتهبة والجمع: جِذًى وجُذًى

والجَاذِي: المقعي منتصب القدمين، وهو على أطراف أصابعه.

والجمع جِذَاءٌ، مثل نائم ونيام.

وأَجْذَى وجَذَا بمعنى، إذا ثبت قائماً.

وكل من ثبت على شيء فقد جذا عليه.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [القَصَص: 29].

قال الطبري[3]: وفي (الجَذْوَةِ) لغات للعرب ثلاثة: جِذْوة بكسر الجيم، وبها

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) جامع البيان.

قراء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة، وهي أشهر اللغات الثلاث فيها، و(جَذْوة) بفتح الجيم، وبها قرأ أيضاً بعض قراء الكوفة. وهذه اللغات الثلاث وإن كن مشهورات في كلام العرب، فالقراءة بأشهرها أعجب إلي، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن.

قال أبو السعود(1): (أو جذوة من النار) أي: عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا.

قال الشعراوي(2): الجذوة: قطعة من نار متوهجة ليس لها لَهَب، ومعنى تصطلون أي: تستدفئون بها، وفي موضع آخر قال: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النَّمل: 7] يعني: شعلة لها لسان ولهب، فمأربهم - إذن - على هذه الحال أمران: مَنْ يخبرهم بالطريق حيث تاهَتْ بهم الخُطَى في مكان لا يعرفونه، ثم جذوة نار يستدفئون بها من البرد.

قال ابن عطية(3): (جذوة) وهي القطعة من النار في قطعة عود كبيرة لا لهب لها إنما هي جمرة.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) المحرر الوجيز.

جرح

(اجترح - اقترف)

■ **الاجْتِرَاحُ:** ارتكب بجوارحه ذنباً يترك أثراً ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: 21].

■ **الاقْتِرَافُ:** ذنب يترك أثراً سلبياً ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها هي أساليب ارتكاب الذنوب. وكل الكلمات فيما عدا فعل وتجانف هي للكافرين، أما فعل وتجانف فهي للمؤمن يقال: فعل الذنب أو تجانف للذنب.

جرح واجترح: من أساليب ارتكاب الذنوب وهي تعني الذنب الذي يترك أثراً لا يُمحى (ولكم في الجروح قصاص) كل جرح يبطل المكان الذي وقع عليه والجُرح يبطل المجروح فإذا جُرح الشاهد لم تقبل شهادته. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ واجتراح السيئة لا يكون إلا للكافر. وكل سيئة تُمحى إلا الشرك باب. ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: 60] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21].

اقترف: وأصلها من قرف. وقرف لها معنيان: يقال قرف الشجرة عندما يُنزع

عنها اللحاء أو القشرة الخارجية مما يؤلم الشجرة ولكنه طيب الرائحة. ويقال قرف الجُرح أي: كشطه وهو مؤلم ومقزز لما فيه. واقترف بمعنى نزع الشيء بشكل مؤلم لكن الألم قد يكون طيباً يورث محمدة أو قبيحاً يورث مذلة. لذا تأتي اقترف بالخير ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23] والشر ﴿وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113] ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120] يقال: اقترف الصلاة واقترف الزنا. واقتراف الحسنات يترك أثراً محموداً وذكراً طيباً ولساناً محموداً حتى بعد الممات لأن الحسنات طيبة الرائحة ولا يقوم بها إلا القلّة كأن يكون الإنسان عفيفاً أو كريماً. اقترف واجترح قد تكون مرة واحدة.

احتمل: إصرار على الذنب والاستمرار عليه حتى يصبح ثقيلاً بحيث لا يمكن أن يحمله يوم القيامة فالحمل كماً والاحتمال كيفاً ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58].

كسب: تقال لمن مات على هذا الشرك (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) وهو حصيلة عمر الإنسان وهو كل عمل الإنسان وهو كل ما باشر أسبابه أو لم يباشر أسبابه كأن يدعو لك أحد بظهر الغيب ونحوه.

اكتسب: هو كل ما يملك وباشر أسبابه أو كل ما فعله الإنسان عن قصد. واكتسب أكثر من كسب بالمبنى وهذا يدل على زيادة المعنى فالذنب أعظم وأضخم من الحسنة، فالحسنة تُصنع من جانب تضعيف الأجر حتى أنها تكاد تتلاشى مقابل جزائها. أما السيئة فهي بمثلها لها حضور لأنها تساوي أجرها. والكسب يكون عادة في الأمور الأخروية والاكتساب في الأمور الدنيوية. والاكتساب افتعال فيه جهد وإصرار والله تعالى لا يكتب علينا إلا ما نصرّ عليه. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: 286].

افترى: هو التآمر كتشويه سمعة عالم أو داعية، أو ما شابه وهي تقال على الإشاعات والتهم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: 69] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 50]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 21].

عمل: تقال للكافر عادة (يعملون السيئات). والكافر عمله العام كله سيء العمل، عام يقال: عمل فلان نجّار؛ أما الفعل فهو جزء من العمل كأن يقال: نجّار الأبواب أو غيرها. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30]، ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102].

فعل: الفعل هو من جزئيات العمل والعمل هو العام. والفعل من عمل المؤمن يقال للمؤمن فعل الفاحشة أو فعل السيئة وليس عمل الفاحشة أو عمل السيئة. وما إن يفعل المؤمن فعلته حتى يتوب عنها وإن كانت فاحشة. وكلمة لا إله إلا الله كلمة عظيمة ومن فضل الله تعالى أن كل الذنوب إلا الشرك قابلة للمغفرة ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 115]، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

جنف: كل شيء تضطر إليه لارتكاب الحرام أكلاً أو شرباً أو شِركاً ولا يرضى به قلبك ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: 106] وكل ضرورة وكل اضطرار تدفعك إلى أن يصبح الحرام حلالاً وأنت كاره له ولا تأخذ منه إلا الحدّ الأدنى. ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: 3] فيُكره الفعل

ويُكره الرخصة فيه. وهي تقال للمؤمن الذي يضطر لارتكاب إثم أو حرام أو جريمة وهو كاره لها في قلبه ويأخذ منها فقط ما يبقيه حيًّا كمثل العطشان في صحراء يوشك على الموت فيشرب من الخمر وهو يكره الرخصة ولا يشرب إلا بالقدر الذي يحفظ عليه حياته من الهلاك. أو كأن يأكل لحم خنزير أو ميتة في حال الإشراف على الهلاك وليس هناك طعام آخر لكنه لا يفعل هذا باستمرار وإنما فقط للضرورة القصوى. ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 182].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والراء والحاء أصلان: أحدهما: الكسب، والثاني: شق الجلد.

فالأول قولهم: اجْتَرَحَ: إذا عمل وكسب.

وإنما سمي ذلك اجْتِرَاحاً، لأنه عمل بالجَوَارِح، وهي الأعضاء الكواسب.

والجَوَارِحُ من الطير والسباع: ذوات الصيد.

وأما الآخر فقولهم: جَرَحَهَ بحديدة جُرْحاً، والاسم: الجُرْحُ، وهو أثر دامٍ في الجلد.

قال الخليل[2]: جَرَحْتُه أجْرَحُه جُرْحاً، واسمه: الجُرْحُ.

والجِرَاحَةُ: الواحدة من ضربة أو طعنة.

وجَوَارِحُ الإنسان: عوامل جسده من يديه ورجله، الواحدة جَارِحَة.

واجْتَرَح عملاً: أي اكتسب.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والجَوَارِحُ: ذوات الصيد من السباع والطير، الواحدة: جَارِحَة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المَائدة: 4].

فالبازي جَارِحَة، والكلب الضاري جَارِحَة. سميت جَوَارِح، لأنها كواسب أنفسها، من قولك: جَرَحَ واجْتَرَحَ.

قال الجوهري[1]: جَرَحَه جَرْحاً، والاسم: الجُرْحُ بالضم، والجمع: جُرُوح. ولم يقولوا: (أَجْرَاحٌ)، إلّا ما جاء في شعر.

والجِرَاحُ: جمع جِرَاحَةٍ بالكسرة.

ورجل جَرِيحٌ وامرأة جَرِيحٌ، ورجال ونسوة جَرْحَى، وجَرَّحَهُ، شدد للكثرة.

وجَوَارِحُ الإنسان: أعضاؤه التي يكتسب بها.

قال أبو هلال[2]: الفرق بين الكسب والجرح: أن الجرح يفيد من جهة اللفظ أنه فعل بجارحه، كما أن قولك: عنته يفيد أنه من جهة اللفظ للإصابة بالعين، والكسب لا يفيد ذلك من جهة اللفظ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: 60].

قال الطبري[3]: يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار.

قال الماوردي[4]: أي: ما كسبتم، لأنه مستفاد بعمل الجارحة، ومن جوارح

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الفروق في اللغة.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.

الطير، لأنها كواسب بجوارحها، وجرح الشهادة هو الطعن فيها، لأنه مكسب الإثم.

قال الفخر الرازي[1]: يريد ما كسبتم من العمل بالنهار، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [المائدة: 4]، والمراد منها: الكواسب من الطير والسباع، واحدتها: جارحة ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: 21]، أي: اكتسبوا، وبالجملة فالمراد منه: أعمال الجوارح.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: 45].

قال ابن الجوزي[2]: يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات التي استيفاء المثل فيها.

قال البيضاوي[3]: أي: ذات قصاص، وقرأه الكسائي أيضاً بالرفع، ووافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل.

قال أبو حيان[4]: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ أي: ذات قصاص، ولفظ (الجروح) عام والمراد به الخصوص، وهو ما يمكن فيه القصاص، وتعرف المماثلة. ولا يخاف فيها على النقص، فإن خيف كالمأمومة وكسر الفخذ ونحو ذلك، فلا قصاص فيه.

ومدلول ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ يقتضي أن يكون الجرح بمثله، فإن لم يكن فليس بقصاص.

وأما الجروح في اللحم فقال [عطاء]: فقد ذكر بعض أهل العلم أن القصاص فيها ممكن يقاس بمثل، ويوضع بمقدار ذلك الجرح.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) زاد المسير.
(3) أنوار التنزيل.
(4) البحر المحيط.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المَائدة: 4].

قال الطبري(1): يعني بذلك جل ثناؤه: يسألك يا محمد أصحابك ما الذي أحل لهم أكله من المطاعم والمأكل؟ فقل لهم: أحل لكم منها الطيبات، وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من الذبائح، وأحل لكم أيضاً مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح، وهن الكواسب من سباع البهائم والطير.

قال الماوردي(2): يعني: وصيد ما علمتم من الجوارح، وهي الكواسب من سباع البهائم والطير، سميت جوارح لكسب أهلها بها، من قولهم: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم.

قال البغوي(3): يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح.

واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ماصاده غير الكلب إلّا أن يدرك ذكاته. وهذا غير معمول به بل عامة أهل العلم على أن المراد من (الجوارح) كالكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر، ونحوها مما يقبل التعليم، فيحل صيد جميعها.

سميت جارحة: لجرحا أربابها أقواتها من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم.

● **قال تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 21].

قال الطبري(4): يقول تعالى ذكره: أم ظن الذين اجترحوا السيئات من

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) معالم التنزيل.
(4) جامع البيان.

الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة، دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك. لقد ميّز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

قال الشعراوي[1]: يعني: فعلوها واكتسبوها لذلك نُسمِّي الجوارح من الطيور (الكاسبات) لأنها تُستخدم للصيد، فهي كواسب. والسيئة هي كل ما يسوء صاحبه، يسوءه عقاباً أو ذماً.

وفي الآية استفهامٌ يفيد الإنكار والتعجب من هذا الظن، فكيف نُسوِّي بين الكافرين والمؤمنين، أو بين الطائعين والعاصين، فالذين انصرفوا عن دعوتك يا محمد، وظنوا أنْ نُسوِّيهم بالذين آمنوا ظنهم خاطئ. فشتَّان بين هذا وذاك، ولن نعاملهم كما نعاملكم، بل نعاملهم في الدنيا بالهزيمة، ونعاملكم بالنصْرة والتمكين، ونعاملهم في الآخرة بالعذاب، ونعاملكم بالنعيم والثواب.

---

(1) تفسير الشعراوي.

جرد

(جراد - فراش)

■ **الجَرَادُ:** طائر أجرد كثيف التواجد يسلطه الله على الظالمين فيأكل مزارعهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القَمَر: 7].

■ **الفَرَاشُ:** طائر جميل ورقيق بحجم الجراد يأكل من ورق الزهور ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القَارعَة: 4].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والراء والدال أصلٌ واحد، وهو بُدوٌّ ظاهِر الشَّيء حيث لا يستُره ساتر. ثم يحمل عليه غيرُه ممَّا يشاركه في معناه.

يقال: تجرَّد الرَّجل من ثيابه يتجرَّدُ تجرُّداً.

قال بعضُ أهل اللُّغة: الجَرِيد: سَعَفُ النَّخل، الواحدة جريدة، سمِّيت بذلك لأنه قد جرِد عنها خُوصها.

والأرْضُ الجَرَد: الفضاء الواسعُ، سمِّي بذلك لبُروزه وظُهوره وأن لا يستره شيءٌ. ويقال: فرس أَجرَدُ: إذا رَقَّت شَعْرتُه.

قال الخليل[2]: الجَرَدُ: فضاء لا نبات فيه، اسم للفضاء، فإذا نعت به قلت: أرض جَرْدَاءُ، ومكان أَجْرَدُ، وقد جَرَدْتُ جَرْداً، وجَرَّدَها القحط تَجْرِيداً.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ورجل أَجْرَدُ: لا شعر على جسده.

والأَجْرَدُ من الخيل والدواب: القصير الشعر، حتى يقال: إنه لأَجْرَدُ القوائم، أي: قصير شعر القوائم.

قال الجوهري[1]: الجَرَدُ: فضاء لا نبات فيه.

وأرضٌ جَرْدَةٌ وفضاءٌ أَجْرَدُ: لا نبات فيه؛ والجمع الأَجارِدُ. ورجلٌ أَجْرَدُ بيِّن الجَرَدِ: لا شعر عليه. وفرسٌ أَجْرَدُ، وذلك إذا رَقَّتْ شَعْرَتُهُ وقصُرَتْ؛ وهو مدحٌ. والجَريدُ: الذي يُجْرَدُ عنه الخوصُ. ولا يسمَّى جَريداً ما دام عليه الخُوص، وإنّما يسمَّى سَعَفاً، الواحدة جَريدةٌ. وكلُّ شيءٍ قشرتَه عن شيء فقد جَرَدْتَهُ عنه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القَمَر: 7].

قال الزمخشري[2]: (الجراد) مثل في الكثرة والتموج، يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: (جاءوا كالجراد وكالدبا)، منتشر في كل مكان لكثرته.

قال الفخر الرازي[3]: مثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج، ويحتمل أن يقال: المنتشر مطاوع نشره إذا أحياه فكأنهم جراد يتحرك من الأرض ويدب إشارة إلى كيفية خروجهم من الأجداث وضعفهم.

قال الطنطاوي[4]: أي: يخرجون من القبور، وعيونهم ذليلة من شدة الهول، وأجسادهم تملأ الآفاق، حتى لكأنهم جراد منتشر، قد سد الجهات. واستتر

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) الوسيط في تفسير القرآن.

بعضه ببعض. فالمقصود بالجملة الكريمة تشبيههم بالجراد في الكثرة والتموج، والاكتظاظ والانتشار في الأقطار وهم يسرعون الخطا نحو أرض المحشر.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

قال الزمخشري(1): بعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء. ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة، فكشف عنهم بعد سبعة أيام، خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها، فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا.

قال ابن عطية(2): وروى ابن وهب مالك أنه روي: أنه أكل أبوابهم وأكل الحديد والمسامير وضيق عليهم غاية التضييق، وترك الله من نباتهم ما يقوم به الرمق، فقالوا لموسى: ادع في كشف الجراد ونحن نؤمن، فدعا فكشف، فرجعوا إلى كفرهم، ورأوا أن ما أقام رمقهم قد كفاهم.

قال القرطبي(3): وأجمع المسلمون على إباحة أكله، قال الأربعة: يحل أكله سواء مات حتف أنفه أو بذكاة أو باصطياد مجوسي أو مسلم، قطع منه شيء أو لا. والدليل على عموم حله قوله عليه السلام: **(أحلت لنا ميتتان ودمان الكبد والطحال والسمك والجراد).**

وإذا تبخر إنسان بالجراد البري نفعه من عسر البول. وقال ابن سينا: إذا أخذ منها اثنا عشر ونزعت رؤوسها وأطرافها، وجعل معها قليل آس يابس، وشرب للاستسقاء نفعه.

وأما الجراد البحري فهو من أنواع الصدف، كثير بساحل ببلاد المغرب، ويأكلونها كثيراً مشوياً ومطبوخاً، ولحمها نافع للجذام.

---

(1) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

جرر

(جرر - خطف - سحب - سفع - نتق)

■ **الجَرُّ:** الجذْب للآخر بعنف ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150].

■ **السَّفْعُ:** الأخذ الشديد بسفعة الرأس أي: مقدمة الوجه ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: 15].

■ **الخَطْفُ:** نهب الشيء من مكانه بسرعة ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العَنكبوت: 67].

■ **السَّحْبُ:** جرّ الشيء الثقيل على الأرض ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القَمَر: 48].

■ **النَّتقُ:** نزع الشيء الثقيل من مكانه بقوة ليسهل حمله ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعرَاف: 171].

* * *

شرح المعاني:

كل هذه الكلمات تدل على أساليب كيف يساق الناس يوم القيامة وهي كلها من أنواع الجرّ والجذب.

جرّ: الجذب لجهة الجاذب. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150]، وهي كناية عن عقوبة الحبيب لحبيبه، ومنه الجريرة وهي الذنب الكبير الذي يجذبك إلى الحاكم.

سحب: هو الجذب على الأرض تماماً. ولا يطلق السحب إلا أن يكون

المسحوب كله على أديم الأرض وجهه وصدره وجسمه على الأرض يزحف كما تزحف الأفعى ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: 48]، ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71]

سحل: أصلها من سحل الحديد أي برده وقشره ومأخوذة من الساحل للماء، مثل المدّ يسحل الرمل من الشاطئ بهدوء. والسحل هو جذب الشيء بلا صوت بشكل ناعم مثل السحلية لا يسمع لها صوت. ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: 39].

سفع: هو الجذب من الناصية وهو يدل على شدة انقياد المجذوب وعجزه فيصبح ذليلاً تابعاً خانعاً ويدل على عجز المجذوب وذهاب إرادته وقوته بحيث يستكين وينقاد انقياداً تاماً ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: 15]. ويقال للسفع هو الجرّ بالناصية.

نتق: قطعة من شيء ثابت تستطيع أن تجرها إليك فتلين في يدك، والنتق يحتاج إلى قوة هائلة وشدة ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171].

وأضيف كلمة ساق وسيق ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: 71] وكلمة كشط ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: 11] والله أعلم.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والراء أصلٌ واحد؛ وهو مدُّ الشّيءِ وسَحْبُه. يقال: جَرَرت الحبلَ وغيرَه أجُرُّهُ جَرًّا.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والجَرُّ: أسفَل الجبَل، وهو من الباب، كأنّه شيءٌ قد سُحِب سحْباً. قال: والجَرُور من الأفراس: الذي يَمْنَع القِياد. وله وجهان: أحدهما أنّه فعول بمعنى مفعول، كأنّه أبداً يُجرُّ جَرًّا، والوجه الآخر أن يكون مجروراً على جهته، لأنه يجرّ إليه قائدهُ جَرًّا. والجرَّار: الجيش العظيم، لأنّه يَجُرّ أتباعه ويَنْجَرّ.

ومن القياس الجُرْجُور: وهي القطعة العظيمة من الإبل. قال: والجَرِيرُ: حبلٌ يكون في عنق النّاقة مِن أَدَم، وبه سمِّي الرّجل جَريراً. ومن هذا الباب الجَرِيرَةُ: ما يجرُّه الإنسانُ من ذنبٍ، لأنّه شيءٌ يَجُرُّه إلى نفسه. ومن هذا الباب الجِرَّة جِرَّة الأنعام، لأنّها تُجَرّ جَرًّا.

قال الخليل(1): الجَرَّةُ وجمعها الجِرَارُ والجَرُّ. والجِرَارَةُ: حرفة الجرار. والجَرُورُ: الفرس الذي لا ينقاد. والجَرِير: حبل الزمام.

قال الجوهري(2): الجرَّةُ من الخزف، والجمع جَرٌّ وجِرارٌ. والجَرُّ أيضاً: أصل الجبَل. والجِرَّةُ بالكسر: ما يُخرجه البعير للاجترار. والجِرِّيةُ: الحوصلة. والجُرَّةُ: خشبةٌ نحوَ الذراع في رأسها كِفَّة وفي وسطها حَبْل يُصاد بها الظباء. وفي المثل: ناوَصَ الجَرَّة ثم سالَمَها. وذلك أنَّ الظبي إذا نَشب فيها ناوَصَها ساعةً واضطرب، وإذا غلبته استقرَّ فيها كأنَّه سالمها. يُضرَب لمن خالف ثم اضطُرَّ إلى الوفاق.

وفرسٌ جَرورٌ: يمنَع القياد. وبئر جَرورٌ: بعيدة القعر يُسْنى عليها. والجَارورُ: نهر السيل. وكتيبةٌ جَرَّارةٌ، أي: ثقيلة المسير لكثرَتها. وجيشٌ جَرَّارٌ. والجَرَّارَةُ أيضاً: عُقيربٌ تجرُّ ذَنَبَها. والجَرير: حبل يُجعل للبعير بمنزلة العِذار للدّابة غير الزِمام، وبه سمِّي الرجل جَريراً. وجَرَرْتُ الحبلَ وغيرَه أَجُرُّهُ جَرًّا. والمَجَرَّةُ التي في السماء سمِّيت بذلك لأنّها كأثر المَجَرِّ. وجَرَّ عليهم جَريرةً، أي: جنى عليهم جناية. ويقال: جَرَّتِ الناقة: إذا أتت على مَضرِبها ثم جاوزته بأيام ولم تُنتَج.

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

وتقول: كان ذلك عامَ كذا وهلمَّ جَرًّا إلى اليوم. وفعلت كذا مِن جَرَّاكَ، أي من أجلك، وهو فَعْلى، ولا تقل مَجْراكَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ﴾ [الأعراف: 150].

قال الطبري(1): فإن ذلك من فعل نبي الله موسى عليه السلام كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتباعه، وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه.

قال الزمخشري(2): (يجره اليه) بذؤابته، وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته، وظناً بأخيه أنه فرط في الكف.

قال البيضاوي(3): توهماً بأنه قصر في كفهم، وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين، وكان حمولاً ليناً، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل.

قال أبو حيان(4): وقيل: ذلك الأخذ والجر كان ليسر إليه أنه نزل عليه الألواح في مناجاته، وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل، فنهاه هارون لئلا يشتبه سراره على بني إسرائيل بإذلاله.

وقيل: ضمه ليعلم ما لديه، فكره ذلك هارون لئلا يظنوا إهانته، وبين أخوه أنهم استضعفوه.

وقيل: كان ذلك على سبيل الإكرام لا على سبيل الإهانة، كما تفعل العرب من قبض الرجل على لحية أخيه.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) البحر المحيط.

جرز

(جرز - قاع - حصيد)

■ **الجُرُز:** الأرض يستأصل نباتها من الجذور ﴿لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف: 8].

■ **القَاعُ:** الأرض لا نبت فيها أصلاً ولا ماء ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39].

■ **الحَصِيدُ:** الأرض يحصد زرعها في غير أوانه ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يونس: 24].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والراء والزاي أصلٌ واحد، وهو القطْع. يقال: جَرَزْتُ الشيءَ: قطعتُه. وسيفٌ جُرَاز أي: قَطّاع. وأرضٌ جُرُزٌ: لا نَبْت بها. كأنَّه قُطِع عنها.

قال الخليل(2): الجَرْزُ: شدة الأكل، وجَرَزَ يَجْرُزُ.

وأرض جُرُزٌ، وجُرِزَتْ جَرْزاً، أي: لم يبق عليها النبت شيء إلّا مأكولاً، وأرض مَجْرُوزَة، وأرض أَجْرَاز، ويجمعون على سعة الأرض.

ويقال: رماه الله بشرزة وجِرْزَة، يريد به الهلاك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ويقال للسنة المجدبة: جُرُزٌ، وسنون أَجْرَاز، لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها.

قال الجوهري[1]: أرضٌ جُرُزٌ: لا نبات بها، كأنه انقطع عنها، أو انقطع عنها المطر. وفيها أربع لغات: جُرْزٌ وجُرُزٌ، وجَرْزٌ وجَرَزٌ. وجمع الجُرْزِ جِرَزَةٌ. وجمع الجَرَزِ أَجْرازٌ. تقول منه: أَجْرَزَ القومُ، كما تقول: أيبسوا. وأرض مَجْروزةٌ: أُكِلَ نباتُها. والجُرُزُ السنة المُجْدِبَةُ. وقولهم: إنّه لذُو جَرَزٍ أيضاً بالتحريك، أي: غِلَظٍ.

والجُرْزُ: عمود من حديدٍ. وثَلاثَةُ جِرَزَةٍ. وجَرَزُهُ يَجْرُزُهُ جَرْزاً: قَطعَهُ. وسيف جُرازٌ، بالضم، أي: قَطَّاعٌ. وناقةٌ جُرازٌ، أي: أكولٌ. والجَروزُ: الذي إذا أكل لم يتركْ على المائدة شيئاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 8].

قال الطبري[2]: وإنا لمخربوها بعد عمارتناها، بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيروها صعيداً جرزاً، لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس. وقد قيل: إنه أريد بـ(الصعيد) في هذا الموضع: المستوي بوجه الأرض؛ وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك.

قال الزمخشري[3]: (صعيداً جرزاً) يعني: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء معشبة، في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها، وإزالة ذلك كله كأن لم يكن.

قال الفخر الرازي[1]: والمعنى أنه تعالى بيَّن أنما زين الأرض لأجل الامتحان والابتلاء، لا لأجل أن يبقى الإنسان فيها متنعماً أبداً، لأنه يزهد فيها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ [الكهف: 8] ونظيره قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: 26]، وقوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: 106]، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: 3].

والمعنى أنه لا بد من المجازاة بعد فناء ما على الأرض، وتخصيص الإبطال والإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض، إلّا أن سائر الآيات دلت على أن الأرض أيضاً لا تبقى، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 48].

● **قال تعالى**: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السَّجدَة: 27].

قال الطبري[2]: يقول: أو لم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء، إنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة، التي لا نبات فيها.

قال ابن كثير[3]: يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم، في إرساله إما من السماء أو من السيح، وهو ما تحمله الأنهار ويتحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ وهي التي لا نبات فيها كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 8]، أي: يابساً لا تنبت شيئاً.

وليس المراد من قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير ابن كثير.

المقصود، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء، ما لو نزل عليها مطر لتهدمت أبنيتها.

فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشي أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء وذلك الطين أيضاً، لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً.

جرع

(جرع - ساغ - ذاق - شرب - سقى)

■ **الجَرْعُ:** تكلف الشرب ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: 17].

■ **الذَّوْقُ:** اختبار الطعم بطرف اللسان ﴿إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الشّورى: 48].

■ **السَّقْيُ:** إطفاء ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: 79].

■ **الشُّرْبُ:** تناول المائع ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: 4].

■ **السَّوْغُ:** سهولة انحدار الشراب ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والراء والعين يدل على قلة الشيء المشروب، يقال: جَرَعَ الشارب الماء يَجْرَعُه، وجَرِعَ يَجْرُعُ. فأما الجَرْعَاءُ: فالرملة التي لا تنبت شيئاً، وذلك من أن الشرب لا ينفعها، فكأنها لم ترو.

ويقال: نوقٌ مَجَارِيعُ: قليلات اللبن، كأنه ليس في ضروعها إلّا جُرَعٌ.

ومما شذ عن هذا الأصل الجَرَعُ: التواء في قوة من قوى الحبل ظاهرة على سائر القوى.

قال الخليل[2]: جَرِعْتُ الماء أَجْرَعُه جَرْعاً، واجْتَرَعْتُه. وكل شيء يبلعه فهو

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

اجْتِرَاعٌ، والاسم: الجُرْعَةُ. وإذا جَرَعَهُ بمرة قيل: اجْتَرَعَهُ. والاجْتِرَاعُ بالماء كالابتلاع بالطعام، والتَّجَرُّع: تتابع الجرع مرة بعد مرة.

قال الجوهري[1]: جَرِعْتُ الماء أجْرَعُهُ جَرْعاً، وجَرَعْتُ بالفتح لغةٌ أنكرها الأصمعيّ. والجَرَعَةُ بالتحريك: واحدة الجَرَعِ، وهي رملة مستوية لا تنبت شيئاً. وكذلك الجَرْعاءُ. والجَرَعُ أيضاً: التواءٌ في قوَّةٍ من قُوى الحبل ظاهرةٌ على سائر القوى. والجُرْعَةُ من الماء: حُسْوَةٌ منه. قال الفراء: هو آخر ما يخرج من النَفَس.

ونوقٌ مَجاريعُ: قليلاتُ اللبن، كأنَّه ليس في ضرعها إلا جُرَعٌ، وجَرَّعَهُ غُصَصَ الغيظ فتَجَرَّعَهُ، أي: كَظَمه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: 17].

قال البغوي[2]: أي: يحتساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته.

قال الزمخشري[3]: يتكلف جرعه.

قال الفخر الرازي[4]: التجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار.

قال ابن كثير[5]: أي: يتغصصه ويتكرهه، أي: يشربه قهراً وقسراً لا يضعه في فمه، حتى يضر به الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحجّ: 21].

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.
(5) تفسير ابن كثير.

قال الشعراوي[1]: ويتجرعه أي: يأخذه جَرْعة جَرْعة، ومن فرط مرارته لا تكون له سيولة تُستسَاغ؛ فيكاد يقف في الحَلْق؛ والإنسان لا يأخذ الشيء جَرْعة جَرْعة إلا إذا كان لا يقدر على استمرار الجرعة؛ ولكن هذا المشروب من الصديد لا يكاد يستسيغه مَنْ يتجرعه. ويقال: استساغ الشيء. أي: ابتلعه بسهولة.

(1) تفسير الشعراوي.

جرف

(جرف - حدّ - طرف - حافة - ساحل)

■ **الجَرْفُ:** المكان الذي يأكله السيل والأمواج ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109].

■ **الحَدُّ:** الحاجز الذي لا ينبغي تجاوزه ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229].

■ **الطَّرَفُ:** جانب الشيء ابتداء وانتهاء ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: 114].

■ **الحَافَّةُ:** الطرف الحامي لحرمة الشيء ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32].

■ **السَّاحِلُ:** شاطىء البحر أو النهر ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والراء والفاء أصل واحد، أخذ الشيء كله هبشاً، يقال: جَرَفْتُ الشيء جَرْفاً: إذا ذهبت به كله. وسيف جُرَافٌ: يذهب كل شيء.

والجَرْفُ: المكان يأكله السيل. وجَرَفَ الدهر ماله: اجتاحه، ومال مُجْرَفٌ. ورجل جُرَافٌ: نكحة، كأنه يجرف ذلك جَرْفاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

ومن الباب: الجرفة: أن تقطع من فخذ البعير جلدة، وتجمع على فخذه.

قال الخليل[1]: الجَرْفُ: اجترافك الشيء عن وجه الأرض، حتى يقال: كانت المرأة ذات لثة فاجترفها الطبيب، أي: استحاها عن الأسنان وقطعها.

والطاعون: الجَارِفُ نزل بأهل العراق وجَرَفَهُم تَجْريفاً، فسمي جَارِفاً.

والجَارِفُ: شؤم أو بلية تجترف مال القوم.

قال الجوهري[2]: الجَرْفُ: الأخذُ الكثيرُ. وقد جَرَفْتُ الشيءَ أَجْرُفُهُ بالضم جَرْفاً، أي ذهبتُ به كلِّه أو جلِّه. وجَرَفْتُ الطين: كسحتُه. ومنه سمّي المِجْرَفَةُ. والجُرْفُ، مثل عُسْرٍ وعُسُرٍ: ما تَجَرَّفَتْهُ السيول وأكلتْه من الأرض. ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109]، والجمع جِرَفَةٌ. وقد جَرَّفَتْهُ السيولُ تَجْريفاً، وتَجَرَّفَتْهُ.

والجارِفُ: الموتُ العامُّ يَجْتَرِفُ مالَ القوم. والجارِفُ: طاعونٌ كان في زمن عبد الله بن الزُبير. والجَرْفُ بالفتح: سمةٌ من سمات الإبل، وهي في الفخذ بمنزلة القَرْمَةِ في الأنف، تُقْطَعُ جلدةٌ وتُجْمَعُ في الفخذ كما تُجْمَعُ على الأنف. وسيلٌ جُرافٌ بالضم: يذهب بكلِّ شيء. ورجلٌ جُرافٌ أيضاً: يأتي على الطعام كلِّه. ويقال لضربٍ من الكَيْلِ: جُرافٌ وجِرافٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 109].

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

قال الطبري[1]: على حرف جرف. والجرف من الركي: ما لم يبن له جول.

وإنما هذا مثل، يقول تعالى ذكره: أي هذين الفريقين خير، وأي هذين البناءين أثبت، أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه، بأن بناءه لله طاعة والله به راضٍ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال، وعلى غير بصيرة منه، بصواب فعله من خطئه، فهو لا يدري متى يتبين له خطاء فعله، وعظيم ذنبه، فيهدمه.

كما يأتي البناء على جرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه، ترى به التراب متناثراً، لا تلبثه السيول أن تهدمه وتنثره.

قال الماوردي[2]: يعني شفير جرف، وهو حرف الوادي الذي لا يثبت عليه البناء، لرخاوته وأكل الماء له.

قال الزمخشري[3]: وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء، وتجرفه السيول، فيبقى واهياً.

قال ابن عطية[4]: والجرف: حول البئر ونحوه مما جرفته السيول، والندوة، والبلي.

قال الفخر الرازي[5]: والجرف، هو ما إذا سال السيل وانحرف الوادي، ويبقى على طرف السيل طين واهٍ مشرف على السقوط ساعة فساعة، فذلك الشيء هو الجرف.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.
(4) المحرر الوجيز.
(5) التفسير الكبير.

جرم - لا جرم

(لا جرم - حقاً - حقيق - لا محالة)

■ **لا جرم:** تأكيد لما مضى من وصف ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هُود: 22].

■ **حقاً:** تأكيد المطلوب ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: 47].

■ **حقيق:** تأكيد الجدارة ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعرَاف: 105].

■ **لا محالة:** تأكيد الحدث:

ألّا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل وكـلُّ نـعيـمٍ لا مَـحـالـة زائـلُ

شرح المعاني:

لا جرم: تعني أن الأمر ثبت ولكنه وعيد بالمستقبل أي أن الوعد ليس ناجزاً الآن بل في المستقبل. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [غافر: 43] وعيد ثابت لا بد أن يقع على أساس ما كسبه الكافر من كفره. ولا جرم تأتي إذا كان هناك فعل أو أفعال سيئة أو ذنوب اقتضت عقوبة كبيرة. ولا جرم لا تبين مقدار العذاب أو التوقيت أو الكيف. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: 22]، و﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [النحل: 109] فالذين يضلون دون أن يُضلوا غيرهم فهؤلاء الخاسرون أما الذين يضلون ويُضلون فهؤلاء هم الأخسرون الذين حق عليهم كل جنس الضلالات.

حق: عندما ينفّذ الوعيد أي حق العذاب مثلاً ولا مجال لهروب الكافر. ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصافات: 31]، ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [قٓ: 14] ساعة وقوع العقوبة. حق العذاب تبيّن أن هذا الوعيد قُرر ونُفّذ في ساعة معينة بقوة معينة لزمن معين. ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يسٓ: 7] أي سبق في علم الله تعالى أن أكثرهم لن يؤمنوا لذا قال حق على أكثرهم. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36] الضلالة هنا بمعنى الشرك. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 13]، و﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: 63].

حاق: ويتفرع من حق (حاق) مثل زلّت وزالت. حاق العذاب بمعنى: أنت تحاول الهرب منه والتخلص منه ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: 34]، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45]. المكر الحسن قد يستعمل كحيلة أما المكر السيء فهو استعمال منتهى القوة على منتهى الضعف وهو استعمال القوة الباطشة التي لا حدود لها بمن هو ضعيف وفي غاية الضعف فالأمم صاحبة الخلق الرفيع لا تستعمل سلاحاً على من ليس عنده سلاح ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43] بمعنى يحق في فترة لاحقة في المستقبل مع محاولة التخلص منه. وحاق تعني الشدة في تنفيذ الأمور. ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45]. وكل من يمكر بالآخرين باستعمال قوته اللامتناهية على من هو ضعيف سيحق عليه العذاب آجلاً.

حقيق: من مشتقات حق ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 105] وتعني بالتأكيد وبشيء ثابت مقرر لا يمكن أن أقول على الله إلا الحق.

لزم: تدل على طول المكث والمدة ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26] هؤلاء المسلمون لازمة لهم كلمة التقوى على مدى الأزمان ما داموا ماكثين على الأرض. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129].

وجب: بمعنى حقه أن يوجد وقول الفقهاء الواجب ما إذا لم يفعله يستحق العقاب وذلك وصف له بشيء عارض له لا بصفة لازمة له، وعُبّر بالموجبات عن الكبائر التي أوجب الله عليها النار. ويقال وجبت الشمس إذا غابت كقولهم سقطت ووقعت ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: 36].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والراء والميم أصل واحد، يرجع إليه الفروع. فالجَرْمُ: القطع، ويقال لصرام النخل: الجِرَامُ، وقد جاء زمن الجِرَامُ. وجَرَمْتُ صوف الشاة وأخذته. والجُرَامَةُ: ما سقط من التمر إذا جرم، ويقال: لجُرَامَة ما التقط من كربه بعد ما يصرم. ويقال: سنة مُجَرَّمَةٌ أي: تامة، كأنها تصرمت عن تمام، وهو من تَجَرَّم الليل: ذهب. والجُرَامُ والجَرِيمُ: التمر اليابس. فهذا كله متفق لفظاً ومعنى وقياساً.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ومما يرد إليه قولهم: جَرُمَ، أي كسب لأن الذي يحوزه فكأنه اقتطعه، وفلان جَرِيمَةُ أهله، أي: كاسبهم.

والجُرْمُ والجَرِيمَةُ: الذنب، وهو من الأول، لأنه كسب، والكسب اقتطاع. وقالوا في قولهم: ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هُود: 22]: هو من قولهم: جَرَمْتَ أي: كسبت.

والجسد جِرْمٌ، لأن له قدراً وتقطيعاً، ويقال: مشيخة جلة جَرِيمٍ، أي: عظام الأَجْرَام.

فأما قولهم لصاحب الصوت: إنه لحسن الجِرْمِ، فقال قوم: الصوت يقال له: الجِرْمُ. وأصح من ذلك قول أبي بكر بن دريد: أن معناه حسن خروج الصوت من الجِرْمِ.

وبنو جَارِمٍ: في العرب. والجَارِمُ: الكاسب.

وجَرْمٌ هو الكسب، وبه سميت جَرْم وهما بطنان:

أحدهما في قضاعة، والآخر في طيء.

ولا جَرَمَ: يجري مجرى لا بد، ويفسر حقاً.

قال الجوهري(1): الجُرْم: الذنب، والجَرِيمَةُ مثله. تقول منه: جَرَمَ وأَجْرَمَ واجْتَرَمَ بمعنى.

والجَرْم: القطع، وقد جَرَمَ النخل واجْتَرَمَه، أي: صرمه فهو جَارِمٌ، وقوم جُرَّمٌ وجُرَّامُ. وهذا زمن الجِرام والجَرام.

وجَرَمْتُ صوف الشاة، أي: جززته، وقد جَرَمْتُ منه، إذا أخذت منه، مثل جَلَمْتُ.

قال أبو هلال(2): الفرق بين الذنب والجُرم: أن الذنب ما يتبعه الذم أو ما يتتبع عليه العبد من قبيح فعله، وذلك أن أصل الكلمة: الاتباع، على ما ذكرنا. فأما قولهم للصبي: قد أذنب، فإنه مجاز.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) الفروق في اللغة.

ويجوز أن يقال: الإثم هو القبيح الذي عليه تبعة، والذنب هو القبيح من الفعل ولا يفيد معنى التبعة، ولهذا قيل للصبي: قد أذنب، ولم يقل: قد أثم.

والأصل في الذنب: الرذل من الفعل كالذنب الذي هو أرذل ما في صاحبه. والجُرْم: ما ينقطع عن الواجب وذلك أن أصله في اللغة: القطع، ومنه قيل للصرام الجَرَامُ، وهو قطع التمر.

وقد جَرَمَ يَجْرِمُ جُرْماً، واجْتَرَمَ، وأَجْرَمَ، فهو مُجْرِمٌ وجَرِيمٌ، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40]، قال الزجاج: المجرمون هاهنا - والله أعلم -: الكافرون، لأن الذي ذكر من قصتهم التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها.

وجَرَمَ يَجْرِمُ، واجْتَرَمَ: كسب، وهو يَجْرِمُ لأهله، ويَجْتَرِمُ: يكتسب ويطلب ويحتال. وجَرِيمَةُ القوم: كاسبهم.

والجِرْم: الجسد، والجمع القليل: أَجْرَامٌ.

والكثير: جُرُوم، وجُرْمَان.

ولا جَرَمَ، أي: لا بد، وقيل: معناه حقاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: 22].

قال الطبري(1): يقول: حقاً أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا، في الآخرة هم الأخسرون، الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار، وذلك هو الخسران المبين.

(1) جامع البيان.

وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: جرمت: كسبت الذنب، وأجرمته، وان العرب كثر استعمالها إياه في مواضع الأيمان، وفي مواضع لا بد، كقولهم: لا جرم أنك ذاهب، بمعنى لا بد، حتى استعملوا ذلك في مواضع التحقيق، فقالوا: لا جرم ليقومن، بمعنى حقاً ليقومن، فمعنى الكلام لا منع عن أنهم، ولا صد عنه أنهم.

قال الزجاج[1]: قال المفسرون: المعنى جزاء حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

ومعنى (لا) نفي لما ظنوا أنه ينفعهم، كان المعنى لا ينفعهم ذلك، جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي: كسب ذلك الفعل لهم الخسران.

[**قال البيضاوي**[2]: لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم].

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2].

قال الطبري[3]: أما أهل المعرفة باللغة، فإنهم اختلفوا في تأويلها، فقال بعض البصريين: معنى قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحقن لكم، لأن قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل: 62]، هو حق أن لهم النار.

وقال بعض الكوفيين: معناه لا يحملنكم، وقال: يقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا وكذا: أي حملني عليه، واحتج جميعهم ببيت الشاعر:

---

(1) معاني القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمتْ فزارة بعدها أن يعضبوا

فتأول ذلك كل فريق منهم على المعنى الذي تأوله من القرآن، فقال الذين قالوا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحقن لكم. معنى قول الشاعر: جرمت فزارة: أحقت الطعنة لفزارة الغضب.

وقال الذين قالوا: معناه لا يحملنكم، معناه في البيت: جرمت فزارة أن يغضبوا: حملت فزارة على أن يغضبوا.

قال الزمخشري[1]: والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم، لأن صدوكم الاعتداء، ولا يحملنكم عليه.

قال أبو السعود[2]: نهى عن إحلال قوم من الآمين خصوا به، مع اندراجهم في النهي عن إحلال الكل كافة، لاستقلالهم بأمور ربما يتوهم كونها مصححة لا حلالهم، داعية إليه.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

قال الطبري[3]: يقول: فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك.

قال ابن كثير[4]: هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ بأنه، وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كذبت الرسل المتقدمون، مع ما جاؤوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم.

---

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.
(4) تفسير ابن كثير.

● **قال تعالى:** ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سَبَإ: 25].

قال الزمخشري: إن قلت: كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه، لا يدري أين يتوجه. وفي قراءة أبي: وأنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين. وهذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول؛ حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين - وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن، وبالعمل الكفر والمعاصي العظام - وفتح الله بينهم، وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار.

قال الفخر الرازي(1): أضاف الإجرام إلى النفس، وقال في حقهم: ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 25].

● **قال تعالى:** ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ [المعَارج: 11].

قال ابن عطية(2): (المجرم) في هذه الآية الكافر، بدليل شدة الوعد وذكر (لظى)، وقد يدخل مجرم المعاصي فيما ذكر الافتداء.

قال الفخر الرازي(3): المجرم هو الكافر، وقيل: يتناول كل مذنب.

قال أبو حيان(4): أي الكافر، وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذب.

قال الطنطاوي(5): ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يحب المجرم في هذا اليوم ويتمنى.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) البحر المحيط.
(5) الوسيط في تفسير القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74].

قال الطبري(1): يقول مكتسباً الكفر به.

قال البغوي(2): أي: مشركاً، يعني من مات على الشرك.

قال ابن عطية(3): (المجرم) الذي اكتسب الخطايا والجرائم.

● **قال تعالى:** ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدّخان: 22].

قال الطبري(4): يعني أنهم مشركون بالله كافرون.

قال الزمخشري(5): أي: دعا ربه بذلك، قيل: كان دعاؤه: اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم، وقيل: هو قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: 85]، وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك، وهو كونهم مجرمين.

● **قال تعالى:** ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: 46].

قال الطبري(6): يقول تعالى ذكره تهدداً ووعيداً منه للمكذبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ مسنون بكم سنة من قبلكم، من مجرمي الأمم الخالية التي متعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذيبها رسلها.

قال أبو حيان(7): ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أي: زماناً

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) جامع البيان.
(7) البحر المحيط.

قليلاً، إذ قصارى أكلكم وتمتعكم الموت، وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم.

● **قال تعالى**: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 8].

قال الطبري(1): ولو كره ذلك الذين أجرموا، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار.

قال الألوسي(2): المراد بهم: المشركون، لا من كره الذهاب إلى النفير، لأنه جرم منهم كما قيل.

قال ابن عاشور(3): ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ شرط اتصالي. و(لَوْ) اتصالية تدل على المبالغة في الأحوال، وهو عطف على ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 185]، أو على ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ أي يريد ذلك لذلك لا لغيره، ولا يصد مراده ما للمعاندين من قوة بأن يكرهَه المجرمون وهم المشركون. والكراهة هنا كناية عن لوازمها وهي الاستعداد لمقاومة المراد من تلك الإرادة، فإن المشركين، بكثرة عددهم وعُددهم، يريدون إحقاق الباطل، وإرادة الله تنفذ بالرغم على كراهة المجرمين، وأمّا مجرد الكراهة فليس صالحاً أن يكون غاية للمبالغة في أحوال نفوذ مراد الله تعالى إحقاقَ الحق: لأنه إحساس قاصر على صاحبه، ولكنه إذا بعثه على مدافعة الأمر المكروه كانت أسباب المدافعة هي الغاية لنفوذ الأمر المكروه على الكاره.

● **قال تعالى**: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: 97-99].

قال الفخر الرازي(4): أرادوا بذلك من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن

---

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.
(4) التفسير الكبير.

والإنس، وهو كقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: 67].

قال أبو حيان(1): أي أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجرأة وهم ساداتهم ذوو المكانة في الدنيا والاستتباع، كقولهم: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: 67].

قال الألوسي(2): ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: 99] الظاهر بناء على ما تقدم من أن الاختصام مع الأصنام والشياطين أن يكون المراد بـ(المجرمين): الشياطين، ليكون ذلك من الاختصام معهم، وإن لم يورد على وجه الخطاب، كما أن ما تقدم من الاختصام مع الأصنام، وكون المراد بهم ذلك مروي عن مقاتل.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

قال الطبري(3): يقول تعالى ذكره: فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم - ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج - عن الإيمان بالله، وتصديق رسوله موسى عليه السلام، واتباعه على ما دعاهم إليه، وتعظموا على الله، وعتوا عليه ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ يقول: كانوا قوماً يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق، عتواً وتمرداً.

قال الماوردي(4): (مجرمين) فيه وجهان: أحدهما: كافرين، والثاني: متعدين.

قال الفخر الرازي(5): (مجرمين) مصرين على الجرم والذنب.

---

(1) البحر المحيط.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.
(5) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: 66].

قال الطبري[1]: (مجرمين) فإن معناه نعذب طائفة منهم، باكتسابهم الجرم، وهو الكفر بالله وطعنهم في رسول الله ﷺ.

قال الزمخشري[2]: مصرين على النفاق، غير تائبين منه، أو أن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ﷺ ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل، نعذب في العاجل طائفة منهم بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله ﷺ مستهزئين.

● قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [سبإ: 32].

قال الطبري[3]: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان، من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله.

قال الفخر الرازي[4]: ردًّا لما قالوا: إن كفرنا كان لمانع ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ مانع ينبغي أن يكون راجحاً على المقتضي حتى يعمل عمله، والذي جاء به هو الهدى، والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئاً يوجب الامتناع من قبول ما جاء به، فلم يصح تعليلكم بالمانع. ثم بين أن كفرهم كان إجراماً؛ من حيث أن المعذور لا يكون معذوراً إلّا لعدم المقتضي أو لقيام المانع، ولم يوجد شيء منهما.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40].

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: يقول: وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا، ما استحقوا به من العذاب الأليم في الآخرة.

قال الزجاج[2]: أي: ومثل ذلك الذي وصفنا نجزي المجرمين.

والمجرمون - والله أعلم - هاهنا: الكافرون، لأن الذين ذكر قصتهم هم أهل التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها.

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هُود: 35].

قال الزجاج[3]: من قولك: أجرم الرجل إجراماً، ويقال: جرم في معنى أجرم، وأكثر ما تستعمل (أجرم) في كسب الإثم خاصة، يقال: رجل مجرم وجارم.

ويجوز (فعلي إجرامي) على جمع جرم، وهو على نحو قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: 26]، و(إسرارهم) إلّا أن القراءة بكسر الألف، وإجرامي على المصدر.

قال الألوسي[4]: (فعلى إجرامي) أي: وباله، فهو على تقدير مضاف، أو على التجوز بالسبب عن المسبب، وفسر الإجرام بكسب الذنب، وهو مصدر أجرم، وجاء على قله جرم.

وقرىء (أجرامي) بفتح الهمزة على أنه كما قال النحاس: جمع جرم، واستشكل العز بن عبد السلام الشرطية بأن الافتراء المفروض هنا ماضٍ والشرط يخلص للاستقبال بإجماع أئمة العربية. وأجاب: أن المراد - كما قال ابن السراج - أن ثبت أني افتريته فعلي إجرامي، على ما قيل في قوله تعالى: ﴿إِن

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) معاني القرآن.
(4) روح المعاني.

كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: 116]، ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ.

قيل: والأصل أن افتريته عقوبة افترائي، ولكنه فرض محال وأنا بريء من افترائكم، أي: نسبتكم إياي إلى الافتراء، وعدل عنه إدماجاً لكونهم مجرمين، وأن المسألة معكوسة، وحملت (ما) على المصدرية لما في الموصولية من تكلف حذف العائد مع أن ذلك هو المناسب لقوله: (إجرامي) فيما قبل، وما يقتضيه كلام ابن عباس من أن الآية من تتمة قصة نوح عليه السلام وفي شأنه هو الظاهر، وعليه الجمهور.

جرى

(جرى - فاض - دفق - سال - سكب - صب)

■ **الجَرْيُ:** المرّ السريع ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزّخرُف: 51].

■ **الفَيْضُ:** مجاوزة الماء لشواطئه ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المَائدة: 83].

■ **الدَّفْقُ:** اندفاع الماء الكثير فجأة وبقوة من مضيق واحد ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطّارق: 6].

■ **السَّيْلُ:** جريان الجامد والساكن ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سَبَإ: 16].

■ **السَّفْكُ:** جريان الدم عمداً ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 30].

■ **السَّكْبُ:** جريان السائل من الإناء برفق ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقِعَة: 31].

■ **الصَّبُّ:** جريان السائل من الأعلى بقوة ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عَبَسَ: 25].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

جرى: تعني أن تمشي سريعاً. والجري هو المشي السريع المتناسق الرتيب بنسق واحد في الحركة مثل الريح ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [صٓ: 36]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: 22]، ﴿تِلْكَ

حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13]، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: 38].

مرّ: المرّ هو السرعة في التجاوز. ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12]، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 105]، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72]، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات: 137]، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: 30].

ركض: قوة حركة الرجل في الأرض. والركض هو السرعة عن طريق حركة القدمين ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42]، ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء: 12].

سبح: هو المرّ السريع في الماء. وهو قوة حركة الجسم كله كالسابح في الماء يستعمل جسمه كله. ويقال للخيل: سابحات لأنها تتحرك بكل جسمها. ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: 3]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: 7].

نفر: النفر هو السرعة في الإعداد نتيجة اهتياج غير عادي. والنفر حركة خفيفة. ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]، و﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [النساء: 71].

زحف: الزحف هو سرعة المثقل بالأحمال بحيث يجرّ رجله في الأرض جراً من شدة الثقل، ويطلق الزحف على الجيش المنظم والنفير للشعب العادي وأفـــــــراده. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

انطلق: الانطلاق يكون بعد التأخر. إذا تأخر شخص عن ركب أو واجب وأسرع بعد تأخره يسمى انطلاقاً.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المرسلات: 29-30]، ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [القلم: 23]، ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: 15]، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].

أفاض: سرعة المخترق من الزحام أو سرعة الضيق بالمكان. يكون المكان مكتظاً ثم يخرج أحدهم من الزحام بسرعة فيقال له: أفاض كما في الحج من شدة الزحام ينطلق الحجاج بسرعة متناهية من شدة الزحام. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: 198-199]، ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: 92]. ضاقت العين بالدمع فيخرج منها مسرعاً.

الفرق بين نفر وزحف: نفر هي حالة عابرة أو حالة طوارئ كأن يقال جاء عدو فالكل ينطلق من كل مكان أهاجهم مهيّج فينفر الناس كالسهم كهجوم مباغت أو حريق أو حادث أو غيره مما يهيج الإنسان أي شيء يستدعي ردة فعل سريعة

يسمى نفيراً أما إذا بقيت مكانك يسمّى اثّاقل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38]. نزلت السورة في المنافقين الذي قعدوا عن غزوة تبوك بعد أن جمع هرقل جند الروم ليذلّ المسلمين الذين كانوا منهكين من بعد غزوة حنين وهي أول معركة بين الروم والمسلمين.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والراء والياء أصل واحد، وهو انسياح الشيء، يقال: جَرَى الماء يَجْرِي جِرْيَةً وجَرْيًا وجَرَيَانًا. ويقال للعادة: الإِجْرِيًّا؛ وذلك أنه الوجه الذي يجري فيه الإنسان.

فأما السفينة فهي جَارِيَةٌ، وكذلك الشمس، وهو القياس. والجَارِيَةُ من النساء من ذلك أيضاً، لأنها تُسْتَجْر في الخدمة، وهي بينة الجَرَاء.

قال الخليل(2): الخيل تَجْرِي، والرياح تَجْرِي، والشمس تَجْرِي جَرْياً، إلّا الماء فإنه يجري جريةً.

والجَرِيُّ: الرسول، لأنك أَجْرَيْتَهُ في حاجتك.

والجَارِيَةُ مصدرها: الجَرَاء، بلا فعل. يقال: فعلت ذلك في جَرَائِهَا، أي: حين كانت جَارِيَة.

قال الأزهري(3): في حديث عن النبي ﷺ: **(ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطان)** هو من الجَرِيِّ وهو الوكيل، تقول: جَرَّيْتُ جَرِيًّا، واسْتَجْرَيْتُ جَرِيًّا، أي: اتخذت وكيلاً.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

والجَارِيَةُ الشمس، والجَارِيَةُ: السفينة.

وجَارَاهُ مُجَارَاةً وجِرَاءً، أي: جَرَى معه. وجَارَاهُ في الحديث، وتَجَارَوْا فيه.

وسمي الوكيل جَرِيًّا، لأنه يَجْرِي مَجْرَى موكّله. وقولهم: فعلت ذلك من جَرَاكَ ومن جَرَائِكَ، أي: من أجلك، لغة في جَرَّاكَ بالتشديد، ولا تقل: مَجْرَاكَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: 22].

قال الطبري(1): يعني وجرت الفلك بالناس.

قال البغوي(2): يعني جرت السفن بالناس، رجع من الخطاب إلى الخبر.

قال الزمخشري(3): فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟

قلت: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح. والضمير في (جرين) للفلك، لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل.

● **قال تعالى**: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: 29].

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

قال أبو السعود[1]: أي: يحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً.

قال الطنطاوي[2]: كل من الشمس والقمر يجريان في مدارهما بنظام ثابت محكم، إلى الوقت الذي حدده - سبحانه - لنهاية سيرهما، وهو يوم القيامة.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البَقَرَة: 25].

قال الطبري[3]: وإنما عنى جل ذكره الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها، دون أرضها، فلذلك قال عز ذكره: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لأنه معلوم أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجراها وغروسها وثمارها، لا أنه جارٍ تحت أرضها، لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض، فلا حظ فيها لعيون من فوقها إلّا بكشف الساتر بينها وبينه، على أن الذي توصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد.

قال البيضاوي[4]: أي: من تحت أشجارها، كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها.

● **قال تعالى**: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هُود: 42]

قال الفخر الرازي[5]: واعلم أن في قوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾: الجريان في الموج، هو أن تجري السفينة داخل الموج، وذلك يوجب الغرق، فالمراد أن الأمواج لما أحاطت بالسفينة من الجوانب، شبهت تلك السفينة بما إذا جرت في داخل تلك الأمواج.

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الوسيط في تفسير القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) أنوار التنزيل.
(5) التفسير الكبير.

قال الألوسي[1]: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾.

جوز فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون مستأنفاً.

الثاني: أن يكون حالاً من الضمير المستتر في (بسم الله) أي: جريانها استقر (بسم الله) حال كونها جارية.

الثالث: أنه حال من شيء محذوف دل عليه السياق، أي: فركبوا فيها جارية. والفاء المقدرة للعطف، و(بهم) متعلق بـ(تجرى) أو بمحذوف، أي: ملتبسة، والمضارع لحكاية الحال الماضية، ولا معنى للحالية من الضمير المستتر في الحال الأولى، كما لا يخفى.

● **قال تعالى**: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغَاشِيَة: 12].

قال القشيري[2]: أراد عيوناً، لأن العين اسم جنس، والعيون الجارية هنالك كثيرة ومختلفة.

ويقال: تلك العيون الجارية غداً لمن له - اليوم - عيون جارية بالبكاء، وغداً لهم عيون ناظرة بحكم اللقاء.

قال القرطبي[3]: أي: بماء مندفق، وأنواع الأشربة اللذيذة على وجه الأرض، من غير أخدود. وقد تقدم في سورة (الإنسان) أن فيها عيوناً، فـ(عين) بمعنى عيون، والله أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ [الذّاريَات: 3].

قال ابن عطية[4]: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره: هي السفن

---

(1) روح المعاني.
(2) لطائف الإشارات.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) المحرر الوجيز.

في البحر، وقال آخرون: هي السحاب بالريح، وقال آخرون: هي الجواري من الكواكب، واللفظ يقتضي جميع هذا.

قال المراغي[1]: هي الرياح الجارية مهابها بسهولة.

قال الطنطاوي[2]: والمراد بالجاريات: السفن التي تجري في البحر، فتنقل الناس وأمتعتهم من بلد إلى بلد.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: 32].

قال السجستاني[3]: أي: السفن في البحر كالجبال، الواحد: جارية، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]، يعني سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال الشعراوي[4]: الجوار في البحر صفة لشيء معروف هي السفن، فهي التي تجري على صفحة الماء، والآن نرى سفناً عملاقة وبواخرَ ذات أوزان عالية يحملها الماء بإذن الله، كما نجد سيارات النقل والحاويات ذات الأوزان العالية تُحمل على الهواء في العجلات، وهذه من آيات الله أنْ يحمل الخفيف الثقيل.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: 15، 16].

قال الزمخشري[5]: و(الجواري): السيارة.

قال ابن عطية[6]: أثبت يعقوب الياء في (الجواري) في الوقف، وحذفها الباقون.

قال ابن عاشور[7]: (الجواري): جمع جارية، وهي التي تجري، أي: تسير سيراً حثيثاً.

---

(1) تفسير المراغي.
(2) الوسيط في تفسير القرآن.
(3) نزهة القلوب.
(4) تفسير الشعراوي.
(5) الكشاف.
(6) المحرر الوجيز.
(7) التحرير والتنوير.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: 41].

قال الشعراوي[1]: يعلِّمنا أن جريانها إنما يتمُّ بمشيئة الله تعالى وأنهم يركبون فيها، لا لمكانتهم الشخصية، ولكن لإيمانهم بالله تعالى. ومثال ذلك من حياتنا - ولله المثل الأعلى -: نجد القاضي يقول مفتتحاً الحكم: «باسم الدستور والقانون» أي: أنه لا يحكم بذاته كقاضٍ، لكنه يحكم باسم الدستور والقانون. ونوح عليه السلام يقول:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [هود: 41]، لأن السفينة لله أمر، ولرسوله صناعة.

ولذلك يقال: «**كل شيء لا يبدأ باسم الله فهو أبْتر**». لأنك حين تُقبل على فعل شيء، فالأفعال أو الأحداث تحتاج إلى طاقات متعددة، فإن كان الفعل عضليًّا، فهو يحتاج لقوة، وإن كان الفعل عقليًّا فهو يحتاج لفكر ورويَّة وأناة، وإن كان فعلاً فيه مواجهة لأهل الجاه فهو يحتاج إلى شجاعة، وإن كان من أجل تصفية نفوس فهو يحتاج إلى الحِلْم؟ إذن: فاحتياجات الأحداث كثيرة ومختلفة، ومن أجل أن تحصل على القوة فقد تقول: «باسم القوي القادر» ولكي تحصل على علم؛ تقول: «باسم العليم»، وتريد الغني؛ فتقول: «باسم الغنيِّ» وحين تحتاج إلى الحلم تقول: «باسم الحليم»، وعندما تحتاج إلى الشجاعة؛ تقول: «باسم القهار».

(1) تفسير الشعراوي.

جزء

(جزء - بعض - حظ - قسم - سهم - كسفة - كفل - نصيب)

■ **الجُزْءُ:** ما يستقل بنفسه عن الكل كأجزاء السفينة ونحوها ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزّخرُف: 15].

■ **البَعْضُ:** ما دون الكل غير محدد ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ [الأنعَام: 129].

■ **النَّصِيبُ:** الجزء المعيّن تحديداً ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النِّساء: 53].

■ **القَسَمُ:** الجزء المفروز عن النصيب ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحِجر: 44].

■ **الحَظُّ:** الجزء المتميز من النصيب.

■ **الكِفْلُ:** الجزء المضمون من الحظّ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحَديد: 28].

■ **السَّهْمُ:** الجزء الحاصل عن قرعة أو أسهم ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصَّافات: 141].

■ **الكِسْفَةُ:** الجزء المتروك المهمل ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطُّور: 44].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والزاي والهمزة أصل واحد، هو الاكتفاء بالشيء.

يقال: اجْتَزَأْتُ بالشيء اجْتِزَاءً: إذا اكتفيت به. وأَجْزَأَنِي الشيء إِجْزَاءً: إذا كفاني.

والجُزْءُ: استغناء السائمة عن الماء بالرطب. وذكر ناس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: 15] أنه من هذا؛ حيث زعموا أنه اصطفى البنات على البنين، تعالى الله عن قول المشركين علواً كبيراً.

والجُزْءُ: الطائفة من الشيء.

ومما شذ عن الباب الجُزْأَةُ: نصاب السكين، وقد أَجْزَأْتها إِجْزَاءً: إذا جعلت لها جُزْأَةً. ويجوز أن يكون سميت بذلك الاسم، لأنها بعض الآلة ولا تستقل بنفسها.

قال الخليل[2]: أَجْزَأَنِي الشيء مهموز، أي: كفاني. وتَجَزَّأْتُ بكذا، واجْتَزَأْتُ به، أي: اكتفيت به.

وهذا الشيء يُجْزِئُ عن هذا، ويهمز ويلين، وفي لغة يَجْزَأُ.

والجُزْءُ مهموز: الاجْتِزَاء، أي: الاكتفاء.

والجُزْءُ في تجزئة السهام: بعض الشيء.

جَزَّأْتُه تَجْزِئَةً، أي: جعلته أجْزَاءً، وأَجْزَأْتُ منه جزءًا، أي: أخذت منه جزءًا، وعزلته.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال أبو هلال[1]: الفرق بين البعض والجُزْء: أن البعض ينقسم، والجُزْءُ لا ينقسم، والجُزْءُ يقتضي جمعاً، والبعض يقتضي كلّاً.

الفرق بين الجُزْء من الجملة والسهم من الجملة: أن الجزء منها ما انقسمت عليه، فالاثنان جُزْءٌ من العشرة، لأنهما ينقسمان عليها، والثلاثة ليست بجزء منها، لأنها لا تنقسم عليها، وكل ذلك يسمى سهماً منها، كذا حكى بعضهم.

الفرق بين قولك: اجْتَزَأَ به، وقولك: اكتفى به: أن قولك: اجْتَزَأَ، يقتضي أنه دون ما يحتاج إليه، وأصله من (الجُزْءِ) وهو اجْتِزَاءُ الإبل بالرطب عن الماء، وهي وإن اجْتَزَأَتْ به يقتضي أنه دون ما تحتاج إليه، فهي محتاجة إليه بعض الحاجة.

والاكتفاء يفيد أن ما يكتفي به قدر من غير زيادة ولا نقصان، تقول: فلان في كفاية، أي: فيما هو وفق حاجته من العيش.

الفرق بين قولنا: يجوز كذا، وقولك: يُجْزِىءُ كذا، سيأتي في (ج وز).

المعنى المشترك لكلمة (جزء)

أن الجزء في القرآن على وجهين:

أحدهما: ما ذكرناه. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: 260].

والثاني: الولد، ومنه قوله تعالى في الزخرف: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾.

(1) الفروق في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: 260].

قال الزمخشري[1]: أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال، على كل جبل ربعاً من كل طائر.

قال الفخر الرازي[2]: يدل على أن تلك الطيور جعلت جزءًا جزءًا.

قال البيضاوي[3]: أي: جَزِّئْهُنَّ وفرق أَجزاءهن على الجبال التي بحضرتك. قيل: كانت أربعة، وقيل: سبعة...

● قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 15].

قال الطبري[4]: يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً؛ وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله.

وقال آخرون: عنى بالجزء هاهنا: العدل.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: 16]، توبيخًا لهم على قولهم ذلك، فكان معلوماً أن توبيخه إياهم بذلك إنما هم عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله، جل ثناؤه.

قال الزمخشري[5]: (وجعلوا...) متصل بقوله: (ولئن سألتهم) أي: ولئن

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) أنوار التنزيل.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به، وقد جعلوا له ذلك مع الاعتراف من عباده جزءًا، فوصوه بصفات المخلوقين. ومعنى (من عباده جزءًا) أن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءًا له وبعضاً منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا له.

ومن بدع التفاسير تفسير الجزء؛ بالإناث، وادعاء أن (الجزء) في لغة العرب اسم للإناث. وما هو الأكذب على العرب ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أَجْزَأَت المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً..

وقرىء (جُزُؤًا) بضمتين.

● **قال تعالى:** ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44].

قال الطبري(1): يعني: قسماً ونصيباً مقسوماً.

قال الزمخشري(2): وقرىء (جُزْءًا) بالتخفيف والتثقيل، وقرأ الأزهري (جُزّ) بالتشديد، كأنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزاي، كقولك: خِبٌّ في خبء، ثم وقف عليه بالتشديد، كقولهم: الرجل، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

قال الفخر الرازي(3): الجزء: بعض الشيء، والجمع: الأجزاء، وجَزَّأته: جعلته أجزاء، والمعنى أنه تعالى يجزىء أتباع إبليس اجزاء، بمعنى أنه يجعلهم أقساماً وفرقاً، ويدخل في كل قسم من أقسام جهنم طائفة من هؤلاء الطوائف.

والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة بالغلط والخفة، فلا جرم صارت مراتب العذاب والعقاب مختلفة بالغلط والخفة. والله أعلم.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

جزع

(جزع - بلس - بث)

■ **الجَزَعُ:** نقيض الصبر، وهو انقطاع المنة عن حمل ما نزل ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: 21].

■ **الإِبْلَاسُ:** أشد اليأس الذي يؤدي إلى السكوت المطلق. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرُّوم: 12].

■ **البَثُّ:** تفريق النظائر الكثيرة إلى أنحاء مختلفة ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القَارعَة: 4].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والزاي والعين أصلان: أحدهما: الانقطاع، والآخر: جوهر من الجواهر.

فأما الأول: فيقولن: جزعت الرملة: إذا قطعتها، ومنه: جزع الوادي، وهو الموضع الذي يقطعه من أحد جانبيه إلى الجانب الآخر.

والجَزَعُ: نقيض الصبر، وهو انقطاع المنة عن حمل ما نزل.

والجِزْعَةُ: هي القليل من الماء، وهو قياس الباب.

وأما الآخر: فالجَزْعُ، وهو الخرز المعروف. ويقال: بسرة مُجَزَّعَةٌ: إذا بلغ الإرطاب نصفها وتشبه حينئذ الجِزْعُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: والجَزَعُ: نقيض الصبر، جَزَعَ على كذا جَزَعاً، فهو جَزِعٌ وجَازِعٌ وجَزُوعٌ.

وفي الحديث: (أتتنا جَزِيعَةٌ من الغنم).

قال الراغب[2]: الجَزْعُ أبلغ من الحزن، فإن الحزن عام، والجَزَعُ هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه.

وأصل الجَزْع: قطع الحبل من نصفه، يقال: جَزَعْتُه فانْجَزَعَ. ولتصور الانقطاع منه قيل: جَزْعُ الوادي: لمنقطعه؛ ولانقطاع اللون بتغيره قيل للخرز المتلون: جَزْعٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡـنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ [إبراهيم: 21].

قال الزمخشري[3]: يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ ؟ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر، والأمر من ذلك أعظم. أو لما قالوا: لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم، أتبعوه الإقناط من النجاة، فقالوا: (ما لنا من محيصٍ) أي: منجي ومهرب، جزعنا أم صبرنا.

ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً، كأنه قيل: قالوا جميعاً: سواء علينا، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ [يوسف: 52].

قال الفخر الرازي[4]: ثم حكى الله تعالى أن الضعفاء يقولون للرؤساء: هل تقدرون على دفع عذاب الله عنا؟ والمعنى أنه إنما اتبعناكم لهذا اليوم، ثم إن

(1) العين.
(2) مفردات الراغب.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

الرؤساء يعترفون بالخزي والذل والعجز، قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن﴾ عذاب الله (من محيصٍ).

ومن المعلوم أن اعتراف الرؤساء والسادة والمتبوعين بمثل هذا العجز والخزي والنكال، يوجب الخجالة العظيمة والخزي الكامل التام، فكأن المقصود من ذكر هذه الآية: استيلاء عذاب الفضيحة والخجالة والخزي عليهم، مع ما تقدم ذكره من سائر وجوه أنواع العذاب والعقاب، نعوذ بالله منها. والله أعلم.

قال البيضاوي(1): مستويان علينا: الجزع والصبر.

● **قال تعالى:** ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ **[المعارج: 18-21]**.

قال الطبري(2): يقول: إذا قل ماله وناله الفقر والعدم، فهو جزوع من ذلك، لاصبر له عليه.

قال البغوي(3): يعني: إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصابه المال لم ينفق.

قال الزمخشري(4): والمعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه، كانه مجبول عليهما مطبوع، وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍ﴾ **[الأنبياء: 37]**.

والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد، لم يكن به هلع، ولأنه ذم والله لا يذم فعله، والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفها عن الشهوات، حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين. وعن النبي ﷺ: **(شر ما أعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع)**.

---

(1) أنوار التنزيل.

(2) جامع البيان.

(3) معالم التنزيل.

(4) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: المراد من الشر والخير: الفقر والغنى، أو المرض والصحة، فالمعنى أنه صار فقيراً أو مريضاً أخذ في الجزع والشكاية، وإذا صار غنياً أو صحيحاً أخذ في منع المعروف وشح بماله، ولم يلتفت إلى الناس.

فإن قيل: حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة، وهذا هو اللائق بالعقل، فلم ذمه الله عليه؟ قلنا: إنما ذمه عليه لأنه قاصر النظر على الأحوال الجسمانية العاجلة، وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولاً بأحوال الآخرة. فإذا وقع في مرض أو فقر، وعلم أنه فعل الله تعالى كان راضياً به، لعلمه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإذا وجد المال والصحة، صرفهما إلى طلب السعادات الأخروية.

---

(1) التفسير الكبير.

جزاء

(جزاء - أجر - ثواب - ثمن)

■ **الجَزَاءُ:** عوض يتناسب وكمال العمل أو بنسبة التقصير فيه ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

■ **الأَجْرُ:** عوض الأجير عن عمله ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القصص: 27].

■ **الثَّمَنُ:** عوض المبيع من المشتري ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: 20].

■ **الثَّوَابُ:** عوض سخيّ يتناسب وبسخاء رب العمل ومكانته ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عِمرَان: 195].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والزاي والياء: قيام الشيء مقام غيره، ومكافأته إياه.

يقال: جَزَيْتُ فلاناً أَجْزِيه جَزَاءً، وجَازَيْتُه مُجَازَاةً. وهذا رجل جَازِيكَ من رجل، أي: حسبك. ومعناه أنه ينوب مناب كل واحد، كما تقول: كافيك وناهيك، أي: كأنه ينهاك أن يطلب معه غيره.

قال الخليل[2]: جَزَى جزاءً، أي: كافأ بالإحسان وبالإساءة، وفلان ذو غناءٍ وجَزَاء، ممدود.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

وتَجَازَيْتُ دَيْني: تقاضيته.

قال الجوهري[1]: جَزَيْتُه بما صنع جَزَاءً، وجَازَيْتُه، بمعنى. ويقال: جَازَيْتُه فَجَزَيْته، أي: غلبته.

وجَزَى عني هذا الأمر، أي: قضى، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: 48].

ويقال: جَزَتْ عنك شاة.

وفي حديث أبي بردة بن نيار: (تَجْزِي عنك ولا تَجْزِي عن أحد بعدك) أي: تقضي.

وبنو تميم يقولون: أَجْزَأَتْ عنك شاة، بالهمز. وتَجَازَيْتُ ديني على فلان: إذا تقاضيته. والمُتَجَازِي: المتقاضي.

وهذا رجل جَازِيكَ من رجل، أي: حسبك.

قال أبو هلال[2]: الفرق بين الجزاء والمقابلة: أن المقابلة هي المساواة بين شيئين، كمقابلة الكتاب بالكتاب؛ وهي في المجازاة استعارة.

قال بعضهم: قد يكون جزاء الشيء أنقص منه، والمقابلة عليه لا تكون إلّا مثله، واستشهدوا بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40].

قال: ولو كان جزاء الشيء مثله، لم يكن لذكر المثل هاهنا وجه.

والجواب عن هذا: أن الجزاء يكون على بعض الشيء، فإذا قال: مثلها، فكأنه قال: على كلها.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الفروق في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12].

قال الطبري(1): أثابهم الله بما صبروا في الدنيا على طاعته.

قال أبو السعود(2): ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرِهم على مشاقِّ الطاعاتِ ومهاجرةِ هَوَى النفسِ في اجتنابِ المُحرَّماتِ وإيثارِ الأموالِ.

قال ابن عاشور(3): وكان الجزاء برفاهية العيش إذ جعلهم في أحسن المساكن وهو الجنة، وكساهم أحسن الملابس وهو الحرير الذي لا يلبسه إلاّ أهل فرط اليسار، فجمع لهم حسن الظرف الخارج وحسن الظرف المباشر وهو اللباس.

● **قال تعالى:** ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111].

قال أبو السعود(4): استئناف لبيان حسن حالهم، وأنهم انتفعوا بما أوذوهم.

قال الفخر الرازي(5): قرأ حمزة والكسائي أنهم بالكسر والباقون بالفتح فالكسر استئناف أي: قد فازوا حيث صبروا فجوزوا بصبرهم أحسن الجزاء، والفتح على أنه في موضع المفعول الثاني من جزيت، ويجوز أن يكون نصباً بإضمار الخافض أي: جزيتهم الجزاء الوافر لأنهم هم الفائزون.

● **قال تعالى:** ﴿مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146].

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) التفسير الكبير.

قال الطبري(1): حرمناه عليهم عقوبة منا لهم، وثواباً على أعمالهم السيئة، وبغيهم على ربهم.

قال القشيري(2): بين أن ما حرم عليهم ضيعوه؛ إذ لما لم يعاقبهم عليه لم يشهدوا مكره العظيم فيما ابتدعوه من قبل نفوسهم، فأهملوه ولم يحافظوا عليه، فاستوجبوا عظيم الوزر وأليم الهجر.

قال الزمخشري(3): والمعنى أن مثل هذا الجزاء، لا يستحقه إلّا الكافر، وهو العقاب العاجل.

وقيل: المؤمن تكفر سيئاته بحسناته، والكافر يحبط عمله، فيجازى بجميع ما عمله من السوء.

ووجه آخر، هو أن الجزاء عام لكل مكافأة، يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة، فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ [سبأ: 17] بمعنى عاقبناهم بكفرهم، قيل: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾؟ بمعنى وهل يعاقب، وهو الوجه الصحيح.

وليس لقائل أن يقول: لم قيل: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ على اختصاص الكفور بالجزاء، والجزاء عام للكافر والمؤمن، لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب، بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه.

ألا ترى أنك لو قلت: جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلّا الكافر والمؤمن، لم يصح ولم يسد كلامه، فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل، وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل، من بين يديه ولا من خلفه.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) الكشاف.

أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 144].

قال الطبري(1): يقول: وسيثيب الله من شكره على توفيقه، وهدايته إياه لدينه.

قال أبو حيان(2): وعد عظيم بالجزاء، وجاء بالسين التي هي في قول بعضهم: قرينة التفسير في الاستقبال، أي: لا يتأخر جزاء الله إياهم عنهم. وظاهر هذا الجزاء أنه في الآخرة، وقيل: في الدنيا بالرزق، والتمكين في الأرض.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: 4].

قال الطبري(3): ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته، عند بعثه من قبره، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ يقول: ليثيب من صدق الله ورسوله، وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال، واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط، يقول: ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب، والصالح من الجزاء في الآخرة وذلك هو القسط، و(القسط): العدل والإنصاف.

قال البيضاوي(4): ... والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة، والعقاب واقع بالعرض، وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين، بما يليق بلطفه وكرمه، ولذلك لم يعنيه. وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم.

(1) جامع البيان.
(2) البحر المحيط.
(3) جامع البيان.
(4) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: 51].

قال الطبري(1): يقول: فعل الله ذلك بهم، جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، كما يثيب كل نفس بما كسبت، من خير وشر، فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيىء بإساءته.

قال النيسابوري(2): قوله: (ليجزي) اللام متعلقة بـ (تغشى) أو بجميع ما ذكر، كأنه قيل: يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزي الله كل نفس ما كسبت).

● قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الرُّوم: 45].

قال الفخر الرازي(3): ذكر زيادة تفصيل لما يمهده المؤمن لفعله الخير وعمله الصالح، وهو الجزاء الذي يجازيه به الله، والملك إذا كان كبيراً كريماً، ووعد عبداً من عباده بأني أجازيك، يصل إليه منه أكثر مما يتوقعه، ثم أكده بقوله: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ يعني أنا المجازي، فكيف يكون الجزاء، ثم أني لا أجازيك من العدل، وإنما أجازيك من الفضل، فيزداد الرجاء.

قال البيضاوي(4): علة ليمهدون أو ليصدعون، والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات، والاكتفاء على فحوى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين، وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بهم، تعليل له.

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن

(1) جامع البيان.
(2) غرائب القرآن.
(3) التفسير الكبير.
(4) أنوار التنزيل.

وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ وذلك لأن المجرم إذا علم أن له عند الملك من يتكلم في حقه ويقضي ما يخرج عليه برفد من كسبه، لا يخاف، مثل ما يخاف إذا علم أنه ليس له من يقضي عنه ما يخرج عليه، ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة، وهما الوالد والولد، ليستدل بالأدنى على الأعلى.

وذكر الولد والوالد جميعاً فيه لطيفة، وهي أن من الأمور ما يبادر الأب إلى التحمل عن الولد، كدفع المال وتحمل الآلام، والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد، مثل ما يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد، ومنها: ما يبادر الولد إلى تحمله عن الوالد، ولا يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد كالإهانة.

فإن من يريد إحضار والد أحدٍ عند والٍ أو قاضٍ يهون على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله. فإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع الإيلام عن ابنه ويتحمله هو بنفسه، فقوله: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ في دفع الآلام ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ﴾ في دفع الإهانة.

وفي قوله: ﴿لَّا يَجْزِى﴾ وقوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ لطيفة أخرى: وهي أنا ذكرنا أن الفعل يتأتى وان كان ممن لا ينبغي ولا يكون من شأنه، لأن الملك[2] إذا كان يخيط شيئاً يقال: إنه يخيط، ولا يقال: هو خياط، وكذلك من يحوك شيئاً ولا يكون ذلك صنعته، يقال: هو يحوك، ولا يقال: هو حائك، إذا علمت هذا، فنقول: الابن من شأنه أن يكون جازياً عن والده لما عليه من الحقوق، والوالد يجزي لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه ذلك، فقال في الوالد: (لا يجزى) وقال في الولد: (ولا مولود هو جازٍ).

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 24]

قال القشيري[1]: في الدنيا يجزي الصادقين بالتمكين والنصرة على العدو وإعلاء الراية، وفي الآخرة بجميل الثواب وجزيل المآب، والخلود في النعيم المقيم، والتقديم على الأمثال بالتكريم والتعظيم.

قال الفخر الرازي[2]: أي: بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم، ويعذب المنافقين الذين كذبوا وأخلفوا.

● **قال تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: 30]، لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي، جزاؤهما (بما عملوا).

قال ابن عطية[4]: (ليجزي) متعلقة بقوله: (ضل) وبقوله: (اهتدى)، فكأنه قال: ليصير أمرهم جميعاً إلى أن يجزي. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النجم: 31] اعتراض بين الكلام بليغ. والنظر الأول أقل تكلفاً من هذا الإضمار.

● **قال تعالى:** ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ﴾ [القَصَص: 25].

قال الواحدي[5]: فلما قالت: (أجر ما سقيت لنا) كره ذلك موسى، وأراد أن

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) المحرر الوجيز.
(5) الوجيز.

لا يتبعها، ولم يجد بداً من أن يتبعها، لأنه كان في أرض مسبعة وخوف، فخرج معها . . .

قال الزمخشري[1]: كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف؟

قلت: يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله، وعلى سبيل البر والمعروف، وقبل إطعام شعيب وإحسانه، لا على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ، كيف وقد قص عليه قصصه، وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب، ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم في دار نبي من أنبياء الله، وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة، طلباً للأجر. وقد روي ما يعضد كلا القولين، روي أنها لما قالت: (ليجزيك) كره ذلك، ولما قدم إليه الطعام امتنع، وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً، ولا نأخذ على المعروف ثمناً، حتى قال شعيب: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا. وعن عطاء بن السائب: رفع صوته بدعائه ليسمعها، فلذلك قيل له: (ليجزيك أجر ما سقيت) أي: جزاء ما سقيت.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 121].

قال الزمخشري[2]: (ليجزيهم) متعلق بـ(كتب) أي: أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء، اللام لتأكيد النفي. والآيتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ، وحظر التخلف عنه. وقد اختلف في ذلك، فقيل: المارد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ إلى الجهاد، وهو الصحيح.

قال الفخر الرازي[3]: وفيه وجهان: الأول: أن الأحسن من صفة فعلهم، وفيها الواجب والمندوب والمباح والله تعالى يجزيهم على الأحسن، وهو

---

(1) الكشاف.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

الواجب والمندوب، دون المباح. والثاني: أن الأحسن صفة للجزاء، أي: يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل، وهو الثواب.

● **قال تعالى:** ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النُّور: 38].

قال البغوي[1]: يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوىء أعمالهم لا يجزيهم بها.

قال النسفي[2]: أي: يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم، أي: ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً، ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل، تفضلاً.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48].

قال الطبري[3]: وتأويله: واتقوا يوماً لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً، وجائز أيضاً أن يكون تأويله: واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً.

فحذفت الهاء الراجعة على اليوم؛ إذ فيه إجزاء بما ظهر من قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ الدال على المحذوف منه عما حذف؛ إذ كان معلوماً معناه.

وأما المعنى في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟...﴾ فإنه تحذير من الله تعالى ذكره عباده الذين خاطبهم بهذه الآية، عقوبته، أن تحل بهم يوم القيامة، وهو اليوم الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا يجزي فيه والد عن ولده، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) مدارك التنزيل.
(3) جامع البيان.

فإن قال لنا قائل: وما معنى لا تقضي نفس عن نفس، ولا تغني عنها غنىً؟

قيل: هو أن أحدنا اليوم ربما قضى عن ولده أو والده أو ذي الصداقة والقرابة دينه، وأما في الآخرة فإنه فيما أتتنا به الأخبار عنها يسر الرجل أن يبرد له على ولده أو والده حق؛ وذلك أن قضاء الحقوق في القيامة من الحسنات والسيئات.

فذلك معنى قوله جل ثناؤه: ﴿لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ يعني أنها لا تقضي عنها شيئاً لزمها لغيرها، لأن القضاء هنالك من الحسنات والسيئات على ما وصفنا. وكيف يقضي عن غيره ما لزمه من كان يسره أن يثبت له على ولده أو والده حق، فيأخذه منه ولا يتجافى له عنه؟

● **قال تعالى:** ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: **145**].

قال ابن كثير(1): أي: سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة، بحسب شكرهم وعملهم.

قال أبو السعود(2): (وسنجزي الشاكرين) نعمة الإسلام.

والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله، ووعد بالمزيد عليه، وفي تصديرها بالسين، وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء كونه؛ بحيث يقتصر عنه البيان ما لا يخفى. وقرىء الأفعال الثلاثة [نُؤته، نؤته، سنجزي] بالياء.

● **قال تعالى:** ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعرَاف: **41**].

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) إرشاد العقل السليم.

قال القشيري[1]: كما أحاطت العقوبات بهم في الدنيا، فتدنس بالغفلة باطنهم، وتلوث بالزلة ظاهرهم، فكذلك أحاطت العقوبات بجوانبهم، فمن فقوهم عذاب ومن تحتهم عذاب، وكذلك من جوانبهم في القلب من ضيق العيش واستيلاء الوحشة، ما يفي ويزيد على الكل.

قال الزمخشري[2]: . . . إن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب، وإن كل من أجرم عوقب، وقد كرره، فقال: (وكذلك نجزي الظالمين) لأن كل مجرم ظالم لنفسه.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُف: 22].

قال القشيري[3]: من جميل الجزاء الذي أعطاه، هو إمداده بالتوفيق، حتى استقام في التقوى والورع على سواء الطريق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العَنكبوت: 69]، أي الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينهم سبل الصبر على الاستقامة، حتى تتبين لهم حقائق المواصلة.

قال الزمخشري[4]: تنبيه على أنه كان محسناً في عمله متقياً في عنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاءً على احسانه.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 29].

قال الطبري[5]: ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ﴾ يقول: نثيبه على قيلة ذلك جهنم ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) الكشاف.
(3) لطائف الإشارات.
(4) الكشاف.
(5) جامع البيان.

قال ابن كثير[1]: أي: كل من قال ذلك، وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه، كقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: 81]، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: 104-105].

قال الواحدي[2]: هذا ابتداء إخبار من الله تعالى، وليس يتصل بما قبله من الكلام الذي يؤدي به إبراهيم، والمعنى إنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده، نجزي من أحسن في طاعتنا.

● **قال تعالى**: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: كما جزينا عاداً بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا، فأهلكناهم بعذابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا؛ إذا تمادوا في غيّهم، وطغوا على ربهم.

● **قال تعالى**: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القَمَر: 35].

قال الطبري[4]: يقول: وكما أثبنا لوطاً وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا، كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا، من جميع خلقنا.

قال القشيري[5]: أي: جعلنا إنجاءهم في إهلاك أعدائهم، وهكذا نجزي من شكر، فمثل هذا نعامل به من شكر نعمتنا.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) جامع البيان.
(5) لطائف الإشارات.

● قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: 96].

قال الطبري[1]: وليثيبن الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها، وليغفرن الله لهم سيئها بفضله.

قال ابن كثير[2]: قسم من الرب تعالى مؤكد باللام، أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم، أي: ويتجاوز عن سيئها.

● قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: 97].

قال أبو السعود[3]: (ولنجزينهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن...) حسبما نفعل بالصابرين، فليس فيه شائبة تكرار. والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول، لمراعاة جانب المعنى، كما أن الإفراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ، وإيثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجميعة، ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للأفراد.

قال ابن عاشور[4]: وقد عقب جزاء الآخرة بقوله: (ولنجزينهم...) فاختص هذا بأجر الآخرة بالقرينة، بخلاف نظيره المتقدم آنفاً، فإنه عام في الجزائين.

● قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123].

---

(1) جامع البيان.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التحرير والتنوير.

قال الفخر الرازي[1]: دلت الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع، لأن قوله: (من يعمل سوءاً) يتناول جميع المحرمات، فدخل فيه ما صدر عن الكفار مما هو محرم في دين الإسلام، ثم قوله: (يجز به) يدل على وصول جزاء كل ذلك إليهم.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون ذلك الجزاء عبارة عما يصل إليهم من الهموم والغموم في الدنيا؟ قلنا: إنه لا بد وأن يصل جزاء أعمالهم الحسنة إليهم في الدنيا؛ إذ لا سبيل إلى إيصال ذلك الجزاء إليهم في الآخرة. وإذا كان كذلك فهذا يقتضي أن يكون تنعمهم في الدنيا أكثر ولذاتهم هاهنا أكمل، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**). وإذا كان كذلك امتنع أن يقال: إن جزاء أفعالهم المحظورة تصل إليهم في الدنيا، فوجب القول بوصول ذلك الجزاء إليهم في الآخرة.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: 41].

قال الطبري[2]: ثم يثاب بسعيه ذلك الثواب.

قال البيضاوي[3]: أي: يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفر، فنصب بنزع الخافض. ويجوز أن يكون مصدراً، وأن تكون (الهاء) للجزاء المدلول عليه. بـ(يجزى) والجزاء بدله.

● **قال تعالى**: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120].

قال الطبري[4]: يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة، بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) أنوار التنزيل.
(4) جامع البيان.

قال الألوسي[1]: أي يكسبون من الإثم كائناً ما كان، فلا بد من اجتناب ذلك، والجملة تعليل للأمر.

• **قال تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147].

قال الطبري[2]: هل ينالون إلّا ثواب ما كانوا يعملون، فصار ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سرادقها؛ إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمان، نعوذ بالله من غضبه...

• **قال تعالى**: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 22].

قال الطبري[3]: وليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السماوات والأرض: المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره، فنكرمه، ولكن لنجزي كلا بما كسبت يداه، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

• **قال تعالى**: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: 19-20].

قال الزجاج[4]: أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليدٍ أسديت إليه.

قال النسفي[5]: أي: وما لأحد عند الله نعمة يجازيه بها، إلّا أن يفعل فعلاً يبتغي به وجه ربه، فيجازيه عليه.

---

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.
(5) مدارك التنزيل.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 52].

قال الفخر الرازي[1]: فيه مسائل: المسألة الأولى: أنه تعالى أينما ذكر العقاب والعذاب ذكر هذه العلة. كأن سائلاً يسأل ويقول: يارب العزة أنت الغني عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا التشديد والوعيد؟ فهو تعالى يقول: (أنا ما عاملته بهذه المعاملة ابتداء بل هذا وصل إليه جزاءً على عمله الباطل) وذلك يدل على أن جانب الرحمة راجح غالب، وجانب العذاب مرجوح مغلوب.

المسألة الثانية: ظاهر الآية يدل على أن (الجزاء) يوجب العمل، أما عند الفلاسفة فهو أثر العمل، لأن العمل الصالح يوجب تنوير القلب وإشراقه إيجاب العلة معلولها. وأما عند المعتزلة فلأن العمل الصالح يوجب استحقاق الثواب على الله تعالى. وأما عند أهل السنة، فلأن ذلك الجزاء واجب بحكم الوعد المحض.

● قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النَّمل: 90].

قال الطبري[2]: يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلّا ما كنتم تعملون، إذ كبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم. وترك (يقال لهم) اكتفاءً بدلالة الكلام عليه.

● قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المَائدة: 95].

قال الزجاج[3]: (فجزاءٌ مثل ما قتل) برفع (مثل) وجرها. فمن رفعهما

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.

جميعاً، فرفعه على معنى: فعليه جزاء مثل الذي قتل، فيكون (مثل) من نعت (الجزاء) ويكون أن ترفع (جزاء) على الابتداء، ويكون (مثل ما قتل) خبر الابتداء، ويكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل. ومن جر أراد: فعليه جزاء مثل ذلك المقتول من النعم.

● **قال تعالى:** ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التّوبَة: 82].

قال الألوسي[1]: (جزاءً) مفعول له للفعل الثاني، ولك أن تجعله مفعولاً له للفعلين، أو مصدر من المبني للمفعول حذف ناصبه، أي: يجزون مما ذكر من البكاء الكثير، أو منه ومن الضحك القليل، جزاءً بما استمروا عليه من المعاصي.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25].

قال الألوسي[2]: الظاهر أن (ما) نافية، و(جزاءُ) مبتدأ، و(من) موصولة أو موصوفة مضاف إليه، والمصدر المؤول خبر، و(أو) للتنويع خبر المبتدأ، وما بعده معطوف على ذلك المصدر، أي ليس جزاؤه إلّا السجن أو العذاب الأليم.

والمراد به - على ما قيل - الضرب بالسوط، وعن ابن عباس: أنه القيد.

وجوز أن تكون (ما) استفهامية، فـ(جزاء) مبتدأ أو خبر، أي: أي شيء جزاؤه غير ذلك أو ذلك.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف: 74-75].

---

(1) روح المعاني. (2) روح المعاني.

قال الطبري[1]: (فهو جزاؤه) يقول: فالذي وجد ذلك في رحله، ثوابه بأن يسلم بسرقته إلى من سرق منه حتى يسترقه (كذلك نجزي الظاليمن) يقول: كذلك نفعل بمن فعل، ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقاً.

ومعنى الكلام قالوا: ثواب السرق الموجود في رحله، كأنه قيل: ثوابه استرقاق الموجود في رحله ثم حذف (استرقاق)؛ إذ كان معروفاً معناه، ثم ابتدىء الكلام، فقيل جزاؤه ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد يحتمل وجهاً آخر: أن يكون معناه قالوا: ثواب السرق الذي يوجد السرق في رحله، فالسارق جزاؤه، فيكون (جزاؤه) الأول مرفوعاً بجملة الخبر بعده، ويكون الرفع بالعائد من ذكره في (هو)، وهو رافع جزاؤه الثاني.

قال الماوردي[2]: أي: جزاء من سرق أن يسترقّ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كذلك نفعل بالظاليمن، إذا سرقوا، وكان هذا من دين يعقوب.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: 63].

قال الطبري[3]: جزاؤك وجزاؤهم، يقول: ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري، ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ يقول: ثواباً مكثوراً مكملاً.

قال الفخر الرازي[4]: إنه ﷺ قال: (**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**) فكل معصية توجد فيحصل لإبليس، مثل وزر ذلك العامل. فلما كان إبليس هو الأصل في كل المعاصي، صار المخاطب بالوعيد هو إبليس. . . وانتصب (جزاءً) على المصدر.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ [الفُرقان: 15].

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾؟

قلت: هو كقوله: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31]، فمدح الثواب ومكانه كما قال: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]، فذم العقاب ومكانه، لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلّا بطيب المكان وسعته، وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص، وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة، فلذلك ذكر (المصير) مع ذكر (الجزاء).

● **قال تعالى:** ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القَمَر: 14].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ يحتمل وجوهاً:

أحدها: أن يكون نصبه بقوله: (حملناه) أي: حملناه جزاءً، أي: ليكون ذلك الحمل جزاء الصبر على كفرانهم.

ثانيها: أن يكون بقوله: (تجري بأعيننا) لأن فيه معنى حفظنا، أي: ما تركناه عن أعيننا وعوننا جزاءً له.

ثالثها: أن يكون بفعل حاصل من مجموع ما ذكره، كأنه قال: (فتحنا أبواب السماء وفجرنا الأرض عيوناً وحملناه وكل ذلك فعلنا جزاءً له). وإنما ذكرنا هذا، لأن الجزاء ما كان يحصل إلّا بحفظه وإنجائه لهم، فوجب أن يكون (جزاءً) منصوباً بكونه مفعولاً له بهذه الأفعال.

● **قال تعالى:** ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: 60].

---

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: هل ثواب خوف مقام الله عز وجل لمن خافه، فأحسن في الدنيا عمله، وأطاع ربه، إلّا أن يحسن إليه في الآخرة ربه، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا، ما وصف في هذه الآيات من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: 58].

● **قال تعالى**: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: 24].

قال ابن عطية[2]: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي هذه الرتب والنعم هي لهم بحسب أعمالهم، لأنه روي أن المنازل والقسم في الجنة، وهي مقتسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله لا بعمل عامل. فأما هذا الفضل الأخير أن دخولها ليس بعمل عامل، ففيه حديث صحيح، قال رسول الله ﷺ: (**لا يدخل أحد الجنة بعمله**) قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: (**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة**).

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: 22].

قال الطبري[3]: يقال لهؤلاء الأبرار حينئذ: إن هذا الذي أعطيناكم من الكرامة، كان لكم ثواباً على ما كنتم في الدنيا تعملون من الصالحات.

● **قال تعالى**: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

قال الطبري[4]: و(الجزية) الفعلة، من جزى فلان فلاناً ما عليه: إذا قضاه، يجزيه، و(الجزية): مثل القعدة والجلسة.

---

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) جامع البيان.

ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم، الذي يبذلونه للمسلمين دفعاً عنها.

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في أمره بحروب الروم، فغزا رسول الله ﷺ بعد نزولها غزوة تبوك.

قال الزمخشري[1]: سميت جزية، لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه، أي يقضوه، أو لأنهم يجزون بها من عليه الإعفاء عن القتل.

(1) الكشاف.

جسد

(جسد - بدن - جسم - جثة)

■ **الجَسَدُ:** ما يكون للإنسان ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [صٓ: 34].

■ **الجِسْمُ:** ما يكون له طول وعرض وعمق ووظيفة ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: 4].

■ **البَدَنُ:** ما علا من الجسد بدون رأس وأطراف ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: 92].

■ **جُثَّةٌ:** جسم الإنسان الميت.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والسين والدال يدل على تجمع الشيء واشتداده؛ من ذلك جسد الإنسان.

والمِجْسَد: الذي يلي الجَسَد من الثياب.

والجسَد والجَسِد من الدم: ما يَبِسَ، فهو جَسَدٌ وجَاسِدٌ.

وقال قوم: الجَسَد: الدم نفسه، والجَسِد: اليابس.

ومما شَذَّ عن الباب: الجَساد: الزعفران. فإذا قلت: هذا المِجْسَد - بكسر

(1) معجم مقاييس اللغة.

الميم - فهو الثوب الذي يلي الجسَد. وهذا عند الكوفيين. فأما البصريون فلا يعرفون إلّا مُجْسَداً، وهو المشبع صِبْغاً.

قال الخليل[1]: الجَسَدُ: للإنسان، ولا يقال لغير الإنسان، جَسَدٌ من خلق الأرض. وكل خلق لا يأكل ولا يشرب - من نحو الملائكة والجن - مما يعقل فهو جَسَد.

وكان عجل بني إسرائيل جسداً لا يأكل ولا يشرب ويصيح. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8]، أي: ما جعلناهم مستغنين عن الطعام.

ودم جَسِدٌ جَاسِدٌ، أي: قد يبس.

والجسَد: الدم نفسه. والجَسِد: اليابس.

قال الجوهري[2]: الجَسَد: البدن، وتقول منه: تَجَسَّدَ، كما تقول من الجسم: تَجَسَّمَ.

والجَسَدُ أيضاً: مصدر قولك: جَسَدَ به الدم يَجْسُد: إذا لصق به، جَاسِدٌ وجَسِدٌ.

وقال بعضهم: قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: 88]، أي: أحمر من ذهب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: 148].

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

قال الزجاج[1]: والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الجسد معنى الجثة فقط.

قال البغوي[2]: حياً لحماً ودماً... وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت.

قال الزمخشري[3]: بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد... وانتصاب (جسداً) على البدل من (عجلاً).

قال البيضاوي[4]: بدناً ذا لحم ودم، أو جسداً من الذهب خالياً من الروح، ونصبه على البدل.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: 8].

قال الطبري[5]: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجساداً مثلك، يأكلون الطعام. وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ فوحد الجسد، وجعله موحداً، وهو من صفة الجماعة. وإنما جاز ذلك لأن، الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خلقاً لا يأكلون.

قال الزمخشري[6]: المعنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوي جسد غير طاعمين. ووحد (الجسد) لإرادة الجنس، كأنه قال: ذوي ضرب من الأجساد، وهذا رد لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: 7].

قال أبو السعود[7]: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوةً لسائر

---

(1) معاني القرآن.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) أنوار التنزيل.
(5) جامع البيان.
(6) الكشاف.
(7) إرشاد العقل السليم.

أفراد الجنس، في أحكام الطبيعة البشرية، إثر بيان كونهم أسوة في نفس البشرية، والجسد: جسم الإنسان والجن والملائكة.

ونصبه أما مفعول ثانٍ (للجعل) لكن لا بمعنى جعله جسداً، بعد أن لم يكن كذلك، كما هو المشهور من معنى التصيير، بل بمعنى جعله كذلك ابتداءً، على طريقة قولهم: سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل، كما مر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12].

وأما حال من الضمير، والجعل إبداعي، وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضاً.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: 34].

قال الطبري(1): شيطاناً متمثلاً بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: اسمه آصف، وقيل: اسمه آصر، وقيل: أن اسمه حبقيق.

قال الزجاج(2): جاء في التفسير: أنه كان لسليمان ابن فخاف عليه الشياطين، لأن الشياطين كانت تقدر الراحة مما كانت فيه بموت سليمان، فقالت: إن بقي له ولد لم ننفك مما نحن فيه، فغذاه في السحاب إشفاقاً عليه، فمات، فألقي على كرسية جسد. فجائز أن يكون هذا مجازاته على ذنبه. وجائز أن يكون، فأثكله الله ولده.

وأكثر ما جاء في التفسير: أن (جسداً) هاهنا شيطان، وأن سليمان أمر ألّا يتزوج امرأة إلّا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم امرأة كانت تعبد غير الله، فعاقبه الله بأن سلبه ملكه، وكان ملكه في خاتمه، فدفعه عند دخوله الحمام إلى شيطان. وجاء في التفسير: أنه يقال له: صخر، فطرحه في البحر، فمكث أربعين

---

(1) جامع البيان. (2) معاني القرآن.

يوماً يتيه في الأرض، حتى وجد الخاتم في بطن سمكة. وكان شيطان تصور في صوره وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع ما كان ينفذ فيه أمر سليمان، خلا نساء سليمان، إلى أن رد الله عليه ملكه.

قال البغوي[1]: وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي ألقي على كرسيه هو صخر الجني...

(1) معالم التنزيل.

جسّ

(جسّ - حس - حري)

■ **الجَسُّ:** تعرف الشرّ خفية بأسلوب لطيف ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحُجرَات: 12].

■ **الحَسُّ:** تعرف الخير بالحواس ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عِمرَان: 52].

■ **التَّحَرِّي:** تعرف الشيء بالفطنة، قصد حراه أي: جانبه ﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجنّ: 14].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والسين أصل واحد، وهو تعرف الشيء بمس لطيف، يقال: جَسَسْتُ العرق وغيره جَسًّا.

والجَاسُوسُ (فاعول) من هذا، لأنه يتخبر ما يريده بخفاء ولطف.

قال الخليل[2]: جَسَسْتُه بيدي، أي: لمسته لأنظر مَجَسّه، أي: مَمَسّه.

والجَسُّ: استراق الخبر، ومنه التَّجَسُّس للجَاسُوسِ.

والجَسَّاسَةُ: دابة في جزيرة البحر تَجُسُّ الأخبار وتأتي الدجال.

والجَوَاسُ من الإنسان: اليدان والعينان والفم والشم، الواحدة: جَاسَّة؛ ويقال: بالحاء.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأزهري[1]: يقال: تَجَسَّسْت الخبر وتَحَسَّسْتُهُ، بمعنى واحد.

والعرب تقول: فلان ضيق المَجَسِّ، إذا لم يكن واسع السرب. وفلان واسع المَجَسِّ، إذا كان واسع السرب رحيب الصدر.

ويقال: إن في مجسك لضيقاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ . . .﴾ [الحجرات: 12].

قال الزمخشري[2]: قرىء (ولا تحسسوا) بالحاء، والمعنيان متقاربان. ويقال: تَجَسَّسَ الأمر، إذا تطلبه وبحث عنه (تفعل) من الجَسِّ، كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس، لما في اللمس من الطلب. وقد جاء بمعنى الطلب، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: 8].

والتحسس: التّعرف من الحس، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان: الحواس بالحاء والجيم. والمراد: النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه.

قال ابن عطية[3]: أي: لا تبحثوا عن مخبآت أمور الناس، وادفعوا بالتي هي أحسن، واجتزوا بالظواهر الحسنة. وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن سيرين والهذليون: (لا تحسسوا) بالحاء غير منقوطة. وقال بعض الناس: التَّجَسُّس بالجيم: في الشر، والتَّحَسُّس بالحاء: في الخير، وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال.

---

(1) تهذيب اللغة.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

وقال أبو عمرو ابن العلاء: التَّجَسُّس: ما كان من وراء وراء، والتحسس بالحاء: الدخول والاستعلام؛ وصح عن النبي ﷺ انه قال: (**ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً**).

قال الفخر الرازي(1): قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ إتماماً لما سبق لأنه تعالى لما قال: ﴿اجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [**الحجرات: 12**] فهم منه أن المعتبر اليقين، فيقول القائل: أنا أكشف فلاناً، يعني أعلمه يقيناً وأطلع على عيبه مشاهدة، فأعيب فأكون قد اجتنبت الظن، فقال تعالى: ولا تتبعوا الظن، ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس.

قال البيضاوي(2): ولا تبحثوا عن عورات المسلمين (تفعل) من الجَسِّ، باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس. وقرىء بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته، ولذلك قيل للحواس: الجواس.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

جسم

(جسم - جسد - بدن)

■ **الجِسْمُ:** ما يكون له طول وعرض وعمق ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البَقَرَة: 247].

■ **الجَسَدُ:** ما يكون للإنسان ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبيَاء: 8].

■ **البَدَنُ:** ما علا من الجسد بدون رأس وأطراف ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يُونس: 92].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجسم كلُّ شخصٍ مُدْرَكٍ. كذا قال ابن دريد. والجَسيم: العظيم الجِسم، وكذلك الجُسام. والجُسْمان: الشخص.

قال الخليل[2]: الجِسْمُ: يجمع البدن وأعضاءه من الناس، والإبل والدواب، ونحوه مما عظم من الخلق الجسيم، والفعل: جَسُمَ جَسَامةً.

والجِسَامُ يجري مجرى الجَسِيمِ.

والجُسمان: جِسْمُ الرجل، ويقال: إنه لنحيفُ الجُسْمَانِ.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهري(1): وقد جَسُمَ الشيء، أي: عَظُمَ فهو جَسِيمٌ وجُسَامٌ بالضم، والجِسَامُ بالكسر: جمع جَسِيم. وتَجَسَّمْتَ الأرض: إذا أخذت نحوها تريدها.

وتَجَسَّم من الجِسْمِ، والأَجْسَمُ: الأَضْخَمُ.

قال أبو هلال(2): الفرق بين الجِسْم والجُرْمِ: أن جُرْمَ الشيء هو خلقته التي خُلِقَ عليها، يقال: فلان صغير الجُرْمِ، أي: صغير من أصل الخلقة. وأصل الجُرْمُ في العربية: القطع، كأنه قُطِعَ على الصغر أو الكبر.

وقيل: الجُرْم أيضاً: الكون، والجُرْم: الصوت؛ أورد ذلك بعضهم، وقال بعضهم الجُرْم: اسم لجنس الأجسام.

وقيل: الجُرْم: الجسم المحدود، والجسم هو الطويل العريض العميق، وذلك أنه إذا زاد في طوله وعرضه وعمقه قيل: أنه جسم وأجسم من غيره، فلا تجيء المبالغة من لفظ اسم عند زيادة معنى إلّا وذلك الاسم موضوع لما جاءت المبالغة من لفظ اسمه، ألا ترى أنه لا يقال: هو أقدر من غيره، إلّا والمعلومات له أجلى. وأما قولهم: أمر جسيم فمجاز، ولو كان حقيقة لجاز في غير المبالغة، فقيل: أمر جَسِيمٌ. وكل ما لا يطلق إلّا في موضع مخصوص فهو مجاز.

الفرق بين الجسم والشيء: إن الشيء ما يرسم به بأنه يجوز أن يعلم ويخبر عنه، والجسم هو الطويل العريض العميق، والله تعالى يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: 52]، وليس أفعال العباد أجساماً. وأنت تقول لصاحبك: لم تفعل في حاجتي شيئاً، ولا تقول: لم تفعل فيها جسماً.

والجسم: اسم عام يقع على الجرم والشخص والجسد وما بسبيل ذلك، والشيء أعم، لأنه يقع على الجسم وغير الجسم.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) الفروق في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البَقَرَة: 247].

قال الطبري[1]: فإنه يعني بذلك أن الله بسط له في العلم والجسم، وآتاه من العلم فضلاً على ما أتى غيره من الذين خوطبوا بهذا الخطاب، وذلك أنه ذكر أنه أتاه وحي من الله. وأما في الجسم، فإنه أُوتي من الزيادة في طوله عليهم ما لم يؤته غيره منهم.

قال الزمخشري[2]: الملك لابد أن يكون من أهل العلم، فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به، وأن يكون جسيماً يملأ العين جهارة، لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب. والبسطة: السعة والامتداد. وروي أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه.

قال القرطبي[3]: وبيّن لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء. فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب، فلا حظ للنسب فيها مع العلم وفضائل النفس، وإنها متقدمة عليه، لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته، وإن كانوا أشرف منسباً.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ [المنَافِقون: 4].

قال الطبري[4]: يقول جل ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين تعجبك أجسامهم، لاستواء خلقها، وحسن صورها.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.

قال الزجاج[1]: كأنه وصفهم بتمام الصور وحسن الإبانة.

قال الماوردي[2]: يعني حسن منظرهم وتمام خلقهم.

قال الزمخشري[3]: كان عبد الله بن أبيّ رجلاً جسيماً صبيحاً ذلق اللسان، وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم، ويسمعون إلى كلامهم.

(1) معاني القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.

جعل

(جعل - برأ - ذرأ - خلق - صور - طفق)

■ **الجَعْلُ:** تغيير الصيرورة ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفُرقان: 54]

■ **البَرْأُ:** خلق الأشياء على غير مثال ولا تطابق ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحَديد: 22].

■ **الخَلْقُ:** إيجاد شيء من شيء ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفُرقان: 54].

■ **الذَّرْأُ:** حشر الكثيرين عياناً لما يراد من وجودهم ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعرَاف: 179].

■ **التَّصْوِيرُ:** ما يتميز به الشيء عن نظيره من قسمات ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: 6].

■ **الطَّفْقُ:** يفعل كذا يَطْفَقُ طَفَقاً، أي: جعل يفعل ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ [الأعرَاف: 22].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والعين واللام كلمات غير منقاسة، لا يشبه بعضها بعضاً. فالجَعْل: النخل تناله اليد؛ والواحدة: جَعْلَة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والجَعْوَلُ: ولد النعام.

والجِعَالُ: الخرقة التي تنزل بها القدر عن الأثافي. والجُعْلُ والجَعَالَةُ والجَعِيلَةُ: ما يُجْعَلُ للإنسان على الأمر يفعله.

وجَعَلْتُ الشيء: صنعته.

وكلبة مُجْعِل، إذا أرادت السفاد.

والجُعَلَةُ: اسم مكان.

فهذا الباب كما تراه لا يشبه بعضه بعضاً.

قال الخليل[1]: جَعَلَ جَعْلاً: صنع صنعاً؛ وجعل أعم، لأنك تقول: جَعَلَ يأكل، وجَعَلَ يصنع كذا، ولا تقول: صنع يأكل.

قال الجوهري[2]: جَعَلْتُ كذا أَجْعَلُهُ جَعْلاً ومَجْعَلاً. وجَعَلَهُ الله نبيًّا، أي: صيّره. وجَعَلوا الملائكة إناثاً، أي: سَمُّوهم. والجَعْلُ: النخلُ القِصارُ، الواحدةُ جَعْلَةٌ. ومنه قول الراجز: أو يستوي جَثيثُها وجَعْلُها.

والجُعْلُ بالضم: ما جُعِل للإنسان من شيء على الشيء يفعله. وكذلك الجِعالَةُ بالكسر. والجَعِيلةُ مثله. والجُعَلُ دوَيْبَّة. وقد جَعِلَ الماءُ بالكسر، جَعَلاً، أي: كثُر فيه الجِعْلانُ. والجِعالُ: الخِرْقَةُ التي تُنْزَلُ بها القِدر عن النار، والجمع جُعُلٌ. وأَجْعَلْتُ القِدر، أي: أنزلتها بالجِعالِ. وأَجْعَلْتُ لفلان من الجُعْلِ في العطيَّة.

قال أبو هلال[3]: الفرق بين الجَعْلِ والعَمَلِ: أن العمل هو إيجاد الأثر في الشيء، على ما ذكرناه؛ والجَعْلُ: تغيير صورته بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، ألا ترى أنك تقول: جَعَلَ الطين خزفاً، وجَعَلَ الساكن متحركاً. ولا تقول: عمل

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الفروق في اللغة.

الطين خزفاً؛ ولا تقول: عمل الساكن متحركاً، لأن الحركة ليست بأثر يؤثر به في الشيء.

والجَعْلُ أيضاً يكون بمعنى (الأحداث) وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعَام: 1]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النحل: 78]، ويجوز أن يقال: إن ذلك يقتضي أنه جَعَلَها على هذه الصفة التي هي عليها، كما تقول: جَعَلْتُ الطين خزفاً.

والجَعْلُ: أيضاً يدل على (الاتصال) ولذلك جُعِلَ طرفاً للفعل فتستفتح به، كقولك: جَعَلَ يقول، وجَعَلَ ينشد. [ثم استشهد بشعر].

وجاء أيضاً بمعنى (الخبر) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19]، أي: أخبروا بذلك.

وبمعنى (الحكم) في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ [التوبة: 19]، أي: حكمتم بذلك، ومثله جَعَلَهُ الله حراماً وجَعَلَهُ حلالاً، أي: حكم بتحليله وتحريمه، وجَعَلْتُ المتحرك متحركاً، أي: جَعَلْتَ ما له صار متحركاً.

والجَعْلُ: أصل الدلالة على الفعل، لأنك تعلمه ضرورة؛ وذلك أنك إذا رأيت داراً مهدمة ثم رأيتها مبنية، علمت التغير ضرورة، ولم تعلم حدوث شيء إلّا بالاستدلال.

ويكون بمعنى سمى، ومنه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19].

وبمعنى التبيين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: 3]. وبمعنى الخَلْقِ ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1].

وبمعنى التشريف: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا﴾ [المائدة: 97].

وبمعنى التبديل: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: 82]. وبمعنى الحكم الشرعي (جعل الله الصلوات المفروضات خمساً).

وبمعنى التحكم البدعي ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: 91].

وقد تكون لازمة وهي الداخلة في أفعال المقاربة. كقوله: وجعلت زيداً أخاك: نسبته إليك.

المعنى المشترك لكلمة (جعل):

الجَعْلُ: يضاف تارة إلى الله تعالى. وتارة إلى عباده. فإذا أضيف إلى الله تعالى فهو منقسم في حقه إلى قسمين:

أحدهما: بمعنى الخلق. ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، وهذه الأصل في الجَعْلِ.

والثاني: بمعنى التصيير، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: 103]، أي: ما صيّر ذلك مأذوناً فيه، ولا شرعاً.

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ قلناه. فيكون الجَعْلُ عبارة عن القول.

وأما الجَعْلُ المضاف إلى العباد فذكر أهل التفسير أنه على وجهين:

أحدهما: بمعنى الوصف، ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: 100]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: 62]، وفيها: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: 57]. ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، أي: وصفوهم، وقيل سموهم.

والثاني: بمعنى الفِعْل، ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: 136]، وفي سورة يونس: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس: 59].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البَقَرَة: 22].

قال الزجاج[1]: ويجوز في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ وجهان: الإدغام والإظهار، تقول: جعل لكم، وجعل لكم الأرض، فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات، ومن أظهر وهو الوجه وعليه أكثر القراء. فلأنهما منفصلان من كلمتين.

قال البغوي[2]: والجَعْل هاهنا بمعنى الخلق.

قال القرطبي[3]: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ معناه هنا (صير) لتعديه إلى مفعولين.

ويأتي بمعنى (خلق) ومنه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: 103]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1].

ويأتي بمعنى (سمى) ومنه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: 103]، وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: 15]، ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19]، أي: سموهم.

ويأتي بمعنى (أخذ). وقد تأتي زائدة.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: أنها زائدة. وجعل واجتعل بمعنىً واحد.

● **قال تعالى**: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المَائدة: 97].

(1) معاني القرآن.
(2) معالم التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال الطبري[1]: صير الله الكعبة.

قال الفخر الرازي[2]: جعل فيه قولان: الأول: أنه بيّن وحكم، الثاني: أنه صيّر؛ فالأول: بالأمر والتعريف، والثاني: بخلق الدواعي في قلوب الناس لتعظيمه والتقرب إليه.

قال رشيد رضا[3]: الجعل هنا إما خلقي تكويني وهو التصيير أي: تغير الصيرورة، وإما أمري تكليفي وهو التشريع.

● **قال تعالى**: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: 103].

قال الطبري[4]: ما بحر الله بحيرةً، ولا سيب سائبةً ولا وصل وصيلةً، ولا حمى حامياً، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرمتموه افتراء على ربكم.

قال الزمخشري[5]: ما شرع ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك.

قال ابن عطية[6]: و(جعل) في هذه الآية لا يتجه أن تكون بمعنى خلق الله، لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها، ولا هي بمعنى صير لعدم المفعول الثاني، وإنما هي بمعنى: ما سن ولا شرع، فتعدت تعدي هذه التي بمعناه إلى مفعول واحد.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ . . . .﴾ [الأنعام: 1].

قال الطبري[7]: فإن قال قائل: فما معنى قوله إذن: (جَعَلَ)؟

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير المنار.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) المحرر الوجيز.
(7) جامع البيان.

قيل: إن العرب تجعلها ظرفاً للخبر والفعل، فتقول: جعلت افعل كذا، وجعلت أقوم وأقعد، تدل بقولها جعلت على اتصال الفعل، كما تقول: علقت أفعل كذا، لا أنها في نفسها فعل، يدل على ذلك قول القائل: جعلت أقوم، وأنه لا جعل هناك سوى القيام، وإنما دل بقوله: (جعلت) على اتصال الفعل ودوامه.

فكذلك كل جعل في الكلام، إنما هو دليل على فعل له اتصال، لا أن له خطاً في معنى الفعل، فقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ إنما هو أظلم ليلهما، وأنار نهارهما.

قال الماوردي[1]: يعني: وخلق، فغاير بين اللفظ، ليكون أحسن في النظم.

قال الزمخشري[2]: (جعل) يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى: أَحْدَثَ وأَنْشَأَ، كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صَيَّر، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19].

والفرق بين الخلق والجعل: أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين، كإنشاء شيء من شيء، أي تصيير شيء شيئاً أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار.

● **قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [آل عمران: 126].**

قال الزجاج[3]: وما جعل ذكر المدد إلّا بشرى لكم ولتمكنوا في حربكم.

قال ابن عطية[4]: الضمير في (وما جعله الله) عائد على الإنزال والإمداد.

قال أبو حيان[5]: الظاهر أن الهاء في جملة (جعله) عائدة على المصدر

---

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) معاني القرآن.
(4) المحرر الوجيز.
(5) البحر المحيط.

المفهوم من (يمددكم) وهو الإمداد. وجوز أن يعود على التسويم أو على النصر، أو على التنزيل أو على العدد أو على الوعد.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ . . .﴾ [الأنفال: 10].

قال الزجاج[1]: أي: ما جعل الله المدد إلّا بشرى.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: إلام يرجع الضمير في (وما جعلهُ)؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ [الأنفال: 9]، لأن المعنى: فاستجاب لكم بإمدادكم.

قال أبو حيان[3]: والضمير في (وما جعله) عائد على الإمداد المنسبك من ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ أو على المدد، أو على الوعد الدال عليه ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ [الأنفال: 7] أو على الألف، أو على الاستجابة، أو على الإرداف، أو على الخبر بالإمداد، أو على جبريل، أقوال محتملة مقولة أظهرها الأول، ولم يذكر الزمخشري غيره.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأنعام: 136].

قال ابن عطية[4]: الضمير في (جعلوا) عائد على كفار العرب، العادلين بربهم الأوثان، الذين تقدم الرد عليهم، من أول السورة.

قال السمين[5]: جعل هنا بمعنى صير، فتتعدى لاثنين، أولهما: قوله: (نصيباً)، والثاني: قوله (لله).

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الرعد: 16].

---

(1) معاني القرآن.
(2) الكشاف.
(3) البحر المحيط.
(4) المحرر الوجيز.
(5) عمدة الأحكام.

قال الزمخشري[1]: ﴿أَمْ جَعَلُواْ﴾ بل اجعلوا، ومعنى الهمزة الإنكار.

قال الألوسي[2]: ﴿أَمْ جَعَلُواْ﴾ أي: بل اجعلوا لله جل وعلا (شركاء خلقوا كخلقه) سبحانه وتعالى. والهمزة لإنكار الوقوع، وليس المنكر هو الجعل، لأنه واقع منهم، وإنما هو الخلق كخلقه تعالى، والمعنى: أنهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الرعد: 33].

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يقدر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه (وجعلوا) وتمثيله: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده.

قال القرطبي[4]: (وجعلوا) حال، أي: أو قد جعلوا، أو عطف على (استهزىء) أي: استهزؤوا وجعلوا، أي: سموا.

قال البيضاوي[5]: استئناف أو عطف على (كسبت) إن جعلت (ما) مصدرية. ويجوز أن يقدر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه (وجعلوا) أي: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه، وجعلوا له شركاء. ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه، على أنه المستحق للعبادة.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 15].

قال البغوي[6]: ومعنى الجعل هاهنا الحكم بالشيء، والقول كما تقول: جعلت زيداً أفضل الناس، أي: وصفته وحكمت به.

---

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) أنوار التنزيل.
(6) معالم التنزيل.

قال ابن عطية[1]: الضمير في (جعلوا) لكفار قريش والعرب، والضمير في (لهُ) لله تعالى.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: 19].

● **قال تعالى**: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: 7].

قال ابن عطية[2]: يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أن يكون عبارة عن إعراضهم، وشدة رفضهم لأقواله.

قال الألوسي[3]: وفي نسبة الجعل إلى الأصابع وهو منسوب إلى بعضها، وإيثار الجعل على الإدخال ما لا يخفى.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123].

قال القرطبي[4]: (مجرميها) مفعول أول لـ(جعل)، (أكابر) مفعول ثانٍ على التقديم والتأخير. وجعل بمعنى صير.

قال البيضاوي[5]: و(جعلنا) بمعنى صيرنا، ومفعولاه (أكابر مجرميها) على تقديم المفعول الثاني، أو (في كل قريةٍ أكابر)، و(مجرميها) بدل، ويجوز أن يكون مضافاً إليه أن فسر (الجعل) بالتمكين، وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) المحرر الوجيز
(3) روح المعاني.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) أنوار التنزيل.

قال أبو السعود[1]: والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع، أي: أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسباباً تعيشون بها. وكل واحد من الظرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله المنكر؛ إذ لو تأخر لكان صفة له، وتقديمها على المفعول من أن حقهما التأخير عنه، لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر، فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم منبئاً عن منفعة للسامع، تبقى مترقبةً لورود المؤخر، فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن.

وأما تقديم اللام على (في) فلما أنه المنبىء عما ذكر من المنفعة، فالاعتناء بشأنه أتم، والسارعة إلى ذكره أهم.

ولهذا قيل: إن الجعل متعدٍ إلى مفعولين، ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر، قدم على الأول، والظرف الآخر إما لغو متعلق بالجعل، أو بالمحذوف الواقع حالاً من المفعول الأول، كما مر. وأنت خبير بأنه لا فائدة معتد بها في الأخبار يجعل المعايش حاصلةً لهم أو حاصلة في الأرض

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا...﴾ [يسٓ: 9].

قال الفخر الرازي[2]: معنى (جعلنا) يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه شبههم بمن جعله مغلولاً مقيداً، أجرى عليه صفة (الجعل) بأنه مشبه للمجعول، مغلولاً مقيداً.

والثاني: أنه أراد البيان عن الحالة التي شبه بها المغلول المقيد، كما يقول القائل: جعلني فلان حماراً، وجعلني ميتاً، إذا وصفه بالحمارية والموت، وشبهه بالحمار والميت، وهذا واضح.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3].

قال الزمخشري[1]: (جعلناه) بمعنى: صيرناه معدى إلى مفعولين، أو بمعنى: خلقناه معدى إلى واحد.

قال ابن عطية[2]: معناه سميناه وصيرناه، وهو إخبار عليه وقع القسم، والضمير في (جعلناه) عائد على (الكتاب).

قال ابن الجوزي[3]: في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن، والثاني إلى الإيمان.

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: 41].

قال الفخر الرازي[4]: أما قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ...﴾ فقد تمسك به الأصحاب في كونه تعالى خالقاً للخير والشر.

قال أبو حيان[5]: و(جعل) هنا بمعنى صير، أي: صيرناهم أئمة.

قال أبو السعود[6]: (وجعلناهم) أي: صيرناهم في عهدهم.

وقيل: سميناهم أئمة دعاة إلى النار، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ﴾ [الزخرف: 19].

فالأنسب حينئذ أن يكون (الجعل) بعدهم فيما بين الأمم، وتكون الدعوة إلى نفس النار.

وقيل: معنى الجعل: منع الألطاف الصارفة عن ذلك.

---

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) زاد المسير.
(4) التفسير الكبير.
(5) البحر المحيط.
(6) إرشاد العقل السليم.

جفأ

(جفأ - بور - غثاء - زبد - هباء - سراب - سدى)

■ **الجَفَاء:** ما يتركه السيل على ضفتي الوادي أو القدر الذي يغلي مما لا نفع فيه ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17].

■ **الغُثَاء:** ما يبقى في الحقل بعد الحصاد مما لا نفع فيه من الغش ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: 4-5].

■ **البَوَار:** فرط الكساد المؤدي للهلاك ﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفُرقان: 18].

■ **الزَّبَد:** بقع بيضاء تعلو وجه الماء عندما يكون مائجاً ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17].

■ **الهَبَاء:** ذرات التراب الدقيق لا تبدو إلّا في الشمس ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقِعَة: 6].

■ **السَّرَاب:** المكان في المفازة إلى الماء لا حقيقة له ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39].

■ **السُّدَى:** المتروك بلا المكلف ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القِيَامَة: 36].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والفاء والحرف المعتل يدلُّ على أصلٍ واحد: نبوّ الشيء عن الشيء. من ذلك جفَوْتُ الرّجُلَ أجْفُوه، وهو ظاهر الجِفْوة أي: الجَفَاء. وجَفَا السَّرْجُ عن ظهر الفَرَس وأَجْفَيْتُه أنا. وكذلك كلُّ شيءٍ إذا لم يَلْزَم [شيئاً] يقال: جَفَا عنه يَجفُو.

والجَفَاءُ خلاف البِرّ. والجُفَاء ما نفاه السَّيل، ومنه اشتقاق الجَفَاء. وقد اطّرد هذا الباب حتى في المهموز، فإنه يقال جَفأتُ الرجلَ: إذا صرَعْتَه فضربتَ به الأرض. واجتفَأْتُ البقْلَةَ: إذا أنت اقتلعتها من الأرض. وأجْفَأَتِ القِدْرُ بزَبَدها: إذا ألْقَتْه، إجْفاءً. ومنه قوله ﷺ: (**ما لم تصطبِحُوا أو تغتبِقُوا أو تجْتَفِئوا بها بَقْلاً**)، في رواية من يرويها بالجيم. ومن هذا الباب تجَفَّأَت البلادُ: إذا ذَهب خَيْرُها.

قال الخليل[2]: جَفَأَ الزبد يَجْفَأُ جَفْأً، والاسم: الجُفاء. وأَجْفَأَتِ القدر زبدها وجَفَأَتْ به، أي: رمت به وطرحته.

وجَفَأْتُ الرجل، أي: احتملته وضربت به الأرض. والجُفَاءُ: الزبد فوق الماء، قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرعد: 17].

قال الجوهري[3]: الجُفَاءُ: ما نفاه السيل، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرعد: 17]، أي: باطلاً.

وجَفَأَ الوادي جَفْأً، إذا رمى بالقذى والزبد، وكذلك القدر إذا رمت بزبدها عند الغليان. وأَجْفَأَتْ: لغة فيه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وجَفَأْتُ القدر أيضاً، إذا كفأتها أو أملتها فصببت ما فيها. ولا تقل: أَجْفَأْتُها.

وأما الذي في الحديث: (**فأَجْفَأُوا قدورهم بما فيها**) فهي لغة مجهولة.

وجَفَأْتُ الرجل أيضاً: صرعته. واجْتَفَأْتُ الشيء: اقتلعته ورميت به.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17].

قال الطبري[1]: وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة، أن معنى قوله: (فيذْهبُ جُفَاءً) تنشفه الأرض، ويقال: جَفَا الوادي وأَجْفَى في معنى: نشف، وانْجَفَى الوادي: إذا جاء بذلك الغثاء، وغَثَى الوادي، فهو يَغْثَى غثياً وغثياناً.

وذكر عن العرب أنها تقول: جَفَأْتُ القدر أَجْفَؤُهَا، إذا أخرجت جُفَاءَها: وهو الزبد الذي يعلوها، وأَجْفَأْتُها إِجْفَاءً: لغة. قال: وقالوا: جَفَأْتُ الرجل جَفْأً: صرعته.

وقيل: (فيذْهبُ جُفَاءً) بمعنى جَفْأً، لأنه مصدر من قول القائل: جَفَأَ الوادي غثاءه جُفَاءً، فخرج مخرج الاسم وهو مصدر.

قال الزجاج[2]: أي فيذهب ذلك لا ينتفع به، والجُفَاءُ: ما جَفَأَ الوادي، أي: رمى به.

قال البغوي[3]: أي: ضائعاً باطلاً، والجُفَاءُ: ما رمى به الوادي من الزبد، والقدر إلى جنباته. معناه: أن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل.

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) معالم التنزيل.

وقيل: (جُفاءً) أي: متفرقاً، يقال: جَفَأَ الريح الغيم: إذا فرقته وذهبت به.

قال الفخر الرازي[1]: والمعنى أن الزبد قد يعلو على وجه الماء ويربو وينتفخ، إلّا أنه بالآخرة يضمحل، ويبقى الجوهر الصافي من الماء ومن الأجساد السبعة. فكذلك الشبهات والخيالات قد تقوى وتعظم، إلّا أنها بالآخرة تبطل وتضمحل وتزول، ويبقى الحق ظاهراً لا يشوبه شيء من الشبهات.

وفي قراءة رؤبة بن العجاج (جُفَالاً) وعن أبي حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤبة، لأنه كان يأكل الفأر.

قال الألوسي[2]: يَجْفَأُ به، أي: يرمي به السيل أو الفلز المذاب، وانتصابه على الحال، وقرىء (جُفَالاً) والمعنى واحد.

(1) التفسير الكبير.

(2) روح المعاني.

جفنة

(جفنة - قدر)

■ **الجُفْنَةُ:** وعاء الطعام حين يقدم للضيف ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سَبَإ: 13].

■ **القِدْرُ:** وعاء الطعام يطبخ فيه اللحم ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سَبَإ: 13].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والفاء والنون أصل واحد، وهو شيء يطيف بشيءٍ ويحويه. فالجَفْنُ: جَفْنُ العين، والجَفْنُ: جَفْنُ السيف. وجَفْنٌ: مكان. وسمي الكرم جَفْناً لأنه يدور على ما يعلق به، وذلك مشاهد.

قال الخليل[2]: الجَفْنُ: ضرب من العنب، ويقال: هو نفس الكرم، بلغة اليمن.

ويقال: الجَفْنُ والجَفْنَةُ: قضيب من الكرْم.

والجَفْنَةُ: التي للطعام، وجمعها: جفان.

والجَفْنُ: للسيف والعين، وجمعهما: جُفُون.

وجَفْنَةٌ: قبيلة من اليمن، ملوك بالشام.

قال الجوهري[3]: الجَفْن: جَفْنُ العين، والجَفْن أيضاً: غمد السيف، والجَفْنُ: اسم موضع.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الصحاح في اللغة.

والجَفْن: قضبان الكرم، الواحدة: جَفْنَةٌ.

والجَفْنَةُ: كالقصعة، والجمع: الجِفَانُ والجَفَنَاتُ بالتحريك، لأن ثاني (فَعْلَة) يحرك في الجمع إذا كان اسماً، إلّا أن يكون ياءً أو واواً، فيسكن حينئذ.

وَجْفَنَةُ: قبيلة من اليمن. [ثم بحث حول قولهم: (وعند جُفَيْنَةُ الخبر اليقين) أنه جُفَيْنَة أو جُهَيْنَة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ [سَبَإ: 13].

قال الفخر الرازي(1): وقدم (الجفان) في الذكر على (القدور) مع أن القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل، والطبخ قبل الأكل؟

فنقول: لما بيّن الأبنية الملكية أراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور، وأشار إلى (الجفان) لأنها تكون فيه، وأما (القدور) فلا تكون فيه، ولا تحضر هناك، ولهذا قال: (راسياتٍ) أي: غير منقولات. ثم لما بيّن حال الجفان العظيمة، كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون فيها أي شيءٍ يطبخ، فأشار إلى القدور المناسبة للجفان.

قال الألوسي(2): و(جفان) جمع جفنة، وهي ما يوضع فيها الطعام مطلقاً، كما ذكره غير واحد.

وعليه فالمراد هنا المطلق لظاهر قوله تعالى: ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) روح المعاني.

قال الشعراوي[1]: وقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ الجفان: جمع جَفْنة، وهي القصعة المعروفة ﴿كَٱلْجَوَابِ...﴾ كالحوض الواسع الكبير، وهذا كناية عن كرمه وكثرة إطعامه الطعامَ ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سَبَإ: 13] أي: قدور ثابتة لِكِبرها، فهي لا تُرفع ولا تُحرَّك من مكان لآخر لعِظَمها.

قال ابن عاشور[2]: والجفان: جمع جفنة، وهي القصعة العظيمة التي يجفن فيها الماء. وقدرت الجفنة في التوراة بأنها تسع أربعين بَثًّا (بالمثلثة) ولم نعرف مقدار البث عندهم ولا شك أنه مكيال. وشبهت الجفان في عظمتها وسعتها بالجوابي. وهي جمع: جابية: وهي الحوض العظيم الواسع العميق الذي يجمع فيه الماء لسقي الأشجار والزروع، قال الأعشى:

نفي الذم عن رهط المحلق جفنه كجابية الشيخ العراقي تفهق

أي: الجفنة في سعتها كجابية الرجل العراقي، وأهل العراق أهل كروم وغروس فكانوا يجمعون الماء للسقي. وكانت الجفان المذكورة في الهيكل المعروف عندنا ببيت المقدس لأجل وضع الماء ليغلسوا فيها ما يقربونه من المحرَقات كما في الإِصحاح الرابع من سفر الأيام الثاني.

---

(1) تفسير الشعراوي.

(2) التحرير والتنوير.

جفو

(جفو - ترك - وذر - اجتنب - نبذ - هجر)

■ **الجَفْوُ:** ترك الشيء وأنت تريده ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: 16].

■ **التَّرْكُ:** مفارقة ما أنت فيه ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدّخان: 25].

■ **الوَذْرُ:** ترك الشيء ترفعاً ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البَقَرَة: 278].

■ **الاجْتِنَابُ:** ترك الشيء من بعيد ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحَجّ: 30].

■ **النَّبْذُ:** ترك الشيء لهوانه عندك ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القَصَص: 40].

■ **الهَجْرُ:** ترك الشيء لخصلة لا ترضاها ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النِّساء: 34].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والفاء والحرف المعتل يدل على أصل واحد: نُبُوّ الشيء عن الشيء، من ذلك جَفَوْتُ الرجل أَجْفُوه، وهو ظاهر الجِفْوَةِ، أي: الجَفَاءِ. وجَفَا السرج عن ظهر الفرس وأَجْفَيْتُه أنا. وكذلك كل شيء إذا لم يلزم

(1) معجم مقاييس اللغة.

شيئاً، يقال: جفا عنه يجفو. والجَفاء: خلاف البر، والجُفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجَفَاءِ.

قال الخليل[1]: جَفَا الشيء يَجْفُو جَفَاءً، ممدود كالسرج يَجْفُو على الظهر، إذا لم يلزم الظهر، وكالجنب يَجْفُو عن الفراش، وتَجَافَى مثله.

والجَفَاءُ يقصر ويمد: نقيض الصلة، والجَفْوَةُ: أَلزم في ترك الصلة من الجَفَاءُ، لأن الجَفَاءُ قد يكون في فعلاته، إذا لم يكن له ملق.

يقول: رفع هُدّاب الأرض بقرنه حتى تَجَافَى عنه. ويقال: جَافَيْتُ جنبي الفراش فَتَجَافَى، وأَجْفَيْتُ القتب عن ظهر البعير فجَفَا.

[وفي حديث] أبي هريرة: قال النبي ﷺ: **(الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجَفَاءِ والجَفَاءُ في النار)**.

قلت: يقال: جَفَوْتُه أَجْفُوه جَفْوَةً، أي: مرة واحدة، وجَفَاءً كثيراً، مصدر عام.

والجَفَاءُ يكون في الخلقة والخلق، يقال: رجل جَافِي الخِلْقَةِ، وجَافِي الخُلُقِ: إذا كان كزًّا غليظ العشرة. ويكون الجَفَاءُ في سوء العشرة، والخرق في المعاملة، والتحامل عند الغضب، والسورة على الجليس.

قال الجوهري[2]: الجَفَاءُ ممدود: خلاف البِرّ. وقد جَفَوْتُ الرجل أَجْفُوهُ جَفَاءً، فهو مَجْفُوٌّ. ولا تقل: جَفَيْتُ.

وفلان ظاهر الجِفْوَةِ بالكسر، أي: ظاهر الجَفَاءِ. وجَفَا السرج عن ظهر الفرس، وأَجْفَيْتُه أنا: إذا رفعته عنه.

وجَافَاهُ عنه فتَجَافَى، وتَجَافَى جنبه عن الفراش، أي: نَبَا.

(1) العين. (2) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السَّجدَة: 16].

قال الطبري[1]: تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون. [إلى أن قال:] (وتتجافى) تتفاعل، من الجفاء، والجفاء: النبو.

وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافي جنوبهم عن المضاجع، لتركهم الاضطجاع، للنوم شغلاً بالصلاة.

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جل ثناؤه، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع، فقال بعضهم: هي الصلاة بين المغرب والعشاء، وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت.

وقال آخرون: عني بها صلاة المغرب.

وقال آخرون: عني بها قيام الليل.

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله.

والصواب: من القول في ذلك أن يقال: أن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلاً منهم بدعاء ربهم، وعبادته خوفاً وطمعاً، وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلاً، لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف؛ وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا

---

(1) جامع البيان.

وصفته بذلك، يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه، في صفة نبي الله ﷺ:

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم، من أحوال الليل وأوقاته، حالاًووقتاً دون حال ووقت، كان واجباً أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة، ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه، في الحال التي قام فيها للصلاة، قائماً صلى أو ذكر الله، أو قاعداً بعد أن لا يكون مضطجعاً، وهو على القيام أو القعود قادر. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل، أعجب إلي، لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

قال الشعراوي[1]: التجافي يعني الترك، لكن الترك قد يكون معه شوق ويصاحبه ألم، كما تودع حبيباً وتتركه وأنت غير زاهد فيه ولا قَالٍ له، أما الجفوة فترك فيه كراهية للمتروك، فهؤلاء المؤمنون الذين يتركون مضاجعهم كأن جنوبهم تكره المضجع وتجفوه؛ لأنها تتركه إلى لذة أبقى وأعظم هي لذة الاتصال بالله ومناجاته.

ونذكر هنا إن الإمام علياً رضي الله عنه حينما ذهب ليدفن فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها وقف عند قبر رسول الله وقال: السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، قَلَّ عن صفيتك صبري، ورقَّ عنها تجلُّدي، إلا أن لي في التعزي بعظيم

(1) تفسير الشعراوي.

فُرْقتك وفادح مصيبتك موضع تأسٍّ - يعني: الذي تحمَّل فَقْدك يا رسول الله يهون عليه أيُّ فَقْد بعدك - فلقد وسدتُك يا رسول الله في ملحودة قبرك، وفاضت بين نَحْري وصدري نفسك، أما ليلي فمُسهَّد، وأما حزني فَسَرْمَد، إلى أنْ يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، هذا وستخبرك ابنتك عن حال أمتك وتضافرها على هضمها. . . فَأحْفِهَا السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يَطلْ منك العهد، ولم يخْلُ منك الذكر.

ثم لما أراد أنْ ينصرف عن قبر حبيبه قال: والسلام عليكما سلام مُودِّع، لا قال ولا سئم، فإنْ أنصرف فلا عن ملالة، وإنْ أُقِم فلا عن سوء ظَنَّ بما وعد الله به عباده الصابرين.

فقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16] أي: تكرهها وتجفوها، مع أنها أعزُّ ما يركن إليه الإنسان عند راحته، فالإنسان حين تدبّ فيه الحياة، ويستطيع أنْ تكون له قوة ونشاط يعمل في الحياة، فالعمل فرع وجود الحياة، وبالقوة يمشي، وبالقوة يحمل الأثقال.

جَلَبَ

(جلباب - ثوب - لباس - كساء - خمار - سربال - ريش - إزار)

■ **الجِلْبَابُ:** ثوب له أكمام ويُقفل من الأمام. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59].

■ **الثَّوْبُ:** هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة والذي تقابل به الناس ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4].

■ **اللِّبَاسُ:** هو كل شيء خفي سواء كان مادياً أو معنوياً يسمى لباس وهو الخفي الذي يستر السوءة وليس العورة فالعورة قد تُستر بسياج عال حول البيت. ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: 26].

■ **الكِسَاءُ:** هو الثوب الذي يُلقى على الكتف إلقاءً، فيشمل الجسد من غير أن يكون مخيطاً ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: 5].

■ **الخِمَارُ:** غطاء الرأس. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31].

■ **السِّربال:** كل شيء غليظ يقيك من الحر أو البرد أو الضرب. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: 81].

■ **الرِّيشُ:** هو ما يدل على الترف وهو حلال ما دام لا يؤدي بلابسه إلى الخيلاء والزهوّ. ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: 26].

■ **الإِزَارُ:** ما يشدّ من الوسط حتى القدمين ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم واللام والباء أصلان: أحدهما: الإتيان بالشيء من موضع إلى موضع، والآخر: شيء يُغَشّي شيئاً.

فالأول: قولهم: جَلَبْتُ الشيء جَلْباً.

والأصل الثاني: الجُلْبَةُ: جلدةٌ تجعل تحت القتب. والجُلْبَةُ: القشرة على الجرح إذا برأ، يقال: جَلَبَ الجُرْحُ وأَجْلَبَ. وجُلْبُ الرَّحْلِ: عيدانه؛ فكأنه سمي بذلك على القرب. والجُلْبُ: سحاب يعترض رقيق، وليس فيه ماءٌ.

ومن هذا اشتقاق (الجِلْبَابُ) وهو القميص، والجمع: جَلَابِيبٌ.

قال الخليل[2]: الجَلَبُ: ما يُجْلَبُ من السبي أو الغنم، والجمع: أَجْلَابٌ، والفعل: يَجْلُبُون.

وعبدٌ جَلِيبٌ، وعبيدٌ جُلَبَاءٌ، إذا كانوا جُلُبُوا من أيامهم وسنتهم.

والجَلَب والجَلَبَةُ في جماعات الناس، والفعل: أَجْلَبُوا من الصياح ونحوه.

والجَلُوبَةُ: ما يُجْلَبُ للبيع، نحو الناب والفحل والقلوص. وأما كرام الإناث والفحولة التي تنتسل، فليست من الجَلُوبة.

ويقال لصحاب الإبل: هل في إبلك جَلُوبةٌ ؟ أي: شيء جَلَبْتَهُ للبيع.

وفي الحديث: **(لا جَلَبَ في الإسلام)**، اختلفوا فيه، فقيل: لا جَلَبَ في جري الخيل، وقيل: لا يستقبل الجَلَبُ في الشراء، وقيل: هو أن يَجْلُبَ المصدق غنم القوم، أي: يجمعها عنده، وإنما ينبغي أن يأتي أفنيتهم فيصدقها هناك.

والجُلْبَة: القرحة التي تنشر على اليد عند همومها بالبُرْءِ.

وأَجْلَبَتْ القرحةُ، فهي مُجْلِبَةٌ وجَالِبَةٌ، وقروح جَوَالِبُ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

وجُلْبُ الرحل: نقشُ خشب الرحل وأحناؤه، ومايؤسر به، ويشد سوى صنقه وأنساعه.

والجُلْبَانُ: الملك، الواحدة بالهاء، وهو حب أغبر أكدر على لون الماش، (إلّا أنه أشد كدرةً منه وأعظم جرماً: يطبخ).

والجَالِبَةُ والجَوَالِبُ من شدائد الدهر: حالات تجيء بآفات وتَجْلُبُها.

والجِلْبَابُ: ثوب أوسع من الخمار دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها.

والجِلْبُ والجَلبُ من السحاب: تراه كأنه جبل.

والجُلبَةُ: العوذة التي يخرز عليها الجلدُ، وجمعها: الجُلُبُ.

والجُلبَة: الحديدة يرقع بها القدح، وهي حديدة صغيرة.

والجُلبة في الجبل: إذا تراكم بعض الصخر على بعض، فلم يكن فيه طريق تأخذ فيه الدواب.

قال الزمخشري[1]: جَلَبَ الشيء واجْتَلَبَهُ، والجَالِبُ مرزوق. واشتر من الجَلَبِ، وعَبدٌ جَلِيبٌ. وطارت جُلْبَةُ الجرح، وجُلَبُ الجراح، أي: قشورها. وأَجْلَبَ عليهم. وماهذه الجُلَبَةُ؟ وما هذا الجَلَبُ واللَّجَبُ؟ وأدنت عليها من جِلْبَابِهَا، وتَجَلّبَبَتْ، وجَلْبَبْتُهَا.

ومن المجاز: جَلَبَتْهُ جَوَالِبُ الدهر، وهذا مما يَجْلُبُ الأحزان، ولكل قضاء جَالِبٍ، ولكل دَرٍّ حالبٍ.

---

(1) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64].

قال الطبري[1]: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي.

قال ابن كثير[2]: واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجلتهم.

قال الطنطاوي[3]: هذا تمثيل لسلطته على من يغويهم برجل مغير صاح على قوم، فاستفزهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم.

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

قال البغوي[4]: جمع الجلباب، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

قال الزمخشري[5]: الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها.

---

(1) جامع البيان.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.
(4) معالم التنزيل.
(5) الكشاف.

فإن قلت: ما معنى (من) في (من جَلاَبيبِهِنَ)؟

قلت: هو للتبعيض إلّا أن معنى التبعيض محتمل وجهين:

أحدهما: أن يتجلببن ببعض ما لهنّ من الجلابيب، والمراد أن لا تكون الحرة مبتذلة في درع وخمار كالأمة والماهنة، ولها جلبابان فصاعداً في بيتها.

والثاني: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع، حتى تتميز من الأمة.

قال البيضاوي[1]: يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة. و(من) للتبعيض، فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض.

قال الشعراوي[2]: وكلمة ﴿جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ مفردها جلباب، وقد اختلفوا في تعريفه فقالوا: هو الثوب الذي يُلْبس فوق الثوب الداخلي، فتحت الجلباب مثلاً (فانلة) أو قميص وسروال، ويجوز أن تكون الملابس الداخلية قصيرة، أما الجلباب فيجب أن يكون سابغاً طويلاً قريباً من الأرض.

وقالوا: الجلباب هو الخمار الذي يغطي الرأس، ويُضرب على الجيوب - أي فتحة الرقبة - لكن هذا غير كافٍ، فلا بُدَّ أنْ يُسدل إلى الأرض ليستر المرأة كلها؛ لأن جسم المرأة عورة، ومن اللباس ما يكشف، ومنه ما يصف، ومنه ما يلفت النظر. وشرط في لباس المرأة الشرعي ألَّا يكون كاشفاً، ولا واصفاً، ولا مُلْفِتاً للنظر؛ لأن من النساء مَنْ ترتدي الجلباب الطويل السَّابغ الذي لا يكشف شيئاً من جسمها، إلا أنه ضيِّق يصف الصَّدْر، ويصف الأرداف، ويُجسِّم المفاتن، حتى تبدو وكأنها عارية.

(1) أنوار التنزيل.

(2) تفسير الشعراوي.

جلد

(جلد - خبط - ضرب - صك - وكز - طعن)

■ **الجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النّور: 4].

■ **الخَبْطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

■ **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البَقَرَة: 60].

■ **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذّاريَات: 29].

■ **الوَكْزُ:** ضرب الشيء بالعكس (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: 15].

■ **الطَّعْنُ:** الضرب بالرمح وبالقرن وما يجري مجراهما ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: 46].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم واللام والدال أصل واحد، وهو يدل على قوة وصلابة. فالجِلْدُ معروفٌ، وهو أقوى وأصلب مما تحته من اللحم. والجَلَدُ:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

صلابة الجِلْدُ. والأَجْلَادُ: الجسم، ويقال لجسم الرجل: أَجْلَادُهُ وتَجَالِيدُهُ. والمِجْلَدُ: جِلْدٌ يكون مع النادبة، تضرب به وجهها عند المناحة.

والجَلَدُ فيه قولان: أحدهما أن يُسْلَخُ جِلْدُ البعير وغيرهُ فيلبسه غيره من الدواب.

والقول الثاني: أن يُحْشى جِلْدُ الحوار ثُمَاماً أو غيره، وتعطف عليه أمهُ، فترأمه.

قال الخليل(1): الجِلْدُ غشاء جسد الحيوان، ويقال: جِلْدَةُ العين ونحوها.

وقوله جلت عظمته: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ﴾ [فصلت: 21]، يفسر: لفروجهم، فكني بالجُلُود عنها.

والجَلَدُ: ما صلب من الأرض واستوى متنه، والجميع: أَجْلَادٌ.

وهذه أرض جَلْدَةٌ، ومكان جَلَدٌ، والجميع: جَلَدَاتٌ، وناقة جَلْدَةٌ ونوق جَلَدَاتٌ، وهي القوية على العمل والسير، وتجمع على: جِلَاد.

قال الجوهري(2): الجِلْدُ: واحد الجُلُود، والجِلْدَةُ: أخص منه.

وَتْجلِيدُ الجَزُور: مثل سلخ الشاة، يقال: جَلَّدَ جزورهُ، وقلما يقال: سلخَ.

وفرسٌ مُجَلَّدٌ، إذا كان لا يجزع من الضرب.

وَجَلَدَهُ الحدَّ جَلْداً، أي: ضربه وأصاب جِلْدَهُ، كقولك: رأسهُ وبطنهُ.

والمِجْلَدُ: قطعةٌ من جِلْدٍ تكون في يد النائحة، تلطم به وجهها.

والجَلَدُ: الصلابة والجَلَادَةُ، تقول منه: جَلُدَ الرجل بالضم، فهو جَلْدٌ وجَلِيدٌ، بيِّن الجَلَدِ، والجَلَادَةِ، والجُلُودَةِ، والمَجْلُودِ، وهو مصدر مثل المحلوف والمعقول.

وربما قالوا: رجل جَضْدٌ: يجعلون اللام مع الجيم ضاداً إذا سكنت.

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

والمُجَالَدَةُ: المبالطةُ، وَتَجَالَدَ اَلقوم بالسيوف واجْتَلَدُوا.

قال أبو هلال(1): الفرق بين ذلك [النفاذ، وقد بينه قبله] والجَلَادَةُ: أن أصل الجَلَادَةُ: صلابة البدن، ولهذا سمي الجِلْدُ جِلْداً، لأنه أصلب من اللحم. وقيل: الجَلِيدُ لصلابته، وقيل للرجل الصلب على الحوادث: جَلَدٌ وجَلِيدٌ من ذلك، وقد جلد قرنه وهما يجالدان، إذا اشتد أحدهما على صاحبه، ويقال للأرض الصلبة: الجَلَدُ، بتحريك اللام.

الفرق بين الشدة والجَلَد: أن الجَلَد: صلابة البدن، ومنه الجِلْد لأنه أصلب من اللحم والجَلَد: الصلب من الأرض.

وقيل: يتضمن (الجَلَد معنى القوة والصبر ولايقال لله جليد) لذلك.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النور: 2].

قال البغوي(2): ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾ فاضربوا كل واحد منهما مئة جلدة، يقال: جَلَدَه، إذا ضرب جِلْدَه، كما يقال: رأسه وبطنه، إذا ضرب رأسه وبطنه.

وذكر بلفظ (الجلد) لئلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه يجلد مائة [جلدة] ويغرب عاماً، وهو قول أكثر أهل العلم. وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء.

قال الزمخشري(3): أي: جلدهما، ويجوز أن يكون الخبر: ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾.

---

(1) الفروق في اللغة.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى (الذي) وتضمينه معنى الشرط تقديره: التي زنت والذي زنا فاجلدوهما، كما تقول: من زنى فاجلدوه.

وفي لفظ (الجلدة) إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم. والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلّا الحشو والفرو.

قال الفخر الرازي(1): في كيفية إقامة الحد، أما الجلد فاعلم أن المذكور في الآية هو الجلد، وهذا مشترك بين الجلد الشديد، والجلد الخفيف، والجلد على كل الأعضاء أو على بعض الأعضاء، فحينئذٍ لا يكون في الآية إشعار بشيء من هذه القيود، بل مقتضى الآية أن يكون الآتي بالجلد - كيف كان - خارجاً عن العهدة، لأنه أتى بما أمر به، فوجب أن يخرج من العهدة.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: 4].

قال الماوردي(2): وهذا حد أوجبه الله على القاذف للمقذوفة يجب بطلبها، ويسقط بعفوها، وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه من حقوق الآدميين، لوجوبه بالطلب، وسقوطه بالعفو، وهذا مذهب الشافعي.

الثاني: من حقوق الله لأنه لا ينتقل إلى مال، وهذا مذهب أبي حنيفة.

الثالث: أنه من الحقوق المشتركة بين حق الله وحق الآدميين، لتمازج الحقين، وهذا مذهب بعض المتأخرين. ولا يكمل حد القذف بعد البلوغ والعقل، إلا بحريتهما وإسلام المقذوف وعفافه. فإن كان المقذوف كافراً أو عبداً عزر قاذفه ولم يحد، وإن كان القاذف كافراً حد حداً كاملاً، وإن كان عبداً حد نصف الحد.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) النكت والعيون.

قال القشيري[1]: لئلا يستبيحوا أعراض المسلمين، ولئلا يهتكوا أستار الناس، أمر بتأديبهم، وإقامة الحد عليهم، إذا لم يأتوا بالشهداء.

قال البغوي[2]: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أي: اضربوهم ثمانين جلدة.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: كيف يجلد القاذف؟

قلت: كما جلد الزاني، إلّا أنه لا ينزع عنه ثيابه إلّا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو؛ والقاذفة أيضاً كالزانية. وأشد الضرب ضرب التعزير، ثم ضرب الزنى، ثم ضرب شرب الخمر، ثم ضرب القاذف...

● **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النّحل: 80].

قال البغوي[4]: يعني الخيام والقباب والأخبية والفساطيط، من الأنطاع والأدم.

قال الفخر الرازي[5]: واعلم أن المراد الأنطاع، وقد تعمل العرب البيوت من الأدم، وهي جلود الأنعام.

قال البيضاوي[6]: هي القباب المتخذة من الأدم، ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر، فإنها من حيث أنها نابتة على جلودها، يصدق عليها أنها من جلودها.

● **قال تعالى**: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: 20].

قال أبو حيان[7]: ويصل ذلك الذوب إلى الظاهر وهو الجلد، فيؤثر في

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.
(5) التفسير الكبير.
(6) أنوار التنزيل.
(7) البحر المحيط.

الظاهر تأثيره في الباطن، كما قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

والظاهر عطف (وَالجُلُودُ) على (ما)، من قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ وأن الجلود تذاب كما تذاب الأحشاء. وقيل: التقدير: تخرق الجلود، لأن الجلود لا تذاب إنما تجمع على النار وتنكمش.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

قال الطبري(1): فإن سأل سائل، فقال: وما معنى قوله جل ثناؤه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؟ وهل يجوز أن يبدلوا جلوداً غير جلودهم، التي كانت لهم في الدنيا، فيعذبوا فيها؟ فإن جاز ذلك عندك، فأجز أن يبدلوا أجساماً وأرواحاً غير أجسامهم وأرواحهم، التي كانت لهم في الدنيا فتعذب، وإن أجزت ذلك، لزمك أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار، غير الذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به، ومعصيتهم إياه، وأن يكون الكفار قد ارتفع عنهم العذاب؟

قيل: إن الناس اختلفوا في معنى ذلك، فقال بعضهم: العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو غير الجلد واللحم، وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب، وأما الجلد واللحم فلا يألمان؛ قالوا: فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان له في الدنيا، أو جلد غيره، إذ كانت الجلود غير آلمةً ولا معذبة، وإنما الآلمة المعذبة النفس التي تحس الألم، ويصل إليها الوجع؛ قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، فغير مستحيل أن يخلق لكل كافر في النار في كل لحظة وساعة من الجلود ما لا يحصى عدده، ويحرق ذلك عليه، ليصل إلى نفسه ألم العذاب، إذا كانت الجلود لا تألم.

---

(1) جامع البيان.

وقال آخرون: بل الجلود تألم، واللحم وسائر أجزاء جسم بني آدم، وإذا أحرق جلده أو غيره من أجزاء جسده، وصل ألم ذلك إلى جميعه.

قالوا: ومعنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بدلناهم جلوداً غير محترقة؛ وذلك أنها تعاد جديدة، والأولى كانت قد احترقت فأعيدت غير محترقة، فلذلك قيل: (غيرها) لأنها غير الجلود التي كانت لهم في الدنيا، التي عصوا الله وهي لهم.

قالوا: وذلك نظير قول العرب للصائغ إذا استصاغته خاتماً من خاتم مصوغ، بتحويله عن صياغته التي هو بها إلى صياغة أخرى: صغ لي من هذا الخاتم خاتماً غيره، فيكسره ويصوغ له خاتماً غيره، والخاتم المصوغ بالصياغة الثانية هو الأول، ولكنه لما أعيد بعد كسره خاتماً، قيل: هو غيره، قالوا: فكذلك معنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لما احترقت الجلود، ثم أعيدت جديدة بعد الاحتراق، قيل: هي غيرها، على ذلك المعنى.

وقال آخرون: معنى ذلك كلما نضجت جلودهم: سرابيلهم، بدلناهم سرابيل من قطران غيرها، فجعلت سرابيل القطران لهم جلوداً، كما يقال للشيء الخاص بالإنسان: هو ما بين عينيه ووجهه، لخصوصه به، قالوا: كذلك سرابيل القطران، التي قال الله في كتابه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

لما صارت لهم لباساً لا تفارق أجسامهم، جعلت لهم جلوداً، فقيل: كلما اشتعل القطران في أجسامهم واحترق، بدلوا سرابيل من قطران آخر. قالوا: وأما جلود أهل الكفر من أهل النار، فإنها لا تحرق، لأن في احتراقها إلى حال إعادتها فناءها، وفي فنائها راحتها، قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها أنهم لا يموتون، ولا يخفف عنهم من عذابها.

قالوا: وجلود الكفار أحد أجزاء أجسامهم، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى، ثم يعاد الفناء في النار، جاز ذلك في جميع أجزائها، وإذا جاز ذلك وجب أن يكون جائزاً عليهم الفناء، ثم الإعادة والموت، ثم الإحياء، وقد أخبر أنهم لا

يموتون. قالوا: وفي خبره عنهم أنهم لا يموتون، دليل واضح أنه لا يموت شيء من أجزاء أجسامهم، والجلود أحد تلك الأجزاء.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢١﴾ [فصلت: 20-21].

قال الطبري(1): وقد قيل: عني بالجلود في هذا الموضع: الفروج.

قال عبيد الله بن أبي جعفر: (جُلُودُهُمْ): الفروج. وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا في معنى الجلود، وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود، ولا بالأشهر. وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها..

قال الألوسي(2): وفيه نظر، لعل إرادة الظاهر أولى، ولعل تخصيص السؤال بالجلود، لأنها بمرأى منهم، بخلاف السمع والبصر، أو لأنها هي مدركة العذاب بالقوة المودعة فيها، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾.

قال الشعراوي(3): الجلود فعامة في السمع والبصر وفي كل الحواس، فكأن الجلد أعمّ شيء في الحس، ولذلك لما بحثوا في وظائف الأعضاء ليعرفوا مهمة كل عضو في الإنسان وجدوا أهمها الجلد، لأنه وسيلة الإحساس بالألم خاصة في الطبقة الخارجية منه، ألاَ ترى أنك مثلاً حين تأخذ حقنة تشعر بألم الإبرة حين تدخل جسمك وتخترق الجلد، تؤلمك بقدر نفاذها في الجلد كأنَّ الجلد هو محلُّ الإذاقة، وما دام هو محل الإذاقة فهو إذن مستوعب

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) تفسير الشعراوي.

لجميع الحواس. ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ. . .﴾ [النساء: 56] إذن: فالجلد محلّ إذاقة العذاب والعياذ بالله، وهو المستوعب لكلِّ الحواس.

جلس

(جلس - قعد - جثو - جثم - برك)

■ **الجُلُوسُ:** ما كان بعد قيام ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ [المجادلة: 11].

■ **القُعُودُ:** ما كان بعد نوم ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

■ **الجُثُوُّ:** الجلوس على الركبتين ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28].

■ **الجُثُومُ:** الجلوس الطويل بلا حِراك: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78].

■ **البُرُوكُ:** القعود على اليدين والرجلين.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم واللام والسين كلمة واحدة وأصل واحد، وهو الارتفاع في الشيء، يقال: جَلَسَ الرجل جُلُوساً؛ وذلك يكون عن نوم واضطجاع. وإذا كان قائماً، كانت الحال التي تخالفها القعود، يقال: قام وقعد، وأخذه المقيم والمقعد.

والجِلْسَةُ: الحال التي يكون عليها الجَالِسُ، يقال: جَلَسَ جِلْسَةَ حسنة؛ والجَلْسَةُ: المرة الواحدة.

ويقال: جَلَسَ الرجل: إذا أتى نجداً؛ وهو قياس الباب، لأن نجداً خلاف الغور، وفيه ارتفاع.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: ناقةٌ جَلْسٌ وجملٌ جلسٌ، أي: وثيق.

والجَلْسُ: ما ارتفع عن الغور من أرض نجدٍ، وتقول: أغاروا وأَجْلَسُوا وغاروا وجلسوا.

قال الجوهري[2]: جَلَسَ جُلُوساً، وأَجْلَسَه غيره، وقوم جُلُوسٍ.

والمَجْلِسُ: موضع الجُلُوسِ؛ والمَجْلَس بفتح اللام: المصدر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ. . .﴾ **[المجادلة: 11]**.

قال الطبري[3]: والصواب من القول في ذلك أن يقال: أن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار (تفسحوا في المجلس) على التوحيد، غير الحسن البصري وعاصم، فإنهما قرآ ذلك (في المجالس) على الجماع، وبالتوحيد قراءة ذلك عندنا، لإجماع الحجة من القراء عليه.

قال الزجاج[4]: وجاء التفسير أن (المجلس) هاهنا يعني به مجلس النبي ﷺ. وقيل: (في المجالس) مجالس الحرب، مثل قوله تعالى: ﴿مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾ **[آل عمران: 121]**.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.

فأما ما أمر به في مجلس النبي ﷺ، فقيل: إن الآية نزلت بسبب عبد الله بن شماس وكان من أهل الصفة، وكان من يجلس في مجلس النبي ﷺ من ذوي الغنى والشرف، كأنهم لا يوسعون لمن هو دونهم، فأمر الله المؤمنين بالتواضع، وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النبي ﷺ ليتساوى الناس بالأخذ بالحظ منه.

قال الزمخشري[1]: وقرىء (في المجلس) بفتح اللام وهو الجلوس، أي: توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه.

قال ابن عطية[2]: وقال بعض الناس: إنما الآية مخصوصة في مجلس النبي ﷺ في سائر المجالس، ويدل على ذلك قراءة من قرأ (في المجلس)، ومن قرأ (في المجالس) فذلك مراده أيضاً، لأن لكل أحد مجلساً في بيت النبي ﷺ وموضعه، فتجمع لذلك.

وقال جمهور أهل العلم: السبب مجلس النبي عليه السلام، والحكم في سائر المجالس التي هي للطاعات، ومنه قول النبي ﷺ: **(أحبكم إلى الله ألينكم مناكب في الصلاة وركباً في المجالس)**، وهذا قول مالك رحمه الله، وقال:

ما أرى الحكم إلّا يطرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدهر، ويؤيد هذا القول قراءة من قرأ: (في المجالس). ومن قرأ: (في المجلس) فذلك على هذا التأويل اسم جنس، فالسنة المندوب إليها هي التفسح. والقيام منهي عنه في حديث النبي ﷺ حيث نهى أن يقوم الرجل فيجلس الآخر مكانه.

فأما القيام إجلالاً فجائز بالحديث قوله عليه السلام حين أقبل سعد بن معاذ: (قوموا إلى سيدكم) وواجب على المعظم ألّا يحب ذلك ويأخذ الناس به، لقوله عليه السلام: (من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار).

---

(1) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

جلّ

(جلّ - عظم - كبر)

- **الجَلِيلُ:** الأعظم قدراً وقوة من الملوك الآخرين فيذكر بالخشية.
- **العَظِيمُ:** من ليس فوقه أحد في كماله فيذكر بالحمد والسلطان. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: 13].
- **الكَبِيرُ:** من تجب له الطاعة من الجميع ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: 9].

* * *

شرح المعاني:

الجليل: صاحب الجلالة أو الجليل تطلق على عظيم القدر المستحق الحمد لسنّه وعمله ومقامه وله تعظيم خاص وتوقير خاص ومهابة لأن له رهبة في القلب.

الجلالة هي عظيم القدر المستحق للمدح والحمد. الحمد يلي النعمة، أما المدح فقد يكون بدون تقديم نعمة فقد يكون الشخص مستحقاً للمدح لصفاته. كل سيّد يستحق الحمد والمدح يسمى جليلاً فلا يطلق على كل ملك صاحب الجلالة إنما يطلق على الملك الوقور الحليم الناصح لشعبه.

صاحب الجلالة ذو الجلال: تعني الهيبة، إذا بلغت الجلالة غايتها ولا تطلق إلا على الله تعالى.

هذه الكلمات كلها في ألقاب الرؤساء والملوك وهي صفات تطلق على الناس وهي مختلفة تماماً عن صفات الله تعالى التي تحمل نفس الاسم لأنه سبحانه ليس كمثله شيء.

الكبير: كل من هو رأس يسمى كبيراً سواء كان عادلاً أو ظالماً، يسمى كبير بلا منازع (كبير الدولة، كبير المهنة، كبير العشيرة) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: 123].

العظيم: إذا لم يكن الكبير فوقه أحد أعلى منه يقال له: صاحب العظمة وهذه صفة تطلق على الرؤساء والحكام الذين ليس فوقهم أحد. ولا حرج من إطلاق صفة صاحب العظمة على ملك. وقد استخدمت لفظة عظيم في القرآن لأمور عدة منها:

الفوز: (**فوز عظيم**) بمعنى ليس بعده فوز. وللعذاب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7].

أي ليس هناك أعظم منه. والكبير والعظيم ليس فيهما مدح أو ذمّ.

السيّد: إذا أردت أن تمدح الكبير أو العظيم تقول السيّد وهو أعظم أوصاف الملوك ولذا وُصف الرسول ﷺ بأنه سيّد الخلق.

(**أنا سيّد ولد آدم**) والسيّد تعني الملك المحبوب من شعبه لأنه يسيد سوادهم وهو قليل في التاريخ.

الوجيه: جليل ووجيه عند الله يشفع عند الله (كسيّد الأوس الذي وصفه الرسول ﷺ) وكما وصف الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام بالوجاهة أي له وجه وهو أوّل القوم وعظيمهم وسيدهم (وجيهاً في الدنيا والآخرة) كل حاكم عادل هو سيد قومه ورئيسهم وحاكمهم يحبهم ويحبونه فهو وجيه عند الله كما هو وجيه في الدنيا ويشفّعه الله تعالى بهم يوم القيامة. الملأ والوجهاء هم القوم المبرّزون في مجتمعاتهم كأصحاب العلم والمهن الرفيعة والسياسة ولهم رأي مسموع وشفاعة.

سيد القوم وصفاً ممدوحاً لعظيم القوم ولا تقال سيد القوم إلا على كريم في باب المدح. ولكي يكون الإنسان سيّداً عليه أن: يفوق غيره بالعقل والدفاع عن شعبه ويجلب لهم النفع ولا يمالىء أحداً عن شعبه ولا يضر بمصالح شعبه إنما هو سيف مسلّط على عدو شعبه.

هو المعين بنفسه أي يذهب بنفسه لنصرة أو مشاركة شعبه في السراء والضراء وليس خيلاً على شعبه فأمواله مفتوحة للكل.

الذي لا يغلبه غضبه فلا يحكم في ساعة غضب فهو حليم لا يحكم إلا بعد زوال غضبه.

وهو الورع الحليم ولا يسارع في العقوبة وهو المقهور على نفسه وماله كما كان سيد تميم (قيس بن الأحنف) يُشتم في مجلسه فيبتسم وليس له رد فعل وكذلك سيد الأنصار (سعد بن معاذ). جمع سيد الأسياد (السيد الحالي) وسادة (للأسياد المستقبلون) الذين سيصبحون ملوكاً لاحقاً ومستقبلاً.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم واللام أصول ثلاثة: جَلَّ الشيء: عظم و،جُلُّ الشيء: معظمه، وجَلَالُ الله: عظمتهُ، وهو ذو الجلال والإكرام. والجَلَلُ: الأمر العظيم.

والجِلَّةُ: الإبل المسان.

والجُلَالَةُ: الناقة العظيمة. والجَلِيلَةُ: خلاف الدقيقة، ويقال: ماله دقيقة ولا جَلِيلَة، أي: لا ناقة ولا شاة.

ويقال: فعلت ذاك من جَلَالِكَ، قالوا: معناه من عظمك في صدري.

والأصل الثاني: شيءٌ يشمل شيئاً، مثل: جِلُّ الفرس، ومثل المُجَلِّلُ: الغيث الذي يُجَلِّلُ الأرض بالماء والنبات. ومنه الجُلُولِ، وهي شرُعُ السفن.

الواحد: جَلٌّ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والأصل الثالث: من الصوت، يقال: سحاب مُجَلْجِلٌ، إذا صوت، والجُلْجُل مشتق منه. ومن الباب جَلْجَلْتُ الشيء في يدي: إذا خلطته ثم ضربته.

قال الخليل(1): جَلَّ في عيني، أي: عظم، وأَجْلَلْتُهُ، أي: أعظمتهُ.

وكل شيء يدق، فجُلَالُه خلاف دقاقه.

وجُلُّ كل شيء: عظمه، وتقول: ما له دِقٌّ ولا جِلٌّ.

والجِلُّ: سوق الزرع إذا حصد عنه السنبل.

والجُلَّةُ: وعاء التمر، من خوص.

وجُلُّ الدابة: معروف.

وجِلَالُ كل شيء: غطاؤه كالحجلة وشبهها، وهو واحد، والجمع: أَجِلَّة.

وجَلٌّ وجَلَّانُ: حيان من العرب.

قال الجوهري(2): الجَلُّ بالفتح: الشراع، والجمع: جُلُولٌ.

والجُلْجُلُ: واحد الجلاجل، وصوته الجَلْجَلَةُ، وصوت الرعد أيضاً.

والمُجَلجِلُ: السحابُ الذي فيه صوتُ الرعد.

وجَلجَلْتُ الشيء: إذا حركته بيدك.

قال أبو هلال(3): فرق بعضهم بين الجَليِل والكبير، بأن قال: الجليل في أسماء الله تعالى، هو العظيم الشأن المستحق للحمد، والكبير فيما يجب له صفة الحمد.

والأَجَلُّ بما ليس من هو أَجَّلَ منه.

وأما الأَجَلُّ من ملوك الدنيا، فهو الذي ينفرد في الزمان، بأعلى مراتب الجلالة.

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) الفروق في اللغة.

والجَلَالُ إذا أطلق كان مخصوصاً بعظم الشأن، ويقال: حكمٌ جَلِيلَةٌ، للنفع بها، ويوصف المال الكثير بأنه جَلِيلٌ، ولا يوصف الرمل الكثير بذلك، لما كان من عظم النفع في المال.

وسميت الجِلَّةُ جِلَّةٌ لعظمها. والمَجَلَّةُ: الصحيفة، سميت بذلك لما فيها من عظم الحكم والعهود.

الفرق بين الجَلَالَةُ والهيبة: أن الجلالة ما ذكرناه، والهيبة: خوف الإقدام على الشيء، فلا يوصف الله بأنه يُهاب، كما لا يوصف بأنه لا يقدم عليه، لأن الإقدام هو الهجوم من قُدام فلا يوصف الله تعالى بأن له قداماً ووراء. والهيبة هو أن يعظم في الصدور فيترك الهجوم عليه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: 27].

قال البغوي(1): ذو العظمة والكبرياء.

قال الزمخشري(2): صفة لـ(وجه) ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم، أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك! أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصفة من عظيم صفات الله.

قال الفخر الرازي(3): الجلال: إشارة إلى كل صفة هي من باب النفي، كقولنا: الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولهذا يقال: جل أن يكون محتاجاً، وجل أن يكون عاجزاً، والتحقيق فيه: أن (الجلال) هو بمعنى العظمة،

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

غير أن العظمة أصلها في القوة، و(الجلال) في الفعل، فهو عظيم لا يسعه عقل ضعيف، فجل عن أن يسعه كل فرض معقول.

و(الجلال والإكرام) وصفان مرتبان على أمرين سابقين، فالجلال مرتب على فناء الغير، والإكرام على بقائه تعالى، فيبقى الفرد وقد عز أن يحد أمره بفناء من عداه وما عداه، ويبقى وهو مكرم قادر عالم، فيوجد بعد فنائهم من يريد.

قال القرطبي(1): الجلال: عظمة الله وكبرياؤه، واستحقاقه صفات المدح، يقال: جَلَّ الشيء، أي: عظم، وأَجْلَلْتَه، أي: عظمته، والجلال: اسم من جَلَّ.

قال البيضاوي(2): ذو الاستغناء المطلق والفضل العام.

قال النيسابوري(3): معناه: ذو النعمة والتعظيم.

قال الخازن(4): أي: ذو العظمة والكبرياء، ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه.

قال ابن كثير(5): أي: هو أهل أن يجُل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: 28]، وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 9].

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) غرائب القرآن.
(4) لباب التأويل.
(5) تفسير ابن كثير.

جلو

(جلو - خرج - زحف - نفر)

■ **الجَلاءُ:** ترك المنازل جماعة لخطر داهم ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر: 3].

■ **الخُرُوجُ:** ترك المقرّ جماعة لموعد ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: 42].

■ **الزَّحْفُ:** مواجهة الجيش للعدو متراصّين ساعة الالتحام لا ترى أقدامهم ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

■ **النَّفْرُ:** هبّة الجيش عند سماع الاستغاثة ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التّوبة: 41].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد، وقياس مطرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه، يقال: جَلَوْتُ العروس جَلْوَةً وجَلَاءً، وَجَلْوتُ السيف جَلَاءً.

قال الخليل[2]: جلا الصيقل السيف جَلَاءً، ممدود، واجْتَلَاهُ لنفسه.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والماشطة تَجْلُو العروس جَلْوَةً وجِلْوَةً، وقد جُلِيَتْ على زوجها. واجْتَلَاهَا زوجها، أي نظر إليها.

وأمر جَلِيٌّ: واضح، وتقول: أجْلِ لنا هذا الأمر، أي: أَوْضِحْهُ، وما أقمت عندهما إلا جَلَاءَ يوم واحد، أي: بياض يوم.

وتقول: جَلَا الله عنك المرض، أي: كشفه، وجَلَّيْتُ عن الزمان وعن الشيء: إذا كان مدفوناً فأظهرته، والله يُجْلِي الساعة، أي: يظهرها، والبازي يُجْلِي إذا آنس الصيد فرفع طرفه وراسه.

وتَجَلَّيْتُ الشيء: نظرت إليه، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143]، أي: ظهر وبان.

قال الحسن: تَجَلى، أيَّ: بدا للجبل نور العرش.

والجَلَا، مقصور: الإثمد، لأنه يجلو البصر.

والجبهة الجَلْوَاءُ: الواسعة الحسنة، والرجل أَجْلَى.

والجَلَاءُ: أن يجلو قوم عن بلادهم، يقال: أَجْلَيْنَاهُمْ عن بلادهم فجَلَوْا، أي: تحولوا وتركوها.

والجَالِيَةُ: أهل الذمة الذين تحولوا من أرض إلى أرض، والجميع: الجَوَالِي.

وأجْلَى القوم عن الشيء، أي: أفرجوا عنه بعدما كانوا مقبلين عليه، محدقين به.

وتقول: أَجْلُو عنه وأَجْلَيْتُ عنه الهم، أي: فرجته عنه. والانْجِلَاءُ: الانكشاف عن الهموم.

قال الجوهري[1]: الجَلِيُّ: نقيض الخفي، والجَلِيَّةُ: الخبر اليقين.

(1) الصحاح في اللغة.

والجَلَا: انحسار الشعر عن مقدم الرأس، وقيل: هو دون الصلع، وقيل: هو أن يبلغ انحسار الشعر نصف الرأس.

وقد جَلَى جَلاً، وهو أَجْلَى.

وقيل: الأَجْلَى: الحسن الوجه الأنزع.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: 3].

قال الماوردي(1): فيه وجهان:

أحدهما: يعني بـ(الجَلاَء): الفناء (لعذبهم في الدنيا) بالسبي.

والثاني: يعني بـ(الجَلاَء): الإخراج عن منازلهم (لعذبهم في الدنيا) يعني: بالقتل.

قال ابن عطية(2): أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه كتب على بني إسرائيل جلاءً، وكانت بنو النضير ممن حل بالحجاز بعد موت موسى عليه السلام بيسير، لأنهم كانوا من الجيش الذي رجع، وقد عصوا في أن لم يقتلوا الغلام ابن ملك العماليق لجماله وعقله، وقد كان موسى عليه السلام قال لهم: لا تستحيوا أحداً. فلما رجع ذلك الجيش إلى بني إسرائيل بالشام وجدوا موسى ميتاً، وقال لهم بنو إسرائيل: أنتم عصاة، والله لا دخلتم علينا بلادنا، فقال أهل ذلك الجيش عند ذلك: ليس لنا أحب من البلاد التي غلبنا أهلها. فانصرفوا إلى الحجاز فكانوا فيه، فلم يجر عليهم الجلاء الذي أجراه بختنصر على أهل الشام. وقد كان الله تعالى كتب في

(1) النكت والعيون. (2) المحرر الوجيز.

الأزل على بني إسرائيل جلاء، فنالهم هذا الجلاء على يدي محمد ﷺ، ولولا ذلك (لعذبهم) الله (في الدنيا) بالسيف والقتل، كأهل بدر وغيرهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 3].

قال الماوردي(1): فيه وجهان:

أحدهما: أضاءها، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلي ظلمة الليل.

الثاني: أظهرها، لأن ظهور الشمس بالنهار.

ويحتمل ثالثاً: أن النهار جلى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلاً وانتشاره نهاراً.

قال الزمخشري(2): عند انتفاخ النهار وانبساطه، لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء.

وقيل: الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر، كقولهم: أصبحت باردة، يردون الغداة، وأرسلت، يريدون السماء إذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق.

قال البيضاوي(3): جلى الشمس فإنها تتجلى: إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض، وإن لم يجر ذكرها للعلم بها.

● **قال تعالى**: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ [الأعراف: 187].

قال الزجاج(4): لا يظهرها في وقتها إلّا هو.

---

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) معاني القرآن.

قال الفخر الرازي(1): التجلية: إظهار الشيء، والتجلي: ظهوره، والمعنى لا يظهرها في وقتها المعين (إلّا هو)، أي لا يقدر على إظهار وقتها المعين بالإعلام والإخبار إلّا هو.

قال الطنطاوي(2): والتجلية: الكشف والإظهار. يقال: جلى لي الأمر وانجلى تجلية بمعنى: كشفه وأظهره أتم الإظهار.

والمعنى: لا يكشف الحجاب عن خفائها، ولا يظهرها للناس في الوقت الذي يختاره إلا الله وحده.

قال بعضهم: والسبب في إخفاء الساعة عن العباد لكي يكونوا دائماً على حذر، فيكون ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية، فإنه متى علمها المكلف ربما تقاصر عن التوبة وأخرها.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

قال الزجاج(3): ظهر وبان.

قال الماوردي(4): في التجلية أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل، الحاضري الجبل.

والثاني: أنه أظهر للجبل من ملكوته ما تدكدك به، لأن الدنيا لا توقم لما يبرز من ملكوت السماء.

والثالث: أنه أبرز قد الخنصر من العرش.

والرابع: ظهر أمره للجبل.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الوسيط في تفسير القرآن.
(3) معاني القرآن.
(4) النكت والعيون.

قال الزمخشري[1]: فلما ظهر له اقتداره، وتصدى له أمره وإرادته.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليْل: 2].

قال الطبري[2]: أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار وظهر للأبصار.

قال الزمخشري[3]: ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين وتكشف بطلوع الشمس.

قال الطنطاوي[4]: أي: وحق النهار حين ينكشف ويظهر، ويزيل الليل وظلمته، ويخرج الناس معه ليباشروا أعمالهم المتنوعة.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) الوسيط في تفسير القرآن.

جمح

(جمح - ثار - نفر - نشز - مرد)

■ **الجُمُوح:** خروج الفرس عن طاعة فارسه فينطلق بلا هوادة مائلاً في حد شقيه من السرعة ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: 57].

■ **المُرُودُ:** خروج عن أم الأمر ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: 101].

■ **الثَّوْرَة:** خروج عن النظام المألوف ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ﴾ [الرُّوم: 9].

■ **النَّفْرُ:** الخروج السريع لملاقاة العدو ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التّوبَة: 41].

■ **النُّشُوز:** خروج الزوجة عن بيت زوجها ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النِّساء: 34].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والميم والحاء أصل واحد مطرد، وهو ذهاب الشيء قدماً بغلبة وقوة، يقال: جَمَح الدَّابة جِمَاحاً: إذا اعتزَّ فارسه حتى يغلبه، وفرس جَمُوحٌ.

وجَمَحَ الصبي الكعب بالكعب: إذا رماه حتى يزيله عن مكانه. وفي هذه نظر، لأنها تقال بغير هذا اللفظ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والجُمَّاحُ: سهم يجعل على رأسه طين كالبندقة يرمي به الصبيان.

قال بعض أهل اللغة: الجَمُوحُ: الذي يتبع هواه وليس عقله، فأما قوله تعالى: ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ [التوبة: 57]، فإنه أراد يسعون، وهو ذاك.

وجَمَحَتِ المرأة إلى أهلها: ذهبت من غير إذن.

قال الخليل(1): جَمَحَتِ السفينة جُمُوحاً: تركت قصدها فلم يضبطها الملاحون.

وجَمَحَ الفرس بصاحبه جِمَاحاً: إذا ذهب جرياً غالباً. وكل شيء مضى لوجهه على أمر فقد جَمَحَ.

وفرس جَمُوحٌ: جَامِحٌ؛ الذكر والأنثى في النعتين سواءٌ.

والجُمَّاحُ، والجُمَيْحُ: الجَمَامِيحُ: شبه سُنْلٍ في رؤس الحلي والصليان وجَمَحُوا بكعابهم مثل جَبَحُوا.

والجُمَّاحُ: شيء يلعب به الصبيان، يأخذون ثلاث ريشات فيربطونها، ويجعلون في وسطها تمرةً أو عجيناً أو قطعة طين فيرمونه، فذلك الجُمَّاحُ.

قال الجوهري(2): جَمَعَ الفرس جُمُوحاً وجِمَاحاً. إذا اعتز فارسه وغلبه، فهو فرس جَمُوحٌ. وجَمَحَتِ المرأة من زوجها، وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها. والجَمُوحُ من الرجال: الذي يركب هواه، فلا يمكن رده.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَـٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ [التوبة: 57].

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

قال الطبري[1]: وهم يسرعون في مشيهم، وقيل: إن الجماح مشي بين المشيين.

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة، لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم، ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله، لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم، وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه، فصانعوا القوم بالنفاق، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان، وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله ﷺ، وأهل الإيمان به، والعداوة لهم، فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم، الآية.

قال الزجاج[2]: أي: يسرعون إسراعاً لا يرد وجوههم شيء، ومن هذا قيل: فرس جموح، للذي إذا حمل لم يرده اللجام.

قال ابن كثير[3]: أي: يسرعون في ذهابهم عنكم، لأنهم إنما يخالطونكم كرهاً لا محبةً، وودوا أنهم لا يخالطونكم. ولكن للضرورة أحكام. ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم، لأن الإسلام وأهله لا يزالون في عز ونصر ورفعة، فلهذا كلما سر المسلمون ساءهم ذلك، فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين، ولهذا قال: (لوْ يجدون. . .) الخ.

قال الشعراوي[4]: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ والجماح هو أن تفقد السيطرة على الفرس الذي تركبه، فلا تقدر على كَبْح جماحه أو التحكم فيه، فينطلق بسرعة، وحين يقال هذا عن الإنسان فهو يعني الانطلاق بسرعة إلى المكان الذي يقصد إليه ولا يستطيع أحدٌ منعه، وإنْ تعرض له أحد دفعه بعيداً لينطلق في طريقه بسرعة.

والآية هنا تعطينا صورة دقيقة لحالة المنافقين في أي معركة. فبمجرد بَدْءِ

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) تفسير الشعراوي.

القتال تجدهم لا يتجهون إلى الحرب، ولا إلى منازلة العدو، ولا يطلبون الاستشهاد، ولكنهم في هذه اللحظة التي يبدأ فيها القتال يبحثون عن مكان آمن يهربون إليه، أو مغارة يختبئون فيها، أو مُدَّخل في الأرض ينحشرون فيه بصعوبة ليحميهم من القتال. فإذا انتهت المعركة خرجوا لينضموا إلى صفوف المسلمين، ذلك أنهم لا يؤمنون. فكيف يقاتلون في سبيل دين لا يؤمنون به؟ ولذلك كنت تجدهم في المدينة إذا نودي للجهاد فهم أول من يحاول الهروب ويذهبون للقاء النبي ﷺ طالبين التخلف عن المعركة، ويقول الواحد منهم:

﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ . . .﴾ [التوبة: 49].

جمد

(جمد - قوي - سكن - شدّ - شديد)

■ **الجَامِدُ:** ما لا يسيل ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النّمل: 88].

■ **السَّاكِنُ:** ما لا يتحرك ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعرَاف: 189].

■ **الشَّدِيدُ:** ما لا يلين ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العَاديَات: 8].

■ **القَوِيُّ:** ما لا يضعف ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البَقَرَة: 63].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والميم والدال أصلٌ واحد، وهو جُمُود الشيء المائع من بردٍ أو غيره. يقال: جَمَدَ الماء يجْمُد. وسنَةٌ جَمَادٌ: قليلة المطر. وهذا محمولٌ على الأوّل، كأنَّ مطرها جَمَدَ. وكان الشّيباني يقول: الجَمَادُ: الأرض لم تمْطرْ. ويقول العرب للبخيل: «جَمَادِ له»، أي: لا زال جَامِدَ الحال، وهو خلاف حَمَادِ.

قال الخليل[2]: جَمَدَ الماء يَجْمُدُ جُمُوداً.

ويقال: لك جَامِدُ هذا المال وذائبه، والذائب: الظاهر، والجَامِدُ: الغائب الباطن.

ويقال: ذاب لفلان عليك حق، أي: وجب وظهر، ومُخَّةٌ جَامِدَةٌ، أي: صلبة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ورجل جَامِدُ العين: قَلَّ دمعه.

وسنة جَمَادٌ: جامدة لا كلا فيها ولا خصب.

وعين جَمَادٌ: لا دمع فيها.

والجَمَدُ: الماء الجامد.

وأَجْمَدَ القوم: قلَّ خيرهم وبخلوا.

والجُمُد: من أعلام الأرض المرتفع، ويجمع على اجماد وجماد.

والجُمَادِيَّان: اسمان معرفة لشهرين، فإذا أضفت قلت: شهرا جُمَادَى، وشهرُ جُمَادَى.

قال الجوهري(1): والجَمْدُ بالتسكين: ما جَمَدَ من الماء. وهو نقيض الذَّوْبِ، وهو مصدر سمي به.

الجَمَدُ، بالتحريك: جمع جَامِدٍ مثل خادم وخَدَم، يقال: قد كَثُر الجَمَدُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّمل: 88].

قال البيضاوي(2): ثابتة في مكانها.

قال النسفي(3): واقفة ممسكة عن الحركة، من جَمَدَ في مكانه: إذا لم يبرح.

قال أبو حيان(4): الجمود: سكون الشيء وعدم حركته. وجامدة، من جمد مكانه: إذا لم يبرح منه. وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور، وهي أول

(1) الصحاح في اللغة.
(2) أنوار التنزيل.
(3) مدارك التأويل.
(4) البحر المحيط.

أحوال الجبال تموج وتسير، ثم ينسفها فتصير كالعهن، ثم تكون هباء منبثاً في آخر الأمر (وهي تمرُ مرَ السحاب) جملة حالية، أي: تحسبها في رأى العين ثابتة مقيمة في أماكنها وهي سائرة.

قال ابن كثير[1]: أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه.

قال أبو السعود[2]: أي: ثابتة في أماكنها، إما بدل منه أو حال من ضمير (ترى) أو من مفعوله.

قال الطنطاوي[3]: أي: في هذا اليوم الهائل الشديد، يفزع من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وترى الجبال الراسيات الشامخات، ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النَّمل: 88] أي ثابتة في أماكنها، والحال أنها تمر في الجو مر السحاب، الذي تسيره الرياح سيراً حثيثاً.

قال القرطبي[4]: قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيراً حثيثاً. قال القتبي: وذلك أن الجبال تُجمع وتُسيَّر، فهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير؛ وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر، لكثرته وبعد ما بين أطرافه، وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

جمع

(جمع - حشر - آلف - وفق - ضمّ - حوى)

- **الجَمْعُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء في المكان ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: 9].
- **الحَشْرُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء سوقاً ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111].
- **التَّأْلِيفُ:** ضم الشيء إلى بعض بتوافق وإلصاق ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 103].
- **التَّوْفِيقُ:** ضمّ الآراء المتنافرة لبعضها ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النِّساء: 35].
- **الضَّمُّ:** جعل الجزء مع الكلّ ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].
- **الحَوْيُ:** حوى الشيء يحويه واحتواه واحتوى عليه: جمعه وأحرزه، وقيل: حوى الشيء ملكه ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال: جَمَعْتُ الشيء جَمْعاً، والجُمَّاع: الأشابة من قبائل شتى.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال للمرأة إذا ماتت في بطنها ولد: ماتت بجُمْعٍ، يقال: هي أن تموت المرأة ولم يمسسها رجل.

قال الخليل[1]: الجَمْعُ: مصدر جَمَعْتُ الشيء، والجَمْعُ أيضاً: اسم جَمَاعَةِ الناس، والجُمُوع: اسم لجماعة الناس.

والمَجْمَعُ: حيث يُجْمَعُ الناس، وهو أيضاً اسم للناس.

والجَمَاعَةُ: عدد كل شيْ وكثرته.

والمسجد الجَامِعُ نعت به، لأنه يَجْمَعُ أهله. ومسجد الجَامِعِ خطأ بغير الألف واللام، لأن الاسم لا يضاف إلى النعت لا يقال: هذا زيد الفقيه.

وتقول: جَمَّعَ الناس، أي شهدوا الجُمُعة وقضوا الصلاة.

والمُجَامَعَةَ والجِمَاعُ: كناية عن الفعل، والله يكني عن الأفعال، قال الله عز وجل: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: 43]، كني عن النكاح.

قال أبو هلال[2]: الفرق بين الجَمْعِ والحشر: أن الحشر هو الجَمْع مع السوق، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء: 36]، أي: ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر، لأن الخلق يُجمعون فيه ويساقون إلى الموقف.

وقال صاحب (المفصل): لا يكون الحشر إلّا في المكروه، وليس كما قال، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85]، وتقول: القياس جمع بين مشتبهين يدل الأول على صحة الثاني، ولا يقال في ذلك: حشر، وإنما يقال: الحشر فيما يصح فيه السوق على ما ذكرنا.

وأقل الجَمْع، عند شيوخنا ثلاثة، وكذلك عند الفقهاء، وقال بعضهم: اثنان، واحتج بأنه مشتق من اجتماع شيء إلى شيء. وهذا وإن كان صحيحاً فإنه قد خُص

---

(1) العين.

(2) الفروق في اللغة.

به شيء بعينه، كما أن قولنا: دابة، وإن كان يوجب اشتقاقه ان جرى على كل مأدب، فإنه قد خص به شيء بعينه.

فأما قوله عليه الصلاة والسلام: **(الاثنان فوقهما جماعة)** فإن ذلك ورد في الحكم لا في تعليم الاسم، لأن كلامه ﷺ يجب أن يحمل على ما يستفاد من جهته دون ما يصح أن يعلم من جهته.

وأما قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [**الحَجّ: 19**]، وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [**الأنبيَاء: 78**]، يعني داود وسليمان عليهما السلام، فإن ذلك مجاز، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [**الحجر: 9**]، ولو كان لفظ (الجمع) حقيقة الاثنين، لعقل منه الاثنان كما يعقل من الثلاثة، وإذا كان قول الرجل: رأيت الرجال، لا يفهم منه إلّا ثلاثة، علمنا أن قول الخصم باطل.

الفرق بين الضم والجَمْع: إن الضم جمع أشياء كثيرة، وخلافه البث وهو تفريق أشياء كثيرة، ولهذا يقال: إضمامة من كتب، لأنها أجزاء كثيرة، ثم كثر حتى استعمل في الشيئين فصاعداً، والأصل ما قلنا، والشاهد قوله عليه الصلاة والسلام: **(ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة الليل)** ويجوز أن يقال: أن ضم الشيء إلى الشيء هو أن يلزقه به، ولهذا يقال: ضممته إلى صدري، والجمع لا يقتضي ذلك.

الفرق بين المجاورة والاجتماع، قال علي بن عيسى: المجاورة تكون بين جزئين، والاجتماع بين ثلاثة أجزاء فصاعداً؛ وذلك إن أقل الجمع ثلاثة، والشاهد تفرقة أهل اللغة بين التثنية والجمع، كتفرقتهم بين الواحد والتثنية.

فالاثنان ليس باثنين.

قال: ولا يكاد العارف بالكلام يقول: اجتمعت مع فلان إلّا إذا كان معه غيره، فإذا لم يكن معه غيره قال: أحضرته، ولم يقل: اجتمعت معه.

كذا وقال: والذي يقولونه: أن أصل المجاورة في العربية تقارب المحال،

من قولك: أنت جاري وأنا جارك وبيننا جوار، ولهذا قال بعض البلغاء: الجوار: قرابة بين الجيران، ثم استعملت المجاورة في موضع الاجتماع مجازاً، ثم كثر ذلك حتى صار كالحقيقة.

الفرق بين قولنا: الجَمْع، وقولنا: أَجْمَعَ، أن أَجْمَعَ اسم معرفة يؤكد به الاسم المعرفة، نحو قولك: المال لك أأجْمَع وهذا مالك أَجْمَع.

ولا ينصرف، لأنه (افْعَل) معرفة، والشاهد على أنه معرفة أنه لا يتبع نكرة أبداً، ويُجمع فيقال: عندي إخوانك أجمعون، ومررت بإخوانك أجمعين، ولا يكون إلّا تابعاً. لا يجوز: مررت بأجمعين وجاءني أجمعون.

ومؤنثه جَمْعاء، يقال: طُفتُ بدارك جَمْعاء، ويجمع فيقال: مررت بجواريك جُمَع، وجاءني جواريك جُمَع.

وأجْمَعُ: جَمْعُ جَمعٍ، تقول: جاءني القوم بأَجْمَعِهِم، كما تقول جاءني القوم بأفلسهم وأكلبهم وأعبدهم، وليس هذا الحرف من حروف التوكيد، والشاهد دخول العامل عليه وإضافته.

و(أَجْمَعَ) الذي هو للتوكيد لا يضاف ولا يدخل عليه عامل.

ومن أجاز فتح الجيم في قولك: جاءني القوم بأَجَمَعِهِمْ، فقد أخطأ.

الفرق بين: الجماعة والفوج والثلة والزمرة والحزب: أن الفوج: الجماعة الكثيرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: 2]، وذلك أنهم كانوا يسلمون في وقت، ثم نزلت هذه الآية وقبيلة قبيلة. ومعلوم أنه لا يقال للثلة: فوج، كما يقال لهم: جماعة.

والثُلة: الجماعة تندفع في الأمر جملة، من قولك: ثللت الحائط: إذا نقضت أسفله فاندفع ساقطاً كله، ثم كثر ذلك حتى سمي كل بشر ثلاً، ومنه ثُل عرضُه، وقيل: الثلل: الهلاك.

والزمرة: جماعة لها صوت لا يُفهم، وأصله من (الزمار) وهو صوت الأنثى

من النعام، ومنه قيل: الزمرة. وقرب منها الزجلة، وهي الجماعة لهل زجل، وهو ضرب من الأصوات.

وقال أبو عبيدة: الزُمرة: جماعة في تفرقة، والحزب: الجماعة تتحزب على الأمر، أي تتعاون. وحزب الرجل: الجماعة التي تعينه فيقوى أمره بهم، وهو من قولك: حزبني الأمر: إذا اشتد علي.

الفرق بين الجماعة والبوش: أن البوش: هم الجماعة الكثيرة من أخلاط الناس، ولا يقال لبني الأب الواحد: بوش. ويقال أيضاً: جماعةٌ من الحمير، ولا يقال: بوش من الحمير، لأن الحمير كلها جنس واحد.

وأما العصبة: فالعشرة وما فوقها قليلاً، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: 8]. وقيل: هي من العشرة إلى الأربعين، وهي في العربية الجماعة من الفرسان، والركب: ركبان الإبل خاصة، ولا يقال للفرسان: ركب، والعدي: رجال يعدون في الغزو، والرجل: جمع راجل، والنفيضة هي الطليعة، وهم قوم يتقدمون الجيش فينفضون الأرض، أي: ينظرون ما فيها، من قولك: نفضت المكان إذا نظرت، والمقنب: نحو الثلاثين يغزى بهم، والحضيرة: نحو الخمسة إلى العشرة يغزى بهم، والكتيبة: العسكر المجتمع فيه آلات الحرب، من قولك: كتبت الشيء: إذا جمعته، وأسماء الجماعات كثيرة، ليس هذا موضع ذكرها، وإنما نذكر المشهور منها، فمن ذلك:

الفرق بين الجماعة والطائفة: أن الطائفة في الأصل: الجماعة التي من شأنها الطوف في البلاد للسفر. ويجوز أن يكون أصلها: الجماعة التي تستوي بها حلقة يطاف عليها، ثم كثر ذلك حتى سمي جماعة طائفة.

والطائفة في الشريعة قد تكون اسماً لواحد، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: 9]، ولا خلاف في أن اثنين إذا اقتتلا كان حكمهما هذا الحكم، وروي في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]، أنه أراد واحداً.

وقال: يجوز قبول الواحد بدلالة قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التّوبَة: 122]، إلى أن قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122] أي: ليحذروا، فأوجب العمل في خبر الطائفة، وقد تكون الطائفة واحداً.

الفرق بين الجماعة والفريق: أن الجماعة الثانية من جماعة أكثر منها، تقول: جاءني فريق من القوم. وفريق الخيل: ما يفارق جمهورها في الحلبة فيخرج منها، وفي مثل: (أسرع من فريق الخيل)، والجماعة: تقع على جميع ذلك.

الفرق بين الجماعة والفئة: أن الفئة هي الجماعة المتفرقة من غيرها، من قولك: فأوت رأسه، أي: فلقته، وانفأى الفرج: إذا انفرج مكسوراً.

والفئة في الحرب: القوم يكونون ردء المحاربين، يعنون إليهم إذا حالوا، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: 16]، ثم قيل لجمع كل من يمنع أحداً وينصره: فئة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهُمَزة: 2].**

قال الفخر الرازي[1]: قرأ حمزة والكسائي وابن عامر (جَمَّعَ) بالتشديد والباقون بالتخفيف، والمعنى في: جَمَعَ وجَمَّعَ متقارب، والفرق أن (جَمَّعَ) بالتشديد يفيد أنه جمعه من هاهنا وهاهنا، وأنه لم يجمعه في يوم واحد، ولا في يومين، ولا في شهر ولا في شهرين، يقال: فلان يُجمع الأموال، أي: يجمعها من هاهنا وهاهنا، وأما (جَمَعَ) بالتخفيف فلا يفيد ذلك.

قال الألوسي[2]: بدل من (كُل) بدل كل، وقيل: بدل بعض من كل. وقال

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.

الجاربردي: يجوز أن يكون صفة له، لأنه معرفة، على ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21]؛ إذ جعل جملة (معها سائقٌ) حالاً من (كل نفسٍ) لذلك، ولا يخفى ما فيه، ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً على الذم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعَام: 35].

قال الطبري(1): إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار يا محمد، فيحزنك إياك، لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدين، وصواب من محجة الإسلام، حتى تكون كلمة جميعكم واحدة، وملتكم وملتهم واحدة، لجمعتهم على ذلك، ولم يكن بعيداً علي، لأني القادر على ذلك بلطفي، ولكني لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم، من قبل أن أخلقهم وأصور أجسامهم.

قال الزجاج(2): فيه غير قول، فأحدها: أنه لو شاء الله أن يطبعهم على الهدى لفعل ذلك، وقول آخر: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: 35] أي: لو شاء لأنزل عليهم آية تضطرهم إلى الإيمان، كقوله جل وعز: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

قال ابن عطية(3): يحتمل إما بأن يخلقهم مؤمنين، وإما بأن يكسبهم الإيمان بعد كفرهم، بأن يشرح صدورهم، والهدى: الإرشاد، وهذه الآية ترد على القدرية المفوضة الذين يقولون: أن القدرة لا تقتضي أن يؤمن الكافر، وأن ما يأتيه الإنسان من جميع أفعاله لا خلق لله فيه تعالى عن قولهم.

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: 173].

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) المحرر الوجيز.

قال الطبري(1): قد جمعوا الرجل للقائكم، والكرة إليكم لحربكم.

قال الفخر الرازي(2): أي: جمعوا لكم الجموع، فحذف المفعول، لأن العرب تسمي جمعاً، ويجمعونه جموعاً.

قال الشعراوي(3): هناك بعض من الكفار أشاعوا أن أبا سفيان وصحبه قد حشدوا حشودهم، فكلمة «جمعوا» تعطي إيحاء بأنهم جاءوا بمقاتلين آخرين، أو أن فلولهم قد تجمعت، وسواء هذا أو ذاك فهم عندما فروا فروا فلولاً، لأن القوم المنهزمين لا يسيرون سيراً منتظماً يجمعهم، بل يسير كل واحد منهم حسب سرعته، ويصح أن يتجمعوا ثانية، أو جاءوا بناس آخرين، ولنا أن نلحظ أن الأسلوب يحتمل كل ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 38].

قال القشيري(4): فعلنا بكم مافعلنا بهم في الدنيا من الخذلان، كذلك اليوم سنفعل بكم ما نفعل بهم من دخول النيران.

قال البغوي(5): يعني مكذبي هذه الأمة والأولين: الذين كذبوا أنبياءهم.

قال الزمخشري(6): كلام موضح لقوله: (هذا يومُ الفصلِ) لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء، وبين الأنبياء وأممهم، فلابد من جمع الأولين والآخرين، حتى يقع ذلك الفصل بينهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة: 8-9].

قال الفراء(7): في قراءة عبدالله (وجُمِعَ بين الشمس والقمر) يريد: في ذهاب ضوئها أيضاً، فلا ضوء لهذا ولا لهذه، فمعناه جمع بينهما في ذهاب الضوء، كما

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) لطائف الإشارات.
(5) معالم التنزيل.
(6) الكشاف.
(7) معاني القرآن.

تقول: هذا يوم يستوي فيه الأعمى والبصير، أي: يكونان فيه أعميين جميعاً. ويقال: جُمعا كالثورين والعقيرين في النار.

وإنما قال: (جُمِعَ) ولم يقل: جُمعت لهذا، لأن المعنى جُمِعَ بينهما، فهذا وجه. وإن شئت جعلتهما جميعاً في مذهب ثورين، فكأنك قلت: جُمع النوران، جُمع الضياءان، وهو قول الكسائي.

وقد كان قوم يقولون: إنما ذكرنا فعل الشمس، لأنها لا تنفرد بجمع حتى يشركها غيرها، فلما شاركها مذكر كان القول فيهما: جُمعا، ولم يجرز: جُمعتا. فقيل لهم: كيف تقولون: الشمس جُمع والقمر؟ فقالوا: جُمعت، ورجعوا عن ذلك القول.

قال الماوردي[1]: فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه جمع بينهما في طلوعهما من المغرب، أسودين مكورين مظلمين مقرنين.

الثاني: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف، لتكامل إظلام الأرض على أهلها، حكاه ابن شجرة.

الثالث: جمع بينهما في البحر حتى صارا نار الله الكُبرى.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: 87].

قال الطبري[2]: ليبعثنكم من بعد مماتكم، وليحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب، الذي يجازى الناس فيه بأعمالهم ويقضى فيه بين أهل طاعته ومعصيته، وأهل الإيمان به والكفر.

(1) النكت والعيون. (2) جامع البيان.

قال الزجاج[1]: ومعنى ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ والله أعلم، أي: يجمعكم في الموت وفي قبوركم.

قال ابن عطية[2]: والجمع هنا بمعنى الحشر، فلذلك حسنت بعده (إلى) أي: إليه السوق والحشر.

● **قال تعالى**: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ...﴾ [الأنعام: 12].

قال الطبري[3]: وكان بعض نحويي البصرة يقول: نُصبت لام ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لأن معنى (كتب) كأنه قال: والله لَيجْمَعَنَّكُمْ.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله: (كتب على نفسهِ الرحمةَ) غاية، وأن يكون قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ خبر مبتدأ، ويكون معنى الكلام حينئذ: لَيجْمَعَنَّكُمْ الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه، لينتقم منكم بكفركم به.

وإنما قلت: هذا القول أولى بالصواب من إعمال (كتب) في (لَيجْمَعَنَّكُمْ)، لأن قوله: (كتب) قد عمل في (الرحمةَ)، فغير جائز وقد عمل في (الرحمةَ) أن يعمل في (لَيجْمَعَنَّكُمْ)، لأنه لا يتعدى إلى اثنين.

قال الزجاج[4]: المعنى: ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم، إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به.

والذي عندي أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ في موضع رفع على الابتداء، وخبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لأن ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مشتمل على سائر الخلق، على الذين خسروا أنفسهم وغيرهم.

---

(1) معاني القرآن.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.

وهذه اللام في (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لام قسم، فجائز أن يكون تمام الكلام ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54] ثم استأنف فقال: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)، وكان المعنى والله لَيَجْمَعَنَّكُمْ.

وجائز أن يكون (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) بدلاً من (الرحمةَ) مفسراً لها، لأنه لما قال: كتب ربكم على نفسه، فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة، ويكون في الإمهال ما فسرنا آنفاً.

● **قال تعالى**: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: 3].

قال الماوردي[1]: فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رفاتاً.

قال الزمخشري[2]: وهو لتبعثن. وقرأ قتادة (أن لن تُجمَع عظامهُ) على البناء للمفعول، والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميماً ورفاتاً مختلطاً بالتراب، وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض.

قال ابن عاشور[3]: وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ الخ دليل على جواب القسم إذ تقدير الجواب لنجمعن عظامكم ونبعثكم للحساب.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: 157].

قال البغوي[4]: من الغنائم، قراءة العامة (تجْمَعُونَ) بالتاء لقوله (ولئن قتلتم). وقرأ عن عاصم (يَجْمَعُونَ) بالياء، يعني خير مما يجمع الناس.

قال الزمخشري[5]: من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا.

قال ابن عطية[6]: وقرأ جمهور الناس (تجْمَعُونَ) بالتاء، على المخاطبة،

---

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) التحرير والتنوير.
(4) معالم التنزيل.
(5) الكشاف.
(6) المحرر الوجيز.

وهي أشكل بالكلام. وقرأ قوم منهم عاصم فيما روي عن حفص (يَجْمَعُونَ) بالياء، والمعنى مما يجمعه المنافقون وغيرهم.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: 58].

قال الطبري[1]: يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خير مما يجمعون من حُطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (فليفرحوا) بالياء ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالياء أيضاً، على التأويل الذي تأولناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله.

يقول: فبالسلام والقرآن الذي دعاهم إليه، فليرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الذي يجمعون، فإن الإسلام والقرآن خير من المال الذي يجمعون.

وروي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالتاء. وكذلك كان الحسن البصري يقول؛ غير أنه - فيما ذكر عنه - كان يقرأ قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالياء؛ الأول: على وجه الخطاب، والثاني: على وجه الخبر عن الغائب، أبو جعفر القارىء - فيما ذكر عنه - يقرأ ذلك نحو قراءة أبي بالتاء جميعاً.

والصواب من القراءة في ذلك، ما عليه قراء الأمصار، من قراءة الحرفين جميعاً بالياء ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ لمعنيين:

أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه.

والثاني: صحته في العربية؛ وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء، وإنما تأمره فتقول: افعل ولا تفعل.

---

(1) جامع البيان.

قال البغوي[1]: أي: خير مما يجمعه الكفار من الأموال. وقيل: كلاهما خبر عن الكفار، وقيل: عن المؤمنين.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر: (فليفرحوا) بالياء، و(تجْمَعُونَ) بالتاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء. ووجه هذه القراءة أن المراد: فبذلك فليفرح المؤمنون، فهو خير مما يجمعون من الأموال، مختلف عنه خطاباً للمؤمنين.

● **قال تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾** [النساء: 23].

قال الزمخشري[2]: (أن تَجْمَعُوا) في موضع الرفع عطف على المحرمات، أي: وحرم عليكم الجمع بين الأختين، والمراد حرمة النكاح، لأن التحريم في الآية تحريم النكاح.

وأما الجمع بينهما في ملك اليمين، فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا: أحلتهما آية وحرمتهما آية، يعنيان هذه الآية، وقوله: (وما ملكت أيمانكم)، فرجَّح علي التحريم، وعثمان التحليل.

قال ابن عطية[3]: لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين، وأجمعت الأمة على من جمعهما بنكاح.

قال الفخر الرازي[4]: (أن تَجْمَعُوا) في محل الرفع، لأن التقدير: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم والجمع بين الأختين.

● **قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾** [النور: 62].

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) التفسير الكبير.

قال الطبري[1] : على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل.

قال الزجاج[2] : قال بعضهم: كان ذلك في الجمعة، فهو - والله أعلم - أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر المؤمنين إذا كانوا مع نبيه فيما يحتاج فيه إلى الجماعة، نحو الحرب للعدو، أو ما يحضرونه مما يحتاج إلى جمع فيه، لم يذهبوا حتى يستأذنوه. وكذلك ينبغي أن يكونوا مع أئمتهم، لا يخالفونهم ولا يرجعون عنهم في جَمْعٍ من جموعهم إلّا بإذنهم، وللإمام أن يأذن، وله أن لا يأذن، على قدر ما يرى من الحظ في ذلك، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 62].

قال البغوي[3] : قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم.

قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام، لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلّا باذن. وإذا استأذن فالإمام بالخيار إن شاء أذن له، وإن شاء لم يأذن. وهذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإذا حدث سبب يمنعه من المقام، بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض، فلا يحتاج إلى الاستئذان.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: 103].

قال الطبري[4] : يحشر الله له الناس من قبورهم، فيجمعهم للجزاء والثواب والعقاب.

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) معالم التنزيل.
(4) جامع البيان.

قال الألوسي[1]: أي: يُجمع له الناس للمحاسبة والجزاء، فالناس نائب فاعل (مَجْمُوعٌ).

وأجاز ابن عطية أن يكون مبتدأ، و(مَجْمُوعٌ) خبره وفيه بُعد؛ إذ الظاهر حينئذ أن يكون مجموعاً، وعدل عن الفعل - وكان الظاهر - ليدل الكلام على ثبوت معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة، وأن الناس لا ينفكون عنه، فهو أبلغ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التّغابُن: 9].

وإيضاحه أن في هذا دلالة على لزوم الوصف ولزوم الإسناد، وفي ذلك على حدوث تعلق الجمع بالمخاطبين واختصاصه باليوم، ولهذا استدركه بقوله: (الجمع) فأضاف (اليوم) إليه ليدل على لزومه، وإنما الحادث جمع الأولين والآخرين دفعة.

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: 44].

قال الزجاج[2]: والمعنى بل أيقولون: نحن جميع منتصر، فيدلون بقوة واجتماع عليك.

قال الزمخشري[3]: جماعة أمرنا مجتمع.

قال القرطبي[4]: أي: جماعة لا تطاق لكثرة عددهم وقوتهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

قال الزمخشري[5]: يوم القيامة، لأن الخلائق تجمع فيه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التّغابُن: 9].

(1) روح المعاني.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) الكشاف.

وقيل: يجمع بين الأرواح والأجساد، وقيل: يجمع بين كل عامل وعمله.

فإن قلت: كيف يكونون مجموعتين متفرقتين في حالة واحدة؟

قلت: هم مجموعون في ذلك اليوم، مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم، كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين، وإن أريد بالجمع جمعهم في الموقف، فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق.

قال ابن عطية[1]: هو يوم القيامة، وسمي (يوم الجمع) لاجتماع أهل الأرض فيه بأهل السماء، أو لاجتماع بني آدم للعرض.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 17].

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد، حتى نثبته فيه، (وقرآنهُ) حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك.

قال الزجاج[3]: أي: إن علينا أن نقرئك فلا تنسى، وعلينا تلاوته عليك.

قال الزمخشري[4]: (جَمْعَهُ) في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: 155].

قال الطبري[5]: يوم التقى المشركين والمسلمين بأُحد.

● **قال تعالى**: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ. . .﴾ [الجمعة: 9].

قال الزجاج[6]: وقرئت (الجُمْعَة) بإسكان الميم. ويجوز في اللغة: (الجُمَعَة) بفتح الميم، ولا ينبغي أن يقرأ بها إلّا أن تثبت بها رواية عن إمام من القراء.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.
(4) الكشاف.
(5) جامع البيان.
(6) معاني القرآن.

فمن قرأ (الجُمْعَة) فهو تخفيف (الجُمُعَة) لثقل الضمتين. ومن قال في غير القراءة: (الجُمْعَة) فمعناه التي تجمع الناس، كما تقول: رجل لعنة، أي: يكثر لعن الناس، ورجل ضحكة: يكثر الضحك.

قال الماوردي[1]: وكان اسم يوم الجمعة في الجاهلية: العروبة، لأن أسماء الأيام في الجاهلية كانت غير هذه الأسماء، فكانوا يسمون يوم الأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس، والجمعة عروبة، والسبت شيار.

وأول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي بن غالب، لاجتماع قريش فيه إلى كعب. وقيل: بل سمي في الإسلام، لاجتماع الناس فيه للصلاة.

قال الزمخشري[2]: يوم الجُمْعَة: يوم الفوج المجموع، كقولهم: ضحكة للمضحوك منه. ويوم الجُمَعة بفتح الميم: يوم الوقت الجامع، كقولهم: ضحكة ولعنة، ولعبة. ويوم الجُمُعَة تثقيل للجُمْعة، كما قيل: عُسُرة في عُسْرة، وقرىء بهن جميعاً.

(1) النكت والعيون.

(2) الكشاف.

جَمَلَ ـ جَمُلَ

(جمل - إبل - بعير)

■ **الجَمَالُ:** عكس القبح. وهو الكمال في عضو من الأعضاء ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18].

■ **الجَمَلُ:** البعير إذا بزل (انشقّ نابه) ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعرَاف: 40].

■ **الإبل:** بعران كثيرة لا واحدة لها من لفظها ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعَام: 144].

■ **البعير:** يطلق على الكل، كالإنسان يطلق على كل الناس ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يُوسُف: 72].

* * *

شرح المعاني:

الجمال: هو الكمال في عضو واحد من الأعضاء، قد يكون الإنسان جميلاً إذا كان أنفه جميلاً ولا يمنع من وجود القبح في ناحية أخرى. فالجمال عكس القبح.

حُسن: إذا كان كله جميلاً، أي: كل ما في الإنسان جميل. والدمامة عكس الحُسن لأن الدميم ليس فيه جزء من جمال. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180] لأنها مطلقة عامة ومن صنع الله تعالى.

فالجمال نسبي والحُسن عام مطلق وفي الغالب الحُسن من صنع الخالق سبحانه، والجمال من فعل الإنسان (صبر جميل).

زينة: هو كل ما الذي يجعل القبيح جميلاً كأدوات الزينة، والمال والبنون زينة الحياة الدنيا، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة.

وسيم/ وسامة: هو كل أثر في الوجه تركه موسوماً محدداً، من سمة ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [**الفتح**: **29**]. وهو شيء فيك تستلذه النفس ويميزك عن غيرك (كخال في الخد أو غمازة أو رموش العين أو شامة أو غيره) والوسمي هو الاخضرار في الأرض بعد المطر.

جميل: الجمال كمال مطلوب وهو نوعان: إما كمال لذاته (إنسان جميل فأمتدحه) وإما جمال يستحق الحمد (هجر جميل) ومن هنا جاء الحديث الشريف: «**إن الله جميل يحب الجمال**». من كثرة صفاته التي يجب أن يُحمد عليها مع المدح.

وصفات الحمد هي الجليلة التي يصيب الإنسان منها الخير. والجميل هو الفعل الطيب من غيرك الذي نفعك به وهذا هو الجميل الذي يحبه الله تعالى. ومن صفات الله الجميلة: المنعم، المعطي، الغفار. والأسماء الحسنى بكمالها تعتبر حسناً منقطع النظير لأنها عامة وليست خاصة.

هناك ما يسمى قبح الجمال وجمال القبح: فقد يكون القبح جمالاً والجمال قبحاً. الجمال القبيح هو الجمال الذي يؤدي إلى مفسدة. والجمال المتفرّد هو أرقى أنواع الجمال كما جاء في الحديث: «**إن في الجمال المتفرد رجل يذكر الله في قلبه في السوق، ذاكر الله بين الغافلين والثابت بين الفارّين**».

والغربة جمال ما بعده جمال أن تكون وحدك على الحق والباقي كله على الباطل بل هو حسن شامل كامل مطلق.

والرسول ﷺ هو أجمل من على الأرض للأسباب التالية:

1 - ورفعنا لك ذكرك: لا يُقبل التوحيد ولا الشهادة إلا بذكر الرسول الكريم ﷺ.

2 - ما خاطب الله تعالى رسوله إلا بـ(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾) وما من بشر أقسم الله تعالى به إلا الرسول ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ **[الحجر: 72]**.

3 - النهي عن زواج نسائه من بعده، والنهي عن رفع الصوت على صوته.

4 - أخذ الله تعالى العهد على كل الأنبياء أن يؤمنوا به إذا أدركوه.

كلمة جميل في القرآن الكريم:

يقال: (صفح جميل) ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ **[يوسف: 18]**﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾ **[المزمل: 10]**. ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ **[الأحزاب: 49]**: المفروض أن يفارق المرء زوجته على حالة رضى ووفاق فقد يكون الخلاف على أمر معين ولكن على الزوجين أن لا ينسوا الفضل بينهم.

الصفح الجميل: صفح بدون عتاب أو منّة.

وكل سلوك المؤمن يجب أن يكون جميلاً.

التوسّم: هي جماليات الأمة. فالأمة أنسابها ثابتة ولا تشرك، رحيمة بعدوها، أعراضها طاهرة كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ **[آل عمران: 110]**. والتوسم نوع من أنواع الوحي وليس وحياً، كما أوحي إلى أم موسى وهو من نوع الخاطرة. فالله تعالى يعطي بعض عباده قدرة على التوسم في الأشخاص وقد قال الرسول ﷺ في الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».

المال والبنون زينة الحياة الدنيا: الحياة قبيحة بدون مال وبنين فتزينها بالمال والبنين. وقمة الزينة في الحياة الدنيا أن يجتمع للإنسان المال والبنون، والمال دائماً يقدّم على البنين. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ **[الإسراء: 6]**.

الجمال جزئي والحُسن شامل والزينة تزيين ما ليس جميلاً ليكون جميلاً

والوسامة أثر من جرح أو غمزة أو شامة أو خال تزيد الجمال جمالاً ويعرف الوسيم بشيء ليس في غيره.

النضارة: هي الجمال المترف عكس الجمال البدوي عينان واسعتان وفيه جفاف البادية وظروف عيشها. والنضارة هي حُسن المترفين ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24] ويقال: روض نضير بمعنى: عشب أخضر مترف. ويقال: غض نضير بمعنى غصن مترف أخضر بالكامل. والنضارة تطلق على الجمال عندما يكون فيه بهاء وإشراق وهو الجمال المترف.

النضارة عكسها الجفاف، والزينة عكسها التعطيل، والوسامة ليس لها نقيض.

الحِلية: هي من أدوات الزينة والزينة من وسائل الجمال. (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين).

الجمال نوعان: مادي ومعنوي وهناك جمال قبح وقبح جمال.

والجمال نسبي وحتى يكون الجمال متكاملاً كما عند الرسول ﷺ فهو جميل حسن، وحسنه لا يعتريه النقص من جانب. وله أكمل الجمال والحُسن، فهو حسن الخلق وحسن الخُلُق وحسن الأقوال والأفعال. فإذا توفرت كل هذه الصفات يكون الإنسان جميلاً متكامل الجمال وهذا لا ينطبق إلا على الرسول.

ومن صفات جمال الرسول:

حسن الخلق:

لا عيب فيه كامل متكامل (اعتدال الصورة والأعضاء).

السكينة الباعثة على هيبته تبعث على طاعته والإقبال عليه.

حسن القبول الجالب للقلوب فتميل القلوب إليه، حتى أعداؤه لم يقدروا عليه فكان مقبولاً لدى الجميع. هذا يؤدي إلى أن الجميع من حوله يتفانون في خدمته حتى في أشد الظروف وأشد الساعات عسراً.

حُسن الخُلُق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] أكبر تأكيد على حسن خُلق الرسول ﷺ وعناصر كونه على خلق عظيم:

1 - رجاحة عقله لا يُستغفل ولا يُزدرى به ولا يقول كلاماً غير لائق.

2 - ثباته في الشدائد وصبره الثابت فلم يعرف الخوف قلبه.

3 - زهده في الدنيا والزهد هو زهد من يملك الدنيا.

4 - تواضعه للناس مع أنه سيدهم وإمامهم.

5 - الحلم والوقار: ما غضب النبي لنفسه أبداً إلا أن تنتهك حرمة الله.

6 - قوة قلبه في الحروب، منتهى القوة مع منتهى الرقّة.

7 - حفظه للعهود والوفاء بها.

8. صدق الحديث الذي كان يوجد في وجهه نضارة.

9. أوتي جوامع الكلم.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تَجَمُّع وعِظَمِ الخَلْق، والآخرة: حُسْنٌ.

فالأول: قولك: أجمَلْتُ الشيء، وهذه جُمْلَةُ الشيء. وأَجْمَلْتُهُ: حصَّلته، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: 32].

ويجوز أن يكون (الجَمَل) من هذا، لعظم خلقه.

والأصل الآخر: الجَمَالُ، وهو ضد القبح، ورجل جَمِيلٌ وجُمَّالٌ. قال ابن

(1) معجم مقاييس اللغة.

قتيبة: أصله من الجميل، وهو ودك الشحم المذاب. يراد أن ماء السمن يجري في وجهه. ويقال: جَمَالَكَ أن تفعل كذا، أي: اجْمُلْ ولا تفعله.

قال الخليل(1): الجَمَلُ: يستحق هذا الاسم إذا بزل. أي: انشق نابه، وناقةٌ جمالية، أي: في خلق جمل. وإذا نعتوا شيئاً من هذا النحو إلى نعت كثر ما يجيئون به على فعالي، نحو صهابي.

فأما قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33]، فهو الأينق السُود، من غير أن يفرد الواحد، ولكن يقال لكل طائفة منه: جُمَالَة، والجميع جَمَالَات وجَمَائِل.

وبعض يقول: أراد جِمَالاً لا نوق فيها.

والجَامِلُ: قطيع من الإبل برعائها وأربابها كالبقر والباقر.

والاجْتِمَالَ: الادّهان الجميل، والاجْتِمَالُ أيضاً: أن تشوي لحماً، فكلما وكفت إهالتهُ استودقته على خبز، ثم أعدته ثانيةً.

والجَمال: مصدر الجميل: والفعل منه جَمُلَ يَجْمُلُ، وقال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النّحل: 6]، أي: بهاءٌ وحسنٌ.

ويقال: جَامَلْتُ فلاناً مُجَامَلَةً: إذا لم تصف له المودة. وماسحته بالجميل.

ويقال: أجْمَلْتُ في الطلب.

والجُمْلَةُ: جماعة كل شيءٍ بكماله، من الحساب وغيره.

وأجمَلْتُ له الحساب والكلام: من الجُمْلَةِ.

وحساب الجُمل: ما قطع على حروف أبي جاد.

والجُمَلُ: القلس الغليظ.

قال مُبتكر: الجَمِيلُ: اسم للحر.

---

(1) العين.

المعنى المشترك لكلمة (جمل)

وردت كلمة جميل في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الجميل: الصبر: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يُوسُف: 18].

الوجه الثاني الجميل: الحسن: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 49].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

قال الزجاج[1]: معناه: صبرٌ لا جزع فيه ولا شكوى إلى الناس، و(صبرٌ جَميلٌ) مرفوع على ضربين، المعنى فشأني صبرٌ جَميلٌ. ويجوز أن يكون على (فصبري صبرٌ جَميلٌ) وهذا لفظ قطرب: فصبري صبرٌ جَميلٌ. والأول مذهب الخليل وجميع أصحابه، ويجوز في غير القرآن فصبراً جميلاً.

و(صبراً جميلاً) منصوب على مثل (فاصبر صبراً جميلاً)

● قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النّحل: 6].

قال الزمخشري[2]: من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها، لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها، لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة، فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء، أنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها،

(1) معاني القرآن. (2) الكشاف.

وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، ونحوه ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8]، ﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: 26].

قال القرطبي[1]: الجَمال: ما يتجمل به ويتزين، والجمال: الحُسن.

قال علماؤنا: فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال: فأما جمال الخلقة، فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك، ولا نسبته لأحد من البشر.

وأما جمال الأخلاق، فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة، وكظم الغيض وإرادة الخير لكل أحد.

وأما جمال الأفعال، فهو وجودها ملائمةً لمصالح الخلق، وقاضيةً لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم. وجمال الأنعام والدواب من جمال الخلقة، وهو مرئي بالأبصار موافق للبصائر، ومن جمالها كثرتها.

قال أبو السعود[2]: أي: زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40]

قال الطبري[3]: أجمعت [القراء] على قراءة (الجَمَل) بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك. وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير، فإنه حكي عنهم أنهم كانوا يقرؤون ذلك (الجُمل) بضم الجيم، وتشديد الميم، على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس. فأما الذين قرؤوه بالفتح من الحرفين والتخفيف، فإنهم

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.

وجهوا تأويله إلى الجمل المعروف. [إلى أن قال:] وكأن من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضم الجيم، على ما ذكرنا عن سعيد بن جبير، على مثال الصرد والجعل، وجهه إلى جماع جملةٍ من الحبال جمعت جملاً، كما تجمع الظُلمة ظُلماً، والخُربة خرباً.

وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم، ويقول: إنما أراد الراوي الجُمل بالتخفيف فلم يفهم ذلك منه، فشدده.

وحُدثت عن الفراء، عن الكسائي أنه قال: الذي رواه عن ابن عباس، كان أعجمياً. وأما من شدد الميم وضم الجيم، فإنه وجهه إلى أنه اسمٌ واحدٌ، وهو الحبل أو الخيط الغليظ.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ما عليه قراء الأمصار، وهو ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها.

قال الزمخشري[1]: والجمَل مثل في عظم الجرم.

فقيل: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً. من ولوج هذا الحيوان - الذي لا يلج إلّا في باب واسع - في ثقب الابرة.

قال ابن الجوزي[2]: الجمل: هو الحيوان المعروف.

فإن قال قائل: كيف خص الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود؛ والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهماً، وهذا لا يغني عنك فتيلاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والفتيل.

والثاني: أن الجمل أكبر شأناً عند العرب من سائر الدواب فإنهم يقدمونه في

---

(1) الكشاف. (2) زاد المسير.

القوة على غيره، لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]، فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى.

ذكر الجوابين ابن الأنباري، قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: (حتى يلجَ الجُمَّلُ) بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القلس الغليظ.

وهي قراءة أبي رزين، ومجاهد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يعمر، وأبان عن عاصم، قال: وروى مجاهد عن ابن عباس: (حتى يلجَ الجُمَل) بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها.

قلت: وهي قراءة قتادة، وقد رويت عن سعيد بن جبير، وأنه قرأ: (حتى يلجَ الجُمْل) بضم الجيم وتسكين الميم. وهي قراءة عكرمة.

● **قال تعالى:** ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33].

قال الفراء[1]: إن الجمل إنما شبه بالقصر، ألا ترى قوله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33] والصفر: سود الإبل، لا ترى أسود من الإبل إلّا وهو مُشرب بصفرة، فلذلك سمت العرب سود الإبل: صفراً، كما سموا الظباء: أدماً لما يعلوها من الظلمة في بياضها، وقد اختلف القراء في (جمالات) فقرأ عبد الله بن مسعود وأصحابه: (جمالةٌ).

عن أبي عبد الرحمان يرفعه إلى عمر بن الخطاب رحمه الله، أنه قرأ: (جمالاتٌ) وهو أحب الوجهين إلي، لأن الجمال أكثر من الجمالة في كلام العرب، وهي تجوز، كما يقال: حجر وحجارة، وذكر وذكارة، إلّا أن الأول أكثر. فإذا قلت: جمالات، فواحدها: جمال، مثل ما قالوا: رجالٌ ورجالات، وبيوت وبيوتات، فقد يجوز أن تجعل واحد الجمالات: جمالة. وقد حكي عن

(1) معاني القرآن.

بعض القراء: (جُمالات)، فقد تكون من الشيء المجمل، وقد تكون (جُمالاتٌ) جمعاً من جمع الجمال. كما قالوا: الرخل والرُّخال، والرِّخال.

قال الماوردي[1]: وفي تسميتها بالجمالات الصفر وجهان: أحدهما لسرعة سيرها، الثاني: لمتابعة بعضها لبعض.

قال ابن عاشور[2]: وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ تشبيه له في حجمه ولونه وحركته في تطايره بجمالات صفر. وضمير (كأنه) عائد إلى شرر.

والجِمالات: بكسر الجيم جمع جِمالة، وهي اسم جمع طائفة من الجمال، أي تُشبه طوائف من الجمال متوزعة فرقاً، وهذا تشبيه مركب لأنه تشبيه في هيئة الحجم مع لونه مع حركته. والصُفرة: لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره.

---

(1) النكت والعيون. (2) التحرير والتنوير.

جمّ

(جمّ - لمّ - كثير - شديد - جمع)

■ **الجَمُّ:** الكثير عدداً متراكماً من كل شيء ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفَجر: 20].

■ **اللَّمُّ:** الكثير عدداً متفرقاً ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفَجر: 19].

■ **الكَثِيرُ:** الكبير قدراً وأهمية ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: 32 - 33]

■ **الجَمْعُ:** حسن التنسيق بين المجموعين ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99].

■ **الشَّدِيدُ:** القوّة والجلادة في البدن والعقل ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [يُوسُف: 22].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

ما ورد في القرآن الكريم يتحدث عن أسلوب غير المؤمنين في التعامل مع المال. والمال هو من الأشياء التي تحبها النفس البشرية حباً جماً ولمّاً شديداً لكن الإسلام هذّب هذه النفس المؤمنة. أما غرائز الكافرين فهي باطلة وهم يتعاملون مع المال بغرائزهم فقط كقوله تعالى: ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: 62]، ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء: 161]. فالمال عند اليهود إلٰه يحبونه حباً جماً وليس لأحد غيرهم حق فيه.

الجمّ: اجتماع الشيء في مكان واحد، تقال للماء: جَمَّ الماء: إذا اجتمع في

حفرة واحدة بحيث لا يسيل ولا يحق لأحد أن ينتفع به حتى يأسن. ومنه الجمّ الغفير للناس يجتمعون في مكان واحد، ومنه الاستجمام عندما يتعب الإنسان يذهب إلى مكان ليستجمّ ويرتاح في مكان واحد بلا حركة.

حب المال حباً جماً هو الحب بحيث لا يُنفق في الخير. يجمع المال لأجل الجمع فقط وليس للإنفاق في سبيل الله وهذا الحب ينتج عنه الكنز والبخل والشح والمنع يمنعون الناس حقوقهم ويكنزونه ويبخلون به حتى يصبح شحاً. والله تعالى خاطب الكافرين بهذه الصفات ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20].

اللمّ: جمع المال لا تبالي من أي جهة تأخذه من ربا أو اغتصاب أو استيلاء على ثروات أو أي طريق باطلة. اللمّ في حالة اكتساب المال من مصادره والمؤمن لا ينبغي له جمع المال إلا من مصادر حلال. وبعد أخذه من مصادر متعددة يُجمع ولا ينفق وهذا ينافي وظيفة المال في الإسلام التي هي من أرقى العبادات. والجمّ واللمّ هي طبيعة جمع المال.

الشديد: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8] الخير هنا بمعنى المال. والشديد هي صفة الذي يجمع المال وهناك فرق بين من يجمع المال من حرام أو حلال ومن يجمعه من حلال يتكاسل الإنسان في جميع الأمور إلا في حال جمع المال فتراه شديداً.

التكاثر: التفاضل ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: 1] صاحب المال في الإسلام ليس وجيهاً ومن يوجهه المال فهو منافق والفرق بين الغني والفقير كالفرق بين العالم والجاهل.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 41] وهي غير الصدقة فالصدقة قد تكون قليلة لكن الإنفاق للجهاد ونصرة الدين بكل المال، كما يجاهد بالنفس كلها في الجهاد. وكما يستعد المؤمن لإعطاء نفسه في سبيل الله يجاهد بكل ماله في سبيل الله أيضاً. والغني الشاكر خير من الفقير الصابر فالغني جمع المال وأنفقه في سبيل الله (مثل سيدنا عثمان الذي أنفق ماله كله في سبيل الله) مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: 8]. يحب المال لكن لا يحبه حباً غرائزياً إنما حباً يقربه من طاعة الله ورضوانه بإنفاقه في وجوهه المشروعة. المسلم يعطي ولا يأخذ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 188] والمسلم لا يملك المال ولكنه مستخلف عليه لأنه مال الله أساساً. خذ حلال المال ولا تنفق على حرام ولا تبذّر. وفي الحديث الشريف: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والميم في المضاعف له أصلان:

الأول: الشيء واجتماعه، والثاني: عدم السلاح.

فالأول: الجَمُّ، وهو الكثير، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20].

والجِمَامُ: المِلْءُ، يقال: إناءٌ جَمَّانُ إذا بلغ جِمَامَهُ.

والجُمَّةُ من الإنسان: : مُجتمع شعر ناصيته.

وفي الحديث: (**لعن الله المُجمِمات من النساء**).

قال الأزهري[2]: أراد المُترجلات يتخذن شعورهن جُمَّةً، فعل الرجال، لا يرسلنها إرسال النساء شعورهن.

ويحتمل أن يكون مأخوذاً من (الأَجَمّ) وهو الذي لا رُمح معه، وقد جَمَّ يَجُمُّ فهو أَجَمُّ. وفي حديث طلحة: (رمى إلي رسول الله ﷺ بسفرجله)، وقال: **دونكها تُجِمُّ الفؤاد**، قال ابن عائشة: تريحه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) تهذيب اللغة.

وقال غيره: تجمعه وتكمل صلاحه ونشاطه، يقال: جَمَّ الماء يَجُمُّ: إذا زاد. وجَمَّ الفرس: زاد جريه.

قال الخليل[1]: جَمَّ الشيء واسْتَجَمَّ أي: كثُر.

والجُمَامُ: الكيل إلى رأس المكيال، وتقول: جمعتُ المكيال جمًّا.

والجُمَّةُ: بئر واسعة كثيرة الماء.

قال زائدة: جَمَّمْتُه تُجَمِيماً لا غير.

وقال أبو سعيد: الجُمَّةُ: البئر التي قد جُمَّ ماؤها تنكيز، أي: قلة.

والجُمَّةُ: الشعر، والجميع: الجُمم.

والجَمِيمُ: النبات إذا تغطى الأرض.

والجَمُّ الغفير: الجماعة من الناس.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20].

قال الطبري[2]: وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حُبًّا كثيراً شديداً، من قولهم: قد جَمَّ الماء في الحوض: إذا اجتمع.

قال السجستاني[3]: مجتمعاً كثيراً، ومنه جُمَّةُ الماء: اجتماعه.

قال الماوردي[4]: إنه يحب المال حب إجْمَام له واستبقاء، فلا ينتفع به في دين ولا دنيا، وهو أسوأ أحوال ذي المال.

(1) العين.
(2) جامع البيان.
(3) نزهة القلوب.
(4) النكت والعيون.

قال الزمخشري(1): كثيراً شديداً مع الحرص والشره ومنع الحقوق.

قال الفخر الرازي(2): يحبون المال حبًّا كثيراً شديداً، فبيَّن أن حرصهم على الدنيا فقط، وأنهم عادلون عن أمر الآخرة.

قال القرطبي(3): أي: كثيراً، حلاله وحرامه.

قال المراغي(4): وتميلون إلى جمع المال ميلاً شديداً، ميراثاً كان أو غيره.

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) تفسير المراغي.

جنب

(جنب - حافة - حد - حرف - شفا)

■ **الجَنْبُ:** الجهة المريحة للشيء ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: 16].

■ **الحَافَّةُ:** الجهة التي في الواجهة للشيء ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32].

■ **الحَدُّ:** الحاجز بين الشيئين المانع من اختلاطهما ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البَقَرَة: 229].

■ **الحَرْفُ:** نهاية الطرف المنجي للشيء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحَجّ: 11].

■ **الشَّفَا:** بداية الطرف المهلك للشيء ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عِمرَان: 103].

❋ ❋ ❋

جنب

(جُنب - بعد - شط - هجر)

■ **الجُنُبُ:** الأجنبي أو البعيد ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ [القَصَص: 11].

■ **البُعْدُ:** تجاوز مساحة الغرب نسبياً ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هُود: 95].

■ **الشَّطَطُ:** الإفراط في البعد ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14].

■ **الهَجْرُ:** البعد النهائي المتعمد ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدَّثِّر: 5].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: النّاحية، والآخر البُعْد. فأمّا الناحية فالجَنَاب. يقال هذا من ذلك الجَناب، أي الناحية. وقعَدَ فلانٌ جَنْبَةً، إذا اعتزَل الناسَ. وفي الحديث: «عليكمُ بالجَنْبَةِ فإنه عَفاف». ومن الباب الجَنْبُ للإنسان وغيره. ومن هذا الجَنْب الذي نُهِي عنه في الحديث: أن يَجْنُبَ الرجل مع فرسه عند الرِّهان فرساً آخَرَ مخافةَ أنْ يُسْبَق فيتحوَّل عليه. والجَنَبُ أنْ يشتدّ عطش البعير حتَّى تلتصق رئتُهُ بجَنْبه. ويقال: جَنِبَ يَجْنَبُ. قال: والمَجْنَبُ: الخير الكثير، كأنه إلى جَنْب الإنسان. وجَنَبْتُ الدابّةَ: إذا قُدْتَها إلى جنبك. وكَذلك جَنَبْتُ الأسير.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الجُنُوب: جمع الجنب.

ورجل لينُ الجَانِبِ والجَنبِ، أي: سهل القرب.

ويجيء (الجنب) في موضع الجانب.

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]، أي: نجني.

والجَانِبَان: الناحيتان. والجَنْبَتَانِ: ناحيتا كل شيءٍ كجَنْبَي العسكر والنهر ونحوهما، والجميع: الجُنُبَاتُ.

والجَنِيبَةُ: كل دابةٍ تُقاد.

وجَنَبْتُهُ عن كذا فاجْتَنَبَ، أي: تَجَنَّبَهُ.

وجَنَّبْتُهُ، أي دفعتُ عنه مكروهاً.

والجَنَبَةُ: مصدر الاجتناب.

والجَنْبَةُ: الناحية من كل شيءٍ، كأنه شبة الخلوة من الناس.

ورجل ذو جَنُبَةٍ، أي: ذو اعتزال عن الناس، مُجْتَنِبٌ لهم.

والمُجناب: الذي قاطعك، وقد اجتنب قربك.

والجَانِبُ: المجتنب الضعيف المحقور.

والجار الجُنُب: الذي جاورك من قوم آخرين ذو جنابة، لا قرابة في الدار، ولا في النسب، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: 36].

والجَنُوبُ: ريح تجيء عن يمين القبلة، والجميع: الجَنَائِبُ، وقد جَنَبَتِ الريح تَجْنُبُ جُنُوباً.

والجَنَبُ: الأسير مشدود إلى جنب الدابة.

وجانب الدار: ساحتها، وجَنَابُ القوم: ماقرب من محلتهم.

---

(1) العين.

ويقال: (لا جنب في الإسلام) وهو أن يجنب خلف الفرس الذي يسابق فرس آخر عَرِي، فإذا بلغ قريباً من الغاية يركب ليغلب الآخرين.

والجَنِيبُ: الغريب، والجَانِبُ أيضاً. والجَنِيبُ: المجنوب والجَنِيبُ: الذي يشتكي جنبه. والجَنِيبُ: الذي يجتنبك فلا يختلط بك.

وجنَبَ فلان في حي فلان: إذا نزل فيه غريباً، يجِنبُ ويجَنُبُ.

والمِجْنَب: التُّرْس.

وأجنَبَ الرجل: إذا أصابته الجنابة.

ويقال: اتق الله في جَنْبِ أخيك، ولا تقدح في شأنه.

وضربه فجنبه: إذا أصاب جَنْبَه.

وقعد فلانٌ إلى جَنْبِ فلان، وإلى جَانِبِ فلان.

قال أبو هلال(1): الفرق بين الجانب والناحية والجهة، قال المتكلمون: إن جانب الشيء غيره، وجهته ليست غيره، ألا ترى أن الله تعالى لو خلق الجزء، الذي لا يتجزأ منفرداً لكانت له جهات ست، بدلالة أنه يجوز أن تجاوره ستة أجزاء، من كل جهة جزء، ولا يجوز أن يقال: أن له جوانب، لأن جانب الشيء: ما قرب من بعض جهاته، ألا ترى أنك تقول للرجل: خذ على جانبك اليمين، تريد ما يقرب من هذه الجهة، لو كان جانبك اليمين أو الشمال منك لم يمكنك الأخذ فيه.

وقال بعضهم: ناحية الشيء: كله، وجهته: بعضه، أو ما هو في حكم البعض.

يقال: ناحية العراق، أي العراق كلها، وجهة العراق يراد بها بعض أطرافها.

وعند أهل العربية: أن الوجه مستقبل كل شيء، والجهة: النحو، يقال: كذا

---

(1) الفروق في اللغة.

على جهة كذا، قاله الخليل، قال: ويقال: رجل أحمر من جهة الحُمرة، وأسود من جهة السواد. والوجهة: القبلة، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: 148]، أي: في كل وجه استقبلته وأخذت فيه.

الفرق بين الجانب والكنف: أن الكنف هو ما يسد الشيء من أحد جانبيه، ولهذا يستعمل في المعونة، فيقال: أكنف الرجل: إذا أعانه، وكنفْتُه: إذا حطته، وكنفت الإبل: إذا حطتها في حظيرة من الشجر.

ويجوز أن يقال الفرق بين الجانب والكنف: أن الكنف هو الجانب المعتمد عليه، وليس كذلك الجانب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ . . .﴾ [الإسراء: 68].

قال الطبري[1]: يعني: ناحية البر.

قال الماوردي[2]: يحتمل وجهين:

أحدهما: يريد بعض البر، وهو موضع حلولهم منه، فسماه جانبه لأنه يصير بعد الخسف جانباً.

الثاني: أنهم كانوا على ساحل البحر، وساحله جانب البر، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر، فحذروهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر.

قال البغوي[3]: ناحية البر، وهي الأرض.

قال البيضاوي[4]: في ذكر الجانب تنبيه على أنهم كما وصلوا الساحل كفروا

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) معالم التنزيل.
(4) أنوار التنزيل.

وأعرضوا، وأن الجوانب والجهات في قدرته سواء، لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك.

● **قال تعالى:** ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: 8].

قال البغوي[1]: من كل آفاق السماء بالشهب.

قال الزمخشري[2]: من جميع جوانب السماء، من أي جهة صعدوا للاستراق.

قال الألوسي[3]: من جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها، وليس المراد أن كل واحد يرمى من كل جانب بل هو على التوزيع، أي كل من صعد من جانب رمي منه.

● **قال تعالى:** ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: 56].

قال الطبري[4]: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله.

قال الزجاج[5]: في أمر الله، أي: فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه، وهو توحيده والإقرار بنبوة رسول الله ﷺ.

قال الماوردي[6]: في الجانب المؤدي إلى رضا الله، والجَنب والجانب سواء.

في طلب القُرب من الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: 36] أي: بالقرب.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) النكت والعيون.

● **وقال تعالى**: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ. . .﴾ [النساء: **36**].

قال الطبري(1): اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، فقال بعضهم: هو رفيق الرجل في سفره.

وقال آخرون: بل هو امرأة الرجل، التي تكون معه إلى جنبه.

وقال آخرون: هو الذي يلزمك ويصحبك، رجاء نفعك.

والصواب من القول في تأويل ذلك عندي: أن معنى (الصاحبِ بالجَنْبِ) الصاحب إلى الجَنْب، كما يقال: فلان يجنب فلان، وإلى جنبه، وهو من قولهم: جنب فلان فلاناً، فهو يجنُبه جنباً، إذا كان لجنبه، ومن ذلك جَنب الخيل، إذا قاد بعضها إلى جنب بعض. وقد يدخل في هذا الرفيق في السفر، والمرأة، والمنقطع إلى الرجل، الذي يلازمه رجاء نفعه، لأن كلهم بجنب الذي هو معه، وقريب منه، وقد أوصى الله تعالى بجميعهم، لوجوب حق الصاحب على المصحوب.

قال الزمخشري(2): هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك، إما رفيقاً في سفر، وإما جاراً ملاصقاً، وإما شريكاً في تعلم علم أو حرفة، وإما إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك، من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه، فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه، وتجعله ذريعة إلى الإحسان.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص: **11**].

قال الطبري(3): يقول تعالى ذكره: فقصت أخت موسى أثره، فبصرت به عن

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

جُنُبٍ. يقول: فبصرت بموسى عن بعُد. لم تدنُ منه ولم تقرب، لئلا يعلم أنها منه بسبيل، يقال منه: بصرت به وأبصرته، لغتان مشهورتان، وأبصرت عن جُنُبٍ، وعن جنابةٍ.

قال الزجاج[1]: معناه: فأتبعته، فبصرت به عن جُنُبٍ، أي: عن بعُد تُبصر ولا تُوهم أنها تراه، يقال: بصُرتُ به عن جُنُبٍ وعن جنابة: إذا نظرت إليه عن بعد.

قال أبو حيان[2]: وقيل: عن جانب، لأنها كانت تمشي على الشط.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

قال الطبري[3]: يقال منه: جنبته الشر فأنا أجنبه جنباً، وجنبته الشر، فأنا أُجنبه تجنيباً، وأجنبته ذلك، فأنا أجنبه إجناباً.

ومعنى ذلك: أبعدني وبني من عبادة الأصنام.

قال الزجاج[4]: وتقرأ (واجْنُبْنى وَبَنى) على أجنبته كذا وكذا: إذا جعلته ناحية منه، وكذلك جنبتهُ كذا وكذا.

ومعنى الدعاء من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجنب عبادة الأصنام، وهو غير عابد لها، على معنى: ثبتني على اجتناب عبادتها.

قال البيضاوي[5]: بعدني وإياهم.

وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم - وهو بظاهره - لا يتناول أحفاده وجميع ذريته.

---

(1) معاني القرآن.
(2) البحر المحيط.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.
(5) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

قال الطبري[1]: فاتركوه وارفوه، ولا تعملوه.

قال ابن عطية[2]: وأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في رتبة التحريم، فبهذا حرمت الخمر بظاهر القرآن ونص الحديث وإجماع الأمة.

قال القرطبي[3]: يريد أبعدوه واجعلوه ناحية. فأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور.

﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا ينتفع معه شيء بوجه من الوجوه، لا بشرب ولا بيع ولا تخليل ولا مداواة، ولا غير ذلك.

● قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾ [الأعلى: 11].

قال الزمخشري[4]: ويتجنب الذكرى ويتحاماها.

قال ابن عاشور[5]: والتجنب: التباعد، وأصله تفعل لتكلف الكيْنونة بجانبٍ من شيء. والجانب: المكان الذي هو طَرَف لغيره، وتكلفُ الكينونة به كناية عن طلب البعد أي: بمكان بعيد منه، أي: يتباعد عن الذكرى الأشقَى.

قال الطنطاوي[6]: أي: ويتجنب الذكرى، ويبتعد عن الموعظة، ويتجافى عن النصيحة، الإنسان الشديد الشقاوة والتعاسة، الذي أبى إلا الإصرار على كفره وعناده، وخلا من خشية الله – تعالى –.

● قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ [الليل: 17].

---

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) الكشاف.
(5) التحرير والتنوير.
(6) الوسيط في تفسير القرآن.

قال الطبري[1]: وسيوقى صلي النار التي تلظى التقي.

قال الألوسي[2]: أي: سيبعد عنها. . .

(جنب) يتعدى إلى مفعولين، فالضمير هاهنا المفعول الثاني، و(الأتقى) المفعول الأول، وهو النائب عن الفاعل، ويقال: جنب فلانٌ خيراً وجنُب شراً، وإذا أطلق فقيل: جنب فلان، فمعناه - على ما قال الراغب - أُبعد عن الخير. وأصل جنبتُه - كما قيل -: جعلته على جانب منه، وكثيراً ما يراد منه التبعيد، ومنه ماهنا، ولذا قلنا: أي: سيبعد عنها الأتقى.

قال الدامغاني[3]: الجَنْب على ستة أوجه: الطاعة، السفر، القلب، البعد، الجَنْب بعينه، الجانب: الجهة. فوجه منها، الجَنْب: الطاعة، قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 56]، أي: في طاعة الله.

والوجه الثاني: الجنب: السفر، قوله: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: 36]، يعني: الرفيق في السفر، وقيل: المرأة في البيت.

والوجه الثالث: الجانب: القلب، قوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: 83]، أي: تباعد بقلبه عن الإيمان.

والوجه الرابع: الجُنُب: [البعد]، قوله: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: 11]، يعني: عن بعد، قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، ومنه الجنابة.

والوجه الخامس: الجنب: هو الجَنْب بعينه، قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ [السجدة: 16]، يعني: الجنوب بعينها ويقال: إنها الخدود.

والوجه السادس: الجانب: الجهة، قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾ [القصص: 44]، ﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [القصص: 46]، أي: جهته.

---

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) الوجوه والنظائر.

جَنّ

(جنّ - ستر - غطى - غشاوة)

■ **الجَنُّ:** الخفاء عن العيون ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: 76].

■ **السَّتْرُ:** الإخفاء المتعمد عن المكروه ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90].

■ **الغِطَاءُ:** الإناء الذي يُجعل فوق الشيء لحفظه ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: 22].

■ **الغِشَاوَةُ:** ثوب يجعل فوق الوجه فلا يرى ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: 7].

❋ ❋ ❋

جن

(جن - شيطان - عفريت)

■ **الجِنُّ:** العاقل المستتر ويفعل الخير ﴿صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: 29].

■ **الشَّيْطَانُ:** نوع من الجنّ المستتر ويفعل الشر ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزّخرُف: 36].

■ **العِفْريتُ:** الجنّي القوي الشديد الداهية ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ [النّمل: 39]. وقيل عن علي كرم الله وجهه «غشيهم نور بدر ليثاً عفريتاً» أي: أسداً شديداً.

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الجنُّ عامة هو الستر ولذلك سُمّي الجنين جنيناً.

الجِنُّ: مقابل الإنس وهو أقوام لا يُرون بالحواس والجان هو أبو الجنّ كما أن آدم هو أبو الإنس. والكلمات جني، عفريت، إبليس، شيطان كلها من مرادفات جنيّ ولكل واحدة منها معنى خاص بها.

إبليس: اسم لشيطان واحد أو جنّي واحد، وكان اسمه عزازيل أطلق عليه اسم إبليس عندما طُرد من الجنة بعدما عصى الله تعالى بعدم السجود لآدم واعترض على أمر الله تعالى. والإبلاس لغة هو اليأس التّام. ويقال: مبلسون أي: آيسون من رحمة الله تعالى يأساً كاملاً.

شيطان: الشيطان من شطن أو شيط أي: احترق من الغضب.

وشيطان بمعنى: من ابتعد عن الحق ابتعاداً لا عودة فيه من شطن.

أو من احترق من الغضب عندما يرى المؤمنين يعبدون الله تعالى. شيطان صفة تطلق على كل صفة ذميمة للإنسان أو الجنّ حتى لو كان حيواناً.

عفريت: هم أبطال الجنّ. كل من بلغ القمّة والإبداع في عمله يسمى عفريتاً عند الجن. كما نسمي الأبطال عند الإنس. ولهذا جاء في قصة داوود: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: 39] العفريت يأتي بقدرات هائلة ليست بمعجزة كما فعل الذي عنده علم من الكتاب في القصة نفسها الذي عنده علم من الكتاب استخدم ما يعرف في عصرنا الحالي بالانتقال الضوئي.

شيطان مارد: الذي ينفلت عن نظامه ويكون في عصيانه رأساً ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: 7] يطلع للسماء مرة أو مرتين متجاوزاً للتوعد فبعث الله تعالى له شهباً يحرقه.

وإذا طغى الجنّ يسمى مارداً مثل الطاغية عند الإنس.

شيطان مريد: هو الشيطان المستمر في العصيان ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: 3].

وهو الذي يتلبس الإنسان لأن همّه إفساد البشر.

شيطان رجيم: هو الشيطان المطرود عن الخيرات ومنازل الملأ الأعلى.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: 34]﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: 17].

الجنّ: اختلف المفسرون في معناها وقيل أن كل العوالم المستترة تسمى جنّاً حتى الملائكة. وكل ملك جنّي وليس كل جنّي ملك. والنورانيون ملائكة والأشرار شياطين وبينهما الجنّ كما قال الراغب: (وإن منا الصالحون ومنا دون

ذلك كنا طرائق قدداً) كما يقابل الإنس المقربون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

الجِنَّة: هم جماعة الجن: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: 158].

الشياطين عموماً لها عدة وظائف، والجن يوسوس في الصدور والقلوب وقد ثبت علمياً وطبياً أن للقلب دماغه كما أن للرأس دماغه فالقلب ليس عضلة فقط تضخ الدم إنما له دماغه وله تناسق مع الدماغ في الرأس.

الجِنّ: تعاملهم مع الإنس ممكن جداً برغم أنهما من أصلين مختلفين. خلق الله تعالى الجن من نار عندما كانت الأرض كرة ملتهبة فعاشوا فيها ثم لما بردت الأرض خلق الله تعالى آدم.

خلق الله تعالى الجن وسخّرهم لخدمة الإنس والتلبس دليل على ضعف البشر فإذا كان الإنس قوياً وسخّر الجنّ له يضعف الجن وينقاد ويخدم الإنس خدمة تامة. فإذا ضعف الإنس قوي الجنّ وأخذ يتلاعب به كما يشاء. فالخوف إذا تمكن من الإنسان صعب أن يزول إلا بالاستعاذة ولذا قدّم الله تعالى الخوف على الجوع في الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ [البقرة: 155].

والجن هو مخلوق موجي يستطيع أن يتحرك كيفما شاء وأينما شاء ولا يحول بينه وبين الإنسان جدار أو حائط أو سد أو غيره.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: 33] والسلطان هو غاية القدرة والنفوذ. يدعونا الله تعالى في القرآن إلى اقتحام الجن ونهانا عن الاستعاذة بهم لأنهم ضعفاء أمام الإنسان القوي.

الشياطين هم أشرار الجنّ والكافرون منهم. مهمة الكافرين من الشياطين

إكمال مهمة إبليس، فمنهم الذين يفسدون عقيدة الإنس ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14] والمهمة الثانية هي للذنوب كالخمر والميسر والفرار عند الحرب والتبذير. فالشياطين يوسوسون (وسوسة) ويُضلون (إضلال) ويُغوون (إغواء).

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والنون أصل واحد، وهو [السَّتْر و] التستُّر. فالجنَّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستورٌ عنهم اليومَ. الجَنّة البستان، وهو ذاك لأنّ الشجر بِوَرَقه يَستُر. وناسٌ يقولون: الجَنّة عند العرب: النَّخْل الطِّوَال، والجنين: الولد في بطن أُمّه. والجنين: المقبور. والجَنَان: القَلْب. والمِجَنُّ: الترسُ. وكلُّ ما استُتر به من السِّلاح فهو جُنَّة. قال أبو عبيدةَ: السّلاح ما قُوتِل به، والجُنّة ما اتُّقِيَ به. والجِنّة: الجنون؛ وذلك أنّه يغطِّي العقل. وجَنَانُ الليل: سوادُه وسَتْرُه الأشياءَ. ويقال: جُنُون الليل، والمعنى واحد. ويقال جُنَّ النَّبتُ جُنوناً: إذا اشتدّ وخَرَج زهره. فهذا يمكن أن يكون من الجُنونِ استعارةً كما يُجنُّ الإنسان فيهيج، ثم يكون أصل الجنون ما ذكرناه من السَّتْر. والقياس صحيح. وجَنَان النّاس: مُعْظمُهم، ويسمَّى السَّوَادَ. والمَجَنّة: الجنون. فأمّا الحيّة الذي يسمَّى الجانَّ فهو تشبيهٌ له بالواحد من الجانّ. والجنُّ سُمُّوا بذلك لأنهم متستِّرون عن أعيُنِ الخَلْق. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27]. والجناجنِ: عظام الصَّدْر.

قال الجوهري[2]: جَنَّ عليه الليلُ يَجُنُّ بالضم جُنوناً. ويقال أيضاً: جَنَّهُ الليلُ

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

وأَجَنَّهُ الليل، بمعنىً. والجِنُّ: خلاف الإنس، والواحد جِنِّيٌّ. يقال: سمِّيتْ بذلك لأنّها تُتَّقى ولا تُرى. وجُنَّ الرجل جنوناً، وأَجَّنَّهُ الله فهو مَجْنونٌ.

قال الراغب[1]: أصل الجنّ: ستر الشيء عن الحاسة، يقال جَنَّه الليل وأَجَنَّه وجَنَّ عليه فجَنَّه: ستره، وأَجَنَّه: جعل له ما يحبه، والجِنَانُ: القلب لكونه مستوراً عن الحاسة.

والجَنَّةُ: بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض.

والجِنو: جماعة الجن.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ [الأنعام: 76].

قال الواحدي رحمه الله[2]: يقال جَنَّ عليه الليل وأَجَنَّه الليل، ويقال: لكل ما سترته جِنّ وأَجَنّ، ويقال أيضاً: جَنَّه الليل، ولكن الاختيار جَنَّ عليه الليل، وأَجَنَّه الليل. هذا قول جميع أهل اللغة، ومعنى (جَنَّ) ستر ومنه الجَنَّة والجنُّ والجُنُون والجَانّ والجَنِين والمِجَنّ والجَنَنُ والمُجَنُّ، وهو المقبور. والمَجَنَّةُ كل هذا يعود أصله إلى الستر والاستتار، وقال بعض النحويين: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ إذا أظلم عليه الليل. ولهذا دخلت «على» عليه كما تقول في أظلم. فأما جنه فستره من غير تضمين معنى (أظلم).

قال ابن عطية[3]: «جَنَّ الليل»: ستر وغطى بظلامه، ويقال الجن، والأول أكثر، ويشبه أن يكون الجِنّ والمِجَنّ والجِنّة والجَنَن وهو القبر، مشتقة من جَنَّ:

(1) مفردات الراغب.
(2) الوجيز.
(3) المحرر الوجيز.

إذا ستر، ولفظ هذه القصة يحتمل أن تكون وقعت له في حال صباه وقيل: بلوغه كما ذهب إليه ابن عباس. فإنه قال: رأى كوكباً فعبده، وقاله ناس كثير: إن النازلة قبل البلوغ والتكليف، ويحتمل أن تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفاً.

قال الشعراوي[1]: «جن» تفيد الستر والتغطية، ومنها «الجنون» أي: ستر العقل، و«جن الليل» أي: أظلم وستر عنك، فلا ترى غيرك ولا غيرك يراك. و«الجنَّة» كذلك لأن فيها الأشجار والأشياء التي تستر من يمشي فيها، إذن المادة كلها تفيد الستر.

● **قال تعالى:** ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المجَادلة: 16].

قال الزمخشري[2]: أي: اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها. أو إيمانهم الذي أظهروه ﴿جُنَّةً﴾ أي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم.

قال القرطبي[3]: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ يستجِنُّون بها من القتل. وقرأ الحسن وأبو العالية «إِيمَانَهُمْ» بكسر الهمزة هنا وفي «الْمُنَافقون». أي: إقرارهم اتخذوه جنة، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل، وكفرت قلوبهم.

قال البيضاويّ[4]: ﴿جُنَّةً﴾ وقاية دون دمائهم وأموالهم.

● **قال تعالى:** ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ﴾ [سبأ: 15].

قال الزمخشري[5]: أية آية في جنتين، مع أن بعض بلاد العراق فيها آلاف من الجنان؟ وأجاب بأن المراد لكل واحد جنتان أو عن يمين بلدهم وشمالها جماعتان من الجنات، ولاتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) أنوار التنزيل.
(5) الكشاف.

قال أبو السعود[1]: ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من آيةً أو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ أي: هي جنتان وفيه معنى المدح ويُؤيِّدُه قراءةُ النَّصبِ على المدح والمرادُ بهما جماعتانِ من البساتين.

قال الشوكاني[2]: ﴿جَنَّتَانِ﴾، وارتفاعهما على البدل من آية قاله الفراء، أو على أنهما خبر مبتدأ محذوف قاله الزجاج، أو على أنهما مبتدأ.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبأ: 16].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار، بساتين من جَنى ثمر الأراك، والأراك: هو الخَمْط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

عن ابن عباس، قال: أبدلهم الله مكان جنَّتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خَمْط، والخمْط: الأَراك.

قال الفخر الرازي[4]: بين به دوام الخراب، وذلك لأن البساتين التي فيها الناس يكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة، فإذا تركت سنين تصير كالغيضة والأجمة تلتف الأشجار بعضها ببعض وتنبت المفسدات فيها فتقل الثمار وتكثر الأشجار.

قال أبو السعود[5]: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ أي: أذهبنا جنَّتيهم وآتيناهم بدلهما ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ أي: ثمرٍ بشعٍ فإنَّ الخَمْطَ كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتَّى لا يمكن أكلُه وقيل: هو الحامضُ والمرُّ من كلِّ شيء.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 39].

قال الفخر الرازي[6]: هلا إذا دخلت بستانك قلت ما شاء الله كقول الإنسان

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الفتح القدير.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.
(5) إرشاد العقل السليم.
(6) التفسير الكبير.

هذه الأشياء الموجودة في هذا البستان ما شاء الله، ومثله قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22] وهم ثلاثة وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البَقَرَة: 58] أي: قولوا هذه حطة. وإذا كان كذلك كان المراد من هذا الشيء الموجود في البستان شيء شاء الله تكوينه وعلى هذا التقدير لم يلزم أن يقال كل ما شاء الله وقع لأن هذا الحكم غير عام في الكل بل مختص بالأشياء المشاهدة في البستان وهذا التأويل الذي ذكره القفال أحسن بكثير مما ذكره الجبائي والكعبي، وأقول: إنه على جوابه لا يدفع الإشكال على المعتزلة لأن عمارة ذلك البستان ربما حصلت بالغصوب والظلم الشديد فلا يصح أيضاً على قول المعتزلة أن يقال: هذا واقع بمشيئة الله. اللهم إلا أن نقول المراد أن هذه الثمار حصلت بمشيئة الله تعالى إلا أن هذا تخصيص لظاهر النص من غير دليل.

قال الشعراوي[1]: يريد أنْ يُعلمه سبيل الإيمان في استقبال النعمة، بأنْ يردَّ النعم إلى المنعم؛ لأن النعمة التي يتقلّب فيها الإنسان لا فضْلَ له فيها، فكلها موهوبة من الله، فهذه الحدائق والبساتين كيف آتتْ أُكُلها؟ إنها الأرض التي خلقها الله لك، وعندما حرثْتها حرثْتها بآلة من الخشب أو الحديد، وهو موهوب من الله لا دَخْلَ لك فيه، والقوة التي أعانتك على العمل موهوبة لك يمكن أن تُسلبَ منك في أيِّ وقت، فتصير ضعيفاً لا تقدر على شيء.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النّجم: 32].

قال ابن عاشور[2]: الأجنة: جمع جنين، وهو نسل الحيوان ما دام في الرحم، وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مستور في ظلمات ثلاث.

قال الفخر الرازي[3]: الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمى إلا ولداً أو سقطاً.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) التفسير الكبير.

قال أبو حيان[1]: والجنين: ما كان في البطن، فإذا خرج سمي ولداً أو سقطاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصَّافات: 158].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ واختلفوا في المراد بالجنة على وجوه الأول: قال مقاتل: أثبتوا نسباً بين الله تعالى وبين الملائكة حين زعموا أنهم بنات الله، وعلى هذا القول فالجنة هم الملائكة سموا جناً لاجتنانهم عن الأبصار أو لأنهم خزّان الجنة، وأقول هذا القول عندي مشكل، لأنه تعالى أبطل قولهم الملائكة بنات الله، ثم عطف عليه قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ والعطف يقتضي كون المعطوف مغايراً للمعطوف عليه، فوجب أن يكون المراد من هذه الآية غير ما تقدم الثاني: قال: مجاهد قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكرالصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن، وهذا أيضاً عندي بعيد لأن المصاهرة لا تسمى نسباً والثالث: روينا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: 100].

قال ابن عطية[3]: ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ على هذا القول الأخير يقع على الملائكة سميت بذلك لأنها مستجنة أي: مستترة.

قال الخازن[4]: قيل: أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار.

قال ابن عباس: هم حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا: هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فمن أمهاتهم قالوا: سروات الجن.

---

(1) البحر المحيط.
(2) التفسير الكبير.
(3) المحرر الوجيز.
(4) لباب التأويل.

● **قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 6].**

قال الزمخشري[1]: بيان للذي يوسوس، على أن الشيطان ضربان: جني وإنسي، كما قال ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شيطان الإنس؟ ويجوز أن يكون (من) متعلقاً بيوسوس، ومعناه: ابتداء الغاية، أي: يوسوس في صدروهم من جهة الجنّ ومن جهة الناس، وقيل: من الجنّة والناس بيان للناس، وأن اسم الناس ينطلق على الجنة، واستدلّوا (بنفر) و(رجال) في سورة الجن. وما أحقه؛ لأن الجن سموا «جِنًّا» لاجتنانهم، والناس «ناساً» لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشراً؛ ولو كان يقع على الناس على القبيلين، وصحّ ذلك وثبت: لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن وبعده من التصنع. وأجود منه أن يراد بالناس: الناسي، كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: 6] كما قرىء: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: 199].

ثم يبين بالجنة والناس؛ لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عَزَّ وَجَلَّ.

وعن رسول الله ﷺ: «**لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما**» يعني: المعوذتين. ويقال للمعوذتين: المقشقشتان.

قال ابن عطية[2]: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي: من الشياطين ونفس الإنسان، ويظهر أيضاً أن يكون قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾، يراد به من يوسوس بخدعه من البشر، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان، وكلهم قرأ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ غير ممالة، وروى الدوري عن الكسائي أنه أمال النون من ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في حال الخفض ولا يميل في الرفع والنصب، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا

(1) الكشاف. (2) المحرر الوجيز.

أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] والمعوذتين، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، فيبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ففعل ذلك ثلاثاً»، وقال قتادة رحمه الله: إن من الناس شياطين ومن الجن شياطين، فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن.

جنـح

(جنح - زلّ - زيغ - زلق)

- **الجُنَاحُ:** المؤاخذة على فعل خاطئ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البَقَرَة: 235].
- **الزَّلَلُ:** استرسال الرّجل خطأ من غير وعي ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البَقَرَة: 36].
- **الزَّيْغُ:** الميل عن الاستقامة بقصد ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: 5].
- **الزَّلَقُ:** استرسال الرّجل في التراب إذا صار وحلاً ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: 40].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

كلمة جنح هذه تشمل كل أنواع الميل وهي كلها صغائر تدلّ على أن الفعل المحرّم لم يُرتكب.

الميل: العدول عن الوسط لأحد الجانبين، والميل أنواع: ميل عن الحق وميل في الحكم ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: 129].

جنح: في الغالب هو بداية الميل وليس ميلاً كاملاً. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

بمعنى إن أبدوا استعداداً للميل، وهذه الآية تؤكد على قدسية السلام في

الدين فبمجرد أن يجنحوا للسلام فعلينا أن نميل مثلهم. السلام في الإسلام فرض ما دام العدو يريد أن يسالم وأعلن نيّته في ذلك ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البَقَرَة: 235] أي: ليس عليكم إثم ولو كان قليلاً.

زاغ: هو الميل من الصواب إلى الخطأ. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: 117].

الزيغ: هو النقص ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10] نقص في الصواب، وزاغ الميزان. بمعنى نقص.

جنف: خاص بالحكم عندما يكون قاضياً أو حاكماً ويميل ميلاً خفيفاً عن الحق وليس هو الحكم بالظلم ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البَقَرَة: 182].

والجنف ليس إثماً إنما هو ميل خفيف كأن يميل قلب الأب للذكور عن الإناث، أو الميل في خصومة.

حنف: ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67].

وحنفاء بمعنى لا يوجد لديهم أي ميل للشرك أو الخطأ وهو عكس الزيغ.

راغ: ميل لكن باحتيال وهو ميل خفيّ مموّه ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: 91]، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: 93]، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات: 26] من باب اللياقة إكرام الضيف أن يميل المضيف إلى أهله بطريقة خفيّة حتى يهيأ الطعام لضيفه. ومنها راوغ والمراوغة.

عَدَلَ: كل ما تفعل شيء تغيّر عنه. عدل شيء مقابل شيء وعدل: بمعنى مال مع اعترافه بأن ميله ليس صحيحاً ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60] يعدلون: بمعنى الإيمان مستو في قلوبهم لكن

لا يعلنونه لخوفهم. والعدل غير العدول يقال: عدل عدلاً وعدل عدولاً وهو الميل عن الشيء وهو يريد أن يفعله لو أُتيح له ذلك.

زلّ: ميل مرغم عليه ولا يقصده كما يقال في زلّة اللسان أو زلّة القدم. ويقال في الميل عن الصواب بشكل قاهر كاستعجال أو سوء فهم ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: 209]، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: 36].

لحد: هو الميل إلى كتمان الحق. والملحد هو الذي مال إلى كتمان التوحيد وهو يعلم أن الله واحد. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

ألحد: الميل إلى كتمان الحق وهو أخطر أنواع الميل.

وأضيف بمعنى مائل عن الحق.

نكب: تعني مال أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: 74].

كل هذه الكلمات تتحدث عن بدايات الميل. ومراتب الشعور تدرج من الإدراك إلى الوجدان إلى النزوع فالشروع ثم بداية الميل فالاستحواذ وهو الذي يعاقب الله تعالى عليه. كل فعل محرّم لا يُحاسب عليه الإنسان إلا عند النزوع فيه إلا العلاقة بالمرأة تبدأ المحاسبة عليها من ساعة الوجدان.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والنون والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المَيْلِ والعُدْوان. ويقال: جَنَحَ إلى كذا، أي: مالَ إليه. وسمِّي الجَناحانِ جَناحَيْنِ

(1) معجم مقاييس اللغة.

لميلهما في الشِّقَّين. والجُنَاح: الإثم، سمّي بذلك لمَيْلِه عن طريق الحقِّ. وهذا هو الأصل ثمَّ يشتقّ منه، فيقال للطائفة من الليل: جُنْحٌ وجِنَحٌ، كأنَّه شُبِّه بالجَناح، وهو طائفةٌ من جسم الطائر. والجَوَانِحُ: الأضلاع: لأنها مائلة. وجُنِح البعيرُ: إذا انكسرَتْ جَوانحهُ من حِمْلٍ ثقيل. وجَنَحَت الإبل في السيّر: أسرعت. فهذا من الجَنَاح، كأنَّها أعْمَلَت الأجنحة.

قال الجوهري[1]: جَنَحَ، أي: مالَ، يَجْنَحُ ويَجْنِحُ جُنوحاً. واجْتَنَحَ مِثْلُهُ. وأَجْنَحَهُ غَيرُه. وجُنوح الليل: إقْباله. والجَوانِحُ: الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصَدْر كالضُّلوع مما يلي الظهر، الواحدة جانِحةٌ. وجُنِحَ البعير: انكسرت جَوانِحُهُ من الحِمْل الثقيل. وجَنَاحُ الطائر: يدُه. والجمع أَجْنِحَةٌ. وجَنَحْتُهُ: أَصَبْتُ جَناحَهُ. والجُناح بالضم: الإثم. وجُنْح الليل وجِنْحُهُ: طائفةٌ منه. وجِنْحُ الطريق جانبه.

قال ابن منظور[2]: جَنَحَ إليه يَجْنَحُ ويَجْنُحُ جُنُوحاً، واجْتَنَحَ: مالَ، وأَجْنَحَه هو؛ وقول أَبي ذؤيب: فَمَرَّ بالطيرِ منه فاحِمٌ كَدِرٌ، فيه الظِّباءُ وفيه العُصْمُ أَجْناحُ؛ إنما هو جمع جانح كشاهد وأَشهاد، وأَراد مَوائِلَ. وفي الحديث: مَرِضَ رسول الله، ﷺ، فوجد خِفَّةً فاجْتَنحَ على أُسامة حتى دخل المسجد أَي: خرج مائلاً متكئاً عليه. ويقال: أَقمت الشيء فاستقام. واجْتَنَحْتُه أَي: أَمَلته فَجَنَحَ أَي: مال. وقال الله عز وجل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]؛ أَي إِن مالوا إِليك. فَمِلْ إِليها، والسِّلْمُ: المُصالحة، ولذلك أُنثت؛ وقول أَبي النجم يصف السحاب: وسَحَّ كلُّ مُدْجنٍ سَحَّاحِ، يَرْعُدُ في بَيضِ الذُّرَى جُنَّاحِ قال الأَصمعي: جُنَّاح: دانية من الأَرض.

وقال غيره: جُنَّاح: مائلة عن القصد. وجَنَحَ الرجلُ واجْتَنَحَ: مال على أَحد شقَّيه وانحنى في قَوْسِه. وجُنُوح الليل: إقباله. وجَنَحَ الظلامُ: أَقْبلَ الليلُ. وجَنَحَ

(1) الصحاح في اللغة. (2) اللسان.

الليلُ يَجْنَحُ جُنُوحاً: أَقبل. وجُنْحُ الليل وجِنْحُه: جانِبُه، وقيل: أَوَّله، وقيل: قطعة منه نحو النصف، وجُنْحُ الظلام وجِنْحُه لغتان، ويقال: كأَنه جِنْحُ ليل يُشَبَّه به العَسْكَرُ الجرّار؛ وفي الحديث: «**إِذا اسْتَجنح الليلُ فاكْفِتُوا صِبيانكم**»؛ المراد في الحديث أَوَّل الليل.

المعنى المشترك لكلمة (جنح)

أن الجناح في القرآن على وجهين: -

أحدهما: جَنَاحُ الطائر. ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38]، وفي فاطر: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: 1].

والثاني: الجانب. ومنه قوله تعالى في الحجر: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]، وفي بني إسرائيل: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، وفي الشعراء: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38].

قال الألوسي[1]: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ لزيادة التعميم أيضاً أي: ولا فرد من أفراد الطير يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه، وقيل: إنه لقطع مجاز السرعة فقد استعمل الطيران في ذلك كقوله:

قوم إذ الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

وكذا استعمل الطائر في العمل والنصيب مجازاً كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ

(1) روح المعاني.

إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13]. واحتمال التجوز مع ذلك بجعله ترشيحاً للمجاز بعيد لا يلتفت إليه بدون قرينة. واختار بعض المتأخرين أن وجه الوصف تصوير تلك الهيئة الغريبة الدالة على كمال القوة والقدرة. وأورد على الوجهين السابقين أنه لو قيل: ولا طائر في السماء لكان أخصر وفي إفادة ذينك الأمرين أظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة بين القرينتين بذكر جهة العلو في إحداهما وجهة السفل في الأخرى، ورد - كما قال الشهاب - بأنه لو قيل: في السماء يطير بجناحيه لم يشمل أكثر الطيور لعدم استقرارها في السماء، ثم إن قصد التصوير لا ينافي قطع المجاز إذ لا مانع من إرادتهما جميعاً كما لا يخفى. ثم لما كان المقصود من ذكر هذين الأمرين الدلالة على كمال قدرته جل وعلا ببيان ما يعرفونه ويشاهدونه من هذين الجنسين وشمول قدرته وعلمه سبحانه لهما كان غيرهما غير مقصود بالبيان، فالاعتراض بأن أمثال حيتان البحر خارجة عنهما، والجواب بأنها داخلة في القسم الأول لأن الأرض فيه بمعنى جهة السفل مما لا يلتفت إليه. وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٌ﴾ بالرفع عطف على محل الجار والمجرور كأنه قيل: وما دابة ولا طائر.

● **قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24].**

قال أبو السعود[1]: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ عبارةٌ عن إلانة الجانبِ والتواضعِ والتذلل لهما، فإن إعزازَهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل: واخفض لهما جناحَ الذليل أو جُعل لذله جَناحٌ كما جَعل لبيدٌ في قوله: [الكامل]

وغداةِ ريحٍ قد كشفْت وقَرّة ... إذ أصبحت بيد الشمالِ زمامُها

للقَرة زماماً وللشمال يداً تشبيهاً له بطائر يخفض جناحَه لأفراخه تربيةً لها وشفقةً عليها، وأما جعلُ خفض الجناحِ عبارةً عن ترك الطيران كما فعله القفالُ فلا يناسب المقام ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ من فرْط رحمتِك وعطفِك عليهما ورِقّتك

(1) إرشاد العقل السليم.

لافتقارهما اليوم إلى مَنْ كان أفقرَ خلق الله تعالى إليهما ولا تكتفِ برحمتك الفانية بل ادعُ الله لهما برحمته الواسعة الباقية.

قال الخازن[1]: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسرَاء: 24] أي: من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إليك، كما كنت في حال الصغر مفتقراً إليهما.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

قال القرطبي[2]: قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ إنما قال «لها» لأن السلم مؤنثة. ويجوز أن يكون التأنيث للفعلة. والجنوح الميل. يقول: إن مالوا - يعني الذين نبذ إليهم عهدهم - إلى المسالمة؛ أي: الصلح، فمِل إليها. وجنح الرجل إلى الآخر: مال إليه؛ ومنه قيل للأضلاع جَوَانح؛ لأنها مالت على الحِشْوة. وجنحت الإبل: إذا مالت أعناقها في السير. وقال ذو الرُّمّة:

إذا مات فوق الرَّحْل أحييتُ روحَه بذكراكِ والعِيسُ المراسيل جُنَّحُ

وقال النابغة:

جوانحُ قد أيقنّ أن قَبِيله إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ

يعني الطير. وجنح الليل: إذا أقبل وأمال أطنابه على الأرض. والسَّلم والسلام هو الصلح. وقرأ الأعمش وأبو بكر وابن مُحَيْصِن والمفضّل «لِلسِّلِم» بكسر السين. الباقون بالفتح. وقد تقدّم معنى ذلك في «البقرة» مستوفًى. وقد يكون السلام من التسليم. وقرأ الجمهور «فاجنح» بفتح النون، وهي لغة تميم. وقرأ الأشهب العقيلي «فاجنُح» بضم النون، وهي لغة قيس. قال ابن جنيّ: وهذه اللغة هي القياس.

---

(1) لباب التأويل. (2) الجامع لأحكام القرآن.

قال الماوردي[1]: قوله عز وجل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: **61**] فيه ثلاثة أوجه: أحدها: وإن مالوا إلى الموادعة فَمِلْ إليها. والثاني: وإن توقفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم. والثالث: وإن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن تخلف باطن اعتقادهم.

(1) النكت والعيون.

جند

(جند - حرس - جهد - غزو - حفظ)

- **الجُنْدِيُّ:** يقاتل العدو في سبيل الوطن بأمر الملك ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ [ص: 11].
- **الحَرَسُ:** يحمي الشيء من الاعتداء عليه من خارجه ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجنّ: 8].
- **الحِفْظُ:** حماية الشيء من داخله ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: 4].
- **الجِهَادُ:** يقاتل العدو في سبيل الله من كل مكان ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحَجّ: 78].
- **الغَزْوُ:** يقاتل العدو في بلاده ويغنم منه ﴿كَانُواْ غُزًّى﴾ [آل عِمرَان: 156].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والنون والدال يدلُّ على التجمّع والنُّصرة. يقال: هم جُنده، أي: أعوانه ونُصّاره. والأَجْنَادُ: أَجْنَادُ الشّام وهي خمسة: دمشق، وحِمْصُ، وقِنَّسْرِينُ، والأُردُنّ، وفِلَسطين. يقال لكلِّ واحدةٍ من هذه جُنْدٌ. وجَنَدٌ: بلدٌ. والجَنَد: الأرضُ الغليظة فيها حجارةٌ بِيض؛ فهذا محتمل أن يكون من الباب، ويجوز أن يكون من الإبدال، والأصل الجَلَد.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: كلّ صنف من الخلق يقال لهم: جُنْدٌ على حدة.

وجندٌ: موضع باليمن، والجَنَدُ حجارة شبه الطين.

قال الراغب[2]: يقال للعسكر الجُنْدُ، اعتباراً بالغلظة من الجَنَدِ، أي: الأرض الغليظة التي فيها حجارة.

قال الفيروز أبادي[3]: الجُنْدُ بالضمّ: العسكر، والأعوان، والمدينة، وصنفٌ من الخلق على حدة.

وفي التحريك: الأرض الغليظة، وحجارة تشبه الطين، وبلد باليمن.

وأَجْنَادِين: موضع. وجِنْدِ يسابور آخر.

المعنى المشترك لكلمة (جند)

أن الجنود في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الملائكة. ومنه قوله تعالى في المدثر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31]، أراد الملائكة على الإطلاق وقيل زبانية النار خاصة.

والثاني: الرسل والمؤمنون. ومنه قوله تعالى في الصافات: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173].

والثالث: الذرية، ومنه قوله تعالى في الشعراء: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: 95]، أراد ذريته وهم الشياطين.

والرابع: الجموع، ومنه قوله تعالى في النمل: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل: 37]، وفي القصص: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8]، وفي البروج: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: 17].

والخامس: الناصرون، ومنه قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: 75]، أراد: ناصراً وقيل: أمراً.

---

(1) العين.
(2) مفردات الراغب.
(3) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يسٓ: 28].

قال الطبري(1): واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم: عُنِي بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة، ولا بعث إليهم نبياً.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنوداً يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة.

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسُل، فيكون وجهاً، وإن كان أيضاً من المفهوم بظاهر الآية بعيداً، وذلك أن الرسُل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جنداً وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

قال الماوردي(2): قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يسٓ: 28] فيه قولان: أحدهما: معنى جند من السماء أي: رسالة، قاله مجاهد، لأن الله تعالى قطع عنهم الرسل حين قتلوا رسله.

الثاني: أن الجند: الملائكة الذين ينزلون الوحي على الأنبياء، قاله الحسن.

قال ابن عطية(3): قال ابن مسعود: أراد لم يحتج في تعذيبهم إلى جند من جنود الله تعالى كالحجارة والغرق والريح وغير ذلك بل كانت صيحة واحدة لأنهم كانوا أيسر وأهون من ذلك.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) المحرر الوجيز.

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يسٓ: 75].

قال ابن عطية[1]: يحتمل أن يكون الضمير الأول للكفار والثاني للأصنام على معنى وهؤلاء الكفار، متجندون متحزبون لهذه الأصنام في الدنيا لكنهم لا يستطيعون التناصر مع ذلك، ويحتمل أن يكون الضمير الأول للأصنام والثاني للكفار، أي: يحضرون لهم في الآخرة عند الحساب على معنى التوبيخ والنقمة، وسماهم جنداً في هذا التأويل إذ هم عدة للنقمة منهم وتوبيخهم، وجرت ضمائر الأصنام في هذه الآية مجرى من يعقل إذ نزلت في عبادتها منزل ذي عقل فعملت في العبارة بذلك.

قال الفخر الرازي[2]: إشارة إلى الحشر بعد تقرير التوحيد، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98] وقوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: 22-23] وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: 38] وهو يحتمل معنيين أحدهما: أن يكون العابدون جنداً لما اتخذوه آلهة كما ذكرنا الثاني: أن يكون الأصنام جنداً للعابدين، وعلى هذا ففيه معنى لطيف وهو أنه تعالى لما قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [يسٓ: 75] أكدها بأنهم لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونون جنداً لهم ومحضرون لنصرتهم فإن ذلك دال على عدم الاستطاعة، فإن من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يكن متأهباً ولم يجمع أنصاره.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40].

قال أبو السعود[3]: عطفٌ على نصره الله والجنودُ هم الملائكةُ النازلون يوم

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

بدرٍ والأحزابِ وحُنينٍ، وقيل: هم الملائكةُ أنزلهم الله ليحرِسوه في الغار ويأباه وصفُهم بعدم رؤيةِ المخاطَبين لهم.

قال الماوردي[1]: فيه وجهان: أحدهما: بالملائكة.

والثاني: بالثقة بوعده واليقين بنصره. وفي تأييده وجهان:

أحدهما: إخفاء أثره في الغار حين طلب.

والثاني: المنع من التعرض له حين هاجر.

قال الشعراوي[2]: ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التّوبَة: 40] والعنكبوت والحمام مرئيان، وأول الجنود غير المرئية هو أنه لم يخطر على بال القوم ولا فكرهم أن ينظروا في الغار، مع أن آثار الأقدام انتهت إليه. لكن الله طمس على قلوبهم وصرفهم عن هذه الفكرة بالذات، ولم تخطر على بالهم. ثم جاء حدث آخر حين استطاع سراقة بن مالك وهو من الكفار أن يلحق برسول الله ﷺ وأبي بكر، وهما في طريقهما إلى المدينة، وكلما حاول الاقتراب منهما ابتلعت الأرض قوائم فرسه في الرمال، وعلى أية حال ما دام الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التّوبَة: 40] وقال في آية أخرى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثِّر: 31]. إذن: فالجنود الذين سخرهم الله لرسوله ﷺ ليحفظوه خلال الهجرة لا يعلمهم إلا الله. وكل شيء في هذا الكون من جنود الله؛ فهو سبحانه وتعالى الذي سخر الكافر لخدمة الإيمان، ألم يكن دليل رسول الله ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة هو عبد الله بن أريقط، وكان ما زال على الكفر، فكأن الله سبحانه وتعالى يسخر له الكافر ليكون دليله في رحلته من مكة إلى المدينة. وهكذا عمل الكافر في خدمة الإيمان، وفي الوقت نفسه فكل ما رصدتْه قريش من جُعل لمن يدلُّها على مكان رسول الله ﷺ لم يُغْرِ الدليل الكافر بالخيانة، بل أدخل الله على قلب الكافر ما يجعله أميناً على رسول الله ﷺ.

---

(1) النكت والعيون.

(2) تفسير الشعراوي.

جنف

(جنف - ظلم - بغي - جور - حيف - طغيان - عدوان - هضم)

■ **الجَنَفُ:** الظلم في القسمة ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البَقَرَة: 182].

■ **الظُّلْمُ:** نقصان الحق ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [صٓ: 24].

■ **البَغْيُ:** صولة القوي على الضعيف بلا وجه حق ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: 9].

■ **الجُورُ:** الخروج عن حدود الاستقامة في الحكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: 9].

■ **الحَيْفُ:** الميل لصالح أحد المتخاصمين ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النُّور: 50].

■ **الطُّغْيَانُ:** مجاوزة الحد الأعلى في كل شيء ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

■ **العُدْوَانُ:** الاعتداء المستمر على حرمات الآخر ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البَقَرَة: 85].

■ **الهَضْمُ:** نقصان الثمن أو الأجر ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والنون والفاء أصلٌ واحد وهو المَيْل. يقال: جَنِفَ: إذا عَدَل وجار. قال الله تعالى جَلَّ ثناؤه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: 182]. ورجلٌ أجْنَفُ: إذا كان في خَلْقِهِ مَيَلٌ، ويقال لا يكون ذلك إلاّ في الطُّول والانحناء. ويقال: تجانَفَ عن كذا: إذا مال.

قال الجوهري[2]: الجَنَفُ: المَيْلُ، وقد جَنِفَ بالكسر يَجْنَفُ جَنَفاً. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾. أَجْنَفَ الرجلُ، أي: جاء بالجَنَفِ، كما يقال: أَلامَ، أي: أتى بما يُلامُ عليه؛ وأَخَسَّ أي: أتى بخَسيس. وتَجانَفَ لإِثمٍ، أي: مالَ. ورجلٌ أَجْنَفُ، أي: منحني الظهر.

قال الراغب[3]: أصل الجَنَف ميل في الحكم، فقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾، أي: ميلاً ظاهراً، وعلى هذا: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: 3]، أي: مائل إليه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البَقَرَة: 182].

قال الألوسي[4]: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ الجنف: مصدر جنف كفرح: مطلق الميل والجور، والمراد به الميل في الوصية من غير قصد بقرينة مقابلته بالإثم فإنه إنما يكون بالقصد، ومعنى خاف توقع وعلم ومنه قوله:

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) روح المعاني.

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وتحقيق ذلك أن الخوف حالة تعتري عند انقباض من شر متوقع فلتلك الملابسة استعمل في التوقع وهو قد يكون مظنون الوقوع وقد يكون معلومه فاستعمل فيهما بمرتبة ثانية ولأن الأول أكثر كان استعماله فيه أظهر، ثم أصله أن يستعمل في الظن والعلم بالمحذور، وقد يتسع في إطلاقه على المطلق وإنما حمل على المجاز هنا لأنه لا معنى للخوف من الميل والإثم بعد وقوع الإيصاء وقرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب (من موص) بالتشديد والباقون بالتخفيف.

قال ابن عاشور[1]: والجنف: الحيف والميل والجور وفعله كفرح. والإثم المعصية، فالمراد من الجنف هنا تفضيل من لا يستحق التفضيل على غيره من القرابة المساوي له أو الأحق، فيشمل ما كان من ذلك عن غير قصد ولكنه في الواقع حيف في الحق، والمراد بالإثم ما كان قصد الموصي به حرمان من يستحق أو تفضيل غيره عليه.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: 3].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وهذا من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى، يعني أنها وإن كانت محرمة إلا أنها تحل في حالة الاضطرار، ومن قوله ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ [المائدة: 3] إلى هنا اعتراض وقع في البين، والغرض منه تأكيد ما ذكر من معنى التحريم، فإن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام

(1) التحرير والتنوير.
(2) التفسير الكبير.

الذي هو الدين المرضي عند الله تعالى، ومعنى اضطر أصيب بالضر الذي لا يمكنه الامتناع معه من الميتة، والمخمصة: المجاعة. قال أهل اللغة: الخمص والمخمصة: خلو البطن من الطعام عند الجوع، وأصله من الخمص الذي هو ضمور البطن. يقال: رجل خميص وخمصان وامرأة خميصة وخمصانة والجمع خمائص وخمصانات، وقوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أي: غير متعمد، وأصله في اللغة من الجنف الذي هو الميل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ أي: ميلاً، فقوله غير: ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ أي: غير مائل وغير منحرف، ويجوز أن ينتصب (غير) بمحذوف مقدر على معنى فتناول غير متجانف، ويجوز أن ينصب بقوله: ﴿ٱضْطُرَّ﴾ ويكون المقدر متأخراً على معنى: فمن اضطر غير متجانف لإثم فتناول فإن الله غفور رحيم، ومعنى الإثم هنا في قول أهل العراق: أن يأكل فوق الشبع تلذذاً، وفي قول أهل الحجاز أن يكون عاصياً بسفره، وقد استقصينا الكلام في هذه المسألة في تفسير سورة البقرة في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: 173].

قال القرطبي[1]: قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أي: غير مائل لحرام، وهو بمعنى ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: 173] وقد تقدّم. والجَنَف الميل، والإثم الحرام؛ ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تَجَانَفْنَا فيه لإثم؛ أي: مَا مِلْنا ولا تعمّدنا ونحن نعلمه: وكل مائل فهو مُتَجَانِف وجنِف. وقرأ النَّخَعيّ ويحيى بن وَثَّاب والسُّلَمي «مُتَجَنِّف» دون ألف، وهو أبلغ في المعنى؛ لأن شدّ العين يقتضي مبالغة وتوغُّلاً في المعنى وثبوتاً لحُكْمه؛ وتفاعل إنما هو محاكاة الشيء والتَّقرّب منه؛ ألا ترى أنك إذا قلت: تمايل الغُصْن فإن ذلك يقتضي تأوُّداً ومقاربة مَيل، وإذا قلت: تمَيّل فقد ثبت حكم المَيْل، وكذلك تَصاون الرّجل وتَصوّن، وتعقَّل؛ فالمعنى غير متعمد لمعصية في مقصده؛ قاله قتادة والشافعي.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

جنى

(جنى - حصد - خضد - قطف)

شرح المعاني:

كل هذه المفردات جاءت في القرآن الكريم للتحصيل الزراعي. ولكل منها معنى يختلف عن الآخر.

جنى: تستعمل للفواكه الموسمية قال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: 54].

حصد: عندما يكون الزرع يابساً وتستعمل كلمة حصاد للخير وحصيد للشر ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: 15].

خضد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب قوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: 28].

قطف: كل ما حلو المذاق والمنظر يقال قطف العنب والعسل.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 23].

وكل هذه المصطلحات استعملت في القرآن في الجنة وما فيها من زرع وثمار.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والنون والياء أصلٌ واحد، وهو أَخْذُ الثَّمَرة من

(1) معجم مقاييس اللغة.

شجَرها، ثم يحمل على ذلك، تقول: جَنيتُ الثَّمرةَ أجْنِيها، واجْتَنَيْتُها. وثمرٌ جَنِيٌّ، أي: أُخِذَ لوَقْته. ومن المحمول عليه: جَنَيْتُ الجنايةَ أجْنِيها.

قال الخليل[1]: جَنَى فلان جِنَايَةً، أي: جرّ جريرةً على نفسه أو على قومه.

والجَنَى: الرطب والعسل، وكل تمرة تُجْنَى فهو جَنًى مقصور.

والاجْتِنَاءُ: أخذك إيّاه، وهو جَنًى مادام طرياً.

قال الجوهري[2]: جَنَيْتُ الثمرة أجْنيها جَنْياً واجْتَنَيْتُها بمعنىً. والجَنَى: ما يُجْتَنى من الشجر وغيره.

يقال: أتانا بِجَنَاةٍ طيّبةٍ، لكلِّ ما يُجْتَنى. وثمرٌ جَنِيٌّ، على فَعيلٍ: حين جُنِيَ. وجَنى عليه جِنايَةً. والتَجَنِّي: مثل التجرُّم، وهو أن يدّعيَ عليك ذنباً لم تفعلْه. وأَجْنَى الشجرُ، أي: أدرك ثَمَرُه. وأَجَنَتِ الأرض، أي: كَثُرَ جناها، وهو الكلأ والكَمْأة ونحو ذلك.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54].

قال الألوسي[3]: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ أي: ما يُجْنَى ويؤخذ من أشجارهما من الثمار، فجَنَى اسم أو صفة مشبهة بمعنى المجني.

قال الطنطاوي[4]: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: وما يُجْنَى ويؤخذ من الجنتين قريب التناول، داني القطاف.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) روح المعاني.
(4) الوسيط في تفسير القرآن.

قال الطبري[1]: وثمر الجنتين الذي يجتني قريب منهم، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لاجتناء ثمرها، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريَم: 25].

قال الماوردي[2]: (الجَنِيّ) ثلاثة أقاويل: أحدها: المترطب البسر، قاله مقاتل. الثاني: البلح لم يتغير، قاله أبو عمرو بن العلاء. الثالث: أنه الطري بغباره. وقيل لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء فجعله الله آية.

قال أبو السعود[3]: ﴿جَنِيّٗا﴾ صفةٌ له وهو ما قُطع قبل يَبْسه فعل بمعنى مفعول، أي: رطباً مجنياً أي: صالحاً للاجتناء، وقيل: بمعنى فاعل أي: طرياً طيباً، وقرىء جِنياً بكسر الجيم للاتباع.

قال الطبري[4]: ﴿جَنِيّٗا﴾ يعني مجنياً وإنما كان أصله مفعولاً فصرف إلى فعيل والمجني: المأخوذ طرياً، وكل ما أخذ من ثمرة، أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتني.

قال البغوي[5]: ﴿رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾، مجنياً. وقيل: الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه. قال الربيع بن خُيَثْم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.
(5) معالم التنزيل.

جهد

(جهد - شغل)

■ **الجُهْدُ:** ما جهد الإنسان من مرض، أو أمر شاق ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79].

■ **الشُّغُلُ:** العارض الذي يذهل الإنسان ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: 55].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والهاء والدال أصلُهُ المشقَّة، ثم يُحمَل عليه ما يقارِبُه. يقال: جَهَدْتُ نفسي وأجْهَدت، الجُهْد: الطَّاقَة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾.

ويقال: إنّ المَجْهُود: اللبن الذي أُخرِجَ زُبْده، ولا يكاد ذلك [يكونُ] إلاّ بمشقّةٍ ونَصَب. ومما يقارب البابَ الجَهَادُ، وهي الأرض الصُّلبة. وفلانٌ يَجْهَد الطّعامَ: إذا حَمَل عليه بالأكل الكثير الشديد. والجَاهِدُ: الشَّهْوان. ومَرْعىً جَهِيدٌ: جَهَدَهُ المالُ لِطِيبه فأكَلَه.

قال الخليل[2]: الجُهْدُ: ما جَهَدَ الإنسان من مرض، أو أمر شاق، فهو مَجْهُودٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والجُهْدُ: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو عن الجهد فيه، تقول: جَهِدْتُ جُهْدِي، وأجْهَدْتُ رأيي ونفسي حتى بلغت مَجْهُودي.

وجهدت فلاناً: بلغت مشقته، وجَاهَدْتُ العدو مُجَاهَدةً، وهو قتالك إياه.

قال الأزهري[1]: أجهد فيه الشيب إجهاداً: إذا بدا فيه وكثر.

قال الجوهري[2]: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقةُ. وقرئ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، يقال: جَهَدَ دابته وأَجْهَدَها: إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجَهَدَ الرجل في كذا، أي: جَدَّ فيه وبالغ. وجَهَدْتُ اللبنَ فهو مَجْهودٌ، أي: أخرجت زُبده كله. وجَهَدْتُ الطعامَ: اشتهيته. والجَاهِدُ: الشَهْوانُ. وجُهِدَ الطعامُ وأُجْهِدَ، أي اشْتُهِيَ. وجَهَدْتُ الطعامَ: إذا أكثرتَ من أكله.

ومرعَى جهيدٌ: جَهِدَهُ المال. وجُهِدَ الرجل فهو مَجْهودٌ، من المشقةِ، يقال: أصابهم قُحوطٌ من المطر فجُهِدوا جَهْداً شديداً. وجَهِدَ عيشهم بالكسر، أي: نَكِدَ واشتدَّ. والجَهادُ بالفتح: الأرضُ الصُلبةُ. وجاهَدَ في سبيل الله مجاهدةً وجِهَاداً. والاجْتِهَادُ والتَجَاهُدُ: بذل الوُسعِ والمجهودِ.

المعنى المشترك لكلمة (جهاد):

أن الجهاد في القرآن على ثلاثة أوجه: -

أحدها: الجهاد بالسلاح، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 95].

والثاني: الجهاد بالقول، ومنه قوله تعالى في الفرقان: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]، أراد بالقرآن. وفي براءة: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: 73]، [أي]: فجاهد المنافقين بالقول.

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

والثالث: الجهاد في الأعمال، ومنه قوله تعالى في العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المَائدة: 53].

قال النسفي[1]: أي: أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال أي: مجتهدين في توكيد أيمانهم.

قال ابن عطية[2]: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الإيمان.

قال أبو السعود[3]: وجَهدُ الأيْمان أغلظُها وهو في الأصل مصدر ونصبُه على الحال على تقدير: وأقسموا بالله يَجْهَدون جَهدَ أيمانهم، فحُذِفَ الفعلُ وأقيم المصدرُ مُقامَه، ولا يُبالى، بتعريفه لفظاً لأنه مؤوَّلٌ بنكرة أي: مجتهدين في أيْمانهم أو على المصدر أي: أقسموا إقسامَ اجتهادٍ في اليمين.

● **قال تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التّوبَة: 79].

قال الطبري[4]: وأما الجهد فإن للعرب فيه لغتين، يقال: أعطاني من جُهده

(1) مدارك التنزيل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.

بضم الجيم، وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز، ومن جَهْدٍ بفتح الجيم، وذلك لغة نجد. وعلى الضم قراءة الأمصار، وذلك هو الاختيار عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد. وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوُجد والوَجْد بالضم والفتح من «وجدت».

قال الماوردي[1]: قرىء بضم الجيم وفتحها وفيه وجهان:

أحدهما: أنهما يختلف لفظهما ويتفق معناهما، قاله البصريون.

والثاني: أن معناهما مختلف، فالجهد بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة، قاله بعض الكوفيين.

قال القرطبي[2]: والجُهْد: شيء قليل يعيش به المُقِلّ. والجُهْد والجَهْد بمعنىً واحد.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العَنكبوت: 6].

قال ابن عطية[3]: إعلام بأن كل واحد مجازى بفعله فهو إذاً له، وهو حظه الذي ينبغي أن لا يفرط فيه فإن الله غني عن جهاده و«غني عن العالمين» بأسرهم، وهاتان الآيتان نبذ على سؤال الطائفة المرتابة المترددة في فتنة الكفار التي كانت تنكر أن ينال الكفار المؤمنين بمكروه وترتاب من أجل ذلك، فكأنهم قيل لهم من كان يؤمن بالبعث فإن الأمر حق في نفسه، والله تعالى بالمرصاد، أي هذه بصيرة لا ينبغي لأحد أن يعتقدها لوجه أحد، وكذلك من جاهد فثمره جهاده له فلا يمن بذلك على أحد، وهذا كما يقول المناظر عند سوق حجته من أراد أن يرى الحق

(1) النكت والعيون.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) المحرر الوجيز.

فإن الأمر كذا وكذا ونحو هذا فتأمله، وقيل: معنى الآية ومن جاهد المؤمنين ودفع في صدر الدين فإنما جهاده لنفسه لا لله فالله غني.

قال البغوي[1]: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾، له ثوابه، و«الجهاد»: هو الصبر على الشدة، ويكون ذلك في الحرب، وقد يكون على مخالفة النفس.

قال الطبري[2]: ومن يجاهد عدوَّه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غنيّ عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: **218**].

قال الفخر الرازي[3]: وأما المجاهدة فأصلها من الجهد الذي هو المشقة، ويجوز أن يكون معنى المجاهدة أن يضم جهده إلى جهد آخر في نصرة دين الله، كما أن المساعدة عبارة عن ضم الرجل ساعده إلى ساعد آخر ليحصل التأييد والقوة، ويجوز أن يكون المراد من المجاهدة بذل الجهد في قتال العدو، وعند فعل العدو، ومثل ذلك فتصير مفاعلة.

قال الطبري[4]: وأما قوله: ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ فإنه يعني: وقاتلوا وحاربوا وأصل المجاهدة المفاعلة، من قول الرجل: قد جهد فلان فلاناً على كذا، إذا كربه وشقّ عليه يجهده جهداً. فإذا كان الفعل من اثنين كل واحد منهما يكابد من صاحبه شدة ومشقة، قيل: فلان يجاهد فلاناً، يعني أن كل واحد منهما يفعل بصاحبه ما يجهده ويشقّ عليه، فهو يجاهده مجاهدة وجهاداً.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.

قال ابن عاشور[1]: والمجاهدة مفاعلة مشتقة من الجَهْد وهو المشقة وهي القتال لما فيه من بذل الجهد كالمفاعلة للمبالغة، وقيل: لأنه يضم جُهده إلى جُهد آخر في نصر الدين مثل المساعدة وهي ضم الرجل ساعده إلى ساعد آخر للإعانة والقوة، فالمفاعلة بمعنى الضم والتكرير، وقيل: لأن المجاهِد يبذل جهده في قتال من يبذل جهده كذلك لقتاله فهي مفاعلة حقيقية.

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التّوبَة: **44**].

قال الشعراوي[2]: وهذه الآية - إذن - تحمل التوبيخ للذين استأذنوا، بل وتحمل أكثر من ذلك، فالمؤمن إذا دُعِيَ للجهاد مع رسول الله ﷺ وبأمر من الله لا يكون تفكيره كالشخص العادي؛ لأن الإنسان في الأمور العادية إذا طُلِبَ منه شيء أدار عقله وفكره؛ هل يفعله أو لا يفعله؟ ولكن المؤمن إذا دُعِي للجهاد في سبيل الله، ومع رسول الله، وبأمر من الله؛ لا يدور في عقله الجواب، ولا تأتي كلمة «لا» على خاطره أبداً، بل ينطلق في طريقه إلى الجهاد. وكيف يكون الأمر بالخروج إلى القتال صادراً من الله، ثم يتحجج هؤلاء بالاستئذان بعدم الخروج؟

إذن: فمجرد الاستئذان دليل على اهتزاز الإيمان في قلوبهم؛ لأن الواحد منهم في هذه الحالة قد أدار المسألة في عقله، يخرج للجهاد أو لا يخرج، ثم اتخذ قراراً بالتخلف. والغريب أن هؤلاء استأذنوا رسول الله ﷺ في عدم الخروج، مع أن أمر الجهاد صادر من الله سبحانه وتعالى، ولم تكن المسألة تحتاج إلى أن يأذن لهم الرسول بالتخلف. إلا أنهم كانوا يبحثون عن عذر يحتمون به.

والمثال من حياتنا اليومية أننا نجد أولاد البلد يسخرون من البخيل الذي لا يكرم ضيفه ويدَّعي أنه سيكرمه، فتجده ينادي ابنه ويقول له أمام الضيف: انزل إلى

(1) التحرير والتنوير. (2) تفسير الشعراوي.

السوق وابحث لنا عن خروف نذبحه للضيف ولا تتأخر فنحن منتظرون عودتك.. وما إن يقول الضيف أدباً منه: لا. تجد البخيل يصرف ابنه. ويتخذ من رفض الضيف حجة لعدم إكرامه، وكأنه يريد ذلك، ولكن الواقع يقول: إنه لا يريده من أول الأمر.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: 73].

قال ابن عطية[1]: قوله ﴿جَٰهِدِ﴾ مأخوذ من بلوغ الجهد وهي مقصود بها المكافحة والمخالفة، وتتنوع بحسب المجاهد فجهاد الكافر المعلن بالسيف، وجهاد المنافق المتستر باللسان والتعنيف والاكفهرار في وجهه، ونحو ذلك، ألا ترى أن من ألفاظ الشرع قوله ﷺ: «**والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله**»، فجهاد النفس إنما هو مصابرتها باتباع الحق وترك الشهوات، فهذا الذي يليق بمعنى هذه الآية لكنا نجلب قول المفسرين نصاً لتكون معرضة للنظر، قال الزجّاج: وهو متعلق في ذلك بألفاظ ابن مسعود: أمر في هذه الآية بجهاد الكفار والمنافقين بالسيف، وأبيح له فيها قتل المنافقين، قال ابن مسعود: إن قدر وإلا فباللسان وإلا فبالقلب والاكفهرار في الوجه.

والقتل لا يكون إلا مع التجليح ومن جلح خرج عن رتبة النفاق، وقال ابن عباس: المعنى «جاهد المنافقين» باللسان، وقال الحسن بن أبي الحسن: المعنى جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، قال: وأكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين.

ووجه ترك رسول الله ﷺ المنافقين بالمدينة أنهم لم يكونوا مجلحين بل كان كل مغموص عليه إذا وقف ادعى الإسلام، فكان في تركهم إبقاء وحياطة للإسلام

(1) المحرر الوجيز.

ومخافة أن تنفر العرب إذا سمعت أن محمداً ﷺ يقتل من يظهر الإسلام، وقد أوجبت هذا المعنى في صدر سورة البقرة.

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: يا أيها النبيّ جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين.

واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين، فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان، وبكل ما أطاق جهادهم به.

وقال آخرون: بل أمره بجهادهم باللسان.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود، من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين، بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 52].

قال الزمخشري(2): والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدلّ عليه: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ والمراد: أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدّك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام. ويجوز أن يرجع الضمير في (به) إلى ما دلّ عليه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: 51] من كونه نذير كافة القرى، لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته، فاجتمعت على رسول الله ﷺ تلك المجاهدات كلها، فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم، فقال له: ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾ بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ جامعاً لكل مجاهدة.

قال البيضاويّ(3): بالقرآن أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع، والمعنى

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.

أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف، أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم، أو لأنه جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى.

● قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المَائدة: 35].

قال ابن عطية(1): خص الجهاد بالذكر لوجهين، أحدهما نباهته في أعمال البر وأنه قاعدة الإسلام، وقد دخل بالمعنى في قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ولكن خصه تشريفاً، والوجه الآخر أنها العبادة التي تصلح لكل منهي عن المحاربة وهو معدلها من حاله وسنه وقوته وشره نفسه، فليس بينه وبين أن ينقلب إلى الجهاد إلا توفيق الله تعالى.

قال الفخر الرازي(2): واعلم أنه تعالى لما أمر بترك ما لا ينبغي بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وبفعل ما ينبغي، بقوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ وكل واحد منهما شاق ثقيل على النفس والشهوة، فإن النفس لا تدعو إلا إلى الدنيا واللذات المحسوسة، والعقل لا يدعو إلا إلى خدمة الله وطاعته والإعراض عن المحسوسات، وكان بين الحالتين تضاد وتناف، ولذلك فإن العلماء ضربوا المثل في مظان تطلب الدنيا والآخرة بالضرتين وبالضدين، وبالمشرق والمغرب، وبالليل والنهار، وإذا كان كذلك كان الانقياد لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ من أشق الأشياء على النفس وأشدها ثقلاً على الطبع، فلهذا السبب أردف ذلك التكليف بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التّوبَة: 41].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.

قال أبو السعود[1]: إيجابٌ للجهاد بهما إن أمكن وبأحدهما عند إمكانِه وإعوازِ الآخَر، حتى إن من ساعده النفسُ والمالُ يجاهدُ بهما ومن ساعده المالُ دون النفسِ يغزو مكانَه مَنْ حالُه على عكس حالِه. إلى هذا ذهب كثيرٌ من العلماء وقيل: هو إيجابٌ للقسم الأول فقط.

قال الماوردي[2]: أما الجهاد بالنفس فمن فروض الكفايات إلا عند هجوم العدو فيصير متعيناً.

وأما بالمال فبزاده وراحلته إذا قدر على الجهاد بنفسه، فإن عجز عنه بنفسه فقد ذهب قوم إلى أن بذل المال يلزم بدلاً عن نفسه. وقال جمهورهم: لا يجب لأن المال في الجهاد تبع النفس إلا سهم سبيل الله من الزكاة.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحَجّ: 78].

قال الزمخشري[3]: ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر. عن النبي ﷺ أنه رجع من بعض غزواته فقال: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**» ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في ذات الله ومن أجله. يقال: هو حق عالم، وجدّ عالم، أي: عالم حقاً وجداً. ومنه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾. فإن قلت: ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس: حق الجهاد فيه، أو حق جهادكم فيه، كما قال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾؟ قلت: الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله، صحت إضافته إليه. ويجوز أن يتسع في الظرف.

قال ابن عطية[4]: قالت فرقة: هذه آية أمر الله تعالى فيها بالجهاد في سبيله وهو قتال الكفار، وقالت فرقة: بل هي أعم من هذا وهو جهاد النفس وجهاد

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.
(4) المحرر الوجيز.

الكافرين وجهاد الظلمة وغير ذلك، أمر الله تعالى عباده بأن يفعلوا ذلك في ذات الله حق فعله، والعموم حسن وبين أن عرف اللفظة تقتضي القتال في سبيل الله.

● **قال تعالى**: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 95].

قال الطبري[1]: لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله، المؤثرون الدعة والخفض والقعود في منازلهم على مقاساة حزونة الأسفار والسير في الأرض ومشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله وقتالهم في طاعة الله، إلا أهل العذر منهم بذهاب أبصارهم، وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها للضرر الذي بهم إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله والمجاهدون في سبيل الله، ومنهاج دينه، لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغون طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم بأموالهم، إنفاقاً لها فيما أوهن كيد أعداء أهل الإيمان بالله وبأنفسهم، مباشرة بها قتالهم، بما تكون به كلمة الله العالية، وكلمة الذين كفروا السافلة.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان، فما فائدة نفي الاستواء؟ قلت: معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد، ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته، فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته، ونحوه ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: 9] أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم، ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ جملة

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل: ما لهم لا يستوون، فأجيب بذلك. والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بياناً للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف.

جهر

(جهر - جأر - أذن - صرخ - نادى - دعا - نَعق)

- **الجَهْرُ:** الإفراط في ظهور الشيء كحاسة البصر أو السمع ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البَقَرَة: 55]. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: 110].
- **الجَأْرُ:** الإفراط في منع الصوت بالتوجع أو التضرع ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النّحل: 53].
- **الأَذَانُ:** رفع الصوت بالدعاء إلى الصلاة ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحَجّ: 27].
- **الصُّرَاخُ:** الإفراط في رفع الصوت بالاستغاثة ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ [إبراهيم: 22].
- **النِّدَاءُ:** رفع الصوت بدعوة الآخر بحرف النداء وذكر الاسم ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: 11].
- **الدُّعَاءُ:** رفع الصوت بدعوة الآخر بدون حرف النداء ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى﴾ [آل عِمرَان: 38].
- **النَّعِيقُ:** رفع الصوت مجرداً من الكلام بدعوة الأعجم ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البَقَرَة: 171].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

جهر: أظهر الشيء بقوة وشدة وليس كرفع الصوت، وهي مأخوذة من الجهراء أو التربة الصلبة والمكان المرتفع الصخري. وكل صوت قوي وغليظ وشديد يسمى جهراً. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: 110]، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات: 2]، ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: 148]. والجهر تستعمل لحاسة السمع والبصر ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] أي: أمام العالم بدون حجاب، والجهر بالسوء من القول بمعنى أن يسمع كل الناس، ولذا لم تأتِ الآية بكلمة التكلم بالسوء وإنما استعملت كلمة الجهر لأن هذا لا يقدر عليه الإنسان، فقد يشتم الرجل زوجته لكن لا يسمعه أحد فالمكروه في الآية الذي يجهر بالسوء من القول أو الفعل بحيث يسمعه كثير من الناس. وفي الحديث الشريف: «**لعن الله المجاهرين**». والجهر هو أن تتعمد إعلان الفاحشة والرذيلة والجريمة والفجور في كل مجلس.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: 205] ففي عبادة الله الأحرى عدم الجهر والخشوع والخشية وفي حالة الدعوة إلى الله فالجهر أولى وهو مستحب لأنه من أفضل العبادات

أعلن: إعلان عن شيء كان سرّاً. ﴿إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: 9].

أظهر: إظهار ما كان مخفياً لا يعرفه إلا قلة من الناس ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: 33]. أظهره الله تعالى بعد أن كان متوارياً. والإظهار إعلان مع انتصار.

أفاض فيه: أن تتكلم بكلام أكثر مما ينبغي وتضيف أشياء غير صحيحة ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61] تكلموا كلاماً كثيراً غير الذي حصل مثل الفيضان.

أذّن وآذن: إعلان بالنداء: أيها القوم أو أيها الناس. ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: 27]، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: 70].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والهاء والراء أصلٌ واحد، وهو إعلان الشَّيء وكَشْفُه وعُلُوّه. يقال: جَهَرْتُ بالكلام: أعلنتُ به. ورجلٌ جَهِيرُ الصَّوت، أي: عالِيهِ. ومن هذا الباب: جَهَرت الشّيءَ: إذا كان في عظيماً ظيماً. وجَهَرْت الرّجُل كذلك. قال: فأمّا العَيْن الجَهراءُ، فهي التي لا تُبْصِر في الشمس. ويقال رأيْت جُهْرَ فلانٍ، أي: هَيْئَتَه. ويقال: جَهِيرٌ بَيِّنُ الجَهَارَةُ: إذا كان ذا منظرٍ. ويقال: جَهَرْنا بني فلانٍ، أي: صبَّحناهم على غِرَّة. وهو من الباب، أي: أتيناهم صباحاً؛ والصبّاح جَهْر. ويقال للجماعة الجَهْراءَ. ويقال إنّ الجَهْراءَ الرّابية العريضة.

قال الخليل(2): جَهَرَ بكلامه وصلاته وقراءته يَجْهَرُ جِهَاراً.

وجَاهَرْتَهُمْ بالأمر، أي: عالنتهم.

ورجل جَهِيرٌ، إذا كان في الجسم والمنظر مُجْتَهَراً.

وكلام جَهِيرٌ، وصوت جَهِيرٌ، أي: عال والفعل جَهَرَ جهارةً.

والجَهُورُ: الصوت العالي.

والجَوْهَرُ: كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به.

قال الجوهري(3): رأيته جَهْرَةً، وكلَّمته جَهْرَةً. وجَهَرْتُ البئر واجْتَهَرْتُها، أي: نقَّيتها وأخرجتُ ما فيها من الحَمْأة. وهي بئر مَجْهُورَةٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وَجَهَرْنا الأرض: سلكْناها من غير معرِفة. وجَهَرْنا بني فلانٍ، أي: صبَّحناهم على غرة.

وحكى الفرّاء: جَهَرْتُ السِقاءَ: مَخَضْته. ولبنٌ جَهِيرٌ: لم يُمذَقْ بماء. وجَهَرَ بالقول: رفَعَ به صوتَه، وجَهْوَرَ. وهو رجلٌ جَهْوَرِيُّ الصوت، وجَهِيرُ الصوت. .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرّعد: 10].

قال ابن عطية[1]: ومعنى هذه الآية: معتدل منكم في إحاطة الله تعالى وعلمه من أسر قوله فهمس به في نفسه، ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ فأسمع، لا يخفى على الله تعالى شيء.

قال الماوردي[2]: إسرار القول: ما حدّث به نفسه، والجهر ما حَدّث به غيره. والمراد بذلك أنه تعالى يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر.

قال الواحدي[3]: أعلنه وأظهره.

● قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110].

قال الماوردي[4]: فيه قولان: أحدهما: أنه عنى بالصلاة الدعاء، ومعنى

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) النكت والعيون.
(3) الوجيز.
(4) النكت والعيون.

ذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به، وهذا قول عائشة رضي الله عنها ومكحول.

قال إبراهيم: لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم.

الثاني: أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله ﷺ بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها وعن الإسرار بها في جميعها وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار.

الثالث: أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين.

الرابع: أنه نهي عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته، بمكة فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر، فأمره الله ألاّ يجهر بها كما كان، ولا يخافت بها كما صار، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله عكرمة.

الخامس: يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرائياً بها في العلانية، ولا تخافت بها تسيئها في السريرة، قال الحسن: تحسّن علانيتها وتسيء سريرتها.

وقيل: لا تصلّها رياءً ولا تتركها حياء. والأول أظهر.

قال أبو السعود(1): أي: بقراءة صلاتِك بحيث تُسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغوِ فيها ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي: بقراءتها بحيث لا تُسمع من

(1) إرشاد العقل السليم.

خلفك من المؤمنين ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي بين الجهرِ والمخافتة على الوجه المذكور ﴿سَبِيلًا﴾ أمراً وسَطاً قصْداً فإن خيرَ الأمور أوساطُها، والتعبيرُ عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمرٌ يتوجه إليه المتوجهون ويؤُمّه المقتدون ويوصلُهم إلى المطلوب، وروي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يخفِت ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول: أطرُد الشيطان وأوقظ الوسْنان، فلما نزلت أمرَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر أن يرفعَ قليلاً وعمرَ أن يخفِض قليلاً، وقيل: المعنى لا تجهَرْ بصلاتك: كلِّها ولا تخافت بها بأسرها وابتغِ بين ذلك سبيلاً بالمخافتة نهاراً والجهرِ ليلاً، وقيل: بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55].

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحُجرَات: 2].

قال الزمخشري[1]: إنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرّب من الهمس الذي يضادّ الجهر، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم، عاملين بقوله عز اسمه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفَتْح: 9] وقيل معنى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ لا تقولوا له: يا محمد، يا أحمد، وخاطبوه بالنبوّة. قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله، وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يكلم النبي ﷺ كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله ﷺ وفد: أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون

(1) الكشاف.

ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ، وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر: ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأنّ ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون، وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، وردّه إلى حدّ يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزيز والتوقير، ولم يتناول النهى أيضاً رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله ﷺ، وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدوّ أو ما أشبه ذلك، ففي الحديث، أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين: «**اصرخ بالناس**» وكان العباس أجهر الناس صوتاً.

قال القرطبي[1]: أي لا تخاطبوه: يا محمد، ويا أحمد. ولكن: يا نبيّ الله، ويا رسول الله؛ توقيراً له. وقيل: كان المنافقون يرفعون أصواتهم عند النبيّ ﷺ؛ ليقتدي بهم ضَعَفة المسلمين فَنُهِي المسلمون عن ذلك. وقيل:

﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ﴾ [الحجرات: 2] أي: لا تجهروا عليه، كما يقال: سقط لِفِيه؛ أي على فيه.

﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحُجرَات: 2] الكاف كاف التشبيه في محل النصب؛ أي: لا تجهروا له جهراً مثل جهر بعضكم لبعض. وفي هذا دليل (على) أنهم لم يُنهوا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة؛ وإنما نُهُوا عن جهر مخصوص مقيّد بصفة؛ أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبّهة النبوّة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وإن جلّت عن رتبتها.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قال ابن الجوزي[1]: الجهر: الإعلان بالشيء، ورجل جهير الصوت: إذا كان صوته عالياً. وفي هذا نص على أنه الذِّكر باللسان ويحتمل وجهين.

أحدهما: قراءة القرآن. والثاني: الدعاء. وكلاهما مندوب إلى إخفائه، إلا أن صلاة الجهر قد بُيِّن أدبها في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: 110].

قال الفخر الرازي[2]: والمراد منه أن يقع ذلك الذكر بحيث يكون متوسطاً بين الجهر والمخافتة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3] قال ابن عباس: وتفسير قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه، فإن المراد حصول الذكر اللساني، والذكر اللساني إذا كان بحيث يسمع نفسه، فإنه يتأثر الخيال من ذلك الذكر، وتأثر الخيال يوجب قوة في الذكر القلبي الروحاني، ولا يزال يتقوى كل واحد من هذه الأركان الثلاثة، وتنعكس أنوار هذه الأذكار من بعضها إلى بعض، وتصير هذه الانعكاسات سبباً لمزيد القوة والجلاء والانكشاف والترقي من حضيض ظلمات عالم الأجسام إلى أنوار مدبر النور والظلام.

● **قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البَقَرَة: 55].**

قال الزمخشري[3]: ﴿جَهْرَةً﴾ عياناً. وهي مصدر من قولك: جهر بالقراءة وبالدعاء، كأنَّ الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية، والذي يرى بالقلب مخافت بها، وانتصابها على المصدر، لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء

(1) زاد المسير.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

بفعل الجلوس، أو على الحال بمعنى ذوي جهرة. وقرىء «جهرة» بفتح الهاء، وهي إماّ مصدر كالغلبة. وإما جمع جاهر.

قال الشعراوي(1): ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ﴾.. فكلمة نرى تطلق ويراد بها العلم.. مثلاً: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: 43] . أي أعلمت.. ولكن جاءت كلمة جهرة لتنفي العلم فقط وتطالب بالرؤية مجهورة واضحة يدركونها بحواسهم. وهذا دليل على أنهم متمسكون بالمادية التي هي قوام حياتهم.. نقول لهؤلاء إن سؤالكم يتسم بالغباء.. فأنتم حين تطلبون أن تروا الله جهرة. والمفروض أن الله تبارك وتعالى له مدلول عندكم.. ولذلك تطلبون رؤيته لتقارنوا المدلول على الموجود.. ذلك لو كانت القضية أصلاً أن تعرفوا أن الله موجود أو غير موجود، والذي شجعهم على أن يقولوا ما قالوا.. طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله سبحانه وتعالى أن يراه.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [نُوح: 8].

قال الزمخشري(2): فإن قلت: ذكر أنه دعاهم ليلا ونهاراً، ثم دعاهم جهاراً، ثم دعاهم في السر والعلن؛ فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف. قلت: قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار؛ والجمع بين الأمرين، أغلظ من إفراد أحدهما. و﴿جِهَارًا﴾ منصوب بدعوتهم، نصب المصدر لأنّ الدعاء أحد نوعيه الجهار، فنصب به نصب القرفصاء بقعد، لكونها أحد أنواع القعود. أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم.

(1) تفسير الشعراوي.
(2) الكشاف.

ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا، بمعنى دعاء جهاراً، أي: مجاهراً به. أو مصدراً في موضع الحال، أي: مجاهراً.

قال الألوسي[1]: أي: دعوتهم مرة بعد مرة وكرة غب كرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وهو تعميم لوجوه الدعوة بعد تعميم الأوقات وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ يشعر بمسبوقية الجهر بالسر وهو الأليق بمن همه الإجابة لأنه أقرب إليها لما فيه من اللطف بالمدعو فثم لتفاوت الوجوه وإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد. وقال بعض الأجلة ليس في النظم الجليل ما يقتضي أن الدعوة الأولى كانت سراً فقط فكأنه أخذ ذلك من المقابلة ومن تقديم قوله: ﴿لَيْلًا﴾ وذكرهم بعنوان قومه وقوله: ﴿فِرَارًا﴾ فإن القرب ملائم له. وجوز كون (ثم) على معناها الحقيقي وهو التراخي الزماني لكنه باعتبار مبدأ كل من الإسرار والجهار ومنتهاه وباعتبار منتهى الجمع بينهما لئلا ينافي عموم الأوقات السابق ويحسن اعتبار ذلك وإن اعتبر عمومها عرفياً كما في «لا يضع العصا عن عاتقه». و﴿جِهَارًا﴾ منصوب بدعوتهم على المصدرية لأنه أحد نوعي الدعاء كما نصب القرفصاء في قعدت القرفصاء عليها لأنها أحد أنواع القعود، أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو صفة لمصدر محذوف أي: دعوتهم دعاء جهاراً أي: مجاهراً - بفتح الهاء - به، أو مصدر في موقع الحال أي: مجاهراً بزنة اسم الفاعل.

---

(1) روح المعاني.

جهز

(جهز - ميرة)

■ **الجهاز:** ما يعد من متاع وغيره والتجهيز حمل ذلك أو بعثه ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [يُوسُف: 59].

■ **الميرة:** ما يدخر من الطعام على مدى شهور من برّ وقمح وتمر ونحو ذلك.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والهاء والزاي أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يُعْتَقَدُ ويُحوَى، نحو الجَهَاز، وهو متاع البيت. وجهَّزتُ فلاناً: تكلفّتُ جِهازَ سفرِه. فأما قولهم للبعير إذا شَرَد: «ضرَبَ في جِهازه» فهو مثلٌ، أي: إنّه حَمل جِهازه ومرّ. قال أبو عبيدة: في أمثال العرب: «ضَرَب فلانٌ في جهازه» يضرب هذا في الهِجران والتَّباعُد.

قال الخليل(2): جَهَّزْت القوم تَجْهِيزاً: إذا تكلفت لهم جَهَازَهُم للسفر، وكذلك جهاز العروس والميت، وهو ما يحتاج إليه في وجهه.

وأَجْهَزْتُ على الجريح: أَثْبَتُ قتله.

وموت مُجْهِزٌ، أي وَحِيٌّ.

وَجهِيزَة: اسم امرأة، خليقةٍ في جسمها رعناء، يضرب بها المثل في الحمق.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الفيروزآبادي(1): جِهازُ المَيِّتِ والعَرُوسِ والمُسافِرِ، بالكسر والفتحِ: ما يَحْتَاجُونَ إليه، وقد جَهَّزَهُ تَجْهِيزاً فَتَجَهَّزَ ج: أَجْهِزَةٌ، أجْهِزاتٌ، وبالفتح: ما على الرَّاحِلَةِ، وحَياءُ المرأة. وجَهَزَ على الجَريحِ، كَمَنَعَ، وأَجْهَزَ: أثْبَتَ قَتْلَهُ، وأَسْرَعَهُ، وتَمَّمَ عليه. ومَوْتٌ مُجْهِزٌ وجَهيزٌ: سَريعٌ. وَفَرَسٌ جهِيزٌ: خَفيفٌ. وجَهيزَةُ: امرأةٌ رعْنَاء. واجْتَمَعَ قَومٌ يَخْطُبُونَ في الصُّلْحِ بينَ حَيَّيْنِ في دَمٍ كَيْ يَرْضَوْا بالدِّيَةِ، فبَيْنَمَا هُمْ كذلِكَ، قالَت جَهيزَةُ: ظَفِرَ بالقاتِلِ وَلِيٌّ لِلْمَقْتُولِ، فَقَتَلَهُ. فقالوا: «قَطَعَتْ جَهيزةُ قولَ كُلِّ خَطيبٍ». وعَلَمٌ للذِّئْبِ أو عِرْسِهِ، أو الضَّبُعِ، أو الدُّبَّةِ، أو جِرْوِهَا، وامرأةٌ حَمْقَاء أُمُّ شَبيبٍ الخارِجِيِّ، وكان أبوهُ اشْتَرَاهَا من السَّبْيِ، فواقَعَها، فَحَمَلَتْ، فَتَحَرَّكَ الوَلَدُ، فقالت: في بَطْنِي شيءٌ يَنْقُزُ. فقالوا: أحْمَقُ من جَهيزَةَ، أو المُرَادُ عِرْسُ الذِّئْبِ، لأنَّهَا تَدَعُ وَلَدَهَا، وتُرْضِعُ ولَدَ الضَّبُعِ. ويقالُ: إذا صِيدَتِ الضَّبُع، كَفَلَ الذِّئْبُ وَلَدَها، وأرضٌ جَهْزاءُ: مُرْتَفِعَةٌ.

وعَيْنٌ جَهْزَاء: خارجَةُ الحَدَقَةِ، وبالرَّاء أعْرَفُ. وتَجَهَّزْتُ للأمْرِ واجْهَازَزْتُ: تَهَيَّأْتُ له.

ومن أمثَالِهِمْ: «ضَرَبَ في جَهَازِهِ»، بالفتح، أي: نَفَرَ فلمْ يَعُدْ، وأصْلُهُ البعيرُ يَسْقُطُ عن ظَهْرِهِ القَتَبُ بأَدَاتِهِ، فَيَقَعُ بَيْنَ قَوائِمِهِ، فَيَنْفِرُ مِنْهُ حتى يَذْهَبَ في الأرضِ، وضَرَبَ: بمعنى سارَ، و«في» من صِلَةِ المعنى، أي: صارَ عاثِراً في جَهازِهِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [يُوسُف: 59].

(1) القاموس المحيط.

قال النيسابوري(1): ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [يُوسُف: 59] هو ما يحتاج إليه في كل باب ومنه جهاز العروس والميت. قال الليث: جهزت القوم تجهيزاً إذا تكلفت لهم جهازاً للسفر.

قال: وسمعت أهل البصرة يحكون الجهاز بالكسر. وقال الأزهري: القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة.

قال الزمخشري(2): أي: أصلحهم بعدّتهم وهي عدّة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة. وقرىء: «بجهازهم» بكسر الجيم.

قال الشعراوي(3): ولا بُدَّ أنه قد تكلم معهم عن أحوالهم، وتركهم يَحْكُونَ له عن أبيهم وأخيهم، وأنهم قد طلبوا المَيْرة؛ وأمر بتجهيزها لهم.

وكلمة «الجهاز» تُطلق هنا على ما تسبَّب في انتقالهم من موطنهم إلى لقاء يوسف طلباً للميرة.

قال الماوردي(4): وذلك أنه كال لهم الطعام.

قال الطبري(5): ولمّا حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام، فأوقر لكلّ رجل منهم بعير.

---

(1) غرائب التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) النكت والعيون.
(5) جامع البيان.

جهل

(جهل - خطأ - سفه - غوى)

■ **الجَهْلُ:** عدم معرفة الحقيقة ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البَقَرَة: 273].

■ **الخَطَأُ:** جهل الصواب ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء: 92].

■ **السَّفَهُ:** جهل بالمصلحة لنقصان الحكمة ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النِّساء: 5].

■ **الغِوَايَةُ:** جهل بالاعتقاد الصحيح حين فسد عيشته ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما: خِلاف العِلْم، والآخر: الخِفّة وخِلاف الطُّمَأْنينة. فالأوّل الجَهْل نقيض العِلْم. ويقال للمفازة التي لا عَلَمَ بها: مَجْهَلٌ. والثاني: قولهم للخشبة التي يحرك بها الجَمْرُ: مِجْهَل. اسْتَجْهَلَتِ الرِّيحُ الغُصْنَ: إذا حرّكَتْه فاضطَرَب. وهو من الباب، لأنّ معناه استخفّتْك واستفزّتْك. والمَجْهَلة الأمر الذي يحملك على الجَهْلِ.

قال الخليل[2]: الجَهْلُ: نقيض العِلْم، وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة، وجهِلَ

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

عليه. وتَجاهَلَ: أَظهر الجَهْل؛ والتَّجْهِيلُ: أَن تنسبه إِلى الجَهْل، وجَهِل فلان حَقَّ فلان وجَهِلَ فلان عَلَيَّ وجَهِل بهذا الأَمر. والجَهَالة: أَن تفعل فعلاً بغير العِلْم.

والجَاهِلِيَّةُ: الجَهْلَاءُ زمان الفترة قبل الإسلام.

قال الجوهري[1]: الجَهْلُ: خِلاف العلم. وقد جَهِلَ فلانٌ جَهْلاً وجَهالَةً. وتَجاهَلَ، أي: أرى من نفسه ذلك وليس به. واسْتَجْهَلَهُ: عدَّهُ جاهِلاً، واستخفّه أيضاً. والتَّجْهِيلُ: أن تنسبه إلى الجَهْلِ. والمَجْهَلَةُ: الأمر الذي يحملك على الجَهْلِ ومنه قولهم: الولد مَجْهَلَةٌ. والمَجْهَلُ: المفازةُ لا أعلامَ فيها. يقال: ركبتها على مَجْهولِها. وقولهم: كان ذلك في الجاهِلِيَّةِ الجَهْلاءِ، هو توكيد للأوّل يُشتَقُّ له من اسمه ما يُؤَكَّدُ به، كما يقال: وَتِدٌ واتِدٌ، وهَمَجٌ هامِجٌ، وليلةٌ لَيْلاءُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَّا كَانُوٓاْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعَام: 111].

قال الزمخشري[2]: فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات. أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطّرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة.

قال ابن عطية[3]: الضمير عائد إلى الكفار المتقدم ذكرهم، والمعنى يجهلون أن الآية تقتضي إيمانهم ولا بد، فيقتضي اللفظ أن الأقل لا يجهل فكان فيهم من يعتقد أن الآية لو جاءت «لم يؤمن إلا أن يشاء الله» له ذلك.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

قال الفخر الرازي[1]: قال أصحابنا: المراد، يجهلون بأن الكل من الله وبقضائه وقدره. وقال المعتزلة: المراد، أنهم جهلوا أنهم يبقون كفاراً عند ظهور الآيات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها وكان أكثرهم يظنون ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138].

قال الفخر الرازي[2]: وتقرير هذا الجهل ما ذكر أن العبادة غاية التعظيم، فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام، وهي بخلق الجسم والحياة والشهوة والقدرة والعقل، وخلق الأشياء المنتفع بها، والقادر على هذه الأشياء ليس إلا الله تعالى، فوجب أن لا تليق العبادة إلا به.

قال الزمخشري[3]: تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع.

قال الألوسي[4]: تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعدما شاهدوه من الآية الكبرى والبينة العظمى فوصفهم بالجهل على أتم وجه حيث لم يذكر له متعلقاً ومفعولاً لتنزيله منزلة اللازم أو لأن حذفه يدل على عمومه أي: تجهلون كل شيء فيدخل فيه الجهل بالربوبية بالطريق الأولى، وأكد ذلك بإن، وتوسيط ﴿قَوْمٌ﴾ وجعل ما هو المقصود بالإخبار وصفاً له ليكون كما قال العلامة كالمتحقق المعلوم وهذه كما ذكر الشهاب نكتة سرية في الخبر الموطىء لادعاء أن الخبر لظهور أمره وقيام الدليل عليه كأنه معلوم متحقق فيفيد تأكيده وتقريره ولولاه لم يكن لتوسيط الموصوف وجه من البلاغة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) روح المعاني.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يُوسُف: 89].

قال الزمخشري[1]: لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه، لأنّ علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً؛ إيثاراً لحق الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثأره الموتور، فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصاً عقولهم ما أرزنها وأرجحها. وقيل لم يرد نفي العلم عنهم، لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل، سماهم جاهلين. وقيل: معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة.

قال الماوردي[2]: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يُوسُف: 89] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهل الصغر.

الثاني: جهل المعاصي.

الثالث: الجهل بعواقب أفعالهم. فحينئذ عرفوه.

قال الفخر الرازي[3]: فهو يجري مجرى العذر كأنه قال: أنتم إنما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في جهالة الصبا أو في جهالة الغرور، يعني والآن لستم كذلك، ونظيره ما يقال في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6] قيل إنما ذكر تعالى هذا الوصف المعين ليكون ذلك جارياً مجرى الجواب وهو أن يقول العبد: يا رب غرني كرمك فكذا هٰهنا إنما ذكر ذلك الكلام إزالة للخجالة عنهم وتخفيفاً للأمر عليهم.

---

(1) الكشاف.

(2) النكت والعيون.

(3) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفُرقان: 63].

قال الطبري(1): الجاهلون بالله.

قال القشيري(2): الجاهلون بأحوالهم، والطاعنون فيهم، العائبون لهم.

قال الزمخشري(3): المراد بالجهل: السّفه وقلّة الأدب وسوء الرّعة.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزُّمَر: 64].

قال الفخر الرازي(4): إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإلٰه بكونه خالقاً للأشياء وبكونه مالكاً لمقاليد السمٰوات والأرض، وظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنها لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإلٰه الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه، فلهذا السبب قال: ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع.

قال الطبري(5): أيها الجاهلون بالله.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البَقَرَة: 67].

قال الفخر الرازي(6): ففيه وجوه. أحدها: أن الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يستعذ موسى عليه السلام من نفس الشيء الذي نسبوه إليه، لكنه استعاذ من السبب الموجب له

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.
(5) جامع البيان.
(6) التفسير الكبير.

كما قد يقول الرجل عند مثل ذلك: أعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى، والحاصل أنه أطلق اسم السبب على المسبب مجازاً هذا هو الوجه الأقوى. وثانيها: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين بما في الاستهزاء في أمر الدين من العقاب الشديد والوعيد العظيم، فإني متى علمت ذلك امتنع إقدامي على الاستهزاء. وثالثها: قال بعضهم: إن نفس الهزء قد يسمى جهلاً وجهالة، فقد روي عن بعض أهل اللغة: إن الجهل ضد الحلم كما قال بعضهم إنه ضد العلم.

قال ابن عطية[1]: يحتمل معنيين: أحدهما الاستعاذة من الجهل من أن يخبر الله تعالى مستهزئاً، والآخر من الجهل كما جهلوا في قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ لمن يخبرهم عن الله تعالى.

قال البغوي[2]: أي: من المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

قال النيسابوري[3]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الأحزاب: 72] لأنه خلق ضعيفاً وحمل قوياً ﴿جَهُولًا﴾ لأنه ظن أنه خلق للمطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب وهو محبوب الله. فبقوّة الظلومية والجهولية حمل الأمانة ثم بروحه المنوّر برشاش الله أدّى الأمانة فصارت الصفتان في حق حامل الأمانة ومؤدي حقها مدحاً، وفي حق الخائنين فيها ذمّاً.

قال الشعراوي[4]: وهذه صيغة فَعُول الدالة على المبالغة في الظلم والمبالغة في الجهل. وقد يُعقل الظلم للغير؛ لأن الظالم يظن أنه يستفيد منه، أمّا أنْ يظلم المرءُ نفسه بأنْ يمنعها خيراً، أو يجلب لها ضُرّاً، فهذا ما لا يُعقل ودليل الغباء.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) معالم التأويل.
(3) غرائب التأويل.
(4) تفسير الشعراوي.

فحين يتكاسل عن الطاعة لشهوة نفس موقوتة يمنعها خيراً باقياً، ومتعة لا حدودَ لها، فهو عدو لنفسه؛ لذلك قال العلماء: إن نفس الإنسان هي أعدى أعدائه؛ لأن العدو إنْ كان من خارجك تستطيع أنْ تراه، وأنْ تحتاط له، أمّا إنْ كان من داخلك فأمره شاقّ. وقد بيَّن الحق سبحانه أن أعظم الظلم الشرك بالله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 13] وهذا الظلم أيضاً لا يعود ضرره على الله تعالى، إنما يعود على المشرك بالله؛ لذلك وصف الإنسانَ بعد الظلم بأنه جهول؛ لأنه يظلم نفسه، وهذا يدل على الجهل وعدم العلم، والجهول هو الذي يقع في الخطأ ويعدل عن الحق عن جهل، فالوصف هنا يدل على الحكمة الأدائية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النِّساء: 17].

قال الطبري(1): وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويلها: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء، وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للإثم، أو جاهلين بما أعدّ الله لأهلها. وذلك أنه غير موجود في كلام العرب، تسمية العامد للشيء الجاهل به، إلا أن يكون معنياً به أنه جاهل بقدر منفعته ومضرّته، فيقال: هو به جاهل، على معنى جهله بمعنى: نفعه وضرّه؛ فأما إذا كان عالماً بقدر مبلغ نفعه وضرّه قاصداً إليه، فغير جائز من غير قصده إليه أن يقال هو به جاهل؛ لأن الجاهل بالشيء هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه، أو يعلمه فيشبه فاعله، إذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الأمر وهو به جاهل فيخطىء موضع الإصابة منه، فيقال: إنه لجاهل به، وإن كان به عالماً لإتيانه الأمر الذي لا يأتي مثله إلا أهل الجهل به. وكذلك معنى قوله:

(1) جامع البيان.

﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ قيل فيهم: يعملون السوء بجهالة وإن أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله، عامدين إتيانه، مع معرفتهم بأنه عليهم حرام، لأن فعلهم ذلك كان من الأفعال التي لا يأتي مثله إلا من جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، فقيل لمن أتاه وهو به عالم: أتاه بجهالة، بمعنى: أنه فعل فعل الجهال به، لا أنه كان جاهلاً.

وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه: أنهم جهلوا كنه ما فيه من العقاب، فلم يعلموه كعلم العالم، وإن علموه ذنباً، فلذلك قيل: ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾. ولو كان الأمر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه. وذلك أنه جلّ ثناؤه قال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: 17] دون غيرهم.

فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوءاً على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب؛ توبة، وذلك خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ من أن كل تائب عسى الله أن يتوب عليه، وقوله: «**بابُ التَّوبَةِ مَفْتُوحٌ ما لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها**»، وخلاف قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الفرقان: 70].

قال الشوكاني[1]: أي: يعملونها متضمن بالجهالة أو جاهلين، وقد حكى القرطبي عن قتادة - أنه قال: أجمع صحاب رسول الله ﷺ على أن كل معصية فهي بجهالة عمداً كانت أو جهلاً، وقال الزجاج: معناه بجهالة اختياركم اللذة الفانية على اللذة الباقية. وقيل معناه: أنهم لا يعلمون كنه العفوية. قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ معناه: قبل أن يحضرهم الموت كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء: 18] والمراد (قبل المعاينة للملائكة وعليه المرء على نفسه).

(1) فتح القدير.

● **قال تعالى**: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عِمرَان: 154].

قال الزمخشري[1]: يظنون بالله ظن الجاهلية. وغير الحق: تأكيد ليظنون، كقولك: هذا القول غير ما تقول، وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية، كقولك: حاتم الجود، ورجل صدق: يريد الظن المختص بالملة الجاهلية.

ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية، أي: لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله.

قال الماوردي[2]: يعني في التكذيب بوعده.

قال الطبري[3]: ظنّ الجاهلية من أهل الشرك بالله شكاً في أمر الله وتكذيباً لنبيه ﷺ.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المَائدة: 50].

قال الزمخشري[4]: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنّ قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى: وروي: أنّ رسول الله ﷺ قال لهم: «القتلى بواء» فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت: والثاني: أن يكون تعبيراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى: وعن الحسن: هو عامّ في كل من يبغي غير حكم الله: والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض، فقرأ هذه الآية: وقرىء: «تبغون»، بالتاء والياء: وقرأ السلمي: «أفحكمُ الجاهلية يبغون»، برفع

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

الحكم على الابتداء، وإيقاع يبغون خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في ﴿إِلَّا هُـزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41] وعن الصفة في: الناس رجلان: رجل أهنت، ورجل أكرمت. وعن الحال في (مررت بهند يضرب زيد).

وقرأ قتادة: ﴿أَفَحُكَمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ على أنّ هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران، أو نظيره من حكام الجاهلية، فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكماً كأولئك الحكام. اللام في قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المَائدة: 50] للبيان كاللام في (هيت لك) أي: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه.

قال ابن كثير[1]: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون به؛ من الضلالات والجهالات؛ مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

(1) تفسير ابن كثير.

جهنم

(جهنم - جحيم - سقر - حميم)

■ **جَهَنَّمُ:** اسم لجميع طبقات النار السبع لبعد قعرها ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: 43-44].

■ **الجَحِيمُ:** شدة تأجج النار ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التّكوير: 12].

■ **سَقَرُ:** شدة تذويبها عن ما فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: 27: 29].

■ **الحَمِيمُ:** نوع من العذاب بالماء الحار ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدّخان: 48].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الأزهري[1]: وقيل: جَهَنَّمُ اسم عربيّ، سميت نار الآخرة به لبعد قعرها. وإنما لم تُجر لثقل التّعريف مع التأنيث.

وروي عن رؤبة قال: رَكِيَّةٌ جِهِنَّامٌ: بعيدة القعر.

قال الجوهري[2]: جَهَنَّمُ: من أسماء النار التي يعذِّب بها الله عز وّجلّ عبادَه. ورَكِيَّةٌ جِهِنَّامٌ، بكسر الجيم والهاء، أي: بعيدةُ القعر.

(1) تهذيب اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

وهو مُلْحَق بالخماسي، بتشديد الحرف الثالث منه، ولا يُجْرَى للمعرفة والتأْنيث: ويقال: هو فارسي معرّب.

قال ابن دريد[1]: جِهِنّام، وقالوا: جُهُنام: لقب رجل وجِهنّام: ركيّ بعيدة القعر. وقال أبو حاتم: أحسبه منه اشتقاق جهنم.

قال الراغب[2]: جَهَنَّمُ: اسم لنار الله الموقدة، قيل: وأصلها فارسي معرب جِهِنَّامُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البَقَرَة: 206].

قال البيضاوي[3]: كفته جزاءً وعذاباً، و﴿جَهَنَّمُ﴾ علم لدار العقاب وهو في الأصل مرادف للنار. وقيل معرب.

قال الخازن[4]: وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة، وقيل: هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها.

● **قال تعالى:** ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعرَاف: 41].

قال الفخر الرازي[5]: قال المفسرون: المراد من هذه الآية الأخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب، فلهم منها غطاء ووطاء، وفراش ولحاف.

(1) الجمهرة.
(2) مفردات الراغب.
(3) أنوار التنزيل.
(4) لباب التأويل.
(5) التفسير الكبير.

قال ابن عاشور[1]: ﴿مِّن جَهَنَّمَ﴾، أي: ومن فوقهم نيران كالغواشي.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 49].

قال الألوسي[2]: وكان الظاهر لخزنتها بضمير النار لكن وضع الظاهر موضعه للتهويل، فإن جهنم أخص من النار بحسب الظاهر لإطلاقها على ما في الدنيا أو لأنها محل لأشد العذاب لشامل للنار وغيرها، وجوز أن يكون ذلك لبيان محل الكفرة في النار بأن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم: بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفرة وأطغاهم.

قال الزمخشري[3]: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ للقوّام بتعذيب أهلها. فإن قلت: هلا قيل: الذين في النار لخزنتها؟ قلت: لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعراً، من قولهم: بئر جهنام بعيدة القعر.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرَّحمٰن: 43].

قال الفخر الرازي[4]: والمشهور أن هٰهنا إضماراً تقديره يقال لهم: هذه جهنم، وقد تقدم مثله في مواضع. ويحتمل أن يقال: معناه هذه صفة جهنم فأقيم المضاف إليه مقام المضاف ويكون ما تقدم هو المشار إليه، والأقوى أن يقال: الكلام عند النواصي والأقدام قد تم، وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ لقربها كما يقال: هذا زيد قد وصل إذا قرب مكانه، فكأنه قال: جهنم التي يكذب بها المجرمون هذه قريبة غير بعيدة عنهم، ويلائمه قوله: ﴿يُكَذِّبُ﴾ لأن الكلام لو كان بإضمار يقال، لقال تعالى لهم: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون لأن في هذا الوقت لا يبقى مكذب، وعلى هذا التقدير يضمر فيه: كان يكذب.

(1) التحرير والتنوير.
(2) روح المعاني.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ قبله محذوف تقديره: يقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ وفي مصحف ابن مسعود: «هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان».

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جلّ ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم حين يؤخذ بالنواصي والأقدام: هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون، فترك ذكر «يقال» اكتفاء بدلالة الكلام عليه منه. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «هذه جهنم التي كنتما بها تكذّبان تصليانها، لا تموتان فيها ولا تحييان».

(1) المحرر الوجيز. (2) جامع البيان.

جوب

(جوب - وادي - مضيق - جرف - الأخدود - نفق)

■ **الجَوْبُ:** جَابَ: قطع الجوبة وهي المنخفض الصخري العميق الضيق ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: 9].

■ **الوَادِي:** المنخفض من الأرض الواسع يجري فيه الماء ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 225].

■ **المَضِيقُ:** الممر الضيق بين جبلين ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: 118]. فهم في ضيق المضيق.

■ **الجَرْفُ:** المكان الذي يأكله السيل.

■ **الأُخْدُودُ:** شق في الأرض مستطيل غامق ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البُرُوج: 4].

■ **النَّفَقُ:** النافذ تحت الأرض ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 35].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والواو والباء أصلٌ واحد، وهو خَرْقُ الشيء. يقال: جُبْتُ الأرضَ جَوْبًا، فأنا جائبٌ وجَوّابٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال: «هل عِندك جَائِبةُ خبر» أي: خبرٌ يجوب البلاد. والجَوْبَةُ كالغائط؛ وهو من الباب؛ لأنه كالخَرْق في الأرض. والجَوْبُ: دِرعٌ تلبسُه المرأة، وهو مَجُوبٌ سمِّي بالمَصدر. والمِجْوَبُ. حديدةٌ يُجابُ بها، أي: يُخْصَف. وأصلٌ آخر، وهو مراجَعة الكلام، يقال: كلمه فأجابَه جَوَاباً، وقد تجاوَبا مُجَاوَبَةً. والمَجَابَةُ: الجواب. ويقولون في مَثَلٍ: «أساءَ سَمْعاً فأساء جابةً».

قال الخليل[1]: الجوْبُ: قطّعك الشّيء كما يُجَابُ الجَبِيْبُ، يقال: جَيْبٌ مَجُوبٌ ومُجَوَّبٌ. وكل مجوفٌ وسطه فهو مُجَوَّبٌ.

والجَوْبُ: دِرع تلبسه المرأة. وجِبْتُ المفازة، أي: قطعتها.

والجَوَابُ: رديد الكلام. ويقال: الجَوَائِبُ الغرائبُ من الأخبار.

قال الجوهري[2]: الجواب معروف. يقال أَجَابَهُ وأَجَابَ عن سؤاله، والمصدر الإِجَابَةُ، والاسم الجَابَةُ بمنزلة الطاعة والطاقة. يقال: أساء سَمْعاً فأساء جَابَةً هكذا يُتَكَلَّمُ بهذا الحرف. والإِجَابَةُ والاسْتِجَابَةُ بمعنىً. يقال: اسْتَجَابَ الله دعاءه. والمُجَاوَبَةُ والتَّجَاوُبُ: التحاوُرُ. وتقول: إنه لحسَنُ الجِيبَةِ، بالكسر، أي: الجَوَاب.

ورجلٌ ناصح الجَيْبِ: أمينٌ. والجَيْبُ للقميص، تقولُ: جُبْتُ القميصَ أَجُوبُهُ وأَجِيبُهُ، إذا قَوَّرْتَ جَيْبَه. والمِجْوَبُ: حديدة يُجَابُ بها أي: يقطع. وجَابَ يَجُوبُ جَوْباً: إذا خرق وقطع. قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: 9]. وجُبْتُ البلاد أَجُوبُهَا وأَجِيبُهَا، واجْتَبْتُهَا: إذا قطعتَها. ويقال: هل جاءكم من جَائِبَةِ خبرٍ، أي: خَبَرٍ يَجُوبُ الأرض من بلد إلى بلد. وجَيَّبْتُ القميص تَجْيِيباً: إذا جعلتَ له جَيْباً.

واجْتَبْتُ القميصَ: إذا لبستَه. والجَوْبَةُ: الفُرْجَةُ في السَحاب وفي الجبال.

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

وانْجَابَتِ السحابة: انكشفت. والجَوْبَةُ موضع ينجاب في الحَرَّةِ، والجمع جُوَبٌ. والجَوْبُ: التُرْسُ. والجَوْبُ: كالبَقيرَةِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفَجر: 9].

قال الطبري[1]: يقول: وبثمود الذي خرقوا الصخر ودخلوه، فاتخذوه بيوتاً، كما قال جلّ ثناؤه.

﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحِجر: 82] والعرب تقول: جاب فلان الفلاة يجوبها جوباً: إذا دخلها وقطعها.

يعني بقوله: يجوب: يدخل ويقطع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفَجر: 9] يقول: فخرقوها. عن ابن عباس: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ يعني: ثمود قوم صالح، كانوا ينحِتون من الجبال بيوتاً.

قال الماوردي[2]: فيه وجهان: أحدهما: يعني قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً، كما قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 149].

الثاني: معناه طافوا لأخذ الصخر بالوادي.

قال النسفي[3]: قطعوا صخر الجبال، واتخذوا فيها بيوتاً.

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) مدارك التنزيل.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: 186].

قال الماوردي(1): وفيه تأويلان:

أحدهما: معناه أسمع دعوة الداعي إذا دعاني، فعبر عن السماع بالإجابة، لأن السماع مقدمة الإجابة.

والثاني: أنه أراد إجابة الداعي إلى ما سأل.

قال ابن عطية(2): أي: فإني قريب بالإجابة والقدرة، وقال قوم: المعنى أجيب إن شئت، وقال قوم: إن الله تعالى يجيب كل الدعاء: فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عنه، وإما أن يدخر له أجر في الآخرة.

قال الشعراوي(3): إن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعلمنا أن الإنسان يدعو بالخير لنفسه، وأنت لا تستطيع أن تحدد هذا الخير؛ لأنك قد تنظر إلى شيء على أنه الخير وهو شر، وما دمت تدعو فأنت تظن أن ذلك هو الخير، إذن فملحظية الأصل في الدعاء هي أنك تحب الخير، ولكنك قد تخطىء الطريق إلى فهم الخير أو الوسيلة إلى الخير، أنت تحب الخير لا جدال، لذلك تكون إجابة ربك إلى دعائك هي أن يمنع إجابة دعوتك إن كانت لا تصادف الخير بالنسبة لك، ولذلك يجب ألا تفهم أنك حين لا تجاب دعوتك كما رجوت وطلبت أن الله لم يستجب لك فتقول: لماذا لم يستجب الله لي؟. لا لقد استجاب لك، ولكنه نحَّى عنك حمق الدعوة أو ما تجهل بأنه شر لك. فالذي تدعوه هو حكيم؛ فيقول: «أنا سأعطيك الخير، والخير الذي أعلمه أنا فوق الخير الذي تعلمه أنت، ولذلك فمن الخير لك ألا تُجاب إلى هذه الدعوة».

---

(1) النكت والعيون.
(2) المحرر الوجيز.
(3) تفسير الشعراوي.

وأضرب هذا المثل - ولله المثل الأعلى -: قد يطلب منك ابنك الصغير أن تشتري له مسدساً، وهو يظن أن مسألة المسدس خير، لكنك تؤخر طلبه وتقول له: فيما بعد سأشتري لك المسدس إن شاء الله، وتماطل ولا تأتيه بالمسدس، فهل عدم مجيئك بالمسدس له على وفق ما رأى هو منع للخير عنه؟

إن منعك للمسدس عنه فائدة وصيانة وخير للابن.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عِمرَان: **195**].

قال الطبري[1]: يعني تعالى ذكره: فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم، بأني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً ذكراً كان العامل أو أنثى.

قال البيضاوي[2]: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى طلبتهم، وهو أخص من أجاب ويعدي بنفسه وباللام.

قال الشعراوي[3]: لقد كانوا يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض. ويخشون خزي الدخول إلى النار. ودعوا الله بغفران الذنوب وتكفير السيئات. ودعوا الله أن يأتيهم ويعطيهم ما وعدهم به على ألسنة الرسل.

لم يقل الحق سبحانه: استجبت لكم، لكنه جعل الاستجابة هي قبول العمل.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعَام: **36**].

قال الماوردي[4]: الاستجابة هي القبول، والفرق بينها وبين الجواب: أن الجواب قد يكون قبولاً وغير قبول.

---

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) النكت والعيون.

قال أبو السعود[1]: الاستجابة: الإجابة المقارنة للقبول.

قال الألوسي[2]: تقرير لما يفهمه الكلام السابق من أنهم لا يؤمنون. والاستجابة بمعنى الإجابة، وكثيراً ما أجري استفعل مجرى أفعل كاستخلص بمعنى أخلص واستوقد بمعنى أوقد إلى غير ذلك.

ويدل على ذلك أنه قال مجيب ولم يقل مستجيب، ومنهم من فرق بين استجاب وأجاب بأن استجاب يدل على قبول.

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

جود

(جود)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والواو والدال أصلٌ واحد، وهو التسمُّح بالشيء، وكثْرةُ العَطاء. يقال: رجلٌ جَوَادٌ بَيِّن الجُودِ، وقومٌ أجْوَادٌ. والجَوْدُ: المطر الغزير. والجَوَادُ: الفرسُ الذّريع والسّريع، والجمع: جِيَادٌ. قال الله تعالى: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ [ص: 31]. والمصدر الجُودَة. فأمّا قولهم: فلانٌ يُجَادُ إلى كذا، [ف] كَأنه يُساقُ إليه.

قال الخليل[2]: جَادَ الشّيء يَجُودُ جُودَةً فهو جيد، وجَادَ الفرس يَجُودُ جُودَةً، وجَادَ الجَوَادُ من الناس يَجُودُ جُوداً، وقوم أجود.

وجَوَّدَ في عدوه تَجْويداً، وعدا عدواً جَوَاداً. وهو يَجُودُ نفسه، معناه: يسوق نفسه.

قال الجوهري[3]: شيءٌ جَيِّدٌ على فَيْعَلٍ، والجمع جِيادٌ وجَيائِدُ بالهمزة على غير قياس. والجَودُ: المطر الغزير. تقول: جاد المطر جَوْداً فهو جائِدٌ، والجمع جَوْدٌ. وهاجتْ لنا سماءٌ جَوْدٌ، ومُطِرنا مَطْرَتَيْنِ جَوْدَينِ. وقد جيدَت الأرضُ، فهي مَجودَةٌ. وجادَ الرجُلُ بمالِه يجود جوداً بالضم، فهو جَوَادٌ. وقَوْمٌ جُودٌ، مثل قَذالٍ وقُذُلٍ، وأَجْواد وأَجاوِدَ وجُوَداء. وكذلك امرأة جَوَادٌ ونِسْوَةٌ جُودٌ. وتقول: سِرْنا

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

عُقْبَةً جَوَاداً، أي: بعيدة، وعُقْبَتَين جوادِيْنِ، وعُقَباً جِياداً. وجادَ الفرسُ، أي: صار رائعاً، يَجُودُ جُودَةً بالضم، فهو جَوادٌ للذكر والأنثى، من خَيْلٍ جِيادٍ وأَجْيادٍ وأَجاويدَ. وجادَ الشيءُ جَوْدَةً وجُودَةً، أي: صار جَيِّداً. وجادَ بِنَفْسِهِ عند الموت يَجُودُ جُؤُوداً. والجُوَادُ، بالضم: العطش. تقول منه: جِيدَ الرَّجُلِ يُجادُ فهو مَجُودٌ. والجَوْدَةُ: العَطْشة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44].

قال الماوردي[1]: ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: 44] فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه جبل بالموصل، قاله الضحاك.

الثاني: أنه جبل بالجزيرة، قاله مجاهد. قال قتادة. هو بباقردى من أرض الجزيرة.

الثالث: أن الجودي اسم لكل جبل، وهو قول زيد بن عمرو بن نفيل.

قال ابن عطية[2]: ﴿ٱلْجُودِيِّ﴾ هو بناحية آمد. وقال قوم: هو عند باقردى. وروي أن السفينة لما استقلت من عين وردة جرت حتى جاءت الكعبة فوجدتها قد نشزت من الأرض فلم ينلها غرق فطافت بها أسبوعاً ثم مضت إلى اليمن ورجعت إلى الجودي.

وقرأ جمهور الناس: «على الجوديِّ» بكسر الياء وشدها، وقرأ الأعمش وابن أبي عبلة «على الجودي» بسكون الياء، وهما لغتان.

---

(1) النكت والعيون. (2) المحرر الوجيز.

قال الفخر الرازي[1]: فالمعنى واستوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له الجودي، وكان ذلك الجبل جبلاً منخفضاً، فكان استواء السفينة عليه دليلاً على انقطاع مادة ذلك الماء وكان ذلك الاستواء يوم عاشوراء.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 31].

قال الماوردي[2]: ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ وجهان: أحدهما: أنها الطوال العناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لأن طول أعناق الخيل من صفات فراهتها.

الثاني: أنها السريع، قاله مجاهد واحدها جواد سمي بذلك لأنه يجود بالركض.

قال الزمخشري[3]: وقيل: وصفها بالصفون والجودة، ليجمع لها بين الوصفين المحمودين: واقفة وجارية، يعني: إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها.

قال الشعراوي[4]: ومعنى ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع: جَوَاد وهو القوي السريع، فلما عُرِضَتْ على سيدنا سليمان الصافناتُ الجيادُ من خَيْلِه وقواته، قال ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: 32] قالوا: الخير هنا يُرَاد به الخيل؛ لأن النبي ﷺ قال: «**الخيل مَعْقُود بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة**». وقال: «**خَيْر ما ربيت فرس تُمسك عَنَانه، حتى تسمع كل صيحة تطير إليها**».

---

(1) التفسير الكبير.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.
(4) تفسير الشعراوي.

جور

(جور)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: [الجيم والواو والراء] أصلٌ واحد، وهو المَيْل عن الطَّريق. يقال: جارَ جَوْراً. ومن الباب طَعَنَه فجَوَّره أي: صَرَعه. ويمكن أن يكون هذا من باب الإبدال، كأنَّ الجيم بدلُ الكاف. وأمَّا الغَيْث الجِوَرّ، وهو الغَزير، فشاذ عن الأصل الذي أصَّلناه. ويمكن أن يكون من باب آخَرَ، وهو من الجيم والهمزة والراء؛ فقد ذكر ابن السّكيت أنّهم يقولون هو جُؤَرٌ على وزن فُعَلٍ. فإن كان كذا فهو من الجُؤَار، وهو الصَّوت، كأنه يصوِّت إذا أصاب.

قال الخليل[2]: الجَوْرُ: نقيض العدل. وقوم جَارَةٌ وجَوَرَة، أي: ظلمة.

والجَوْرُ: ترك القصد في السير، والفعل منه جارَ يجُور.

والجَوَارُ: الأكّار الذّي يعمل لك في كرم أو بستان. والجَارُ: مجاورك في المسكن.

قال الجوهري[3]: الجَوْرُ: الميل عن القصد. يقال: جارَ عن الطريق، وجارَ عليه في الحكم. وجَوَّرَهُ تَجْويراً: نسبَه إلى الجَور. والجارُ الذي يُجاوِرُكَ. تقول: جاوَرْتُهُ مُجاوَرَةً وجِواراً وجَواراً، والكسر أفصح. وتَجاوَرَ القومُ واجْتَوَروا بمعنىً. والمُجاوَرَةُ: الاعتكاف في المسجد.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وفي الحديث: «**كان يُجاوِرُ في العَشْر الأواخر**». وامرأة الرجل: جارَتُهُ. والجارُ: الذي أَجَرْتَهُ من أن يظلمَه ظالم. واسْتَجارَهُ الله من العذاب: أنقَذَه. وغيث جِوَرٌّ، أي شديدُ صوتِ الرعد. وبازِلٌ جِوَرٌّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 9].

قال الطبري[1]: وقوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ يعني تعالى ذكره: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوّج، فالقاصد من السبل: الإسلام، والجائر منها: اليهودية والنصرانية وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها، سوى الحنيفية المسلمة. وقيل: ومنها جائر، لأن السبيل يؤنث ويذكر، فأنثت في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: وإنما قيل: «ومنها» لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع.

قال الماوردي[2]: يحتمل وجهين: أحدهما: وعلى الله قصد الحق في الحكم بين عباده ومنهم جائر عن الحق في حكمه.

الثاني: وعلى الله أن يهدي إلى قصد الحق في بيان السبيل، ومنهم جائر عن سبيل الحق، أي: عادل عنه لا يهتدي إليه. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الأهواء المختلفة، قاله ابن عباس. الثاني: ملل الكفر.

قال الزمخشري[3]: إن قلت: لم غير أسلوب الكلام في قوله ﴿وَمِنْهَا

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.

جَآئِرٌ﴾؟ قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل: وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر. وقرأ عبد الله: «ومنكم جائر» يعني: ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره، والله بريء منه ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قسراً وإلجاء.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ﴾ [الأنفال: 48].

قال الطبري[1]: فتأويل الكلام: وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم، وحسّن ذلك لهم، وحثهم عليكم وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من بني آدم، فاطمئنوا وأبشروا، وإني جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم، ولا تخافوهم، واجعلوا جدّكم وبأسكم على محمد وأصحابه.

قال الفخر الرازي[2]: (إِنّى جَارٌ لَّكُمْ) والمعنى: إني إذا كنت وقومي ظهيراً لكم فلا يغلبكم أحد من الناس ومعنى الجار هٰهنا: الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره، والعرب تقول: أنا جار لك من فلان أي: حافظ من مضرته فلا يصل إليك مكروه منه.

قال البيضاويّ[3]: مقالة نفسانية والمعنى: أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعدتهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا: اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين، ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك: لا ضارباً زيداً عندنا.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) أنوار التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ [النِّساء: 36].

قال ابن عطية[1]: واختلف في معنى ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وفي معنى ﴿ٱلۡجُنُبِ﴾، فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم: الجار ذو القربى هو الجارالقريب النسب، و﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ هو الجار الأجنبي الذي لا قرابة بينك وبينه، وقال نوف الشامي: الجار ذو القربى هو الجار المسلم، و﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ هو الجار اليهودي أو النصراني، فهي عنده قرابة الإسلام وأجنبية الكفر، وقالت فرقة: الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك، والجار الجنب هو البعيد المسكن منك، وكأن هذا القول منتزع من الحديث، «قالت عائشة: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: **إلى أقربهما منك باباً**»، واختلف الناس في حد الجيرة، فقال الأوزاعي: أربعون داراً من كل ناحية جيرة، وقالت فرقة: من سمع إقامة الصلاة فهو جار ذلك المسجد، وبقدر ذلك في الدور وقالت فرقة: من ساكن رجلاً في محلة أو مدينة فهو جاره، والمجاورة مراتب بعضها ألصق من بعض، أدناها الزوج.

وحكى الطبري عن ميمون بن مهران: أن الجار ذا القربى أريد به جار القريب، وهذا خطأ في اللسان، لأنه جمع على تأويله بين الألف واللام والإضافة، وكأن وجه الكلام وجار ذي القربى، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة ﴿وَٱلۡجَارَ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بنصب الجار، وحكى مكي عن ابن وهب أنه قال عن بعض الصحابة في ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾: إنها زوجة الرجل وروى المفضل عن عاصم أنه قرأ «والجار الجَنْبِ» بفتح الجيم وسكون النون، و﴿ٱلۡجُنُبِ﴾ في هذه الآية معناه.

(1) المحرر الوجيز.

قال القرطبي[1]: واختلف الناس في حدّ الجِيرة؛ فكان الأُوزاعيّ يقول: أربعون داراً من كل ناحية؛ وقاله ابن شهاب. ورُوي «أن رَجلاً جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: إني نزلت مَحلّة قوم وإن أقربهم إليّ جُوَاراً أشدّهم لي أذًى؛ فبعث النبيّ ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا يصيحون على أبواب المساجد: **ألاَ إنّ أربعين داراً جارٌ ولا يدخل الجنة من لا يأمن جارهُ بوائقه**».

وقال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجه: مَن سَمِع النّداء فهو جارٌ. وقالت فرقة: من سمع إقامة الصلاة فهو جَارُ ذلك المسجد. وقالت فرقة: من ساكن رجلاً في مَحَلّةٍ أو مدينة فهو جارٌ. قال الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأحزاب: 60] إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60].

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 88].

قال الماوردي[2]: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع ولا يُمنع منه، فاحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: في الدنيا ممن أراد هلاكه لم يمنعه منه مانع، ومن أراد نصره لم يدفعه من نصره دافع. الثاني: في الآخرة لا يمنعه من مستحقي الثواب مانع ولا يدفعه من مستوجب العذاب دافع.

قال البغوي[3]: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾، أي: يُؤَمِّنُ مَنْ يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾، أي: لا يُؤَمِّنْ مَنْ أخافَه الله، أو يَمنعُ هو من السوء من يشاء، ولا يُمنعُ منه من أراده بسوء.

قال الفخر الرازي[4]: يقال: أجرت فلاناً على فلان: إذا أغثته منه ومنعته. يعني: وهو يغيث من يشاء ممن يشاء، ولا يغيث أحد منه أحداً.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) معالم التنزيل.
(4) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجنّ: 22].

قال الطبري[1]: من خلقه أحدٌ إن أراد بي أمراً ولا ينصرني منه ناصر.

قال البغوي[2]: لن يمنعني منه أحد إن عصيته.

قال القرطبي[3]: أي: لا يدفع عذابه عني أحد إن استحفظته؛ وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك. وروى أبو الْجَوْزاء «عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبيّ ﷺ ليلة الجنّ حتى أتى الحَجُون فخطّ عليّ خطّاً، ثم تقدّم إليهم فازدحموا عليه، فقال سيّدهم يقال له وَرْدان: أنا أَزْجُلهم عنك؛ فقال: ﴿إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾» ذكره الماورديّ. قال: ويحتمل معنيين أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني مما قدره الله تعالى عليّ أحد.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأحقاف: 31].

قال ابن عطية[4]: معناه يمنعكم ويجعل دونكم جوار حفظه حتى لا ينالكم عذاب.

قال الطبري[5]: يقول: وينقذكم من عذاب موجع إذا أنتم تبتم من ذنوبكم، وأنبتم من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: 6].

قال الزمخشري[6]: والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) المحرر الوجيز.
(5) جامع البيان.
(6) الكشاف.

الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق، فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن، وتبين ما بعثت له فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

قال أبو السعود[1]: بعد انقضاءِ الأجل المضروبِ أي: سألك أن تُؤَمِّنه وتكونَ له جاراً ﴿فَأَجِرۡهُ﴾ أي: أمِّنه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ويتدبرَه ويطّلع على حقيقة ما يدعو إليه. والاقتصارُ على ذكر السماعِ لعدم الحاجةِ إلى شيء آخرَ في الفهم لكونهم من أهل اللسَانِ والفصاحةِ، و(حتى) سواءٌ كانت للغاية أو للتعليل متعلقةٌ بما بعدها لا بقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَجَارَكَ﴾ لأنه يؤدّي إلى إعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورةِ الشعر.

كذا قيل إلا أن تعلّق الإجارةِ بسماع كلامِ الله تعالى بأحد الوجهين يستلزمُ تعلقَ الاستجارةِ أيضاً بذلك أو بما في معناه من أمور الدينِ، وما رُوي عن عليَ رضي الله عنه أنه أتاه رجلٌ من المشركين فقال: إن أراد الرجلُ منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجلِ لسماع كلامِ الله تعالى أو لحاجة قتل؟ قال: لا لأن الله تعالى يقول: ﴿أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ﴾ الخ فالمرادُ بما فيه من الحاجة هي الحاجةُ المتعلقةُ بالدين لا ما يعمها وغيرَها من الحاجات الدنيوية كما ينبىء عنه قوله: أن يأتي محمداً، فإن من يأتيه عليه السلام إنما يأتيه للأمور المتعلقةِ بالدين.

● **قال تعالى**: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

قال الطبري[2]: وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قطعة سَبِخة لا تنبت شيئاً في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.

(1) إرشاد العقل السليم. (2) جامع البيان.

يعني: الأرض السَّبِخة، والأرض العَذِبة، يكونان جميعاً متجاورات، نفضل بعضها على بعض في الأُكل. قال: قال ابن عباس: ﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرّعد: 4] العَذِبة والسَّبِخة متجاورات جميعاً، تنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت.

قال القرطبي[1]: ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ أي: قُرًى متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثّمار والتَّمر؛ فيكون البعض حُلْواً، والبعض حامضاً؛ والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثّمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد؛ وفي هذا أدلّ دليل على وحدانيته وعِظم صمدِيته، والإرشاد لمن ضلّ عن معرفته؛ فإنه نَبَّهَ سبحانه بقوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته؛ وهذا أدلّ دليل على بطلان القول بالطبع؛ إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف. وقيل: وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البِقاع؛ فمِن تربة عذبة، ومن تربة سبِخة مع تجاورهما؛ وهذا أيضاً من دلالات كمال قدرته؛ جلّ وعزّ تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون عُلُوّاً كبيراً.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

جوز

(جوز - عبر - قطع - جاس)

- **الجَوَازُ:** تعدي المكان بعد دخوله حتى صار خلفه ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الأعراف: 138].
- **العُبُورُ:** تجاوز الماء خاصة بسباحة أو سفينة ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ [النِّساء: 43] أي: مروراً بنهر ونحوه.
- **القَطْعُ:** قطع السبيل غصب المسافرين أموالهم ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العَنكبوت: 29].
- **الجَوْسُ:** التمكن من دخول ديار عنوة والتردد عليها ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسرَاء: 5].

* * *

شرح المعاني:

جاوز: المرور طولياً (الوسطية تخلّف الطريق وراءك) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16]، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟

﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، نسبها الله تعالى لنفسه لأن موسى عليه السلام كان قد قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: 62] وهذه آية من آيات الله في كونه فهم سبحانه يعامل العباد بما يفعلوه الآن بغض النظر عمّا فعلوه سابقاً أو ما سيفعلونه لاحقاً وهذا من رحمته بهم سبحانه. ولذا جاءت الآية وجاوزنا ببني إسرائيل البحر مع علمه أنهم سيرتدون كافرين من بعد أن ينجيهم الله من الغرق ومن فرعون وقومه، ولذا لم يعاتبهم الله بعد هذا في السورة. أما في الآية الأخرى ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [البقرة: 54] عاتبهم الله تعالى لما نهاهم موسى عن اتخاذهم العجل كان مرجعيتهم العليا الشرعية فأطاعوه عندما أنّبهم على طلبهم بأن يجعل لهم إلٰهاً كما لهم آلهة. أما في المرة الثانية فقد كان موسى في ميقاته مع ربه فلم يكن لبني إسرائيل مرجعية شرعية ولهذا اتخذوا عجلاً جسداً له خوار.

عبر: هو المرور أفقياً أو عرضياً كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ [النساء: 43] أي: مثلاً يكون الماء خلف المسجد والشخص عابر السبيل لا يمر إلا عبر المسجد فيسمح له بالمرور ليصل إلى الماء) وفي هذه الآية قوله: تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ﴾ تعني أن المنهي عنه مقدس. فالشدة هنا نجاسة الخمورة. وكذلك قوله لا تقربوا مال اليتيم ولا تقربوا الزنى أي: لا تقربوا حتى مقدمات الفعل لا الفعل فقط.

قطع: تعني الوقت المستغرق لعبور الطريق. يقال: قطعت الطريق في بضع ساعات أو عصراً. ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29] قطع السبيل هنا يؤدي إلى انقطاع الناس عن السير والسفر من حيث الزمن والكيف. وقطع الطريق يستغرق وقتاً مجهولاً وفي الغالب يكون ليلاً.

سبق: استباق وتعني السرعة لاكتساب الفضل كل يريد أن يصل أولاً. وكل

من سبق الآخر يُمدح ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: 10]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: 61]، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يسٓ: 40] سارع: السباق من المسارعة والسباق من أشد أنواع السرعة. فالمسارعة هي السبق من حيث السرعة. ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: 133]، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء: 90].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والواو والزاي أصلان: أحدهما قطع الشيء، والآخَر وَسَط الشيء. فأمَّا الوَسَط فجَوْز كلِّ شيءٍ وَسَطه. والجَوْزَاء: الشَّاة يبيضُّ وَسَطُها.

والجَوْزَاءُ: نجمٌ؛ قال قوم: سُمِّيت بها لأنها تَعترِض جَوْزَ السماء، أي: وَسَطها.

وقال قوم: سُمِّيت بذلك للكواكب الثلاثة التي في وَسَطها. والأصل الآخَر جُزْتُ الموضع: سِرْتُ فيه، وأَجَزْتُه: خَلَّفْتُه وقطعته.

قال الخليل(2): جَوْزُ كل شيء: وسطه، والجميع: أَجْوَازٌ.

والجَوْزَةُ: السقية. والمستجير: المستسقي.

والجَوْزُ: الذي يؤكل.

والمَجَازُ: المصدر، والموضع، والمَجَازَةُ أيضاً. وجَاوَزْتُه جَوَازاً، وفي معنى جُزْتُه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والجَوَازُ: صك المسافر.

وجَائِزُ البيت: الخشبة التي توضع عليها أطراب الخشب.

والتَّجَاوُزُ: ألاّ تأخذ بالذّنب، أي: تتركه.

والتَجَوُّزُ: خِفة في الصلاة والعمل وسرعة.

قال الجوهري[1]: جُزْتُ الموضع أجوزُهُ جَوَازاً: سلكته وسرت فيه. وأَجَزْتُهُ: خَلَّفْتُهُ وقطعتُهُ. والاجْتِيَازُ: السلوكُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138].

قال أبو حيان[2]: قطعنا بهم البحر يقال: جاوز الوادي: إذا قطعه، والباء للتعدية يقال: جاوز الوادي إذا قطعه، وجاوز بغيره البحر: عبر به فكأنه قال: وجزنا ببني إسرائيل أي: أجزناهم البحر. وفاعل بمعنى فعل المجرد يقال: جاوز وجاز بمعنى واحد، وقرأ الحسن وإبراهيم وأبو رجاء ويعقوب وجوزنا وهو مما جاء فيه فعل بمعنى فعل المجرد نحو قدّر وقدر وليس التضعيف للتعدية.

قال ابن عطية[3]: وقرأ جمهور الناس «وجاوزنا» وقرأ الحسن بن أبي الحسن: «وجوزنا» ذكره أبو حاتم والمهدوي، والمعنى قطعناه بهم وجزعناه وهذه الآية ابتداء خبر عنهم، قال النقاش: جاوزوا البحر يوم عاشوراء، وأعطي موسى

(1) الصحاح في اللغة.
(2) البحر المحيط.
(3) المحرر الوجيز.

التوراة يوم النحر القابل بين الأمرين أحد عشر شهراً، وروي أن قطعهم كان من ضفة البحر إلى ضفة المناوحة الأولى وروي أنه قطع من الضفة إلى موضع آخر منها.

فإما أن يكون ذلك بوحي من الله وأمر لينفذ أمره في فرعون وقومه وهذا هو الظاهر، وإما بحسب اجتهاد موسى في التخلص بأن يكون بين وضعين أوعار وحايلات.

قال البغوي[1]: قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عز وجل.

قال الواحدي[2]: يقال: جاوز الوادي: إذا قطعه، وجاوز بغيره: عبر به.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾ [يونس: 90].

قال البيضاوي[3]: أي: جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم، وقرىء «جوزنا» وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف.

قال أبو السعود[4]: هو من جاوز المكانَ إذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية أي: جعلناهم مجاوزين البحرَ بأن جعلناه يبساً وحفِظناهم حتى بلغوا الشط، وقرىء جوّزنا وهو من التجويز المرادفِ للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ.

وإلا لقيل: وجوزنا بني إسرائيلَ في البحر ولخلا النظمُ الكريم عن الإيذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العنايةِ الإلٰهية لهم عنَوا الجوازَ كما هو المشهور في الفرق بين أذهبه وذهَب به.

(1) معالم التنزيل.
(2) الوجيز.
(3) أنوار التنزيل.
(4) إرشاد العقل السليم.

جوس

(جاس - جوز - عبر - قطع)

■ **الجَوْسُ:** التمكن من دخول ديار عنوة والتردد عليها ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء: 5].

■ **الجَوَازُ:** تعدي المكان بعد دخوله حتى صار خلفه: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الأعراف: 138].

■ **العُبُورُ:** تجاوز الماء خاصة بسباحة أو سفينة ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النِّساء: 43] أي: مروراً بنهر ونحوه.

■ **القَطْعُ:** قطع السبيل غصب المسافرين أموالهم ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العَنكبوت: 29].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الجيم والواو والسين أصلٌ واحد، وهو تخلُّل الشيء. يقال: جَاسُوا خِلالَ الدِّيار يَجُوسُونَ. قال الله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء: 5]. وأما الجُوسُ فليس أصلاً؛ لأنه إتباع للجُوع؛ يقال: جُوعاً له وجُوساً له.

قال الخليل(2): الجَوَسَانُ: التردد خلال الدور والبيوت في الغارة ونحوها، قال الله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهري[1]: الجَوْس: مصدر قولك: جَاسُوا خلال الديار، أي: تخلّلوها فطلبوا ما فيها، كما يَجُوسُ الرجل الأخبارَ التي يطلبها. وكذلك الاجْتِياسُ. والجَوسَانُ بالتحريك: الطَوَفان بالليل.

قال الفيروزآبادي[2]: الجَوْسُ: طَلَبُ الشيءِ بالاسْتِقْصاءِ، والتَّرَدُّدُ خِلالَ الدُّورِ والبُيوتِ في الغارَةِ، والطَّوْفُ فيها، كالجَوَسانِ والاجْتِياسِ. والجَوَّاسُ، ككَتَّانٍ: الأسَدُ. وجَوَّاسُ بنُ القَعْطَلِ، وابنُ قُطْبَةَ، وابنُ حَيَّانَ، وابنُ نُعَيْمِ بنِ الحَارِثِ أحدُ بنِي الهُجَيْمِ، وابنُ نُعَيْمٍ أحدُ بنِي حُرْثانَ: شُعَراءُ. وضَمْضَمُ بنُ جَوْسٍ: تابِعِيٌّ.

وجُوعاً له وجُوساً: إتْباعٌ. وجُوسِيَةُ، بالضم: ة بالشامِ قُرْبَ حِمْصَ، منها ابنُ عُثْمانَ الجُوسيُّ المُحَدِّثُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: 5].

قال البيضاويّ[3]: ﴿فَجَاسُواْ﴾ فترددوا لطلبكم. وقرىء بالحاء المهملة وهما أخوان. ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد.

قال الزمخشري[4]: وأسند الجوس وهو التردّد خلال الديار بالفساد إليهم، فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم. وقرأ طلحة

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) أنوار التنزيل.
(4) الكشاف.

«فحاسوا» بالحاء. وقرىء: «فجوّسو»، و«خلل الديار».

قال ابن كثير[1]: فجاسوا خلال الديار، أي: تملكوا بلادكم، وسلكوا خلال بيوتكم، أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين، لا يخافون أحداً، وكان وعداً مفعولاً.

قال الشعراوي[2]: جاسُوا من جاسَ أي: بحث واستقصى المكان، وطلب مَنْ فيه، وهذا المعنى هو الذي يُسمّيه رجال الأمن «تمشيط المكان». وهو اصطلاح يعني دِقّة البحث عن المجرمين في هذا المكان، وفيه تشبيه لتمشيط الشعر، حيث يتخلل المشط جميع الشعر، وفي هذا ما يدل على دِقّة البحث، فقد يتخلل المشط تخلُّلاً سطحياً، وقد يتخلل بعمق حتى يصل إلى البشرة فيخرج ما لصق بها.

إذن: جاسُوا أي: تتبعوهم تتبعاً بحيث لا يخفى عليهم أحد منهم، وهذا ما حدث مع يهود المدينة: بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) تفسير الشعراوي.

جوع

(جوع - خمص - خصص - السغب)

■ **الجُوعُ:** الألم من خلّو المعدة من الطعام ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قُرَيش: 4].

■ **الخَمْصُ:** ضمور البطن من شدة الجوع ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الخَصَاصَةُ:** خلّو البيت مما يؤكل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: 9]. .

■ **السَّغَبُ:** اجتماع الجوع والعطش والتعب ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البَلَد: 14].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

الجوع: هو ألم البطن الأولي لفراغ المعدة من الطعام وهو أول درجات خلو البطن من الطعام. فكل يوم نصاب بالجوع وهو من قوانين البشر كما نظمأ فنشرب ونتسخ فنغتسل وكذلك نجوع فنأكل. فقد نشعر بالجوع صباحاً فنفطر ونجوع ظهراً فنتغدى ونجوع مساءً فنتعشى. وقد قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغَاشِيَة: 7].

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: 4].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

خصاصة: إذا استمر الجوع في الإنسان أو في مجموعة من الناس لمدة أطول كأسبوع أو أسبوعين أو شهر أو أكثر يسمى خصاصة.

والخص هو نبات من القش أصفر وضعيف وهزيل، فإذا أدى الجوع بالإنسان إلى اصفرار لونه ولا يشبع مما يأكل ولكنه لم يصل بعد إلى درجة المجاعة إنما الطعام قليل فيظهر على الوجوه عدم الشبع وهو ما يعرف بمصطلح العصر بـ(سوء التغذية) تسمى هذه الحالة خصاصة وهكذا كان أهل المدينة المنورة من الأنصار لقلة الطعام عندهم بعدما تقاسموا مع المهاجرين طعامهم وآثروهم على أنفسهم في كثير من الأحيان. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

مخمصة: إذا تطور الجوع بحيث أدى إلى تشويه في الوجه والجسد كأن تصبح العيون غائرة، والبطن مخسوفاً وغائراً إلى حد مشوه فعندها يسمى مخمصة، غار الوجه بحيث تبدوالجمجمة ظاهرة والبطن عظامها ظاهرة كما نرى في صور من أصابتهم المجاعة في أفريقيا ودول العالم الثالث الفقيرة. ويقال أخمص القدم إذا تشوهت القدم من الأسفل أي: حدث فيها خسف إلى الداخل.

هذه الحالة تسمة مخمصة وهي الحالة التي فيها يحق لصاحبها أن يأكل مما حرم الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 3].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: 120].

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ [المائدة: 3] والآية هنا لا تعني من كان في سفر قصير ولم يجد طعاماً حلالاً وجاع فالإنسان يمكنه البقاء بدون طعام مدة من الزمن وذلك لوجود الدهون والشحوم في جسده التي تذوب عند الإحساس بالجوع وتغطي إحساس الجوع الذي يشعر به الإنسان، وعندما تنفذ هذه الدهون ويصفر الوجه ويهزل الجسم وتغور البطن وتصبح حياة الإنسان مهددة، عندها يجوز أكل المحرمات فقط. ولهذا يجب مراعاة هذه النقطة لئلا نقع في المحظورات لمجرد سوء فهم معنى الكلمة مخمصة

مسغبة: إذا صادف مع هذه المخمصة حالة من التعب والعناء والحالة المزرية تسمى مسغبة.

والله سبحانه وتعالى عنده عبادات تكفي عن كل العبادات مثل الشهادة في سبيل الله فكأن كل طاعات الشهيد الأخرى اختزلت في هذه الشهادة. كذلك الذي يطعم في مسغبة فالحال هنا تشابه حال المحكوم بالإعدام ثم تفكه أو عبد مملوك فتعتقه وتحرره (فك رقبة) وكذلك الإطعام هنا يجب أن يكون له مزية وليس بإطعام ما تبقى لدينا من طعام في يوم ذي حصار شديد ومعاناة شديدة وتعب شديد ثم يصبح عندك طعام فتطعمه هذا الذي يحاسب الله تعالى عليه بما شاء سبحانه ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد: 14].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والواو والعين، كلمةٌ واحدة. فالجُوُع ضِدّ الشّبَع. ويقال: عام مَجاعةٍ ومَجوعة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الجُوعُ: اسم جامع للمخمصة، والفعل: جَاعَ يَجُوعُ جَوْعاً، والنعت: جَاعَ جَوْعَان.

والمَجَاعَةُ: عام فيه جوع.

قال الجوهري[2]: الجُوعُ: نقيضُ الشِبَع. وقد جاعَ يَجوعُ جَوْعاً ومَجاعَةً. والجَوْعَةُ المرَّةُ الواحدة. وقومٌ جِياعٌ وجُوَّعٌ. وعامُ مَجاعَةٍ ومَجْوَعَةٍ بتسكين الجيم. وأَجاعَهُ وجَوَّعَهُ. وتَجَوَّعَ، أي: تعمَّد الجُوعَ. ورجلٌ مُسْتَجيعٌ: لا تراه أبداً إلا أنَّه جائِعٌ.

قال الراغب[3]: - الجُوعُ: الألم الذي ينال الحيوان من خلو المعدة من الطعام، والمَجَاعَةُ: عبارة عن زمان الجدب، ويقال: رجل جَائِعٌ وجَوْعَانٌ: إذا كثر جوعه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: 118].

قال أبو السعود[4]: ومعنى (أَن لا تَجُوعَ فِيهَا) وفصلُ الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانُسهما وتقارنِهما في الذكر عادةً وكذا حالُ العُرْي والضَّحْو المتجانسين، لتوفية مقامِ الامتنان حقَّه بالإشارة إلى أن نفيَ كلِّ واحد من تلك الأمور نعمةٌ على حيالها، ولو جمُع بين الجوعِ والظمأ لربما تُوهم أن نفيَهما نعمةٌ واحدةٌ، وكذا الحال في الجمع بين العُرْي والضَّحْو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقريرِ بالتنبيه على أن نفيَ كل واحد من الأمورالمذكورة مقصودٌ بالذات مذكورٌ

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) إرشاد العقل السليم.

بالأصالة لا أن نفيَ بعضِها مذكورٌ بطريق الاستطرادِ والتبعية لنفي بعضٍ آخرَ كما عسى يُتوهم لو جمع بين كلَ من المتجانسين.

قال الألوسي[1]: وقال بعضهم: إن الاقتصار على ما ذكر لما وقع في سؤال آدم عليه السلام فإنه روي أنه لما أمره سبحانه بسكنى الجنة قال: إلٰهي ألي فيها ما آكل؟ ألي فيها ما ألبس؟ ألي فيها ما أشرب؟ ألي فيها ما أستظل به؟ فأجيب بما ذكر، وفي القلب من صحة الرواية شيء.

ووجه إفراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفاً، وقيل: كونه السائل وكان الظاهر عدم الفصل بين الجوع والظمأ والعري والضحو للتجانس والتقارب إلا أنه عدل عن المناسبة المكشوفة إلى مناسبة أتم منها وهي أن الجوع خلو الباطن والعري خلو الظاهر فكأنه قيل لا يخلو باطنك وظاهرك عما يهمهما، وجمع بين الظمأ المورث حرارة الباطن والبروز للشمس وهو الضحو المورث حرارة الظاهر فكأنه قيل: لا يؤلمك حرارة الباطن والظاهر وذلك الوصل الخفي وهو سر بديع من أسرار البلاغة، وفي «الكشف» إنما عدل إلى المنزل تنبيهاً على أن الشبع والكسوة أصلان وأن الأخيرين متممان على الترتيب فالامتنان على هذا الوجه أظهر، ولهذا فرق بين القرينتين فقيل أولاً ﴿إِنَّ لَكَ﴾ وثانياً ﴿وَأَنَّكَ﴾، وقد ذكر هذا العلامة الطيبي أيضاً ثم قال: وفي تنسيق المذكورات الأربعة مرتبة هكذا مقدماً ما هو الأهم فالأهم ثم في جعلها تفصيلاً لمضمون قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117] وتكرير لفظة فيها وإخراجها في صيغة النفي مكررة الأداة الإيماء إلى التعريض بأحوال الدنيا وأن لا بد من مقاساتها فيها لأنها خلقت لذلك وأن الجنة ما خلقت إلا للتنعم ولا يتصور فيها غيره. وفي «الانتصاف» (أن في الآية سراً بديعاً من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم [وتصنيفها] ولو قرن كل بشكله لتوهم المقرونان نعمة واحدة، وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً.

(1) روح المعاني.

ثم ما ذكر من قصد تناسب الفواصل في الآية ظاهر في أنه لو عدل عن هذا الترتيب لم يحصل ذلك وهو غير مسلم.

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: 4].

قال الزمخشري[1]: والتنكير في ﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍۭ﴾ لشدتهما، يعني: أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما.

قال ابن عطية[2]: ﴿مِّن جُوعٍ﴾ معناه أن أهل مكة قاطنون بواد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى، وأن جعلها بدعوة إبراهيم تجبى إليها ثمرات كل شيء.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

قال الطبري[3]: وهو القحط. يقول: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوّكم وبسَنَة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم.

قال ابن عطية[4]: ﴿ٱلْجُوعِ﴾ الجدب والسنة، وأما الحاجة إلى الأكل فإنما اسمها الغرث، وقد استعمل فيه المحدثون الجوع اتساعاً.

قال الألوسي[5]: أي بقليل من ذلك، والقلة بالنسبة لما حفظهم عنه مما لم يقع بهم وأخبرهم سبحانه به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم فإن مفاجأة المكروه أشد، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة محمودة.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ﴾ عطف إما على (شيء) ويؤيده التوافق

---

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) المحرر الوجيز.
(5) روح المعاني.

في التنكير ومجيء البيان بعد (كل) وإما على (الخوف) ويؤيده قرب المعطوف عليه ودخوله تحت (شيء) والمراد من الخوف خوف العدو، ومن الجوع القحط إقامة للمسبب مقام السبب.

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: الخوف خوف الله تعالى والجوع صوم رمضان، والنقص من الأموال الزكوات والصدقات، ومن الأنفس الأمراض، ومن الثمرات موت الأولاد، وإطلاق الثمرة على الولد مجاز مشهور لأن الثمرة كل ما يستفاد ويحصل، كما يقال: ثمرة العلم العمل.

● **قال تعالى:** ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

قال الطبري[1]: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ، حتى أكلوا العِلْهِزَ والجِيَف.

قال أبو حيان[2]: ولما تقدم ذكر الأمن وإتيان الرزق، قابلهما بالجوع الناشىء عن انقطاع الرزق وبالخوف. وقدم الجوع ليلى المتأخر وهو إتيان الرزق كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عِمرَان: 106] وأما قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هُود: 105] فأما الذين شقوا ففي النار فقدم ما بدىء به وهما طريقان. وقرأ الجمهور: والخوف بالجرّ عطفاً على الجوع. وروي العباس عن أبي عمرو: والخوف بالنصب عطفاً على لباس.

قال صاحب اللوامح: ويجوز أن يكون نصبه بإضمار فعل. وقال الزمخشري: يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه

---

(1) جامع البيان. (2) البحر المحيط.

مقامه، أصله ولباس الخوف. وقرأ عبد الله فأذاقها الله الخوف والجوع، ولا يذكر لباس. والذي أقوله: إنّ هذا تفسير المعنى لا قراءة، لأن المنقول عنه مستفيضاً مثل ما في سواد المصحف. وفي مصحف أبي بن كعب لباس الخوف والجوع، بدأ بمقابل ما بدأ به في قوله: كانت آمنة، وهذا عندي إنما كان في مصحفه قبل أن يجمعوا ما في سواد المصحف الموجود الآن شرقاً وغرباً، ولذلك المستفيض عن أبي في القراءة إنما هو كقراءة الجماعة.

قال الشعراوي(1): الجوع يظهر أولاً كإحساس في البطن، فإذا لم يجد طعاماً عوّض من المخزون في الجسم من شحوم، فإذا ما انتهتْ الشحوم تغذّى الجسم على اللحم، ثم بدأ ينحت العظام، ومع شدة الجوع نلاحظ على البشرة شحوباً، وعلى الجلد هُزَالاً وذبولاً، ثم ينكمش ويجفّ، وبذلك يتحول الجوع إلى شكل خارجي على الجلد، وكأنه لباس يرتديه الجائع.

وتستطيع أن تتعرف على الجوع ليس من بطن الجائع، ولكن من هيئته وشُحوب لونه وتغيُّر بشرته، كما قال تعالى عن الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض: ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ . . .﴾ [البقرة: 273].

(1) تفسير الشعراوي.

جوف

(جوف)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والواو والفاء كلمةٌ واحدة، وهي جَوْفُ الشيء. يقال: هذا جَوْفُ الإنسان، وجَوْفُ كلِّ شيء. وطَعْنَةٌ جائِفَةٌ: إذا وصلت إلى الجَوْفِ. وقِدْرٌ جَوْفَاءُ: واسعةُ الجَوْفِ. وجَوْفُ عَيْرٍ: مكانٌ حماهُ رجل اسمه حِمار. وفي المثل: «أَخْلَى مِنْ جَوْفِ عَيْر». وأصله رجلٌ كان يحمي وادياً له.

قال الخليل[2]: والجَوْفُ: معروف، وجمعه أَجْوَافٌ. وأهل الحجاز يسمون فساطيط عمالهم: الأَجْوَافُ.

والجَائِفَةُ: الطعنة تدخل الجَوْف.

والجُوفُ: خلاء الجَوْف، كالقصبة الجَوْفَاء.

والجَوفَانُ: جماعة الأَجْوَف.

قال الجوهري[3]: الجَوْفُ: المطمئنُّ من الأرض. وجَوْفُ الإنسان: بطنُه. والأَجْوَفَانِ البطنُ والفَرْجُ. والجَائِفَةُ: الطعنةُ التي تبلغ الجَوْفَ. وأَجَفْتُهُ الطعنةَ وجُفْتُهُ بها. وأَجَفْتُ الباب، أي رَدَدْتُهُ. قال أبو عبيدة: المَجوَفُ: الرجلُ الضخمُ الجوفِ. واسْتَجافَ الشيءُ، واسْتَجْوَفَ أي اتّسع.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [**الأحزاب: 4**].

قال الزمخشري(1): فإن قلت: أي فائدة في ذكر الجوف؟ قلت: الفائدة فيه كالفائدة في قوله: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [**الحج: 46**] وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصوّر والتجلي للمدلول عليه، لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين، فكان أسرع إلى الإنكار.

قال أبو السعود(2): شروعٌ في إلقاءِ الوحيِ الذي أُمر عليه الصَّلاة والسَّلام اتباعِه وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى تمهيداً لما يعقبُه من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾.

قال الألوسي(3): ﴿فِي جَوْفِهِۦ﴾ للتأكيد والتصوير كالقلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [**الحج: 46**].

قال ابن عاشور(4): والجوف: باطن الإنسان صدره وبطنه وهو مقر الأعضاء الرئيسية عدا الدماغ.

---

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

جو

(جو - فضاء - هواء - ريح - عاصفة)

■ **الجَوُّ:** الفراغ الواسع فوق الأرض ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النّحل: 79].

■ **الفَضَاءُ:** الفراغ الواسع تحت السماء.

■ **الهَوَاءُ:** ما يتنفسه الكائن الحيّ. ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: 43].

■ **الرِّيحُ:** الهواء المتحرك بسرعة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾ [الأحزاب: 9].

■ **العَاصِفَةُ:** الريح الشديدة التي تقتلع الأشجار وغيرها ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأنبياء: 81].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): الجَوّ: الهواء، وكانت اليمامة تسمى جَوًّا.

والجَوُّ: كلّ ما اطمأنّ من الأرض.

والجُوَّةُ: الرقعة في السّقاء، يقال جَوَّيْتُ السّقاء، أي: رقعته.

قال الجوهري(2): الجُوَّةُ بالضم: الرُقعةُ في السِقاء. يقال: جَوَّيْتُ السقاء تَجْوِيَةً: إذا رَقَعْتَهُ. والجُوَّةُ: القطعةُ من الأرض فيها غلظ. والجُوَّةُ: النُقْرة.

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

والجُوَّةُ مثل الحُوَّةِ، وهي لونٌ كالسمرة وصدإ الحديد. والجِواءُ: الواسعُ من الأودية. والجواءُ والجِياءُ: لغةٌ في جِئاوَةِ القِدْر. والجَوُّ ما بين السماء والأرض.

والجَوى: الحُرقَةُ وشدَّة الوجد من عشقٍ أو حزنٍ. تقول منه: جَوِيَ الرجل بالكسر فهو جَوٍ. ومنه قيل للماء المتغيِّر المنتِن: جَوٍ.

والآجِنُ: المتغير أيضاً، إلاّ أنّه دون الجَوي في النَّتْنِ. ويقال أيضاً: جَوِيَتْ نفسي: إذا لم يوافقْك البلد. واجْتَوَيْتُ البلد: إذا كرهتَ المُقام به وإن كنت في نعمة.

قال الفيروزآبادي[1]: الجَوُّ: الهواءُ، وما انْخَفَضَ من الأرضِ، كالجَوَّةِ كجِبالٍ، وداخِلُ البَيْتِ، كجَوَّانِيهِ، واليَمامةُ، وثلاثةَ عَشَرَ مَوْضِعاً غيرَها. والجَوْجاةُ: الصَوْتُ بالإِبلِ، أصْلُها: جَوْجَوَةٌ. والجُوَّةُ، بالضم: الرُّقْعَةُ في السِّقاءِ. وجَوَّاهُ تَجْوِيَةً: رَقَعَه بها، والقِطْعَةُ من الأرضِ فيها غِلَظٌ، والنُّقْرَةُ في الجبلِ وغيرِهِ، ولَوْنٌ كالسُّمْرَةِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 79].

قال أبو السعود[2]: ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في الهواء المتباعدِ من الأرضَ والسكاك واللوح أبعدُ منه، وإضافتُه إلى السماء لما أنه في جانبها من الناظر ولإظهار كمالِ أجلّ القدرة.

(1) القاموس المحيط. (2) إرشاد العقل السليم.

قال ابن عطية[1]: «الجو» مسافة ما بين السماء والأرض، وقيل هو ما يلي الأرض منها، وما فوق ذلك هو اللوح، و«الآية» عبرة بينة تفسيرها تكلف بحت.

قال البغوي[2]: وهو الهويّ بين السماء والأرض.

قال الطبري[3]: يعني في هواء السّماء بينها وبين الأرض.

قال الزمخشري[4]: والجو: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلوّ.

قال الخازن[5]: الجوّ: الهواء الواسع بين السماء والأرض، وهو الهواء.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) لباب التأويل.

جَيَأَ

(جَيَأَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والياء والهمزة كلمتان من غير قياس بينهما. يقال: جَاءَ يَجِيءُ مَجِيئاً. ويقال: جَايأني فجِئْتُه، أي: غالبني بكثْرة المجيء [فغلبته]. والجَيْئَة: مصدر جاء. والجِئَةُ: مجتمع الماء حَوَالي الحِصْنِ وغيره. ويقال: هي جِيئَةٌ بالكسر والتثقيل.

قال الجوهري[2]: المَجِيءُ: الإتيان. يقال جَاءَ يَجِيءُ جَيْئة، وهو من بِناء المرَّة الواحدة إلاّ أنه وضع موضع المصدر مثل الرجفة والرحمة، والاسم الجِيئَةُ على فِعْلَةٍ بكسر الجيم. وتقول: جِئْتُ مَجِيئاً حسناً، وهو شاذ. وأَجَأْتُه، أي: جئت به، وجَايَأَني على فاعلني فجِئْتُه أَجِيئُه، أي: غالبني بكثرة المجيء فغلبته. وتقول: الحمد لله الذي جَاءَ بك، أي الحمد لله إذ جِئْتَ، ولا تقل: الحمد لله الذي جِئْتَ. وأَجَأْتُه إلى كذا بمعنى: ألجأته واضطررته إليه.

قال الفيروزآبادي[3]: جَاءَ يَجِيءُ جَيئاً جَيْئَةً وَمَجِيْئاً: أَتَى، والاسم كالجِيعَةِ. وإنَّه لَجيَّاءٌ وجَئَاءٌ وجَائِئٌ. وأجَأْتهُ: جِئْتُ به، وإليه: أَلْجَأْتُه. وجَاءَأَني، وهِمَ فيه الجوْهَريُّ، وصَوَابُهُ: جَايأَني، لأَنَّهُ مُعْتَلُّ العَيْنِ مَهْمُوزُ اللاَّمِ، لا عكْسُهُ، فَجِئْتُهُ أجِيئُهُ: غَالبَنِي بكَثْرَةِ المجيءِ، فَغَلَبْتُهُ. والجَيْئَةُ والجايِئَةُ: القَيْحُ والدَّمُ. والجَيْءُ

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

والجِيءُ: الدُّعَاءُ إلى الطَّعامِ والشَّرَابِ. وجَأْجَأَ بِالإِبِلِ: دَعَاهَا للشُّرْبِ. وجَيَّأَ القِرْبَةَ: خَاطَهَا. والمُجَيَّأُ، كمُعَظَّم: لعِذْيَوْطِ، وبِهاءٍ: المُفْضَاةُ تُحْدِثُ إذا جُومِعَتْ. والمُجَايَأَةُ: المُقَابَلَةُ والمُوافَقَةُ كالجِيَاءِ. والجَيْئَةُ: المَوْضِعُ يَجْتَمِعُ فيه المَاءُ، كالجِئَةِ، كَجِعَةٍ وجِيعَةٍ، والأَعْرَفُ الجِيَّةُ، مُشَدَّدَةً، و: قِطْعَةٌ تُرْقَعُ بها النَّعلُ، أو سَيْرٌ يُخَاطُ به، وقد أجاءَها. وما جَاءَتْ حاجَتُك: ما صَارَتْ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: 66].

قال أبو السعود(1): أي: عذابُنا أو أمرُنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: 76].

قال الألوسي(2): أي قدره تعالى المقضي بعذابهم، وقد يفسر بالعذاب، ويراد بالمجيء المشارفة فلا يتكرر مع قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: 76].

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: 83-84].

قال الواحدي(3): يعني صدق الله وآمن به.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) الوجيز.

قال الألوسي[1]: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ [الصَّافات: 84] منصوب باذكر كما هو المعهود في نظائره، وجوز تعلقه بفعل مقدر يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [الصَّافات: 83] كأنه قيل: متى شايعه؟ فقيل: شايعه إذ جاء ربه، وقيل: هو متعلق بشيعة لما فيه من معنى المشايعة. ورد بأنه يلزم عمل ما قبل لام الابتداء فيما بعدها وهم لا يجوزون ذلك للصدارة فلا يقال: إن ضارباً لقادم علينا زيداً، وكذا يلزم الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو لا يجوز. وأجيب بأنه لا مانع من كل إذا كان المعمول ظرفاً لتوسعهم فيه. ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سالم من جميع الآفات، كفساد العقائد والنيات السيئة والصفات القبيحة كالحسد والغل وغير ذلك، وعن قتادة تخصيص السلامة بالسلامة من الشرك، والتعميم الذي ذكرناه أولى أو سالم من العلائق الدنيوية بمعنى أنه ليس فيه شيء من محبتها والركون إليها وإلى أهلها، وقيل سليم أي حزين وهو مجاز من السليم بمعنى اللديغ من حية أو عقرب فإن العرب تسميه سليماً تفاؤلاً بسلامته وصار حقيقة فيه، وما تقدم أنسب بالمقام، والباء قيل للتعدية. والمراد بمجيئه ربه بقلبه إخلاصه قلبه له تعالى على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية، ومبناها تشبيه إخلاصه قلبه له عَزَّ وَجَلَّ بمجيئه إليه تعالى بتحفة في أنه سبب للفوز بالرضا، ويكتفى بامتناع الحقيقة مع كون المقام مقام المدح قرينة، فحاصل معنى التركيب إذ أخلص عَلَيْهِ السَّلَامُ لله تعالى قلبه السليم من الآفات أو المنقطع عن العلائق أو الحزين المنكسر. وتعقب بأن سلامة القلب عن الآفات لا تكون بدون الإخلاص وكذا الانقطاع عن العلائق لا يكون بدونه. وأجيب بأنهما قد يكونان بدون ذلك كما في القلوب البله.

وفي «المطلع» معنى مجيئه ربه بقلبه أنه أخلص قلبه لله تعالى وعلم سبحانه ذلك منه كما يعلم الغائب وأحواله بمجيئه وحضوره فضرب المجيء مثلاً لذلك

---

(1) روح المعاني.

اهـ، وجعل في الكلام عليه استعارة تمثيلية بأن تشبه الهيئة المنتزعة من إخلاص إبراهيم عليه السلام قلبه لربه تعالى وعلمه سبحانه ذلك الإخلاص منه موجوداً بالهيئة المنتزعة من المجيء بالغائب بمحضر شخص ومعرفته إياه وعلمه بأحواله ثم يستعار ما يستعار، ولتأدية هذا المعنى عدل عن جاء ربه سليم القلب إلى ما في النظم الجليل.

وقيل الباء للملابسة ولعله المتبادر، والمراد بمجيئه ربه حلوله في مقام الامتثال ونحوه، وذكر أن نكتة العدول عما سمعت إلى ما في النظم سلامته من توهم أن الحال منتقلة لما أن الانتقال أغلب حاليها مع أنه أظهر في أن سلامة القلب كانت له عليه السلام قبل المجيء أيضاً فليتدبر.

● **قال تعالى:** ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22].

قال الفخر الرازي[1]: واعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله تعالى محال، لأن كل ما كان كذلك كان جسماً والجسم يستحيل أن يكون أزلياً فلا بد فيه من التأويل، وهو أن هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ثم ذلك المضاف ما هو؟ فيه وجوه أحدها: وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة: وثانيها: وجاء قهر ربك كما يقال جاءتنا بنو أمية أي: قهرهم، وثالثها: وجاء جلائل آيات ربك لأن هذا يكون يوم القيامة، وفي ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل الآيات، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات، ورابعها: وجاء ظهور ربك، وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق، فقيل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: زالت الشبهة وارتفعت الشكوك، خامسها: أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه، مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه، فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها، وسادسها: أن

(1) التفسير الكبير.

الرب هو المربي، ولعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مربي للنبي ﷺ جاء فكان هو المراد من قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة قلت: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه: مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم.

● **قال تعالى**: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: 211].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: ما معنى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾. قلت: معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها، كقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البَقَرَة: 75]؟ لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها، فكأنها غائبة عنه.

قال الفخر الرازي[3]: فإن فسرنا النعمة بإيتاء الآيات والدلائل كان المراد من قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ أي: من بعد ما تمكن من معرفتها، أو من بعد ما عرفها كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها، فكأنها غائبة عنه، وإن فسرنا النعمة بما يتعلق بالدنيا من الصحة والأمن والكفاية، فلا شك أن عند حصول هذه الأسباب يكون الشكر أوجب فكان الكفر أقبح.

قال أبو السعود[4]: وصلت إليه وتمكن من معرفتها.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71]

(1) الكشاف.
(2) نفسه.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال الطبري[1]: أن تأويله: الآن بينت لنا الحق في أمر البقرة، فعرفنا أنها الواجب علينا ذبحها منها لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذبحوها بعد قيلهم هذا مع غلظ مؤنة ذبحها عليهم وثقل أمرها.

قال البغوي[2]: أي: بالبيان التّام الشّافي الذي لا إشكال فيه.

(1) جامع البيان.

(2) معالم التنزيل.

جيب

(جيب - صدر)

■ **الجَيْبُ:** طوق القميص الأعلى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: 31].

■ **الصَّدْرُ:** الجزء الذي يعلوه الجيب من القميص وتحته القلب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحجّ: 46].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الجيم والياء والباء أصلٌ يجوز أن يكون من باب الإبدال. فالجَيْبُ: جَيْبُ القميص. يقال: جِبْتُ القميص قوّرت جَيْبه، وجَيَّبْتُه: جعلت له جَيباً. وهذا يدلُّ أنّ أصله واو، وهو بمعنى خَرقْت.

قال الخليل[2]: جَيَّبْتُ القميص تَجْييباً: جعلت له جَيْباً.

قال ابن دريد[3]: جيب القميص معروف، وأصله الواو.

قال الفيروزآبادي[4]: جَيْبُ بالكسر: حِصْنانِ بين القُدُسِ ونابُلُسَ. وجَيْبُ القَميصِ ونحوه، بالفتح: (طَوْقُه، قيل:) هذا موضِعُ ذِكْرِهِ، جُيُوبٌ. جِيُوبٌ. وجِبْتُ القَمِيصَ أَجِيبه، كأَجُوبُه. وهو ناصِحُ الجَيْبِ، أي: القَلْبِ والصَّدْرِ. وجَيْبُ الأرض: مَدْخَلُها.

* * *

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: 12].

قال الطبري[1]: ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه وإنما أمره بإدخاله في جيبه، لأن الذي كان عليه يومئذ مِدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كُمٌّ. وقال بعضهم: كان كمها إلى بعض يده.

قال الواحدي[2]: الجيب: حيث جيب من القميص، أي قطع من الجيب.

قال الشعراوي[3]: وساعةَ نسمع كلمة الجيب نجد أن لها معنىً عرفياً بين الناس، ومعنى لُغوياً: فمعناها في اللغة فتحة القميص العليا، والتي تكون للرقبة، وهي في المعنى العُرْفي فتحة بداخل الثوب يضع فيها الإنسان نقوده، يقولون (جيب) والعوام لهم عُذْر في ذلك؛ لأنهم اضطروا إلى حِفْظ نقودهم داخل الثياب، حتى لا تكون ظاهرة، وربما سرقها منهم النشالون والأشقياء.

ولا يزال الفلاحون في الريف يجعلون الجيب في (السديري) الداخلي؛ لذلك سمعنا الحاوي مثلاً يقول: - ليُحنِّن الناس عليه - بارك الله فيمَنْ يضع يده في جيبه - يعني: بارك الله في الذي يعطيني جنيهاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31].

قال الفخر الرازي[4]: وإن جيوبهن كانت من قدام فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك أعناقهن

(1) جامع البيان.
(2) الوجيز.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) التفسير الكبير.

ونحورهن وما يحيط به من شعر وزينة من الحلى في الأذن والنحر وموضع العقدة منها.

قال القرطبي[1]: في هذه الآية دليل على أن الجيْب إنما يكون في الثوب موضعَ الصدر. وكذلك كانت الجيوب في ثياب السلَف رضوان الله عليهم؛ على ما يصنعه النساء عندنا بالأندلس وأهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم.

قال الألوسي[2]: إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن إبدائها، والخمر جمع خمار ويجمع في القلة على أخمرة وكلا الجمعين مقيس وهو المقنعة التي تلقيها المرأة على رأسها من الخمر وهو الستر، والجيوب جمع جيب وهو فتح في أعلى القميص يبدو منه بعض الجسد، وأصله على ما قيل من الجيب بمعنى القطع؛ وفي «الصحاح» تقول: جِبْتُ القميص أَجُوبه وأجِيبه: إذا قورت جيبه.

وإطلاقه على ما ذكر هو المعروف لغة، وأما إطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها كما هو الشائع بيننا اليوم فليس من كلام العرب كما ذكره ابن تيمية لكنه ليس بخطأ بحسب المعنى.

والمراد من الآية كما روي ابن أبي حاتم عن ابن جبير أمرهن بستر نحورهنّ وصدورهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء، وكان النساء يغطين رؤوسهن بالخمر ويسدلنها كعادة الجاهلية من وراء الظهر فيبدو نحورهن وبعض صدورهن، وصح أنه لما نزلت هذه الآية سارع نساء المهاجرين إلى امتثال ما فيها فشققن مروطهن فاختمرن بها تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله تعالى من كتابه، وعدى يضرب بعلى على ما قال أبو حيان لتضمينه معنى الوضع والإلقاء، وقيل معنى الشد، وظاهر كلام الراغب أنه يتعدى بعلى بدون تضمين. وقرأ عباس عن أبي عمرو ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) روح المعاني.

بكسر اللام وطلحة ﴿بِخُمْرِهِنَّ﴾ بسكون الميم، وقرأ غير واحد من السبعة ﴿جِيُوبِهِنَّ﴾ بكسر الجيم والضم هو الأصل لأن فعلا يجمع على فعول في الصحيح والمعتل كفلوس وبيوت والكسر لمناسبة الياء، وزعم الزجاج أنها لغة رديئة.

فهرس المحتويات

تابع حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء